أحمد أبو الفتح

جمال عبد الناصر

المكتب المصري الحديث

جمال عبد الناصر

المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
القاهرة ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت ٣٩٣٤١٢٧
الاسكندرية ٧ شارع نوبار المنشية ت ٤٨٢٦٦٠٢
فاكسيملى القاهرة ٣٤٧٥٤٢٧ (٢٠٢٠٠)

أحمد أبو الفتح

جمال عبد الناصر

المكتب المصري الحديث

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن ذكرى محمود أبو الفتح هى التى دفعتنى إلى كتابة هذا الكتاب . الذى أهديه إلى كل من عاش ومات فى سبيل الديموقراطية والحرية والدفاع عن حقوق الإنسان » .

« ويحدونى الاعتراف بالوفاء والمثابرة والابتسامة الراضية التى احاطتنى بها شريكة حياتى رغم كل ما فى الغربة من متاعب وقسوة ومسئوليات وقلق ، أن اهدى زوجتى ، أيضا ، هذاالكتاب فقد تحملت ما تحملت طوال عشرين سنة لتساعد فى الدفاع عن الحرية وحقوق المصريين »

تعريف بالكتاب

هذا الكتاب ليس كتاب تاريخ ...
هو كتاب رأى وتحليل لشخص
جمال عبد الناصر فى السنوات
الأولى لحركة الجيش،،،

مقدمة

٢٩ من مارس سنة ١٩٥٤ - الساعة الحادية عشرة صباحاً

« يسقط الدستور ... تسقط الحرية ... تسقط الديموقراطية ... يسقط المتعلمين » .

كانت هذه الهتافات يذيعها راديو القاهرة ، واستمر يذيعها طوال اليوم ، مع وصف للمظاهرات التى سماها المذيع وقتذاك بأنها مظاهرات شعبية رائعة ، وقد وصف تفاصيل إعتدائها على مبنى البرلمان ومبنى مجلس الدولة ومبنى جريدة المصرى وعلى أماكن أخرى فى القاهرة .

٢٩ من مارس سنة ١٩٥٤ - الساعة الحادية عشرة صباحاً

أعلن راديو القاهرة البلاغ التالى :

« إن المظاهرات التى انتشرت منذ الصباح فى أرجاء القاهرة قد أجمعت على مطالبة مجلس قيادة الثورة وجمال عبد الناصر يتولى كامل السلطات فى مصر وأن مجلس قيادة الثورة وجمال عبد الناصر قد قبلا مطالب الشعب » .

وخيم الصمت فترة علىّ وعلى شقيقى محمود أبو الفتح الذى قطع هذا الصمت إذ قال فى حزم :

ـ لقد حانت ساعة العمل ياأحمد ... إن المسئولية التى ألقاها الله على عاتقنا مسئولية ضخمة ... والرسالة التى وجب علينا العمل لها هى رسالة كبرى ...

وتولتني الدهشة وأردت أن أتحدث ولكن شقيقى لم يتح لى الفرصة بل بـادرنى بقوله :

ـ لقد إستطاع جمال عبد الناصر اليوم أن يحطم كفاح الشعب المصرى لبلوغ حكم ديمقراطى سليم وتحقيق الحرية السياسية والشخصية . ولقد إستطاع عبد الناصر أن يضرب ضربته فيمحق الآمال الزاهرة التى كان يتطلع لها كل مصرى ، والتى عمل من أجلهـا الشعب بكـافـة مـا يستـطيع من وسـائـل ، والتى سعى إليهـا محمـد نجيب وأحمد شوقى وثـروت عكاشـة وخالـد محيى الدين ويـوسف صديق وغيـرهم من الضباط المخلصين بكل ما لديهم من قوة ، والتى إنطلقت جريدة المصرى تبشر بها وتدعمها بكل ما ملكت من أقلام وكتاب . لقد حطم عبد الناصر كل ذلك وأمام مصر أيام سود وأمام الشعب المصرى مستقبل حافل بكل ما يحمل الحكم الديكتـاتورى من بـطش وظلم وإرهاب وفساد سياسى .

واليوم يا أحمد ونحن نعيش خارج مصر وجب علينا أن نحمل الأمانة ، أمانـة الدفاع عن الشعب المصرى ودفع الظلم والبطش والتعذيب عنه ، علينا أن نعمل ونملأ الدنيا بأصواتنا دفاعاً عن إخواننا فى مصر .

ومنذ ذلك اليوم إنطلق محمود أبو الفتح يعمل وأنا إلى جواره .. وفى زمن وجيز تكونت « لجنة مصر الحرة » التى رفعت راية الكفاح فى سبيل تخليص مصر من ربقة الدكتاتورية . وسرعان ما اتسعت هذه اللجنة حتى صار لها داخل مصر وخارجها جنود بواسل يرفعون راية الحق ويعملون إما فى السر أو فى العلانية من أجل هدف واحد هو أسمى هدف ، هدف تحرير مصر من الدكتاتورية وإقامة حكم ديمقراطى برلمانى سليم يضمن لكل مصرى الحرية الكاملة والمساواة الكاملة .

وفى ١٥ من أغسطس سنة ١٩٥٨ إختار الله سبحانة وتعالى إلى جواره محمود أبو الفتح وسارت « لجنة مصر الحرة » تواصل فى ثبات وجرأة وإقدام السعى فى سبيل الأهداف السامية التى رسمها لها مؤسسها .

ولقد كانت وفاته هى الدافع الذى دفعنى إلى كتابة هذا الكتاب مسجلاً فيه قصة جمال عبد الناصر وقصة مصر منذ مطلع سنة ١٩٥٢ .

والكتاب ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يبدأ من حريق القاهرة فى ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ إلى أن صار جمال عبد الناصر الدكتاتور المطلق لمصر .

أما القسم الثانى : فيشمل ثلاثة فصول رئيسية ... الأول منها : تحليل لشخصية جمال عبد الناصر ، والثانى : تحليل لسياسة عبد الناصر بين الشرق والغرب ولسياسته العربية ، أما الفصل الثالث : فأتحدث فيه عن الأساليب التى كان يحكم بها جمال عبد الناصر مصر ، وتأتى بعد ذلك خاتمة الكتاب .

قصة هذا الكتاب

لهذا الكتاب قصة ...

كتبتُ جانباً كبيراً من هذا الكتاب سنة ١٩٥٤ فى مدينة بيروت حيث كنت أقيم فيها منذ يوم ١٥ من مارس عام ١٩٥٤ م . وسبب وجودى فى بيروت إبتداء من هذا التاريخ يرجع إلى حكم أصدره ثلاثة من ضباط حركة الجيش جعل منهم مجلس القيادة ما أسموه « محكمة الثورة » للتنكيل بكل من يرى ذلك المجلس التنكيل به .

هذه « المحكمة » قررت فيما إتخذت من عمليات التنكيل أن تُحاكم السيدة/حَرَم الرئيس الجليل ـــ مصطفى النحاسى باشا ، وهو إجراء إن دل على أمر فإنما يقطع بمدى الهبوط فى التعامل السياسى ، إذ أن الاستعمار البريطانى لم ينزل إلى درجة محاكمة زوجات الزعماء .

أثناء نظر هذه القضية ـــ وهى لا تمت لجريدة المصرى بأية صلة ، ولسبب غير مفهوم ـــ رأى « القضاة » أن يتهموا محمود أبو الفتح صاحب المصرى بأنه لم يُسدد كل ما كان يجب أن يسدده من الضرائب على ورق باعه وربح فيه .

لأول مرة فى تاريخ (المحاكم) تنظر (محكمة) قضية فإذا بها دون أى ارتباط تقرر أن تضم إليها (قضية) أخرى تختلقها (المحكمة) دون سابق تحقيق أو إتهام .

يوم ٧ من مارس ١٩٥٤ أصدر هؤلاء الثلاثة الذين قاموا بتمثيل دور القضاة والحكم على حرم رفعة آلنحاس باشا وفى نفس الوقت بإلزام جريدة المصرى بتسديد ضرائب متأخرة قدرها ٢١٫٢٣٣ جنيهاً .

فى هذا الوقت كان أخى ــ المرحوم/محمود أبو الفتح حضر إلى بيروت من المملكة العربية السعودية هو والأستاذ/ عبد الوهاب حسنى « المحامى » حيث إشتركا فى تأسيس فرع لبنك القاهرة الذى كان أخى من أكبر مؤسسيه فى مصر .

علم أخى بهذا « الحكم » وكان من الطبيعى أن ينزعج ، فقد سبق أن دعا إلى منزله فى القاهرة أعضاء مجلس « حركة » الجيش ، وأثناء هذه الدعوة سمع من الكثير منهم أحاديث تُجمع على تقديرهم لجريدة المصرى ، وأثناء هذه الدعوة طلب الصاغ/صلاح سالم منه التبرع بعدة أطنان من ورق الصحف ليقدمها صلاح كهدايا للصحف السودانية ، ووافق أخى ونفذ الطلب بصدر رحب .

طلب أخى محمود أن أحضر إليه فى بيروت لأوضح له ما ينطوى عليه ذلك « الحكم » .

فى هذه الفترة كانت الصحافة تتمتع بحرية إفتقدتها طوال الوقت منذ حريق القاهرة فى ٢٦ من يناير عام ١٩٥٢ . وكانت جريدة المصرى تطالب بدستور يكفل للشعب المصرى حرياته إذ كان حكم قيادة « حركة » الجيش قد ارتكب إعتداءات على حريات الشعب المصرى إستباح فيها تسليط الجاسوسية بكافة صورها حتى وصلت إلى درجة دفع الأطفال والخدم للتجسس على الأهل وعلى الأسر داخل المنازل ... وبعد أن كانت الاعتقالات فى العهد الملكى لا يزيد عدد المعتقلين فى كل مرة عن بضع عشرات وصل العدد عندما قامت « حركة » الجيش بالقبض على الأخوان المسلمين إلى عشرات

الآلاف ، ثم مارست « الحركة » ألواناً من تعذيب المعتقلين لم يسبق أبداً أن تعرّض لها أى معتقل سياسى فى مصر . وباختصار كامل ، كان المصريون يعيشون فى رعب من التجسس ، وخرست الألسن خوفاً من الساعات المسجلة وخوفاً من جهاز التليفون فقد ساد الاعتقاد بأن التليفونات مُراقبة وأنها حتى بغير استعمالها تسجل للجالسين بالقرب منها ما يُقال ، وخوفاً من الابناء ومن أعز الاصدقاء .

وكانت « الحركة » قد قررت مصادرة أملاك الأسرة الملكية وانتشرت عمليات السلب والنهب بصور رهيبة أثناء جرد بعض الضباط للقصور الملكية وقصور أفراد الأسرة واختفت المجوهرات والتحف بل والملابس فى كثير من الأحوال .

وكانت « الحركة » قد أعلنت عن تنفيذ عملية أسمتها « تطهير موظفى الدولة » ، وقد تسببت هذه العملية فى الانتقام من آلاف من الموظفين أغلبهم من الأكْفاء الأمناء الذين فوجئوا بتلفيقات من زملاء لهم أرادوا إبعادهم لأسباب لا تمت للكفاءة أو النزاهة بصلة . ولم تُتح لجان التطهير الوقت للتحقيق فى التقارير الملفقة ؛ وكانت النتيجة ليس مجرد إبعاد الموظفين وفصلهم من عملهم بل تلويث سمعتهم ووصمهم بأن إبعادهم يتم لتطهير الأداة الحكومية منهم .

وهكذا كانت « حركة » الجيش التى إدعى القائمون بها يوم ٢٣ من يولية عام ١٩٥٢ م أنها قامت من أجل تحقيق حرية الشعب المصرى وإقامة نظام ديموقراطى يوفر للمصريين كافة الحقوق الدستورية قد مارست خلال ١٩ شهراً ــ من صور البطش بالمصريين ــ ما لم يكن له مثيل من قبل بالإضافة إلى اضطراب فى القرارات وخلافات حادة بين اللواء/محمد نجيب وأعضاء القيادة ، و« محاكمات » شاذة لعمال وضباط ومدنيين تم فيها توقيع أشد العقوبات دون توخى أى قسط من العدالة للذين تتم « محاكمتهم » كما كانت روائح الفساد والإثراء الحرام ونهب القصور قد زكمت الأنوف .

أقول بعد صدور « حكم محكمة الثورة » يوم ٧ من مارس عام ١٩٥٤ م . أرسل أخى/محمود يطلب حضورى إلى بيروت لأوضح له ماهية ذلك « الحكم » ، وترددت فى

السفر ... ذلك لأن الرقابة كانت قد تم رفعها عن الصحف نتيجة تصميم اللواء/ نجيب ــ على ذلك ؛ وكان المصرى يخوض معركة الدفاع عن حريات الشعب المصرى وكانت صفحاته مفتوحة لكل من يريد أن يُساهم فى هذه المعركة .

يوم ١٤ من مارس عام ١٩٥٤ م . أرسل أخى/محمود ــ يستعجل حضوري إلى بيروت ؛ وكان جمال عبد الناصر قد طلب منذ بضعة أيام أن أزوره ... فادعيت المرض ورفضت الذهاب ، ولكنه علم عن طريق جواسيسه بأنى لست مريضاً فغضب وقرر أن يعتقل الخمسة الذين يشرفون على تحرير المصرى ، وهم : أحمد فهمى ، محمود مراد ، مرسى الشافعي ، الدكتور/أحمد عبد المنعم البهى ، وحسنى سلمان ـ إذا لم أزره ، وعلمتا أنه سيُنفذ القرار صباح يوم ١٥ من مارس وهو اليوم الذى كنت قد عقدت العزم على أن أسافر فيه إلى بيروت .

خشيت أن أسافر وينفذ عبد الناصر تهديده ، فذهبت لمنزله فى كوبرى القبة فى الساعة التاسعة مساء يوم ١٤ من مارس فوجدت عنده البكباشي/أحمد أنور ــ رئيس البوليس الحربى .

إجتمعنا نحن الثلاثة من التاسعة مساء حتى منتصف الساعة الثالثة من صباح يوم ١٥ من مارس ، وتناقشنا فى الوضع السياسى ، وطلب عبد الناصر أن أوقف حملة الدفاع عن الحريات والحياة الدستورية الديموقراطية وأن أقف بالمصرى فى صفه ؛ وكان ردى : أنى مستعد لذلك لو أطلق هو الحريات واحترمها وساعد على قيام الحياة الديموقراطية وألّف حزباً فإنى سأقف مؤيداً لهذا الحزب بل وسأسعى إلى ضم أصدقاء لى معروفين بالوطنية إلى حزبه .

لم نتفق ؛ وأثناء هذه الساعات الست الطوال غادر عبد الناصر الغرفة التى كنا مجتمعين فيها ليطلب لنا قهوة فإذا بأحمد انور يقول لى ــ وبصوت خافت ــ : « أرجوك يا أحمد تُوقف الحملة ضد حركة الجيش فأنت دمك مهدر » .

أخذت الكلام باستخفاف رغم سابق معرفتى أن حركة الجيش كانت قد أعدت قائمة بأسماء عدد من السياسيين قرر أعضاء مجلس القياد إغتيالهم منتهزين تدبير فوضى داخل القاهرة ينتشر خلالها زبانيتهم لينفذوا قتل المدرجة أسماؤهم فى القائمة ، وكنت أعلم أن إسمى كان من بين المدرجين فيها .

قلت ضاحكاً : « يا أحمد الأعمار بيد الله » .

ولم يتسع الوقت لمزيد من الحديث إذ عاد عبد الناصر ، وبعد منتصف الليل غادرنا عبد الناصر ليطلب عشاء له ، وعاد أحمد أنور يقول : « أنت تعرف مدى إعزازى لك فأرجوك توقف الحملة فو الله أنت دمك مهدر » ؛ ومرة أخرى : لم يتسع الوقت للنقاش إذ عاد جمال .

فى الساعة الثانية والنصف صباحاً قررنا : أن لا فائدة من مواصلة النقاش فكل منا مُصرٌ على موقفه ، وكان عبد الناصر أثناء الحديث المحتدم قد قال : « هل تريد منى أن أترك صفوف الجيش لأكون حزباً ... أم تريد أن أذهب ملحقاً عسكرياً فى واشنطون » .

ووسط الإجهاد وحدة النقاش قلت : « وما له لو تركت الجيش أو رحت ملحق عسكرى » .

هذه الجملة قد ضايقته أشد الضيق ، وظل عبد الناصر يتحدث عنها مردداً : « أحمد ابو الفتح عاوزنى أروح ملحق عسكرى فى واشنطون » والحقيقة : أنه هو الذى قالها ، فلم أرفضها كما بينت .

غضب عبد الناصر من حكاية ذهابه كملحق عسكرى فى واشنطون ورأينا فض الاجتماع .. وأثناء مسيرنا فى فناء منزله أخذ أحمد أنور يؤكد علىّ أن دمى مهدر ويلح فى أن أُهادن .

بعد بضع ساعات من هذا الاجتماع ركبت الطائرة المتجهة إلى بيروت وفى عزمى أن أرجع فى اليوم التالى ...

شرحت لأخى / محمود ــ أسباب حكم الغرامة وملابساته ، وقلت أنه ولا شك بمثابة إنذار لنا لمعارضتنا للدكتاتورية وللحملات القوية التى كان يشنها المصرى للدفاع عن حريات المصريين وتخليصهم من رعب الجاسوسية وحقارة تلفيق التهم ومن البطش الذى كان مُسلطاً على عشرات الآلاف من المصريين ومن فساد الذمم الذى استفحل ، ورويت له ولعبد الوهاب حسنى أيضا تفاصيل الجلسة التى بدأت أمس مع عبد الناصر وأننا لم نتفق ؛ ولكنى لم أخبر أخى بكلام أحمد أنور عن أمر إهدار دمى .

بعد أن إنفردت بعبد الوهاب ــ وقد كان من أعز وأخلص أصدقائى ــ أخبرته بكلام أحمد أنور وشدّدت عليه ألا يخبر أخى / محمود به كى لا ينزعج ، ولكن عبد الوهاب لم يف بوعده وذهب وأخبر أخى .

فى المساء قال أخى محمود : « يا أحمد أنت لن تسافر إلى القاهرة غداً وسنبقى معاً إلى أن ينجلى الموقف » .

حاولت أن أعارض وأهّون من الأمر فأصر على قراره ، فقلت له أن ما نخوضه ــ عن طريق جريدة المصرى ــ من حملات دفاعاً عن الحرية قد يعرض المصرى إلى انتقام الضباط .. وعندئذ سيكون الانتقام عنيفاً ، فإذا كنت تريد الحفاظ على المصرى فأرجو مرة أخرى (وكنت قد عرضت عليه نفس الطلب فى منتصف سنة ١٩٥٣) أن تُعين غيرى ليرأس التحرير ويغير سياسة الجريدة إلى المهادنة .

غضب أخى محمود ــ رحمه الله ــ من العرض الذى سبق أن رفضه من قبل ، وكرر نفس الكلام :

إننا لم نكن أغنياء ، وقد تسبب فى ثروتنا إخلاصنا للقضايا الوطنية وإقبال المصريين على « المصرى » ... فهل تريد منى أن أخونهم الآن ؟ إن علينا مواصلة دفاعنا عن حريات المصريين تاركين الأمور لتصريف الله .

وفى صباح اليوم التالى طلب منى أن أكتب مقالاً فكتبت وراجعه أخى ثم ذهبنا إلى

المطار مع الأخ الكريم ــ الأستاذ/زهير عسيران ــ صاحب جريدة « الهدف » ومدير مكتب المصرى فى بيروت حيث وجدنا أحد المعارف فى طريقه إلى القاهرة فسلمناه المقال مع رجاء توصيله لأحمد فهمى بجريدة المصرى .

وهكذا كنت أكتب وأخى محمود يراجع وعسيران يعمل على توفير مسافر إلى القاهرة يوصل المقال إلى الجريدة .

ويوم ٢٨ من مارس أصدر أخى/حسين أبو الفتح الذى كان فى القاهرة ــ بمعاونة الزميل العزيز/محمود عبد المنعم مراد ــ آخر نسخة تمتع فيها المصرى بالحرية وعدم فرض الرقابة . وقد تصدر الصفحة الأولى ــ من هذا العدد الأخير ــ عنوان ضخمٌ يقول : « مؤامرات ضد الشعب » .

وكان أخى/حسين قد أرسل لنا ــ قبل ذلك اليوم ــ خطاباً أكد فيه إصراره على مواصلة دفاع المصرى عن الحريات والمطالبة بالإفراج عن كل المعتقلين ، وإقامة حياة ديموقراطية صادقة .. وفرحنا بهذا الخطاب فرحاً عظيماً إذ إجتمعت كلمتنا جميعاً واتحدت إرادتنا حول أهداف الحرية .

* * *

مساء يوم ٣٠ من مارس عادت الرقابة على الصحف وعلى « المصرى » بصفة خاصة بأبشع صورها .

على كل حال لم يطل الأجل بالمصرى ... إذ سرعان ما قامت تلك « المحكمة » المسماة « محكمة الثورة » بإصدار أحكام بالسجن ...ضد : محمود وحسين ابو الفتح وبغرامة تزيد على ٣٥٠ ألف جنيه ؛ وفى يوم ٥ من مايو ــ وهو يوم صدور هذه الأحكام ــ كانت القوات الحكومية فى كل مكان يملكه محمود أبو الفتح .. فى : دار المصرى ومطابع المصرى فى بولاق ، ومطابعه فى دير النحاس ، وفى جراجات المصرى ومخازن الورق ، وفى شركة الاعلانات الشرقية والمصرية التى كان محمود أبو الفتح قد

اشتراها من أصحابها الانجليز ، وحول الصحف السبع التى تصدرها باللغات الإنجليزية والفرنسية والليونانية إلى قلاع تدافع عن القضايا الوطنية،وخصوصا ضد إسرائيل بعد أن أبعد عن تحريرها الصهيونيين الذين كانوا يصدرونها وعين مكانهم مصريين وطنيين .

ولم تترك السلطات مسكن محمود ابو الفتح ، إذ سرعان ما وضعت الأختام عليه وحراس يحرسونه ، وإن كان أحد كبار الضباط قد أخذ يتردد ليلاً على المسكن ويفك الأختام وينقل فى سيارة الجيش ما يريد ثم ينصرف على مرأى من البوابين .

ووضعت السلطات يدها على كل الحسابات فى البنوك وكل ما فى بعض خزائن بنك مصر مما يملكه محمود ابو الفتح .

ويوم صدور هذا « الحكم » أرسل أخى /محمود برقية يبدى فيها استعداده لتسديد « الغرامة » والمثول أمام أية محكمة تتكون من رجال القضاء المصرى ، ولكن طبعاً لم تعر السلطات هذه البرقية أية أهمية ، فقد كان غرضها الانتقام ووقف صدور « المصرى » ونهب وسلب ثروتنا .

وكانت أسرة محمود أبو الفتح هى أول أسرة مصرية صميمة تقوم « حركة » الجيش بمصادرة كل أملاكها .

شهوة انتقام أسود .

فعل عبد الناصر بالمصرى ما لم يستطع الملك فاروق ولا اسماعيل صدقى باشا ولا محمود فهمى النقراشى باشا ولا أبراهيم عبد الهادى باشا أن يفعلوه .

منع عبد الناصر الجريدة المصرية الوحيدة التى كانت ــ حتى منعها من الصدور ــ قد استطاعت أن تنتزع من الأهرام الذى أسسه إخوان لبنانيون ثقة المصريين ، وأصبحت الجريدة الأولى فى التوزيع والانتشار ليس فى مصر وحدها بل فى كافة أرجاء العالم العربى .

إستطاع عبد الناصر أن يُنهى مؤسسة كانت صحفها تدافع عن كل القضايا العربية

وقضايا الحرية وتحارب الاستعمار فى كل مكان .

لم يتحمل عبد الناصر الدفاع عن الحرية والديموقراطية وهو الذى قاد حركة الجيش واعدا باعادة الحرية والديموقراطية .

استغل المرتزقة يوم ٢٩ من مارس ليهتفوا فى الشوارع « تسقط الحرية ... يسقط المتعلمين » وليجوبوا الشوارع يرددون هذه التهافات التى تعتبر أكبر عار شهدته شوارع مصر ... مصر التى كان أى مصرى من أبنائها إذا خرج فى مظاهرة خرج ليهتف للحرية ويهتف للديموقراطية ... انتشر حثالة البشر الذين دفع لهم عبد الناصر ثلاثة آلاف جنيه ليهاجموا مجلس الدولة حصن الدفاع لحقوق المصريين ضد تعسف السلطة .. ويحاولون قتل الدكتور/عبد الرزاق السنهورى ـ أكبر علماء القانون المدنى ثم يتوجهون إلى دار المصرى ويقذفون الطوب على النوافذ فيخرج لهم العمال المخلصون وفى أياديهم أوعية مليئة بالرصاص المنصهر الذى يغلى يريدون إلقاءه على هذه الحثالة فيفر المهاجمون ليواصلوا الهتاف بسقوط « المصرى » وسقوط الحرية .

وفى ٥ من مايو يستغل الضباط الثلاثة «أعضاء مجلس قيادته» الذين شكل منهم ما يُسميه « محكمة الثورة » ليصدروا حكما أملاه عليهم إملاء ليوقفوا صدور « المصرى » ، ويصادروا كل ما كان محمود أبو الفتح يملكه . ومن حق السيد/عبد اللطيف البغدادى أن أسجل له شجاعته الأدبية إذ لم يُحاول أن يُخفى فى مذكراته موقفه من قضية المصرى ومطالبة عبد الناصر أكثر من مرة وفى أكثر من إجتماع أن تتولى « محكمة الثورة » محاكمة المصرى لإغلاقه ومحاكمة محمود أبو الفتح لمصادرة ممتلكاته ، فقد حاول البغدادى أن يرفض أكثر من مرة هذه المحاكمة ، ولكن عبد الناصر أصر على إجرائها مما إضطر السيد/عبد اللطيف البغدادى إلى الرضوخ لرغبته وحاكم محمود أبو الفتح ونفذ كل رغبات عبد الناصر .

كان باستطاعة السيد/البغدادى ألا ينشر هذا الجزء فى مذكراته التى صدرت عن دار المكتب المصرى الحديث ، ولكنه لم يفعل وهذه ولا شك شجاعة تسجل لحرصه على ذكر كل ما دونه فى مذكراته .

وتقديراً لهذا الموقف الشجاع وتوضيحاً لتلك « القضية » أنشر ما سجله السيد/البغدادى فى مذكراته .

نص ما سجله السيد عبد اللطيف البغدادى رئيس « محكمة الثورة » فى كتابه « مذكرات عبد اللطيف البغدادى » الجزء الأول صفحة ١٦٦ : « طلبت أمام جميع أعضاء المؤتمر (أعضاء مجلس القيادة والوزراء المدنيين) إعفائى من رئاسة « محكمة الثورة » فى حالة عرض أى قضية عليها لها ارتباط بحوادث تلك الأزمة التى مرت بنا ـــ لأنى قدرت أن مهمة المحكمة فى هذه الحالة ستكون ما هى إلا عملية إنتقامية من بعض الأشخاص الذين كانوا قد عبروا عن آرائهم بعد إعلان حرية الصحافة وبعد إعلان قرارات ٢٥ من مارس ، ومادمنا قد قررنا هذا ... وهم بدورهم قاموا بهذا النشاط بناء على قراراتنا فليس هناك مبرر لمحاكمتهم وإلا كانوا وكأنه قد تقررت محاكمتهم مسبقاً ، ولم أشأ أن أكون أداة تنفيذ لهذا الانتقام منهم ولذا قررت ألا أكون رئيساً لهذه المحكمة »

صفحة ١٦٨ : « ثم نُوقش ما يجب عمله حيال رجال الأحزاب خاصة الذين ظهروا على المسرح فى تلك الفترة الأخيرة ومهاجمتهم للثورة ووجوب محاكمتهم أمام « محكمة الثورة » ـــ وأثير موقفى بالنسبة لهذا الاتجاه ورأيى فيه ؛ وهو : إن كان ولابد من محاكمتهم فتشكل محكمة خاصة تكون مهمتها ـــ مثلا ـــ حماية الثورة ، ومحاكمة كل من حاول أو يحاول أن يقف فى طريق تحقيق أهدافها أو تهديد النظام القائم عليها . ولقد حاولوا إقناعى بأن قيام محكمة أخرى لمحاكمتهم فى وجود « محكمة الثورة » ستئول إلى معان مختلفة ؛ ولكن كنت متمسكاً برأيى وهو أن محكمة الثورة قامت فى ظروف غير هذه الظروف ؛ وكانت تنظر قضايا من تسببوا فى إفساد الحياة السياسية فى مصر وكذا قضايا استغلال النفوذ بغرض الإثراء ، أو من كان يتجسس لحساب دولة أجنبية .. وأن الظروف التى جدت تختلف عنها وهى محاكمة أفراد ظهروا على المسرح السياسى بعد إعلان عودة الحياة النيابية وقيام الأحزاب ؛ وإن كان من الضرورى محاكمتهم فلماذا لم يحاكموا من قبل - والمحاكمة ستظهر وكأنها انتقام منهم . وضربت مثلا بمحمود أبو الفتح الذى يودون محاكمته ومصادرة أمواله وكيف يُحاكم وقد كان بالخارج فى هذه الفترة . ولماذا لم يحاكم من قبل ـــ موقفهم منه اليوم وموقفهم بالنسبة لجريدة

« المصرى » التى هو صاحبها يوم أن صدر حكم « محكمة الثورة » عليها باسترداد مبلغ ٢٢ ألف جنيه فروق ضرائب مستحقه عليها ــ وما الذى غير الموقف ــ أليس موقف جريدة « المصرى » من الثورة فى الفترة الأخيرة ــ أليس هذا انتقاما ــ وهم كانوا يتكلمون عن الشعب والحريات والحياة النيابية . وهو كلام لا يمكن أن يؤاخذ عليه . ولما وجدونى متمسكاً بوجهة نظرى إنتقلوا إلى الحديث حول سلاح الفرسان » .

ويقول السيد عبد اللطيف البغدادى :

صفحة ١٧٠ : « وتكلم جمال عبد الناصر وأشار أن هناك فئة من الطلبة محترفة التهريج والشغب ــ وهو يرى فصل هؤلاء الطلبة المشاغبين حتى لا يكونوا مثار قلق باستمرار ــ وأن الجامعة لابد من تطهيرها من هؤلاء » .

« كما ذكر زكريا أن بعض الصحفيين من جريدة المصرى كانوا قد ذهبوا فى يوم ٣٠ من مارس إلى الجامعة وخطبوا فى الطلبة قائلين لهم أن جريدة المصرى هى جريدتكم التى تدافع عن حقوق الشعب والحريات والحياة النيابية » . « وتكلم جمال عبد الناصر عن الصحافة ووضع قانون لتطهيرها وكلف صلاح مع فتحى رضوان بوضع مشروع قانون يحقق هذا الغرض » .

صفحة ١٧١ : « وتكلم صلاح شارحاً ما يراه وهو نفس ما سبق وذكره جمال عبد الناصر فى اليوم السابق عن الناحية البيضاء والناحية السوداء وتتلخص فى الأتى .

محمود أبو الفتح ومصادرة جريدة المصرى ــ وحدد بعض التهم الموجهة ضد محمود ابو الفتح » .

صفحة ١٧٢ : « كان الجو مكهرباً : ثم بدأ بعد ذلك مناقشة اقتراحات صلاح هذه نقطة نقطة وقد بدأت باقتراح محاكمة محمود أبو الفتح أمام محكمة الثورة ــ واعترضت على ذلك مبينا أنه إن كان لابد من محاكمته فليبحث عن شخص أخر غيرى على أن أعتكف فى خلال فترة محاكمته بحجة أننى مريض ، وذاكراً لهم نفس الأسباب التى تمنعنى من رئاسة هذه المحكمة والتى سبق أن ذكرتها فى اجتماعنا يوم ٣٠ من مارس . وكنت

أتكلم بعصبية ـــ والجو كان مكهرباً ـــ والجلسة نفسها كان فيها توتر من بدايتها . وليس هناك من يناقش أو يتقدم باقتراحات لدرجة أن كمال الدين حسين تكلم معى اثناء الاستراحة عن جو الجلسة وعلى أنه غير مرتاح وخائف على المصلحة العامة وقال لى (ما نفضها بأه ونروح) .

« وفى أثناء المناقشة ذكر جمال عبد الناصر أن هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية تعتمد عليها . وليس هناك من يؤيد ها من الشعب ولا من الجيش . وأن الذين قاموا بهذة الثورة تسعون ضابطاً فقط وأنهم فى تناقص حتى أصبح عددهم خمسين ضابطاً الآن » .

و« وعلقت على كلامه بقولى : معنى هذا أننا نفرض أنفسنا على هذا البلد فرد علىّ بالإيجاب فقلت : (أعتقد فى هذه الحالة يجب علينا أن نروح إذا كان هذا هو الوضع) .

وهذا ما سجله السيد/عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته وقد رأيت أن أنقلها كما قلت لأنها أولا : شجاعة منه أن يذكرها وكان بإمكانه أن يغفلها ولا ينشرها حضوصاً وأنه هو الذى بعد ذلك تلك « المحكمة » التى حكمت بما يحقق كل ما كان عبد الناصر يتمناه .

أما السبب الثانى للنشر : فهو ما سجله السيد/عبد اللطيف البغدادى كأسباب لرفضه محاكمة محمود أبو الفتح والذى أوضح فيها بصورة لا تحمل أى لبس أن « المحاكمة » طلبها عبد الناصر وكانت انتقاماً إذ يقول سيادته : « أليس هذا انتقاماً ـ وهم كانوا يتكلمون عن الشعب والحريات والمحاكمة النيابية وهو كلام لا يمكن أن يؤاخذوا عليه وكيف يحاكم محمود أبو الفتح وهو كان بالخارج فى هذه الفترة ؟ » .

وسبب ثالث : دفعنى إلى نشر هذه المقاطع من مذكرات السيد البغدادى وهو ما أفصح عنه عبد الناصر إذ قال : « إن هذه الثورة ليس لها قاعدة شعبية تعتمد عليها وليس هناك من يؤيدها من الشعب ولا من الجيش ... »

هذا الكشف على لسان عبد الناصر لمدى إنعدام التأييد للدكتاتورية قد دفع السيد/ البغدادى إلى أن يقول :

« معنى هذا أننا نفرض أنفسنا على هذا البلد فرد علىّ بالإيجاب » .

إذن كان المصرى يدافع عن الشعب والحريات والحياة النيابية وكان مؤيداً من الشعب بدليل اعتراف عبد الناصر بأن هذه الثورة ليست لها قاعدة شعبية وليس هناك من يؤيدها من الشعب ولا من الجيش ، ثم اعترافه بأنه يفرضها على مصر .

كان المصرى يقف إلى جوار الشعب المصرى يدافع عن حقوقه ، ودفع حياته وحياة صاحبه ثمناً لهذا الدفاع وهذا أكبر شرف كانت أسرة أبو الفتح يمكن أن تحظى به .

لم نخن الشعب المصرى ولم نتخل عنه ونقف إلى جوار الدكتاتورية الباطشة ؛ وليس هناك شهادة أعظم لنا من تلك التى شهدها عبد الناصر من أن الثورة لا يوجد من يؤيدها من الشعب أو من الجيش وهو الذى طلب عقابنا على الوقوف إلى جوار الشعب والجيش ، ومن شهادة السيد/عبد اللطيف البغدادى الذى أصدر حكمه ضدنا ثم شهد أننا لم نفعل سوى الدفاع عن الحريات والشعب والحكم الدستورى .

والذكريات .

واليوم فى أواخر شهر مارس من هذه السنة ١٩٨٩ م وأنا أكتب قصة هذا الكتاب وبين يدىّ بعض مجلدات لجريدة المصرى إستطاع ابن عمى المرحوم /محمد أبو النجا ـ أحد الذين تولوا منصب مدير بالجريدة أن يهربها يوم داهمت قوات الدكتاتورية مبنى الجريدة لتستولى على كل ما بها ... طافت بى ذكريات الرقابة الرهيبة التى كان « المصرى » خاضعاً لها فى عهد « حركة » الجيش .

كان الرقيب ضابطاً من ضباط الجيش لا يعرف أى شىء عن إصدار الصحف ولا عن مهمتها ، ولا يحترم أى إنسان ، فهو يمثل « حركة » الجيش ... و« الحركة » أخرجت فاروق صاحب أكبر مركز فى البلاد ... فمن ذا الذى يكبر على الحركة التى طردت الملك .

كان الضابط ليس رقيباً ولكن أداة طيعة إذا كانت الجريدة مرضياً عنها من « حركة » الجيش ، وأداة بطش وتعطيل بل ومحاولة إذلال إذا غضبت عليك « حركة » الجيش .

عندما اتضح للمصرى أن « حركة » الجيش تزحف نحو الدكتاتورية كنا نحاول أن نُبدى معارضتنا بصور لم يكن الرقيب يفهمها ... فمثلا كنا نختصر خطب أعضاء مجلس القيادة إختصاراً كبيراً ، وتنبه عبد الناصر لذلك فصدرت الأوامر للرقباء بضرورة نشر الخطب كاملة ، فكنا ننشر جزءاً صغيراً فى إحدى الصفحات المخصصة للأخبار وننشر الباقى فى صفحة الوفيات ، فصدرت الأوامر بضرورة أن يكون نشر جزء كبير فى الصفحة الأولى ... وهكذا . وذات يوم كان أحد هؤلاء الضباط يخطب أثناء زيارته لإحدى الجامعات فنشرنا فى رأس الصفحة موضوعاً عن هرب حمار وحشى من قفصه فى حديقة الحيوان القريبة من الجامعة على اعتبار انه اهم ما تنشره الجريدة فى ذلك اليوم .

وكان أطرف الحيل ما حققها الكاتب البارع عبد الرحمن الخميسى ــ وكان يحرر يومياً نصف عمود تحت عنوان ثابت ــ وكان ببراعة يلسع حركة الجيش فى صورة تبدو لمن لا يدقق فى المعانى الخفية أنها مديح .

ويبدو أن أحد المحيطين بضباط القيادة قد لفت نظرهم إلى النقد اللاذع الذى يوجهه الخميسى فى صور كاذبة من المديح إذ حضر إلى مبنى « المصرى » ثلاثة من ضباط الجيش وانفردوا بالخميسى فى مكتبه وهددوه بأنهم سيجعلوا يومه أسود إذا لم يكف عن أسلوبه فى الهجوم على « حركة » الجيش وضباطها ، وقالوا أنهم سيراجعون كل ما يكتبه إبتداء من الغد وانصرف الضباط الثلاثة .

فى هذه الليلة كتب الخميسى عموده وحشاه بصور من المديح لا يتمنى الضباط أن يكتب عنهم أقوى منها ، وبعد إنتهاء كلمته وقبل أن يضع توقيعه دس سطراً يقول : « يامهلبية يا » وكانت هذه الجملة هى إحدى أغانى المغنى الشعبى محمود شكوكو ويرمز بها إلى الهلس فى الحياة .

وحضر الضباط الثلاثة الغلاظ العضلات إلى مكتب الخميسى مرة أخرى وقفلوا الباب وعلا صياحهم ولم يجفل الخميسى ولم يفزع ولكن أظهر منتهى الاندهاش من غضبهم .. ويبدو أن البرود الذى تحلى به (وقد اشتغل فى فترة من حياته بالتمثيل) قد أذهل الضباط عندما سألهم ببراءة عن سبب هياجهم فلما قالوا أن سبب الهياج هو ما

كتب زاد من مظهر البراءة فقال أنه امتدح « الحركة » وضباطها بما لا يمكن أن يزاد مدح عليه فصرخ أحدهم قائلاً : « ويامهلبية يا » يعنى إيه ... ورد الخميسى مهلبية إيه .. وفتح الضابط الجريدة وأشار إلى السطر فى أخر كلمة الخميسى صارخاً : « ماذا تـريد من هذا » ؟ وعندما أبدى الخميسى الذهول وكأنه لم ير هذا السطر من قبل وظل يضرب كفاً بكف وهو يردد مهلبية إيه .. مهلبية إيه وهو ينظر إلى باقى أعمدة الصفحة وأخيراً تهلّل وجهه وضحك وكاد الضابط أن يفترسه فأغرق فى الضحك وأشار إلى برنامج الراديو الذى نشرته الجريدة وبه نصف ساعة للمغنى الشعبى محمود شكوكو وسيغنى خلالها أغنياتٌ ... كذا ... وكذا ... وبقيت الأغنية الثالثة غير منشور عنهـا ضمن برنـامج الراديو .

قال الخميسى إن سطر : « يا مهلبية يا » هو عنوان الأغنبية الثالثة ويبدو أن عامل توضيب الصفحة قد أخطأ ووضع السطر فى نهاية كلمتى بدل أن يضعهـا فى برنـامج الراديو .

وانطلت الرواية على الضباط الثلاثة وجاءنى الخميسى يروى لى ما حدث وأنه هو الذى نقل السطر من برنامج الراديو إلى آخر كلمته لأنه لا يستطيع أن ينافق هـذه « الحركة » التى لا يعرف أحد إلى أين تتجه .

الشراسة .

عندما اتضح لضباط « الحركة » معارضة المصرى للزحف نحو الدكتاتورية ، وبعد أن كتبت مقالاً كان عنوانه « قوانين .. قوانين » هاجمت فيه هذا الزحف ، تحول الضابط الرقيب إلى شرس كل همه هو تعطيل إصدار الجريدة كى تصل الجرائد المنافسة إلى الأسواق قبلها ، وكى لا نستطيع إرسال النسخ بقطارى الصحافة الذى يتجه أحدهما إلى الإسكندرية ماراً بالوجه البحرى والآخر إلى الصعيد ، فنضطر إلى إرسالها بسيارات اللورى التى كنا نملكها وكان على السائقين أن يقودوا السيارات بسرعة رهيبة لتصل الجريدة فى ميعاد لا يتأخر كثيراً عن تلك التى سافرت بالقطار وكانت هذه العمليـة تنطوى على مخاطر لا حدود لها .

الرقباء فى عهود ما قبل حركة الجيش كانوا لا يراجعون إلا بعض الأخبار السياسية وكذلك المقالات السياسية . أما باقى مواد الجريدة فلا يراجعونها . أما هذا الضابط الرقيب فكان يتعمد قراءة كل ما ستنشره الجريدة حتى الوفيات ؛ وإذا احتج أحدنا قال : إننا قد نستعملها لتنفيذ أغراض تضر بالحركة .

وكثيراً ما كان ينظر إلى الصفحة بعد إعدادها ويقول بكل بساطة : « لا ما تنفعش ... » ونسأل عن سبب اعتراضه فيقول : « شكلها مش عاجبنى ... غيروها ... » ونسأل ما هو الشكل الذى يعجبه فيجيب : مش عارف ... غيروها وأشوف .

قبل حركة الجيش .

كانت الرقابة قبل حركة الجيش يقوم بها موظف مدنى ترسله للجريدة إدارة المطبوعات التابعة لوزارة الداخلية ، ومهمته التأكد من أن كل صفحات الجريدة خالية من الممنوعات وعندئذ يوقع على كل الصفحات .

ثم يحضر إلى دار المطبعة ضابطان عند بدء طبع الجريدة يراجعان نسخة مطبوعة على الصفحات التى وقع عليها الرقيب بالموافقة ، فإذا وجد التطابق بين المطبوع والموافق عليه من الرقيب انصرفا ، وإذا وجدا اختلافاً صادرا الأعداد المطبوعة وعندئذ نعد للطباعة صفحات مثل تلك التى أجازها الرقيب .

والرقيب فى كل العهود قبل ٢٣ من يوليه عام ١٩٥٢ كان مدنيا ؛ وكثيراً ما كانت تقوم بيننا وبينه مودة تجعله يتركنا نتحايل على قرارات الرقابة . وكان بين الرقباء الاستاذ/عبد العزيز عرابى نجل الزعيم الوطنى الكبير عرابى باشا ؛ وكان الرجل قد ورث الوطنية ولذلك كان كثيرا ما يتركنا ننشر ما قد تحتج الحكومة على نشره .

أما الرقيب ضابط الجيش فكان لا يذهب إلى منزله بعد موافقته على كل صفحة من صفحات الجريدة ... بل يذهب إلى حيث تكون المطابع ويظل يراقب الطبع وكثيرا ما يعطل الطباعة ويوقف الآلات بحجة أنه محتاج إلى وقت للمراجعة وقراءة ما أجازه وما تم نشره وهل يتفقان أم لا ...

ومهما قلنا عن ضيق الصحف بالرقباء قبل حركة الجيش .. فإنه لا يمكن أن نقارن هذا الضيق بالعنت وتعمد المضايقات التى كان يقوم بها الرقيب ضابط الجيش .

وأحيانا كانت شخصية رئيس الحكومة أقوى من أن تقبل الاعتماد على الرقيب فى منع نشر الأخبار ... فمثلا :

إسماعيل صدقى باشا كان يعتد بنفسه إعتداد شديداً ، وكان مناضلا لا يلجأ إلى الرقابة والمصادرة إلا فيما ندر ، ولم يكن يستفزه ويدعوه إلى المصادرة إلا ما قد يؤدى إلى ثورة أو إضراب عن العمل ... أما الشيوعية والتطرف فقد كانت بالنسبة له العدو اللدود الذى لا يستطيع السكوت عن صحفها .

كان صدقى باشا سنة ١٩٤٦ يقف فى الصباح على سلم مبنى مجلس الوزراء فيجتمع حوله مندوبو الصحف والمجلات فيعلن آراءه فيما نشرته صحف الصباح ، وكثيراً ما كان يهاجم ما نشرناه فى جريدة المصرى ثم يصدر بلاغات أو أكثر من بلاغ رسمى يكذب فيه ما نشرناه . ولم يكن يصدر للرقيب أمراً يمنعنا عن التعليق على تكذيبه لنا فكنا نرد عليه ويعود فى الصباح يناقش ردنا عليه .

وكان أثناء حكومته سنة ١٩٤٦ يترك لنا حرية نشر أنباء المفاوضات السرية التى كان يجريها باعتباره رئيساً لوفد من المفاوضين المصريين الذين يفاوضون وفداً انجليزياً حول الجلاء ووحدة وادى النيل .

وقد سبب النشر مضايقات وإحراجات شديدة له إذ كنت قد تقابلت مع على الشمسى باشا ــ عضو هيئة المفاوضات ــ وطلبت منه أن يمد المصرى بما يرى من أسرار تلك المفاوضات . ورغم أن الشمسى باشا كان يشغل منصب رئيس مجلس إدارة الأهرام إلا أنه وافق على أن يعطينى أخبار ما يدور فى الاجتماعات السرية ذلك لأنه كان يعلم أن الأهرام لن ينشر عن المفاوضات إلا ما يصرح به رئيس الحكومة .

أخذ على الشمسى باشا يمدنى بالاسرار وكنا ننشرها فى الصفحات الأولى وبعناوين ضخمة ... ومع ذلك لم يصدر صدقى باشا قراراً للرقيب بمنع جريدة المصرى من نشر أسرار المفاوضات .

وزادت معرفتنا بالأسرار إذ أخذ مكرم عبيد باشا عضو هيئة المفاوضات يمدنا بدوره بأسرارها وانتهى ذات يوم إلى إعطائنا التفاصيل الكاملة لما دار بين هيئة المفاوضات وبين الوفد البريطاني ونشرناها في كل الصفحة الأولى .

وأذكر أنه في تلك الليلة تصادف أن جاء أحد المحررين وكان مشهوراً عنه ضعف مصادره الأخبارية ونادراً ما تنشر مما يقدم من أخبار ...

جاء هذا المحرر وقال لى وكانت الساعة قد قاربت منتصف الليل أن لديه خبراً بأن صدقى باشا سيقدم استقالته غداً ففكرت بعض الوقت وقلت لماذا لا تنشر الخبر ؟ ولا أدرى ما الذى دفعنى إلى نشره فى صفحة الأخبار المحلية فى برواز .

ومن غريب المصادفات أن يذهب صدقى باشا إلى مكتبه ويطلب من مدير المكتب ألا يزعجه بتليفون أو بزائر مهما كانت أهمية المتحدث أو الزائر ، وأغلق على نفسه الحجرة وقبل الظهر خرج وتوجه إلى القصر الملكى وأعلن تقديم استقالة الحكومة للملك فاروق .

وروى سكرتير عام مجلس الوزراء بعد ذلك أن صدقى باشا عندما انفرد بنفسه داخل مكتبه دخل ليعرض عليه بعض الأوراق الهامة فوجده يقرأ الصفحة الأولى من جريدة المصرى ووجهه محتقن ، فلما أراد أن يعرض عليه ما لديه من أوراق أشار له بالخروج .. أى أن الاستقالة لم يكن أمرها مبيتا ، لكنه قدمها غضبا من إفشاء أعضاء الهيئة التى يرأسها أسرار المفاوضات ..

على كل حال كانت الاستقالة نصراً صحفياً كبيراً للمصرى ، ومع ذلك عنفنى أخى محمود قائلا إنه من غير المقبول أنْ يجازف الصحفى بنشر توقع حدوث أمر بصورة حازمة وفى وقت محدد مثلما نشرنا عن الاستقالة ، وقال ماذا كانت ستكون عليه الثقة فى الجريدة إذا لم يقدم صدقى باشا استقالته ... لا يجوز أبدا تعليق الثقة فى الجريدة بتصرفات الغير على الوجه الذى نشرتم به النبأ الخاص بالاستقاله .

الحرية ..

منذ ١٩٣٩ إلى أن تولت حكومة الوفد الحكم فى آخر سنة ١٩٤٩ كانت الرقابة مفروضة على الصحف ، والأحكام العرفية مفروضة على مصر .

كان أول عمل قامت به حكومة الوفد برئاسة الرئيس الجليل/مصطفى النحاس باشا هو إلغاء الأحكام العرفية وتحرير الصحافة من الرقابة .

ورغم أن المصرى كانت جريدة وفدية إلا أنها أثناء تولى الوفد الحكم كانت تتحرر أحيانا من الدفاع عن سياسة الحكومة ، كما خاض المصرى مع الحكومة صراعا حول حقه فى تحقيق السبق الصحفى .

كان فؤاد سراج الدين باشا سكرتير عام الوفد المصرى ويتولى وزارة الداخلية وبعد أن استقال زكى عبد المتعال باشا من منصب وزير المالية تولى سراج الدين باشا منصب وزير المالية إلى جوار الداخلية .

كان سراج الدين باشا حريصًا كل الحرص على ألا توجه له الصحف إتهاماً بأنه يحابى فى إعطاء الأخبار لجرائد الوفد ... إذ يعطيها الأخبار الهامة ويحجبها عن الصحف الأخرى ؛ بل كان كثيراً ما يفعل العكس .

وكان المصرى يريد أن يحتفظ بالسبق فى نشر الأخبار كى يحافظ على مكانته المتفوقة لدى القراء بالنسبة للصحف المنافسة . من هنا نشأ الصراع بين الحكومة وخصوصا سراج الدين باشا والمصرى .

فمثلا : فى يوم من أيام سنة ١٩٥١ أرسل فؤاد باشا سراج الدين الأستاذ المرحوم/على الزير ليبلغنى رغبته بأن أمتنع عن نشر رقم ربط الميزانية إن كان لدى المصرى هذا الرقم .

غضبت من الطلب وقلت : « هل بعد ما تحملناه طوال السنين الماضية نتيجة دفاعنا عن الوفد ومعارضة حكومات الأقلية يستكثر فؤاد باشا علينا نشر رقم ربط الميزانية ... قل له على لسانى أن المصرى لن يصدر غداً إلا وقد نشر كل تفاصيل ميزانية الدولة بالكامل ... وأقسمت على ذلك .

لم يكن لدى المصرى لا الميزانية ولا حتى رقم ربطها وذهبت إلى الأستاذ محمد فوزى مندوبنا لدى مجلس الوزراء وأخبرته بما حدث وبأنى أقسمت بأن المصرى لن يصدر غدا إلا وبه كل الميزانية .

كانت الساعة حوالى التاسعة والنصف مساء والوقت أمامنا ضيق .. واتكلت على الله أسأله أن يبيض وجهى . وفى قرابة منتصف الليل ، وكنت أنتظر الأستاذ/فوزى — قلقاً — فى حديقة الجريدة إذا به يدخل من الباب الخلفى ومعه المرحوم الأستاذ/محمد فهمى عبد اللطيف حيث سارع الإثنان بتسليمى ملفا ضخماً يحوى كل الميزانية وقال الأستاذ/فهمى أرجو ألا تنسخ أية صفحة وأن ينتهى نقلها بأسرع ما يمكن لنردها إلى حيث أخذناها . وبسرعة خارقة وزعنا صفحاتها علينا ونقلناها بالكامل واحتلت الصفحة الأولى بعناوين ضخمة وكذلك بعض الصفحات الداخلية ... وصدق يمينى وكانت ضربة صحفية له قيمتها ، وسألت الأستاذ/فوزى كيف أمكن الحصول عليها فقال ان الأستاذ/فهمى عبد اللطيف ذهب إلى منزل خاله وهو وزير بالوزارة وشرح الأمر للسيدة الكريمة زوجة خاله وحدثها عن العلاقات القوية التى تربطه بى ، وأنه يريد أن يحقق لى هذه الخدمة ورجاها أن تقنع الوزير بإعطائه نص الميزانية .

قالت السيدة أن زوجها (حنبلى) جدا وهولن يقبل ذلك فضلاً عن أنه دخل لينام وأن من عادته أن يصحب حقيبة أوراقه الرسمية إلى غرفة نومه ليراجع الأوراق قبل نومه .

ألح الأستاذ فهمى وأشفقت السيدة وطلبت منه الانتظار حتى يستغرق زوجها فى النوم وعندئذ أتت بالحقيبة وسلمت الميزانية له وقالت أنها لن تنام حتى يرجعها لتعيدها إلى مكانها فى الحقيبة داخل غرفة نوم زوجها .

غضب فؤاد باشا ؛ ولكن لم يكن بوسعنا أن نقصّر فى تأدية دور « المصرى » وهو السعى المستمر للحصول على الأخبار .

تشدد فؤاد باشا وأخذ يضن على « المصرى » بالأخبار وكان باعتباره وزيراً للمالية قد قرر إعادة بحث كادر كل موظفى الحكومة وأعد مشروعا يتضمن كادراً جديداً

وحرصا منه على أن يظل مشروع الكادر بعيداً كل البعد عن الصحافة والصحفيين لم يطبع من المشروع إلا خمس نسخ واحدة له وثانية لوكيل الوزارة المختص والثلاث نسخ الباقية لثلاثة مستشارين يبحثون معه ومع الوكيل كل تفاصيل الكادر .

كل موظف فى الدولة كان يتلهف على معرفة ما يخصه فى الكادر الجديد وهل سيحظى بدرجة أعلى أو علاوة أم لا ، ولذلك كان الحصول على أى أنباء حول الكادر لها أهمية كبرى .

قلت أن المصرى سيدفع ٥٠ جنيها لمن يحصل على الكادر الجديد وكان هذا المبلغ يمثل مكافأة مغرية .

وذات يوم إتصل بى من الإسكندرية الأستاذ/أحمد فهمى — مدير التحرير وقال فى التليفون : الحتة أم الخمسين ستصلك فى قطار الإسكندرية الذى يصل الساعة الثامنة مساء وأرجو أن تعيدها لى قبل شروق الشمس وحافظوا عليها تماما .

ونشرنا الكادر الجديد بكل التعديلات المقترحة والمدونة على الهوامش وأعدناه لأحمد فهمى فى الإسكندرية قبل شروق الشمس وأحدث النشر ضجة كبرى .

أخبرنى أحمد بقصة الحصول على الكادر قال : كنت أجلس فى مقهى (التريانون) بمحطة الرمل بالإسكندرية ورأيت أحد سعاة الحكومة (وكان للسعاة زى خاص) يقف أمام باب فندق (متربول) الواقع فوق المقهى ويترك الموتوسيكل الذى يتنقل به ويدخل إلى داخل الفندق فأسرعت بالدخول خلفه لأنه كان يحمل مظروفا ضخما ولأنى كنت أعلم أن أحد المستشارين الذين يدرسون الكادر يقيم أثناء تواجده فى الاسكندرية فى هذا الفندق .

ثم قال أحمد : وقفت أمام بواب الفندق وسمعت الساعى بعد تسليم الظرف الحكومى للبواب يطلب منه أن يسلمه لسعادة ... وهو اسم المستشار ؛ وقال البواب أنه سيسلمه لزميله الذى ستحل ورديته بعد نصف ساعة ليسلمه لسعادة المستشار عندما يعود للفندق ... وبعد انصراف الساعى سألت البواب عن محمد كامل وعما إذا كان يقيم بالفندق فأخبرنى انه لا يقيم فشكرته وانصرفت .

واستمر أحمد يقول : طلبت الأستاذ أحمد بك على تليفونياً ورجوته أن يلبس البدلة والطربوش والنظارة السوداء ويحضر لى بالتريانون وأخبرته بما رأيت وطلبت منه أن يدخل إلى بواب الفندق ويخبره أنه قادم من طرف سعادة المستشار ليوصل له الظرف الخاص به ففعل وسلمه البواب الظرف ... وبعد بضع دقائق غادر البواب الفندق لأن زميله كان قد وصل ... وعندما وصلنى الظرف فى الصباح الباكر ذهبت إلى الفندق وسلمته للبواب ليسلمه لسعادة المستشار فقال إنه سيسلمه لزميله لأن ورديته قد أوشكت على الانتهاء ... ولابد أن سعادة المستشار أخذ الظرف فى الصباح وذهب إلى مقر الحكومة فى بولكلى لحضور الاجتماع مع الوزير لمناقشة المشروع .

هذه الضربة الصحفية كانت شديدة الوقع ذلك لأن فؤاد باشا عندما شاهد نسخة المصرى وبها كل الكادر والتعديلات توقع أن يغيب أحد المستشارين عن الحضور أو يحضر الثلاثة ومن بينهم واحد ليس معه مشروع الكادر فاذا بالوكيل والثلاثة المستشارين يحضرون وكل واحد معه نسخته .

نشر المصرى للميزانية ثم لمشروع الكادر ألقى ظلالاً من الشك على أن فؤاد سراج الدين باشا يحابى المصرى ويميزه بأهم الأخبار فهو وزير المالية فى الحكومة الوفدية والمصرى يدافع عن سياسة الوفد .

رغم هذا الحرج الشديد لم يتخذ فؤاد باشا لا بصفته أهم وزير بالحكومة ولا بكونه سكرتير عام الوفد أى قرار ضد المصرى ... احترم حرية الصحافة .

هكذا كانت حرية الصحافة ... والحرية لها ثمنها ، وعلى المسئولين أن يتحملوا الثمن ... ما أعظم الحرية .

ولا شك أن أخبار اليوم والجرائد والمجلات الأخرى كانت تحقق خبطات صحفية ممتازة ، وهكذا كانت الصحافة يقظة وليست مجرد نشرات رسمية لا تنشر إلا التصريحات والبيانات .

عندما أراد فاروق الغاء المصرى

ذات يوم سنة ١٩٤٨ تلقينا برقية من مدير مكتب المصرى فى بغداد أو الأستاذ/ محسن المؤمن تقول :

« وصل إلى بغداد اليوم سعادة كريم ثابت باشا المستشار الصحفى لجلالة الملك فاروق وبصحبته محمد حلمى حسين بك ، واجتمع كريم باشا فور وصوله بصاحب السمو الملكى الأمير عبد الإلاه الوصى على العرش . وقد دلت التحريات بأن الزيارة تمهيدٌ لمصاهرة ملكية بين الاسرتين العلوية والهاشمية » .

كان الملك قد طلق الملكة فريدة .

نشرنا الخبر فى داخل إطار على ثلاثة أعمدة فى صدر الصفحة الأولى وصدر المصرى يعلن عن المصاهرة الملكية .

كنت حتى ذلك التاريخ لم أبلغ إدارة المطبوعات بأنى أتولى منصب رئيس التحرير المسئول عن النشر تاركا لأخى حسين هذه المسئولية .

فوجئت فى الصباح بأخى حسين يطلبنى تليفونياً ويسألنى عما إذا كانت البرقية التى أرسلها الاستاذ محسن معى فلما أخبرته بأنها معى ، طلب منى أن احضرها فى مكتب النائب العام . ولما حاولت أن اسأله عما يفعل فى مكتب سعادة محمود بك منصور النائب العام لم يرد على سؤالى وكرر ضرورة الحضور مسرعاً .

كنت أعرف أن الصداقة القوية تربط أخى بالنائب العام ، وكثيراً ما يسهران معا ، ولكن هذه الصداقة لم تفسر لى سر وجوده هناك وطلبه البرقية .

أسرعت فى الذهاب ولما وصلت فوجئت بمحمود بك منصور يخرج ليطالبنى بالبرقية فسلمتها له .

إنتظرت .. وطال الأنتظار ... وحاولت أن أفهم من الأستاذ/ بهاء مدير مكتب النائب العام ، وكان يعرفنى منذ أن كنت اشغل وظيفة وكيل نيابة ، فقال بعد تردد شديد أنه لا يعرف ، وكل ما لديه من معلومات أن قصر عابدين طلب سعادة النائب عدة

مرات ودارت مكالمات طويلة ...

بعد أكثر من ساعتين خرج أخى والنائب العام ، وسمعت الأخير يقول له : معلهش ياحسين أربعة أيام فى سجن الأجانب ، وسأعطى أمراً بأن تخرج كل يوم ولا تعود للسجن إلا قبل الغروب علشان نهدى الملك ... لولا البرقية لكانت العواقب وخيمة .

أمضى أخى ليلته فى سجن الأجانب ، وفى الصباح عندما خرج بصحبة ضابط بوليس بحجة العلاج تنفيذاً لأوامر النائب العام إتجه بالسيارة إلى مكتب محمود بك منصور وعندما إستقبله النائب العام قال أخى : كفاية والله أنا ما انا راجع السجن ...

وبعد تناول القهوة أصدر النائب العام قرار الإفراج عن أخى .

ـ سأل أخى النائب العام عن سر غضب فاروق ، فأخبره أن الملك كان مصراً على أغلاق المصرى ومنعه نهائياً عن الصدور ، واعتبر نشر الخبر تهزيئاً له لا يمكن احتماله وذلك لأن كريم ثابت سافر إلى بغداد يحمل كلبة خاصة بالملك لتتزوج من كلب لدى الأمير عبد الإلاه لأنه بحث عن زوج لكلبته النادرة الجنس فقيل له أن الأمير عبد الإلاه هو الذى لديه الذكر . وتصور الملك نظراً لأن الجريدة وفدية أنكم تعمدتم السخرية وتحقيره بالقول بأنه سيتزوج عراقية بدل أن تنشروا الحقيقه أو كان يتوقع الا يتم أى نشر ؛ ورغم البرقية التى قرأتها له تليفونيا أصر على غلق المصرى ، فلما رفضت حاول أن أصدر قراراً بالتعطيل ثلاثة شهور فأخبرته عدة مرات أن البرقية تثبت حسن نيتكم ، ولكنه لم يصدق . لذلك قررت حبسك أربعة أيام حتى تهدأ الأمور .

والمرة الثانية .

احترقت القاهرة يوم ٢٦ من يناير عام ١٩٥٢ . وفى ذلك اليوم أقام الملك فاروق مأدبة غداء لقواد الجيش وعدد كبير من الضباط . فلما بدأت الحرائق اتصل فؤاد سراج الدين باشا تليفونيا بقصر عابدين طالباً الحديث مع الملك كى ينهى الحفلة لينزل ضباط الجيش يساعدون البوليس فى السيطرة على الموقف . وبدل أن يستجيب الملك للطلبات

المتكررة من وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا ، استمر مبقيا الضباط فى السراى . وعند الانتهاء من الحفلة طلب الملك من الضباط أن يتحاشوا المرور فى شوارع وسط القاهرة وأن يسلكوا الطرق الخلفية .

وفى تلك الليلة أقال الملك حكومة الوفد وتكونت حكومة برئاسة على ماهر باشا ، وكانت الأحكام العرفية قد تم فرضها على أثر الحريق ، وتقرر أن يقيم فؤاد باشا إقامة جبرية فى منزله حيث وضعت الحكومة حراسة من ضباط البوليس حول منزله تمنع عنه الاتصالات . ولكن نظراً لأن غالبية رجال البوليس كانوا يؤيدون الوفد ، ولأن علاقة سراج الدين بالضباط كانت على أحسن ما تكون عليه العلاقات لم يكن الضباط يتزمتون فى منع الزوار .

يوم ٩ من يناير صدرت صحف الصباح ما عدا المصرى تنشر بياناً رسمياً يُحَمل فؤاد سراج الدين باشا مسئولية حريق القاهرة ، ويتهمه بالاهمال والتفريط : والبيان طويل وشديد اللهجة ، وكان واضحاً أن الملك هو الذى أوعز بكتابة ونشر هذا البيان .

قرأت البيان وتوجهت إلى منزل سراج الدين ، وقابلته وسألته هل يريد الرد على البيان فاندهش لسؤالى وقال إن الملك وراء البيان وأننا نعيش فى جو إرهابى بعد حريق القاهرة والأحكام العرفية وحظر التجول ، وأن الرقابة على المصرى لن تسمح أبداً بالموافقة على نشر البيان ، وأننا إذا خالفنا تعليمات الرقيب فسيهيج الملك هياجاً شديداً ومن المؤكد أنه سيطلب من الحكومة وقف إصدار المصرى .

وقال أنه يرفض أن يُعرّض المصرى لهذا الخطر وأن يعرضنى لعقوبات وانتقام .

فقلت إذا أردت أن تكتب رداً فالمصرى على استعداد لنشره وانصرفت .

فى الثامنة مساء جاءنى رسول يطلب أن أذهب لأقابل فؤاد باشا فى منزله فذهبت وكرر مخاوفه بالنسبة للمصرى وبالنسبة لى ، فلما أبديت له إصرارى على نشر الرد إن كان جاهزاً قام وسلمنى ما كتبه ثم شد على يدى بحرارة الأخوة الصافية .. عدت إلى الجريدة واستشرت أخى محمود فوافق على النشر ..

فى تلك الليلة أعددنا صحائف لجريدتين واحدة وافق الرقيب على كل صفحاتها

والثانية سرية قام بالإشراف على إعدادها عم محمد عطية طيب الله ثراه ، وكان رئيس قسم اعداد الصفحات للطباعة ، وتحوى بيان فؤاد باشا الذى احتل كل الصفحة الأولى بعناوين حراقة ثم صفحات أخرى داخلية .

وبدأنا الطبع بالصفحات التى وافق عليها الرقيب ، وحضر إلى المطبعة ضابطا الصحافة وراجعا النسخة المطبوعة ، ووقع المسئول منها على السماح بالنشر ، وانصرف الضابطان . وبمجرد انصرافهما أنزلنا الصحائف وركبنا على آلة الطباعة الصحائف التى تحمل بيان فؤاد باشا .

أحدث البيان دويا هائلاً ذلك لأن فؤاد باشا لم يحاول اللف أو التلميح بل اتهم الملك شخصياً بأنه هو الذى رفض طلباته المتكررة فى ضرورة إنهاء حفلة الغداء كى تساعد قوات الجيش البوليس ، واتهم الملك بأنه أمر الضباط عند انصرافهم بتجنب المرور وسط العاصمة .

وكانت مصر تعيش جواً رهيباً فقد أطفأ حريق القاهرة ثورة مصر ضد قوات الاحتلال البريطانى ، وتوقفت مهاجمة الفدائيين الشباب بالقنابل والأسلحة لمعسكرات الجيش البريطانى ، والأحكام العرفية تنفذ بدقة ... ومع ذلك يصدر المصرى وصفحته الأولى عناوينها ثورة ضد الملك .

لم يتنبه المسئولون إلى مخالفة المصرى إلا فى الساعة التاسعة والنصف صباحا ، فلما صدرت الأوامر للبوليس بجمع الأعداد كانت النسخ قد نفدت من الأسواق . توقعت فى الصباح أن يتم القبض علىّ ولكن مر الصباح هادئاً ومر الظهر وبعد الظهر وفى الساعة الثامنة مساء حضر الضابط المرحوم الصاغ البطراوى المشرف على المطابع وقابلته فى حديقة المصرى فبادرنى بقوله : إيه الهباب اللى عملته ...؟ ولكنه كان مبتسماً ، فسألته عن رد الفعل فقال : انتظر الملك طول النهار على التليفون ، ساعة يكلم رئيس الحكومة على ماهر باشا ، وساعة يكلم وزير الداخلية مرتضى المراغى باشا ، وهو مصر على غلق المصرى وثائر ثورة عنيفة جدا وكنا نسمع أحيانا على السويتش فى وزارة الداخلية حديثه مع الوزير .. وإلى الآن هو يتحدث مع رئيس الوزارة والذى أعلمه أنه رفض غلق

المصرى أو تعطيله لعدة شهور قائلاً انها الجريدة المصرية الصميمة ولا يمكن أبداً أن يوقف صدورها أو يعطلها .

وجلست والصاغ البطراوى فى الحديقة ننتظر ما ستسفر عنه الأمـور . وقرابـة العاشرة مساء اتصل بى وزير الداخلية وقال : يا أحمد بلاش المصرى بكره . فقلت : بس بكره فقال : إيوه بس بكره .. وعاد مرتضى باشا فى الحادية عشرة إلا ثلثاً وطلبنى وقال : إذا كنت تحب تطلع المصرى بكره طلعه فقلت له : خلاص بكرة إجازة فقال : طلعه .. طلعه ! وعلمت بعد ذلك أن الملك قال لعلى ماهر باشا : إزاى تسمح بشتيمتى وتهزيئى ولا تعطلش الجرنال وتلغى رخصته ، وأنه ظل يتساهل فى طلبه حتى وصل إلى التعطيل اسبوعاً واحداً ، ولكن رئيس الوزراء ظل يكرر أنه لا يستطيع تعطيل صدور الجريدة المصرية .

والمرة الثالثة .

كانت هذه المرة اثناء تولى نجيب باشا الهلالى رئاسة حكومة تعادى الوفد معاداة عنيفة .

جاءنى من يحمل قائمة تحوى أسماء : اللواء/محمد نجيب ، القائم مقام رشاد مهنا ، والبكباشى زكريا محيى الدين ... وآخرين مرشحين لعضوية ورئاسة نادى ضبـاط الجيش ... وهى قائمة تنافس المرشحين من قيادة الجيش الذين يريد الملك فاروق أن يسيطروا على النادى .

كانت القائمة التى وصلتنى تمثل أول عملية تحدى سافرة ضد كبار قواد الجيش المؤيدين من الملك .

الرقابة على المصرى كانت عنيفة لشدة المعارضة للحكومة التى كانت أصدرت مرسوماً بحل مجلس النواب الوفدى وقررت اجراء انتخابات ثم عدلت عن قرارها .

نشرنا القائمة دون موافقة الرقيب ذلك لأننا لو كنا عرضنا عليه كان سيرفض نشرها ويبلغ وزارة الداخلية بأمرها ولذلك فضلنا أن نخالف تعليمات الرقابة ونتعرض للمصادرة على أن يستحيل علينا نشر الخبر .

وهاج الملك فاروق مرة أخرى وعاد يطالب بسحب رخصة المصرى ومنع الجريدة من الصدور ورفض رئيس الوزراء ــ رغم معارضتنا العنيفة ونقدنا الشديد الحكومة لعدم قدرتها على إعادة الحياة النيابية ــ وأصر على رفضه لأى طلب انتقامى يريد الملك معاقبة المصرى به .

وحقق عبد الناصر ما لم يستطع فاروق تحقيقه .

نعم استطاع عبد الناصر ــ ليس فقط غلق المصرى ومنعه عن الصدور ــ بل أيضا نهب كل ثرواتنا بحكم أملاه على « محكمة الثورة » .

المفروض فى الدول أن تقوم الحكومات بحماية حقوق الناس ضد أى اعتداء وتشدد العقوبات إذا إستعمل مرتكب الجريمة الإكراه مثل السرقة بالإكراه فإذا كان الجانى يحمل سلاحا ويرتكب جريمة السرقة ليلاً وصلت العقوبة إلى الأشغال الشاقة .

هذا هو المفروض أن تكون عليه مهمة الحكومات إلا إذا كان الحكم دكتاتوريا فإنه ينهبك مسخراً كل ما تحت يده من قوة وأسلحة الجيش والبوليس ولا تستطيع أن تعترض .

وهذا ما نفذه عبد الناصر ضد محمود أبو الفتح كأول أسرة مصرية بعد أن إستولى بقوة سلطاته على أملاك أسرة محمد على ، ثم لما لم يجد أية مقاومة لهذة العمليات أخذ يطبقها ضد كل من يملك ما يُستحق نهبه . ووصل الحال إلى مصادرة شركات المساهمة دون تعويض لحملة الأسهم وذلك لأنهم مصريون ، أما عندما إستولى على شركة قناة السويس فإنه عوض حملة الأسهم الأجانب تعويضاً كاملاً !!

ودار التحرير التى تصدر الجمهورية والمساء إلى جوار الجرائد باللغات الاجنبية مفلسة وتتحمل الحكومة خسائرها الفادحة بعد أن كانت هذه الشركة تربح وتدفع ضرائب ضخمة للحكومة أما الجرائد باللغات الأجنبية فقد انحطت تحريرا وطباعة بصورة تشوه وجه مصر لدى الاجانب .

المصريون ليس لحقوقهم أى إحترام فتغتصب أموالهم ، أما الأجانب ــ حتى اليهود الذين كانوا قد غادروا مصر ــ فقد عوضهم عبد الناصر تعويضاً كاملا لأن

إسرائيل ضغطت على أمريكا ... وأمريكا كانت تطعم المصريين بالقمح فلم يكن بوسع عبد الناصر رغم خطاباته العنيفة ضد الساسة الأمريكيين إلا أن يرضخ ويعوض اليهود المصريين الذين هاجروا إلى دول أوربية أو إلى الولايات المتحدة .

إنتقام أبدي

ولم يكتف عبد الناصر بمصادرة كل الأملاك بل ضمَّنَ (الدستور) الذي وضعه نصاً يمنع المحاكم من أن تستطيع نظر أية قضية تطعن ضد أحكام (محكمة الثورة) أو أي قرارات يصدرها (مجلس الثورة) ، وأصدر عن طريق « مجلس الثورة هذا » قرارات ببعزقة ممتلكات محمود ابو الفتح الصحفية .

أعطى عبد الناصر شركة الإعلانات الشرقية وكل مبانيها ومطابعها وجرائدها وإعلاناتها التي كانت تمثل أكبر قوة إعلانية في مصر ــ إذ كانت تملك كل الإعلانات في دور السينما وتحتكر الإعلانات المضيئة في كافة أرجاء مصر ، وعلى طول الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية ، بالإضافة إلى الإعلانات في الصحف الأجنبية التي تصدرها الشركة ــ إلى ما أسماه دار التحرير ، وهي لا تزال تستعمل اسم (مصرية) الذي كان محمود ابو الفتح قد اختاره لشركه الإعلانات .

وأعطى دار المصري المقامة على ٢٦٠٠ متر مربع وتقع على شارع القصر العيني وجاردن سيتي ومطابعها ببولاق ومطابعها بدير النحاس وسياراتها [٢٠ سيارة نقل وعدد من سيارات الركوب] والمخازن والورش لجريدة لم تستطع أن تجد من يشتريها كان اسمها (الشعب) ثم تحولت إلى مؤسسة (دار الشعب) . وهي الاخرى مفلسة وخسائرها ضخمة وتتحملها الحكومة .

أصدر عبد الناصر هذه القرارات باسم (مجلس الثورة) ولذلك عندما رفعنا قضية أمام محكمة القضاء الإداري نطالب باسترداد المصري ومطابعه وملحقاته وشركة الإعلانات طعن ممثل الحكومة بأن القرارات التي تمت بشأن التصرف فيها محصنة بمقتضى دستور ١٩٥٦ .

وكان باستطاعة الرئيس السادات ومن بعده الرئيس مبارك أن يردوا هذه الصحف لاصحابها بدل أن يحتفظوا بمال مغتصب ادى استغلاله حراما إلى خسائر تناهز ١٠٠ مليون جنيه .

ومع ذلك جاء حكم المحكمة الإدارية العليا يحاول بقدر الاستطاعة أن يرد لنا جانبا من الأموال المصادرة . والأمر المؤكد أنه لولا ذلك النص فى دستور عبد الناصر لشمل الحكم رد المصرى وشركة الإعلانات لنا ، ذلك لأننا نحتكم إلى القضاء المصرى الذى صمد فى وجه كل طغيان والذى رفع ويرفع رأس مصر عاليا فى ميدان نزاهة وعدالة القضاء .

قصة الكتاب

قلت بمطلع الكلام : لهذا الكتاب قصة .

وانتقلت بكم أطوف ببعض الذكريات التى تعرضنا لها وتعرضت لها جريدة المصرى . وما كنت أظن أن الذكريات ستحتل كل هذه الصفحات فمعذرة إن أطلت ، ولكن يشفع لى أن الغالبية العظمى من المصريين لم يعاصروا صدور المصرى ، فكان على أن أطوف بالذكريات لأرسم صورة لعلها تعطى فكرة عن هذه الجريدة وعن التطورات التى مرت بها حتى أغلقها عبد الناصر .

نعود إلى البداية فأقول أنى كتبت جانباً كبيراً من هذا الكتاب فى بيروت سنة ١٩٥٤ ولم يكن تحت يدى المراجع التى أستطيع الاعتماد عليها ولذلك قد يكون ترتيب بعض الحوادث غير متفق مع التسلسل التاريخى . ولما عرضته على أخى محمود قرر أن نترجمه لنستطيع نشره باللغات العربية والأجنبية .

تبرع أحد أصدقائى من المصريين بالترجمة إلى الإنجليزية ، ولكنه تكاسل ومرت الشهور دون أن يقطع مرحلة تستحق الذكر . وتوالت الأحداث وكنا قد كونا « لجنة مصر الحرة » للدفاع عن المعتقلين من إخواننا فى مصر ، وكانت صحف بيروت تساعدنا مساعدات ضخمة ، وكانت الحكومة المدنية تحكم دمشق (سوريا) بعد التجاء الدكتاتور أديب الشيشكلى إلى دولة عربية ، فدعت هذه الحكومة محمود ابو الفتح وأعضاء لجنة

مصر الحرة لزيارة دمشق وأقامت لنا أعظم الاحتفالات التى حضرها كل زعماء سوريا الذين كافحوا الاستعمار الفرنسى حتى نالت سوريا على أياديهم الاستقلال ، وكان بين الحاضرين لحفلات التكريم زعماء غير مشتركين فى الحكومة فكان التكريم حقيقة مؤثراً .

ثم انتقلنا بعد ذلك فى مطلع سنة ١٩٥٥ إلى مدينة مونت كارلو ، وفى يونيه سنة ١٩٥٧ إنتقلنا إلى مدينة جنيف حيث أقمنا الإقامة الدائمة .

فى ١٥ من أغسطس عام ١٩٥٨ إختار الله سبحانه وتعالى أن ينتقل أخى محمود إلى رحابه الواسعة .

زيارة غريبة

بعد وفاة أخى ببضعة أسابيع فوجئت بمن يتصل بى تليفونيا ويطلب مقابلتى وعرفت من إسمه أنه كان من الضباط الأحرار ــ فلما نبهته إلى وجوب أن تتم المقابلة فى مكان بعيد عن أعين جواسيس عبد الناصر لأنهم يبلغون عن كل من يتصل بنا فتعتقله السلطات عند عودته إلى القاهرة فأجاب بأنه لا داعى للقلق ونستطيع أن نتقابل فى أى مكان .

وتقابلنا فى مقهى فى جنيف ، وبعد السلام والمجاملات قال : لماذا لا ترجع إلى مصر ؟ ...

أفزعنى السؤال لأن أخى محمود الذى أكن له كل الحب لم تكن قد مرت على وفاته إلا بضعة أسابيع وكان حزنى عليه غامراً فكيف أعود إلى مصر بمجرد وفاته ؟... وكادت أعصابى تنفلت ولكنى إستطعت السيطرة على نفسى .

إستطرد يقول أن العلاقة بينى وبين عبد الناصر كانت قوية ، وأنى بعودتى أستطيع أن أربى أولادى فى مصر وطنهم ، ثم قال أن من المؤكد أننى لو عدت فإن عبد الناصر سيعوضنا عن أملاكنا ...

ومرة أخرى تغلبت على ما يعتمل فى نفسى وساعدنى على ذلك شعور بأنى أتحدث

مع شقيق لأحد أساتذتى فى كلية الحقوق ، وكنت ولازلت أحمل له كل إعزاز وتقدير ، فقد كان عالما وكان مثلا للخلق النبيل .

قلت : هل كان أخى محمود هو الذى يحرر المصرى ؟ فأجاب بأن تحرير المصرى كنت أنا الذى أقوم به .

قلت : هل الديموقراطية قد أصبحت النظام المطبق فى مصر ؟ فأجاب بأنها ليست مطبقة .

قلت : هل تم الإفراج عن كل المعتقلين ؟ فأجاب بالنفى .

قلت : لماذا إذن أعود ... هل أعود لأن جثة أخى قد دفناها تحت التراب ... أم ماذا ... ؟

ودار نقاش حول هذه المعانى وأخيراً قال : إنت مش ناوى ترجع مصر فقلت : أرجع عندما تسود الحرية والديموقراطية .

عندئذ قال : ياأخى ربنا يبارك لك ويسترها عليك .. تأثرت جدا بهذه العواطف الكريمة واعتبرت المسألة منتهية .

ملحوظة: (كنت أود أن أكتب اسم الرجل ولكن لأسباب لا أعلمها تبين أنه ينكر الكثير من هذه الوقائع ، وإنى لأترك لله ، العالم بكل أمر ، أن يحكم على صدق ما كتبت) .

لم تنته المسألة بل تكررت الإتصالات تسألنى هل سأعود إلى مصر أم لا ، وكانت هذه الاتصالات من ضباط ربطتنى ببعضهم صداقات قديمة وكنت أتصور أنهم يدركون موقفى وأننا لم نضح بكل أملاكنا إلا فى سبيل غاية كنا نؤمن بأنها أسمى الغايات وهى تحقيق الحرية ووقف الاعتقالات وعمليات التعذيب الرهيبة التى كان يتعرض لها المعتقلون . لذلك كانت هذه الاتصالات تزيد همومى وحزنى .

الكتاب .

قررت أن أقوم بعمل يوقف هذه الاتصالات وتذكرت أمر الكتاب الذى كنت قد كتبت أجزاء كثيرة منه ، فأخرجته وقررت بإذن الله ان أكمله ، وتصادف أن كان معنا فى هذه الأيام أحد المصريين يجيد الفرنسية إجادة تامة فكل تعليمه كان باللغة الفرنسية ... فسألته عما إذا كان يستطيع أن يترجم لى الكتاب ، فأبدى إستعداداً صادقا ... وقال : إن له صديقاً ، كل ثقافته فرنسية وسيتعاون اثنان على الترجمة ؛ وهكذا تمت الترجمة إلى اللغة الفرنسية .

قدمت الكتاب فى شهر اكتوبر عام ١٩٦٠ وكان عنوانه بالفرنسية ما معناه (حكاية ناصر) إلى دار النشر الفرنسية (جاليمار) فنصحتنى أن أقدمه لدار النشر (بلون) لأن هذه الدار متخصصة فى نشر المذكرات ، وهى التى نشرت مذكرات تشرشل وديجول .

ذهبت إلى دار (بلون) وأنا متردد فأين كتابى من مذكرات هؤلاء العظماء ؟ ... وقابلت أحد المسئولين ... فطلب منى أن أترك له الأوراق ؛ وأخبرنى أن لجنة من الكُتاب ستراجع ما كتبت وسيبلغوننى بالنتيجة .

ومر أكثر من شهرين وبدأ اليأس يتملكنى ولكن أخيرا إتصل بى أحد المديرين للدار وطلب أن أحضر لتوقيع العقد .. وتم التوقيع ... وصدر الكتاب عن أقدم وأكبر دار نشر فى فرنسا .

وشاءت رحمة الله أن ييسر لى طبع الكتاب باللغة العربية .

لماذا لا يقرأه المصريون ؟

من الأسباب التى شجعتنى على نشر الكتاب فى مصر عتاب صديق أعتز بأخوته إذ قال : لماذا لا يقرأ المصريون كتابك عن جمال عبد الناصر ... لقد قرأه الكثيرون باللغة الفرنسية وعلقت عليه الصحف ليس فقط فى الدول الناطقة شعوبها باللغة الفرنسية بل علقت عليه صحف فى دول مختلفة حتى كان من بينها صحف من اليابان ... وإنى لأذكر أن طلبة من جامعات مختلفة كان واحد منهم من جامعة مونتريال بكندا قد زاروك لأن الكتاب كان مرجعا فى الجامعات ... بالإضافة إلى أن الكتاب قد تداولته الأيدى فى بعض البلاد العربية إذ كان الناس يقبلون على النسخة العربية التى كان من الصعب العثور عليها نظرا للأوضاع السياسية التى كانت سائدة فى الدول العربية فى ذلك الوقت .

أكبر موسوعة عالمية .

بعد وفاة جمال عبد الناصر حولت لى مطابع (بلون) التى نشرت الكتاب فى باريس خطابا وصلها من أكبر موسوعة عالمية . الخطاب أرسله لى المستر وارن بريس المدير العام لتحرير موسوعة (أنسيكلوبديا بريتانيكا) وهو مؤرخ بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٩٧١ .

والخطاب يدعونى فيه المستر بريس إلى كتابة ألف وخمسائة كلمة عن عبد الناصر لينشرها فى الطبعة الجديدة للموسوعة . وقد كان واضحا أن « الإنسيكلوبيديا بريتانيكا » قد وقع إختيارها على من بين كل الكتاب بناء علىّ إقتناعها بكتابى الذى صدر باللغة الفرنسية بدليل أن إدارة الموسوعة أرسلت الخطاب على عنوان دار النشر فى باريس .

ولما كانت هذه الموسوعة هى أهم وأكبر موسوعة فى العالم فإن اختيارها لأكتب لها ١٥٠٠ كلمة عن عبد الناصر بمناسبة إعادة كتابة سير الشخصيات تعتبر تقديرا عظيما لما حواه الكتاب .

وإنى إذ أنشر نص الخطاب كما وردنى باللغة الأنجليزية أكتفى بترجمة المقطعين

الأول والثانى منه لأن باقى الخطاب عن شرح لما هو مطلوب لكتابة سيرة عبد الناصر .
وهذه هى ترجمة المقطعين :

٣٠ مارس ١٩٧١ . مستر أبو الفتح طرف مكتبة بلون ٨ شارع جارانسيير باريس ٦ فرنسا .

عزيزى مستر فتح

منذ أنشئت أنسيكلوبيديا بريتانيكا سنة ١٧٦٨ شيدت كما تعرف سمعتها كمستند علمى شامل وهو موثق ، وهى الآن ثمار تعاون أكثر من عشرة الاف من كبار الثقاة المحترمين الذين قبلوا الدعوات ليكتبوا موادها .

أسفرت دراسة تمت سنة ١٩٧٠ للدراسة الشاملة لتحرير الموسوعة عن قرار باعادة تنظيم القسم الخاص بالمقالات التى تتناول سير الشخصيات . ويسرنى أن أدعوك لتعد لنا سيرة جمال عبد الناصر

وقد اعتذرت للمدير العام للموسوعة عن الكتابة وأخبرته فى ردى أنى لن أستطيع أن أكون على الدرجة من الحياد التى تتطلبها الكتابة للموسوعة لأن عبد الناصر قد مكن لإسرائيل أن تحتل أرض مصر ، كما قام بقتل كل الحريات فى مصر .

رغم كل هذه الأمور كنت أفضل أن نتجه إلى الكتابة عن حاضر مصر بدل الماضى ، ولذلك نشرت لى سنة ١٩٧٧ مؤسسة المكتب المصرى الحديث لصاحبه الأستاذ الناشر أحمد يحيى كتابا يعالج مشاكل مصر وكان عنوانه (التحدى) ومقصود بالتحدى هو تحدى أزمات مصر باقتراح الحلول لها .

وأخيرا عاد الصديق الذى أشرت اليه يلح فى ضرورة نشر كتاب جمال عبد الناصر فى مصر ، فاستجبت لطلبه والله أرجو أن يلزمنى الصدق وبه استعين .

فيما يلي نص خطاب الموسوعة العالمية

ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA

425 NORTH MICHIGAN AVENUE . CHICAGO , ILLINOIS 60611

Editorial Offices

March 30, 1971

Mr . Abdul — Fath
c / o Librairie Plon
8 rue Garanciere
Paris 6e , France

Dear Mr . Fath :

In the years since its founding in 1768, the **Encyclopaedia Britannica** has, as you know, built and maintained a reputation for scholarly authority, authenticity, and comprehensivness . The present **Britannica** is the result of the Cooperation of more than 10,000 eminent authorities woh have acebed invitations to write its articles .

As a result of a reexamination of the editorial requirements of a general encyclopaedia in the 1970s, we are now embarked on a major reorganization of all our biography articles . As a part of this project, I am pleased to invite you to prepare a biography of GAMAL ABDUL NASSER .

We think it is important, in biography, to give greater emphasis to the Subject of the biography and the interrelationship of his life and career . We would like to know the kind of man he was, the kind of life he led , the things he did, and woy they are significant . What we hope is that the reader will be aware at all times that he is reading a biography of a man , and not an essay about the man!s work . The

work for which the subject is famous will receive its major analysis in general articles . The biography, then, may be directed to the man and his life , and discussion of his work should be limited —— mentioned , dated , summarized —— and Should evolve from the chronology of the biography itself , from the life and career of the man .

Evaluation of the man is, of course, critical . We think the reader should know something of the state of respectable opinion about a man and his contribution during his lifetime, in the years since his lifetime , and at the present time . We ask that opinion be reported as objectively as possible and that in the case of controversial figures , the nature of conflicting views be related with due courtesy to all sides .

Finally , there is the matter of style . Clarity, of course , is basic . We hope , in addition , for literary grace ; perhaps even elegance . Yet we must recognize that our first obligation to our reader — — a curious, intelligent , but non — Specialized reader — — is to inform him . We assume an eduzated reader, but we do not feel justified in assuming a reader cated learned in any given field . References to people, institutions , terms, and events unfamiliar to the general reader should , therefore, be clarified ; they should be identified , and their function and relationship to the subject of the article should be briefly explained so that the reader will not be forced to undertake additional reading in order to fully understand the article .

we have allocated space for l, 500 words for this article, Payment for which will be S 200 . The fee will be paid to you upon receipt of your Completed manuscript . At your request , we will also provide you with 25 copies of your contribution , bound in paper covers . We Should wish to have your manuscript no later than July 31, 1971 .

If you accept this invitation , our Biography Editor will provide further information concerning illustration and bibliographic matters , and deal with problems or questions you may have .

I hope that we will be able to count you among the many authorities who have already become a part of this project, and I look forward to hearing from you at your earliest convenience .

Yours sincerely ,
Warren E . Preece
General Editor
The Encyclopaedia Britannica

WEP / jrt

لماذا مصر الحرة ؟

بقى أن أحدثكم عن أمرين :

الأمر الأول.هو : (لماذا لجنة مصر الحرة ؟) ، والأمر الثانى هو : من يكون محمود ابو الفتح ؟

أما لماذا لجنة مصر الحرة فالرد على هذا السؤال يقتضى الرد على سؤال أخر وهو : الوطن لمن ؟

هل الوطن للحاكم والحكومة أم للشعب ؟

من الذى له السيادة هل هو الحاكم أم الشعب ؟

هذه الأسئلة وغيرها لم تكن لتحتاج إلى شرح لولا أن البعض كان يوجه لى بين الحين والآخر إما نقداً أو عتاباً إذ يقول : كيف تقبل المشاركة فى لجنة تهاجم مصر من الخارج ؟

والذين يوجهون إلىّ هذا السؤال فريقان : فريق ساذج ، وفريق خبيث . أما الساذج : فهو لا يفرق بين الشعب والدكتاتور ويعتبر مصر هى الحاكم حتى ولو كان دكتاتوراً ! أما الخبيث : فيوجه السؤال ليوهم السذج الذين لا يفرقون بين الحاكم الدكتاتور وبين الشعب بأنى قمت بعمل غير وطنى .

المفروض أن الحكم والحكومة هما موظفان لدى الشعب يختارهم الشعب ، ويدفع لهما المرتبات ، ويمنحها السلطة لحماية مصالح كل فرد من أفراد الشعب .. ولذلك تقرر النظم الديمقراطية قواعد تجعل من الشعب هو السيد وتجعل الرئيس والحكومة فى خدمته .

فالشعب ينتخب الرئيس من بين مرشحين مختلفين ، وينتخب ممثليه فى المجالس النيابية .. إذ تتقدم الأحزاب بمرشحيها للانتخابات .. والحزب الذى يفوز بأغلبية فى الانتخابات هو الذى يتولى تكوين الحكومة .

وكى يتم الإشراف على تصرفات الرئيس والحكومة يوفر النظام الديموقراطى الكثير من الأمور التى تخضعها للإشراف . فهناك أحزاب المعارضة وصحفها ، وهناك الصحافة المستقلة ، وهناك مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، وهناك أجهزة الرقابة الحكومية ، وهناك حق النقد وهو حق مقدس يستطيع أى مواطن أن يستعمله ، وهناك حرية ونزاهة السلطة القضائية بما فيها أجهزة النيابة العمومية .

أهم من كل ذلك : فإن الدستور يحدد مدة للرئاسة وللمجالس النيابية يجب عند انقضائها إجراء انتخابات جديدة .. وبذلك يستطيع الشعب أن يختار من يرى أنه الأصلح فلا أبدية لحاكم أو حكومة .

وبعض الدول تتوسع فى سلطات الشعب فتجعل القضاة بالتعيين ، وكذلك المحافظين إلى جوار أعضاء المجالس المحلية ؛ كما تعطى دول لشعوبها حق طرح أى أمر للإستفتاء الشعبى حتى ولو قررت ذلك الأمر الحكومة المنتخبة .

كل هذه توفرها النظم الديمقراطية لتجعل الشعب هو السيد ، وكل من يتولى سلطة هو فى خدمة الناس وليس سيداً عليهم . فالشعب هو المالك للدولة وهو الذى يأتى بالحكام لفترة معينة ثم يمارس حقه ليختار من يرأسه للمدة القادمة !.

وفى ظل النظام الديموقراطى يدرك كل حزب وكل من يريد ترشيح نفسه لأى منصب أن الاختيار للشعب .. فيحرص كل الحرص على كسب ثقة الناس وكسب الثقة تكون بالعمل لتحقيق صالح الشعب .

لهذا لا يستطيع الحاكم أو الحكومة فى نظام ديموقراطى أن يعتقلا أى إنسان دون اللجوء إلى السلطة القضائية ؛ ولا يمكن أن يتم تعذيب مواطن ... وإن حدث ذلك يكون الذين أمروا بالتعذيب والذين نفذوه قد ارتكبوا جرما يحاكمون عليه ويصدر القضاء المستقل حكمه الرادع .

لهذا لا يستطيع الحاكم أو الحكومة مصادرة أملاك الناس ، وإذا صدر قانون يبيح للحكومة التأميم تلتزم الحكومة بدفع التعويض الكامل لمن تم تأميم ممتلكاتهم .

ولهذا لا يستطيع الحاكم أو الحكومة أن يعبثا بأقدار الدولة فيزجا بها فى مغامرات أو حرب إلا بعد طرح الأمر على المجالس النيابية وموافقة هذه المجالس ، كما

لا يستطيعان أن يجعلا من جيش الوطن جنود إنكشاريه فيرسلا فرقا تحارب لحساب حكام أخرين .

ولهذا لا يستطيع حاكم أو حكومة أن يغتصبا الصحف بحجة التأميم ، فالصحافة لا يمكن أن يستولى عليها أى صاحب سلطة ، كما تخضع الإذاعات (الراديو والتليفزيون) لأجهزة مستقلة لا تسمح بأية سيطرة للحاكم أو الحكومة عليها ، وفى بعض الدول يكون تولى عضوية هذه الأجهزة بالانتخاب .

ولهذا يتوفر لكل انسان حقه فى تكوين حزب أو إصدار جريدة أو مجلة .

ولهذا تتوفر للنقابات حرياتها ولا تخضع بأية صورة من الصور لسيطرة الرئيس أو الحكومة .

وهكذا ... وهكذا ... تتوفر للشعب فى النظام الديموقراطى السيادة فى وطنه وحريات واسعة تجعله هو الذى يولى السلطة من يشاء ويسقطها عمن يشاء ، وتوفر كل أنواع الرقابة على الحاكم والحكومة وكل من يملك سلطة .

يحدث فى كثير من الدول بين الحين والآخر تجاوزات كإثراء حرام عن طريق استغلال صاحب سلطة لسلطته ، أو كالقبض على خصم سياسى ... هذا يحدث ولكن الحريات الواسعة للصحافة والأحزاب المعارضة وللمجالس النيابية ولأجهزة الرقابة الحكومية وللقضاء المستقل تمكّن من كشف هذه التجاوزات . والأمثلة على كشف التجاوزات فى اليابان وفى دول أخرى ديموقراطية تذيعها وكالات الأنباء العالمية ونقرأ أخبارها بين الحين والحين .

المهم أنه رغم التجاوزات لا تستطيع سلطات رئيس الدولة ولا الحكومة قهر الناس لحماية المتجاوزين .

والدكتاتورية

قارنوا بين ما توفره الديموقراطية من سيادة الشعب ... وبين ما تقوم به الدكتاتورية لقتل كل حقوق الشعب الدكتاتورية : تجعل من الحاكم السيد المطلق يفعل بأى إنسان من أبناء الوطن ما يريد ... يقبض عليه ... يعذبه ... يقتله ... يصادر أمواله ... يأمر بالاعتداء على زوجته أو بناته فى العلن أمام الزوج أو الأب ... يلغى إستقلال القضاء ... يقيم محاكم مزيفة تنفذ له ما يريد من أحكام ... يستولى على الصحف ويحولها إلى أحط وسائل الدعاية ... يهدر قدر الوظائف فيعين من يشاء من الجهلة المنافقين فى أعلى الوظائف ... يبيح لمحاسيبه ومنافقيه السلب والنهب ويحمى اللصوص والناهبين بكل ما يملك من قوى البطش والإرهاب ... يسلط الإبن ليتجسس على أمه وأبيه ... والأخ على أخيه ... وبذلك يقضى على أسمى معانى الأسر ... ويكون فريقاً ضخماً من المنحطين الذين يرتكبون كافة الجرائم لإرضائه .. إرهاب السيدات ليصبحن داعرات لمن يريد الحاكم أن يصورهم فى أوضاع يستغلها ضدهن لإخضاعهن تحت سيطرته ... فساد ذمم ... فساد أخلاق ... يغضب على كل صاحب دين أو أخلاق فتمتد تقارير الجواسيس تشى به فيلقى العذاب على يد وحوش لا تعرف الرحمة ولا الدين ... ويصبح المتدين عدواً ... والنزيه عدوا ... والصامت عدوا ... الدكتاتور غذاؤه النفاق ... ولا يقبل أن ينافق إلا الذى يخاف الإرهاب والعذاب أوجوع الزوجة والأولاد أو إنسان لا خلاق له ولا دين ... يسخر كل كفاءاته لتغذية ما يريد الحاكم من نفاق ... ويزج الدكتاتور بالوطن فى مغامرات على حساب الشعب ... ويتصرف فى المال العام وفق ما يمليه مزاجه ... ويرسل فرقا من الجيش ليموت الشباب فى حروب ليس للوطن أية فائدة من المشاركة فيها ... ويزج بالدولة فى حروب توصل إلى قتل عشرات الآلاف وخراب الوضع الاقتصادى وتلويث الوطن بذل إستيلاء العدو واحتلاله لأجزاء من الأرض العزيزة ...

وأعدى أعداء الدكتاتور هو الدين .

الدين يدعو إلى العدالة ، والدكتاتور يظلم .

الدين يدعو إلى إحترام آدمية الإنسان ؛ والدكتاتور يبطش .

الدين يدعو إلى إحترام الحياة الخاصة للناس ، والدكتاتور يسلط الجواسيس على كل الناس .

الدين يدعو لاحترام شرف السيدات ، والدكتاتور يستبيح أعراض السيدات .

الدين ينهى عن الفحشاء ، والدكتاتور يستبيح السيطرة على من يدفعهن إلى ارتكاب الفحشاء إرضاء لتحقيق التسلط على من يقاومون تسلطه .

الدين يحترم حقوق الناس ، والدكتاتور يصادر أملاك الناس ويعوض الأجنبى خوفا وينهب الوطنى بطشا .

الدين يدعو إلى كل مكارم الأخلاق ، والدكتاتور لا يعترف فى سبيل سيطرته بأى مكارم للأخلاق .

لهذا : نرى الدكتاتور يعادى المتدينين ، ويدفع إلى الصفوف الأولى من يدّعون أنهم رجال دين ليباركوا كل ما يرتكب من خطايا .

لا حياة للمتدينين فى الحكم الدكتاتورى ؛ فالأديان تدعو إلى تقويم المنكر ، والدكتاتور يستبيح كل منكر .

إذا دقق الإنسان فى الذين يحيطون بالدكتاتور ودرس أحوالهم عن قرب يجدهم أبعد الناس عن الدين إذ أن تبرير الجرائم لا يمكن أن يرضى القيام به إنسان يؤمن بالله وبيوم الحساب .

والدكتاتور لا يريد أن يشاركه فى عظمته أحد حتى ولو كان الله سبحانه وتعالى ؛ وهو يدّعى التدين ، وقد يشترك فى المناسبات فى الصلاة فى بيوت الله ، وقد يؤدى الصلاة تمثيلاً فى المراحل الأولى للإستيلاء على الحكم، فإذا ما سيطر على السلطة قل أو امتنع عن التظاهر بالتدين .

والمفروض أن العبادات تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، والدكتاتور هو الذى يستبيح ارتكاب أفظع وأقبح الأعمال .

لهذا ترى الدكتاتور يستهدف المتدينين والدعاة الصادقين للدين بأشد ألوان إنتقامه .

والدكتاتور لايستطيع أن يقبل بأى رأى إلا رأيه ويعتبر كل صاحب رأى عدواً خطيراً يجب إخراسه .

وإخراس أى صاحب رأى هو فى مقدمة اهتمامات الدكتاتور ، ويستبيح للوصول إلى ذلك كل الوسائل ... الاعتقال ... التعذيب ... الانتقام من الأسرة ... التجويع .

التجويع سلاح رهيب ؛ ولذلك يرى الدكتاتور أن يركز الرزق فى يديه بحيث تتعلق لقمة العيش برضائه .

محاربة المتدينين والدعاة وأصحاب الأوامر المختلفة وتسليط كل الوسائل الإجرامية ضدهم ثم تركيز الرزق فى يد الحاكم يؤدى إلى انحلال فى الأخلاق ينتشر بين الناس ؛ فهم إذ يرون النفاق سبيل الوصول .. والجاسوسية واحترافها يوفر المال والمناصب يبدأ الكثيرون فى الانحراف تدريجيا .. خصوصا أن المتسلطين على الجرائد والمجلات والإذاعات يواصلون يوميا كل ألوان الدعاية للدكتاتور .

إن تسليط الدعاية المستمرة صباح مساء ويوماً بعد يوم وسنة بعد سنة ، لا تمسك بجريدة الا وتجد صور الدكتاتور وأمجاده واسمه يحتل الصفحات والتغنى بمواهبه ومواقفه ... كل ما ينطق به هو الحكمة بعينها ... الانتصارات متوالية ... حتى أبشع الهزائم يجد الدعاة لها منافذ قد تخرج منها فى صورة انتصارات ، وإذا استمع الإنسان لأية إذاعة طاردته الدعاية للدكتاتور ، وإذا جلس أمام التليفزيون أطل عليه الدكتاتور يخطب ويقابل ويصافح ويبتسم ... هكذا ... هكذا ...

عمليات غسيل للعقل لا تتوقف ولا ترحم وتنتهى إلى قتل شخصية الشعب وذوبانها ، ولا يصبح للدولة من كيان ولا رمز ولا شخصية إلا فى شخص الدكتاتور .

تنقلب الأمور فبدل أن يكون الشعب هو السيد كما هو الحال فى النظم الديموقراطية وهو الذى يفكر وهو الذى يصدر حكمه على من يحكمه ، يصبح الدكتاتور هو السيد الآمر الناهى ، ولا شخصية إلى جواره ... هو الزعيم وهو القائد وهو المفكر وهو المدبر .

فى إنجلترا الديموقراطية : قاد تشرشل الدولة إلى النصر ، وأسقط الشعب حزبه فى أول انتخابات جرت بعد الحرب مباشرة ، وذلك لأن غالبية الإنجليز رأوا أن تشرشل

وإن كان قد حقق النصر فى الحرب ـــ فإنه لن يحقق ما يتطلبه الشعب فى السلم .

وفى فرنسا سنة ١٩٥٨ : ناشد الشعب الجنرال ديجول ليتولى السلطة لينقذ الوطن من الأزمات ، ثم أسقط الشعب ديجول فى الاستفتاء سنة ١٩٦٨ . لم يشفع للزعيم الكبير أنه قاد حركة فرنسا الحرة وهو الذى قاد الدولة التى احتلها الألمان فى أيام قليلة إلى النصر وتحرير فرنسا ...

تخلى الفرنسيون عن ديجول سنة ١٩٦٨ لأنه أراد أن يغير بعض قواعد مجلس الشيوخ الفرنسى ؛ رفض الفرنسيون أن يسمحوا لأكبر وطنى ساهم فى تحرير فرنسا ، ثم بعد الحرب . فى بناء مجدها الاقتصادى وتعزيز مركزها فى الميدان الدولى ... أن يُعدِّل بعض قواعد مجلس الشيوخ ، وذلك لأن هذا المجلس يمثل للفرنسيين إحدى ضمانات الحرية .

إستقال ديجول من رئاسة فرنسا إستجابة لقرار الشعب الفرنسى الذى هو صاحب السيادة على الوطن .

أما فى مصر : فقد تسبب الدكتاتور فى أكبر عار حل بمصر ، إذ مكن إسرائيل من أن تدمر أسلحتنا وتقتل عشرات الألاف من شبابنا ، وتحتل أرضنا وتستولى على مصادر دخلنا ، فتغترف البترول وتمنع الملاحة فى قناة السويس .. ورغم كل العار والذل الذى ألبسه الدكتاتور لمصر والمصريين خرج الناس يطالبونه بألا يستقيل ، وألا يتركهم ، وذلك لأنه استطاع أن يسلب الناس شخصيتهم ، وأن يحولهم إلى شعب ضعيف ليس له أدنى قدر من القوة أو أية قدرة على التفكير وتحمل المسئولية .

لقد أوصلهم الدكتاتور إلى مرحلة من الضياع وتحلل الشخصية جعلتهم يتصورون أن لا حياة لهم بدونه ، مع أنه هو السبب الأول والأخير فى الكارثة .

ألم يقل للمصريين : أنا الذى علمتكم العزة والكرامة . وهذا القول : لا يستطيع أى رئيس فى دولة ديموقراطية أن يقوله مهما كانت الانتصارات التى حققها ، فلم يقله تشرشل .. ولم ينطق به ديجول .. وأسقطت هزيمة اليابان قدسية الإمبراطور فبعد أن كان لا ترتفع إلى وجهه عين أى يابانى ، تحول من كونه ابن الشمس إلى إنسان عادى له

الاحترام ولكن ليس له العبودية ، وأصبح اليابانيون ينتخبون ويختارون الحكومات بعد أن كان الإمبراطور هو صاحب كل السلطات .

ومن أخطر ما تصاب به أمة على يد الدكتاتور عدم قبوله أن يتولى من هو أذكى منه ، أو أقدر منه على خدمة الوطن أى منصب حكومى .

لا يمكن أن يسمح الدكتاتور أن يخطف أى انسان منه ما يتفرد به من اهتمام الناس .

رئيس الحكومة والوزراء وكل صاحب سلطة يجب أن يكون أداة طيعة فى يده يأمرهم فيأتمرون ، ويتغنون باستمرار بكفاءته وعظمته وقدرته على اتخاذ القرار .. وهذا يؤدى إلى تولى السلطات من لا يستطيعون النهوض بالاقتصاد أو التعليم أو العلاج ، ويختارهم الحاكم ممن يثق بهم ، ولو أنه لا يثق بإنسان ، فهو فى الحقيقة يختارهم ممن لا يناقشون بل وحتى لا يفكرون ... وتكون النتيجة أن تنهار أوضاع الوطن وتتفشى الرذائل والدس والأحقاد .

فهل من يرتكب كل هذا يصبح هو الوطن ... هو مصر ... ؟ أم هو باطش باغ يجب على كل من يستطيع مقاومة بطشه وبغيه أن يسعى لوقف تماديه فى البطش والبغى .

هناك من يقولون بأن للدكتاتور إنجازات ... هؤلاء ينسون أن الحكم يقوم لإسعاد الناس وليس لإرهابهم ، لحماية حرياتهم لا لتعذيبهم وتسليط أحقر الجواسيس وأغلظ الزبانية عليهم .. وأن الحكم يقوم للحفاظ على القيم والدين ، لا أرتكاب أبشع وأحط الجرائم ضد السيدات .

لو أن الذى يدافع عن الدكتاتور كانت زوجته أو ابنته تعرضت للاعتداء على شرفها أمام بصره ، هل كان سيغفر للدكتاتور هذه الجريمة نظير ما يسمونه بالانجازات ؟

أيها أشرف : أن أنافق الدكتاتور أم أن أدافع عن حق الناس فى حياة كريمة ليس فيها اعتقالات وجاسوسية وتعذيب ؟ أيها أشرف : أن أبرر الجرائم ضد الأحرار ... أم أن أستنكر وأسعى إلى وقف الجرائم ؟ !

أيهما أشرف : أن أبرر احتلال العدو لأرض وطنى ... أم أسعى إلى إقصاء من زج بالوطن فى حرب أدت إلى ذل الاحتلال وتحطيم الاقتصاد وقتل عشرات الآلاف ؟ !

لقد كنت وكل من عمل معى من لجنة مصر الحرة نعيش فى دول تتوفر لمن يعمل فيها ويسعى وراء الثراء أن يصبح من أغنى الأغنياء ؛ كنت وإخوتى فى سويسرا التى تحمى حقوق كل انسان وتوفر لمن يعمل كل فرص الإثراء ...

أيهما كان أيسر لنا أن ننصرف إلى جمع المال والتمتع بما توفره سويسرا من جمال الطبيعة ومتع الحياة أم نكرس جهودنا للدفاع عن إخواننا الذين فى المعتقلات ، وعن المصريين الذين أصبحوا ببطش الدكتاتور وجرائم زبانيته يعيشون فى سجن كبير .

لم يكن أسهل علينا من أن ننصرف إلى حياة فيها الثراء والأمان ، ولكن إذا كان هذا هو هدفنا فلماذا هاجمنا الدكتاتورية ونحن فى مصر ، بينما كانت علاقة عبد الناصر بى تفوق علاقته بأى صحفى أخر ... لماذا لم نهادن ونغمض العين ونجعل من جريدة المصرى سلاحنا للمال والبعد عن المشاكل ونحافظ على ثروتنا الضخمة .

إننى لا أريد أن أتحدث عن حياتنا فى الخارج وعن الأخطار التى كانت تهددنا وعن الأزمات المالية التى مررنا بها لأن فى الحديث عن ذلك ما قد يعطى إنطباعا بأننا نتباهى بما قمنا به ... كل ما أستطيع أن أقوله أننا والحق لله ، بعد أن عاش من لجنة مصر من عاش ومات من مات ، ضمائرنا راضية ، والحمد لله على نعمة راحة الضمير ، وإن كان غير ناقد باع نفسه وقلمه للدكتاتور ، وحقق من وراء ذلك الثروة والشهرة ، ونحن حرمنا من مالنا وتشردنا عن أهلنا ووطننا ، ومع ذلك فإننا سعداء بأننا لم نغمس فى يوم من الأيام لقمة عيشنا بدم من قتلهم الدكتاتور ... إبتداء من العاملين البقرى وخميس ومرورا بعبد القادر عودة ومئات من الذين شنقوا أو ماتوا تحت وطأة التعذيب وصولاً لعشرات الآلاف الذين أرسلهم ليذبحوا فى جبال ووهاد اليمن ، أو قدمهم للذبح على يد أعداء مصر من الإسرائيليين

يعلم الله كم دفعنا ثمناً وكم تحملت الأسرة من بطش الدكتاتور بسبب دفاعنا عن حق إخواننا فى الوطن فى حياة حرة كريمة .

أرسل الدكتاتور زبانيته إلى الإسكندرية ليحضرون أمي لتنفذ أمره بأن تقيم إقامة جبرية في مسكنها لا تزور ولا تزار؛ حتى أولاد أختي المرحوم محمد أبو الفتح كان الحراس الذين يحرسون تنفيذ أمي والتزامها بالإقامة الجبرية يمنعونهم من زيارة جدتهم؛ وأختي التي إعتقل الدكتاتور إبنها الأستاذ عبد الرحمن فهمي ماتت حزناً .

ولم يترك الدكتاتور أي رجل أو شاب يمت إلينا بقرابة أو صداقة أو أي إنسان زارنا في الخارج إلا أعتقله وعذبه أشد العذاب .

الاحتلال البريطاني لم يستبح الانتقام من الأمهات ولا الأقارب بسبب وطنية أعداء الاحتلال ، ولكن حاكم مصر المصري إستباح كل المحرمات والاعتداء على التقاليد المصرية والدينية ليشفي غليله ورغباته الجامحة في الانتقام .

ويعلم الله كم تعذبت زوجتي وكم تحملت وكيف تحولت حياتها من توفر كل أسباب الراحة إلى كل أسباب المشقة ، والأخطر من المشقة ما عانته من قلق .

وتحملت زوجتي كل هذا وهي لا تشكو ولا تتضرر ، وتحاول باستمرار أن تشعرني بأنها سعيدة وتحرص على الابتسامة الحلوة والكلمات المشجعة .. تحيطني وأولادنا بالعناية الكاملة وتسعى إلى توفير كل أسباب الراحة . وكي أعطي صورة عن القلق الذي عاشته زوجتي أنشر خطاباً أرسلته سيدة فاضلة إلى جريدة الأخبار وتم نشره في باب رسائل القراء وهو الباب الذي اختارت له الجريدة إسم (إلى ... محرر الأخبار)

والعنوان الذي وضعته الجريدة للخطاب كما نشرته يوم ٣ مارس ١٩٧٥ هو :

« رفض إبني خطف أحمد أبو الفتح فحرموه من العودة إلى مصر »

وهذا هو نص رسالة السيدة الكريمة :

« سافر إبني الوحيد في مهمة رسمية إلى الخارج منذ ٢٣ سنة ولكنه لم يعد فراراً من سيطرة مراكز القوى ، وهو الآن واحد من أكبر خبراء العقول الإلكترونية في أوربا ... ويملك شركة عالمية للإلكترونيات ، لكنه محروم من العودة إلى بلاده لرؤية والدته وشقيقاته اللاتي يتلهفن على رؤيته ، ولقد حاول أن يعود إلى مصر قبل ثورة التصحيح

فساومته على العودة مقابل شيء واحد ... هو مساعدتها في خطف أحمد أبو الفتح من سويسرا .. وعندما رفض سدت في وجهه أبواب العودة إلى بلاده ، وهو الآن يلح في طلب السماح له بالعودة إلى مصر ، ولكنه يخشى آثار تدابير مراكز القوة ضده . لقد عفا الرئيس عن الكثيرين وفتح أبواب مصر لكل من يريد العودة إليها . فهل أطمع أن يمتد عفوه إلى وحيدى ؟ لقد مات أبوه دون أن يراه ، وأخشى أن ألقى الله قبل أن أرى وجه ولدى الوحيد . هل يستجيب الرئيس الإنسان إلى نداء أم مريضة ؟ ... والدة المهندس محمد العقيل جمعة ... دسوق »

وقد أرسلت إلى جريدة الأخبار تعليقا على رسالة السيدة الكريمة نشرتها يوم ٤ مارس وفي اليوم التالى نشرت الجريدة رسالة من المرحوم ــ السيد/ ممدوح سالم ــ وزير الداخلية وكان عنوانها : من وزير الداخلية إلى والدة المهندس محمد عقيل جمعة .

رسالة الوزير تطمئن السيدة وتقول لها :

« فليعد ابنك إلى وطنه فورا أو في أى وقت يشاء .. » لقد عاشت زوجتى هذا القلق ويعلم الله أن هذه ليست المحاولة الوحيدة لا ختطافى .

كانت اذا تأخرت في خارج المنزل قليلا عن ميعاد عودتى إنتابها القلق ؛

كنت أراها وقد رفض عقلها أن يهدأ وتتقلب في فراشها دون نوم ، فإذا سألتها تظاهرت بالنوم كي لا تحدثنى عن متاعبهاوأسباب قلقها .

عشرون عاما عاشتها ونحن في مهب كل الأخطار والأزمات النفسية والمالية والجسمانية ، وكانت قبل ذلك تعيش في مصر تتمتع بكل مظاهر الحياة والراحة فأصبحت المسئولة مسئولية كاملة عن توفير الراحة لابنيها ولزوجها ؛ الأجمل من ذلك أنها عاشت الفرق الشاسع بين الحياة التى تحياها في مصر والحياة التى عاشتها في الخارج ، ومع ذلك لم تشك في يوم من الأيام ولم تبد أى تأفف من قسوة الحياة . لم تقل يوما لماذا لا تساير الأمور فقد كنا نعيش عيشة هانئة في مصر ؟...

أبدا لم تقل أى شيء من هذا ولم تظهر في أشد المحن أى ضيق ، بل كانت تفاخر خصوصا بين الناس بما اتخذنا من مواقف ، وقد سمعتها مرة وهى تستقبل بعض

السيدات فى مسكننا فى جنيف وهى تقول : « لا لم أحزن أبدا على ضياع ثروتنا ... فنحن بحمد الله مستورون ... ويكفينى أن أرى أحمد مرتاح الضمير »

هذا بعض ما كان من شأن شريكة حياتى التى أنتهز فرصة إصدار الكتاب لأقول لها : شريكة حياتى . . .

من أعماق قلبى أشكرك وجزاك الله الخير بقدر ما تحملت وصبرت وقابلت من الشدائد بالابتسام وبالمحبة الصافية والرضاء بما قسم الله لك .

من هو محمود أبو الفتح ؟

هو الذى بعد أن فارق الدنيا عثر بين أوراقه على ظرف أبيض اللون كتب عليه (أرض وطنى) وداخل الظرف حفنة من تراب مصر .

كم من المصريين حرصوا على أن يحملوا فى أسفارهم حفنة من تراب مصر ؟!

هو ابن الشيخ أحمد بك أبو الفتح أستاذ الشريعة الإسلامية فى كلية الحقوق لأكثر من ثلاثين سنة .

شب وترعرع فى بيت دين وتشرب الوطنية منذ فجر شبابه :

١ ــ تزعم مظاهرة الطلبة فى المدرسة الثانوية عندما قدم لزيارتها المفتش الانجليزى « دنلوب » وتم فصله وهو يستعد لأداء امتحان البكالوريا وعرض والده الذى كان مفتشا للتعليم للفصل .

٢ ــ رغم حرمانه من الدراسة تقدم للامتحان لنيل شهادة التعليم الثانوى من خارج المدرسة ، وعند كتابة موضوع الإنشاء الإنجليزى استطاع أن يقلب الموضوع إلى هجوم سياسى ضد الاستعمار البريطانى .

إختلف الأستاذين المنوط بهما تصحيح ورقته وأصر الأستاذ الإنجليزى على إعطائه صفرا لخروجه عن الموضوع ، وأصر الأستاذ المصرى على إعطائه عشرين درجة أى أعلى الدرجات لخلو الموضوع من أي خطأ .

إختدم الخلاف بين الأستاذين وتمسك كل واحد بقراره وانتهت ورقة الامتحان إلى الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكان وزيرا للمعارف ، وقرر رحمه الله إعطاء الإجابة أعلى الدرجات .

بعد إعلان النتائج طلب سعد زغلول الكشف عن الرقم السرى لمعرفة إسم صاحب هذه الورقة وتبين له أنه محمود أبو الفتح ، فاستدعى والده وهنأه بوطنية إبنه .

انتهز الشيخ أبو الفتح هذه الفرصة وعرض على سعد زغلول مشروعا كان قد أعده لمحاربة الأمية بأقل تكاليف ، ويتخلص المشروع فى مساعدة كتاتيب القرية ماليا ، والعمل على انتشارها فى كل أرجاء الريف ، على أن يقوم شيخ الكتاب على تدريس الحساب ومبادىء الدين إلى جوار تحفيظ القرآن الكريم . وأقر سعد زغلول باعتباره وزير المعارف المشروع وعمل على تنفيذه .

٣ ــ عندما كان محمود أبو الفتح فى السنة النهائية بمدرسة الحقوق حضر مفتش التعليم الإنجليزى ليزور المدرسة ، ومرة أخرى تزعم محمود أبو الفتح المظاهرة ضده وضد الاستعمار البريطانى .

مرة أخرى تم فصل محمود أبو الفتح ومرة أخرى تعرض والده للإنتقام وكان أستاذاً فى مدرسة الحقوق .

هذه المرة لم يستطع محمود أبو الفتح أن يحصل على شهادة الحقوق فقد تضمن قرار فصله حرمانه من أداء الامتحان .

٤ ــ رفض محمود أبو الفتح العمل بالحكومة أو بأى عمل آخر ، فقد أدى فصله إلى تأجيج نار الوطنية فى قلبه ورأى فى الصحافة الميدان الطبيعى لممارسة محاربة الاستعمار ، فالتحق بجريدة وادى النيل بالإسكندرية محرراً وظل يكتب فيها حتى تم غلقها على يد المستعمر البريطانى .

كانت الصحافة الوطنية المصرية تلاقى أشد العنت من الاستعمار ، فضلاً عن أن مواردها المالية قليلة وقدرتها على منافسة الصحف القائمة وهى الأهرام والمقطم ضعيفة ، لأن هذه الصحف تسير فى الركاب ، ومؤسسيها كانوا من الغرباء الذين نزحوا إلى مصر .

٥ ــ بعد غلق جريدة وادى النيل قرر محمود ابو الفتح إنشاء جريدة مصرية تتولى الدفاع عن القضايا الوطنية فى الحرية والديموقراطية والاستقلال ، فأنشأ جريدة « الجمهور » التى سرعان ما تم تعطيلها .

٦ ــ رأى بعد ذلك أن يعمل فى جريدة الأهرام ليستفيد من انتشارها فى نشر آرائه ، ووصل إلى أن أصبح المحرر الأول للجريدة رغم الضيق بتطرفه السياسى .

حقق انتصارات صحفية كانت محل نقل وتعليق الصحف العالمية ، إذ كان أول من أذاع أنباء اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون ؛ وقد غضب الملك فؤاد لإذاعة أنباء الكشف وتفاصيل محتويات المقبرة لأنه كان يريد أن يعلن ذلك بنفسه .

عندما صنعت حكومة ألمانيا سنة ١٩٢٧ أكبر منطاد عالمى وهو « منطاد جراف زبلن » أستطاع أن يكون الصحفى الأجنبى غير الألمانى الوحيد الذى يسافر فى أول رحلة للمنطاد .

أثار ما نشره عن الرحلة اهتمام السلطات الألمانية واستغل نقل الصحافة العالمية مقالاته فى إقناع الحكومة الألمانية بأن يقوم المنطاد برحلة إلى مصر . وقام المنطادبهذه الرحلة وكان أيضاً الصحفى الأجنبى الوحيد الذى اشترك فيها وكان يهدف إلى أمرين :

١) لفت أنظار العالم إلى مصر وقد تحقق ذلك إذ حضر إلى القاهرة مئات الصحفيين الأجانب .

٢) انتهاز الفرصة للحديث عن مصر ليحرض الصحفيين الأجانب على الكتابة عن رغبة شعب مصر فى القضاء على الاستعمار ، ونجح فى ذلك ، وكان بين من كسب صداقتهم لمصر الصحفى الأمريكى الكبير « لارى رو » المحرر الأول لصحيفة « شيكاغو هيرالد تريبون » الذى نشر خمس مقالات متوالية دفاعاً عن حق مصر فى الحرية والاستقلال . وظل طوال حياته يدافع عن هذا الحق خصوصاً بعد أن تعرف محمود أبو الفتح على « ماكورمك » صاحب هذه الجريدة الكبرى .

٧ ــ سنة ١٩٣٥ اشتعلت نيران الحماسة الوطنية فى مصر وقامت المظاهرات فى كافة أرجاء البلاد تطالب بإنهاء الاستعمار وتحقيق الحرية والديموقراطية . ورأى محمود

أبو الفتح أنه من غير المعقول أن تظل الصحافة المملوكة لمن لم يكونوا مصريى الأصل تسيطر على الميدان ، فقرر أن يسعى إلى إنشاء جريدة مصرية تستطيع الصمود فى وجه المنافسة الجبارة من الصحف القائمة .

كان المصريون قد بذلوا محاولات كثيرة لإقامة صحافة مصرية أصيلة ولكن ارتطمت جهودهم بتعسف سلطات الاستعمار والقصر وحكومات الأقلية وبالعجز المالى .

سنة ١٩٣٦ أصدر محمود ابو الفتح جريدة المصرى وواجه الاضطهاد الذى سلطته السلطة عليه ، فقد ألقت به فى السجن عدة مرات تحت ذمة التحقيق ، كما واجه الذين كانوا يعينون أثناء القبض عليه كرؤساء للتحرير نفس المصير .. منهم الأساتذة شافعى البنا ومحيى الدين فرحات ومحمدعلى رفاعى وحسين ابو الفتح .

رغم ذلك استطاع المصرى أن يقاوم الحبس لرؤساء التحرير والمصادرات لنسخه حتى استطاع أن يصبح جريدة مصر الأولى ، بل جريدة العرب الأولى ، إذ لم يقتصر الحرب ضد الاستعمار على مصر بل كان يدافع عن كل الشعوب المغلوبة على أمرها حتى « الماماو » فى كينيا .

٨ ــ سنة ١٩٤٦ أسند محمود أبو الفتح رئاسة تحرير المصرى لأخيه الأصغر أحمد أبو الفتح وقد قبل بهذا التعيين الأخوان الآخران حسين ومحمد أبو الفتح اللذان كانا يعاونان ويشرفان على تحرير الجريدة .

بعد قيام حركة الجيش إتهم القائمون عليها مديرى شركة الإعلانات الشرقية التى كانت تصدر خمس صحف باللغات الانجليزية والفرنسية واليونانية : بالعمالة لإسرائيل وبريطانيا العظمى . فتقدم محمود أبو الفتح واشترى كل أسهم هذه الشركة وحولها إلى شركة مصرية صميمة ، وبذلك أصبحت الصحف الناطقة بهذه اللغات تدافع جميعها عن حقوق مصر والقضايا العربية .

هذه هى جهود محمود أبو الفتح فى صورة مختصرة للغاية بالنسبة لميدان الصحافة .

لم يكن محمود أبو الفتح يقتصر فى جهوده على الصحافة بل ساهم فى الحركات الوطنية ، إذ سافر على حسابه الخاص مع الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول إلى باريس سنة ١٩٢٠ ، وكان لم يتجاوز من العمر فى ذلك الحين ٢٧ سنة ، وظل يعمل مع سعد زغلول الذى سافر للدفاع عن استقلال مصر بمناسبة انعقاد مؤتمر الصلح العالمى فى العاصمة الفرنسية وكان هو الذى ينظم اتصالات الوفد المصرى برجال السياسة والصحافة هناك . وكان نظراً لإجادته اللغتين الإنجليزية والفرنسية إجادة تامة يكتب البيانات ويتولى طبعها وتوزيعها على رجال السياسة ونشرها فى الصحف .

وفى كتاب الصحفى القديم الأستاذ محمد على رفاعى يقول المؤلف : إن محمود أنفق كل ماله على نشر مطبوعات الوفد المصرى لدرجة أنه عندما عاد ليلة إلى الغرفة التى الغرفة التى كان يسكنها وجدها مغلقة وعلى بابها ورقة من صاحبة البنسيون تخبره أنها أغلقت الغرفة لأنه لم يدفع الأجرة منذ أسبوع ، وقد اضطر أن يقضى ليلته نائما على إحدى كنبات حديقة عامة .

ألف محمود أبو الفتح كتابين عن جهود الوفد المصرى فى باريس « مع الوفد المصرى » و « القضية المصرية ، والوفد المصرى » ويعتبران المراجع الفريدة لجهود الوفد برئاسة سعد زغلول فى باريس .

استطاع محمود أبو الفتح أن يفوز فى انتخابات سنة ١٩٣٩ التى أجرتها حكومة الأقلية ، ولم يفز فى هذه الانتخابات من المعارضة إلا أحد عشر نائبا وفديا وأدى دوره كاملا تحت قبة البرلمان .

أنتخب بعد ذلك عضوا فى مجلس الشيوخ وظل انتخابه يتجدد حتى حل الملك فاروق البرلمان فى أوائل سنة ١٩٥٢ .

كان يولى اهتماما خاصا لزعماء العرب والدول الواقعة تحت الاستعمار ، فكانت تربطه بالحبيب بورقيبة وعلال الفاسى زعيم حزب الاستقلال المغربى والشيخ بشارة الخورى زعيم ورئيس جمهورية لبنان بعد الاستقلال وبشكرى القوتلى وباقى زعماء سوريا أوثق العلاقات ، لدرجة أنه عندما توفى فى المنفى وعلم بذلك الرئيس الحبيب بورقيبة أرسل يطلب أن تكون أرض تونس مثواه الأخير بينما نشرت صحيفة واحدة فى

مصر « الأهرام » نعيه فى سطر واحد « توفى اليوم فى ألمانيا محمود أبو الفتح » .

عندما وصل جثمان الفقيد إلى تونس كانت السفارة المصرية قد دبرت مع بعض الأفراد أن يتم دفنه فى السر والخفاء . وعلمنا أثناء نقل الجثمان بهذا التدبير فأوقف بورقيبة الإجراءات . وأمر بأن يخرج حزب الدستور والوزراء فى جنازة رسمية تشيع « الصديق الكبير والمدافع الأعظم عن استقلال تونس » .

فى سنة ١٩٤٩ كان فى نيوريورك ليراسل المصرى بأنباء اجتماعات هيئة الأمم ، وعلم بوجود أحمد سوكارنو على رأس وفد اندونسيا للدفاع عن استقلال البلاد ، وكان الوفد لضآلة الموارد المالية يقيم فى حي متواضع فى نيويورك فعمل الترتيبات المالية لينتقل الوفد الاندونيسى إلى واحد من أكبر فنادق نيويورك ثم نظم مع عبد الرحمن باشا عزام سكرتير عام الجامعة العربية عملية تمويل هذا الوفد وكرس جهوداً ضخمة لتوصيل دعاية الوفد للصحف ولرجال السياسة فى هيئة الأمم .

هذه الرواية سمعناها من الدكتور زكى هاشم المحامى ، والذى كـان يدرس فى نيويورك ، وأكدها المرحوم عبد الرحمن عزام . وسجل الأستاذ وحيد الدالى هذه العملية فى كتابه عن الجامعة العربية وذكر أن ما قدمه محمود أبو الفتح هو ١١ ألف دولار .

قبل هذا سنة ١٩٣٦ سافر ضمن الوفد المصرى إلى الهند حيث نزل ضيفاً فى بيت الزعيم نهرو لربط كفاح مصر بكفاح الهند .

عندما سافر وزير الخارجية الدكتور محمد صلاح الدين سنة ١٩٥٠ للدفاع عن استقلال مصر أمام هيئة الأمم كان محمود أبو الفتح أحد أعضاء الوفد وقد أشاد الدكتور صلاح الدين بجهوده فى مناسبات مختلفة فى الاتصال بالصحافة ووفود الدول .

سافر على نفقته الخاصة سنة ١٩٥٠ إلى المغرب حيث أجري المصالحة بين زعماء المغرب ولا يزال زعماء حزب الاستقلال فى البلد الشقيق يتحدثون عن جهوده بالنسبة للدفاع عن الاستقلال ، وخصوصا بالنسبة للمصالحة الوطنية بين الأحزاب .

كان للمصري ٣٥ مكتباً فى دول أوربا وأمريكا وآسيا والبلاد العربية ، وكان اختيار مديري المكاتب يتم على أساسين . الوطنية إذ كان معظمهم من المصريين أو العرب ثم الكفاءة .

كانت تعليمات محمود أبو الفتح لمديرى المكاتب تقطع بضرورة مساعدة المشردين من زعماء الدول الواقعة تحت الأستعمار والدفاع عن هذه الدول .

كان كثير السفر ليشرف بنفسه على تنفيذ هذه التعليمات ، ولا يضيع فرصته فى الدفاع عن مصر أو الشعوب الواقعة تحت ربقة الاستعمار .

قال الكاتب الكبير فكرى أباظة أمام « محكمة الثورة » أن محمود أبو الفتح يعتبر « سفارة متنقله لمصر فى دول العالم ».

كان محمود أبو الفتح أول نقيب لنقابة الصحفيين ، وقد تم انتخابه نقيبا لها مرتين وهو الذى تبرع بمبلغ كبير من المال لبناء دار النقابة .

كلمة أخيرة

ستلاحظون فى الفصل الأول أننى توسعت فى الحديث عن إلغاء النحاس باشا فى أكتوبر ١٩٥١ المعاهدة المصرية البريطانية المعروفة بإسم معاهدة ١٩٣٦ وفى الحديث عن الأعمال الفدائية التى كانت تزداد عنفا على مر الايام والتى استمرت حتى يوم ٢٦ من يناير عام ١٩٥٢ .

وستجدون أننى أطلقت على ما تم فى هذه الفترة إسم « ثورة الشعب المصرى الثانية » وذلك لأكثر من سبب :

أولاً : لأنه لم يحدث قبل ذلك أن قامت حكومة شرعية فى دولة من الدول التى كانت واقعة تحت نير الاستعمار بإلغاء معاهدة تربطها بدولة الاستعمار .

إن إقدام حكومة الوفد على إلغاء المعاهدة المصرية البريطانية هو عمل فريد فى تاريخ مقاومة الاستعمار ، ولذلك كان يجب أن تفاخر مصر بهذا العمل الذى يدل على شجاعة منقطعة النظير وعلى وطنية أصيلة خصوصا وأن الحكومة لم تعلن الالغاء كمجرد كلام وخطبة حماسية بل ألغت المعاهدة وحاصرت بإجراءات متوالية قوات الاحتلال ، إذ منعت تموينها من مصر ، وحرضت العمال المصريين على ترك العمل داخل المعسكرات ، وعينتهم جميعا فى وظائف حكومية ، ولم تكتف بالسكوت على قيام الحركات الفدائية بل

ساعدتها بالأسلحة وبالخطب والمواقف الحازمة فى وجه القيادة البريطانية وفى وجه الحكومة الإنجليزية .

ثانيا : لأن ثورة سنة ١٩١٩ كان طابعها الغالب سياسياً ، أما ثورة أكتوبر عام ١٩٥١ فكان طابعها الغالب فدائياً . ولأول مرة فى تاريخ محاربة الاستعمار ، تتكون كتائب الفدائيين لتقوم بعمليات قتل لجنود وضباط المستعمر وتنسف له المعسكرات ومخازن المياه وتقطع عنه وسائل الاتصال ، ولا تحاول الحكومة القائمة منع هذه الهجمات التى كانت تتوالى يوما بعد يوم بل على العكس من ذلك كانت تلقى التشجيع والتسليح الحكومى .

ثالثاً : لأول مرة فى تاريخ حركات التحرر يشترك رئيس الحكومة وجميع رؤساء الأحزاب المعارضة فى أكبر مظاهرة وطنية ضد المستعمر . فالجنازة الصامتة التى خرجت يوم ١٤ من نوفمبر تعتبر قمة فى التضامن الوطنى بين كل رجال السياسة وكل رجال الدين الإسلامى والمسيحى وكل الهيئات والنقابات ، وقد تحقق هذا التضامن وقوات الاحتلال موجودة داخل أرض الوطن .

رابعاً : للمقاومة الباسلة لسكان المدن القريبة من المعسكرات البريطانية ومن ضباط وجنود البوليس ومن العمال المصريين الذين بذلت قوات الاحتلال كل وسائل الإغراء المادية ومضاعفة المرتبات ليستمروا فى عملهم فغادروا بالإجماع المعسكرات ضاربين أروع مثل فى التضحية والفداء .

خامسا : لأنها لم تكن ثورة جعجعة وخطب ووعود كاذبة بل كانت ثورة وطنية وعزم وإصرار وجرأة وفداء .

والأسباب أكثر من أن تذكر ، ومن حق غالبية المصريين الذين لم يعايشوا هذه الثورة الوطنية أن يطّلعوا على صفحة من أعظم الصفحات الوطنية فى تاريخ مصر ... وهى صفحة تكاتفت على إخفائها حركة الجيش ، لأنها كانت صفحة حافلة بالأعمال الصادقة وليس بالوعود الكلامية ، ولأنها صفحة إذا ما تم إجراء مقارنة لها بما تعرضت له مصر بعد ذلك ، لشع نور الوطنية منها يبهر الأبصار ويخزى الزعامات الكلامية ويكشف خداعها ويبدد آثار عمليات غسل العقول التى ارتكبها عملاء الدكتاتورية .

هناك قول شائع حتى بين المتنورين من كتاب مصر : أن الشعب المصرى هو شعب الخنوع لأى حاكم ؛ وأنه منذ أقدم العصور كان عبدا ذليلا لكل من ركب كرسى الحكم ... وهذا اتهام ليس فقط بشعا بل هو اتهام يقتل الروح الوطنية لدي الشباب الذى حجبوا عنه الحقائق ، فثورة ١٩١٩ لم تكن لتشتد لو لم يؤيدها المصريون ... وهى الثورة الوحيدة فى دولة من دول العالم التى لم يستطع الاستعمار أن يؤلب فيها الأقلية على الغالبية من الشعب ، فقد كان التضامن بين المسلمين والأقباط وجها مضيئاً للوطنية المصرية .

ثم كفاح المصريين طوال عشرات السنين من أجل الحرية والاستقلال ووحدة مصر والسودان ، هذا الكفاح الذى إستشهد فيه شباب من الجامعات ، واشترك فيه العمال وغير العمال واستمر حتى يوم ٢٣ من يولية عام ١٩٥٢ ... ألم تكن حركة الجيش ثمرة لهذا الكفاح الشعبى أم أنها سقطت بالمظلات على مصر ؟ .

ثم كفاح شعب بور سعيد بعد الاعتداء الثلاثى الإجرامى ؟!

إن الشعب قد خمدت وطنيته لأنه تعرض لما تعرض له من أزمات وخيبه أمل وإحباط نتيجة انتشار النفاق والمنافقين ..

كفى ظلما للمصريين ... فإنه يوم تتوفر للمصريين من يشعل لديهم شعلة الوطنية فسوف ينهض الشعب المصرى بكل الحماس للذود عن مصر ...

الجزء الأول

الفصل الأول

فكرة الاستيلاء على القاهرة

« إننا وضعنا الخطة للاستيلاء على مدينة القاهرة ووضع اليد على فاروق » : قالها جمال عبد الناصر ثم نظر إلى زميله الصاغ/ثروت عكاشة ثم أضاف : « والخطة محكمة وقد حضرنا لك لنستطلع رأيك السياسى ، فإن قلت نعم نفذناها وإن قلت لا عدلنا عنها » . وصمت جمال لحظة فلما لم أتكلم إستأنف كلامه قائلا : « إن الخطة من الناحية العسكرية مضمونة ، ولكن العواقب من الناحية السياسية تركنا تقديرها لك ، فإن كنت ترى أنها هى الأخرى مضمونة ستنفذها فوراً » . ونظر مرة أخرى إلى الصاغ/عكاشه ، وكانت الزيارة مفاجأة لى ، وكان السؤال مفاجأة أكبر ، ذلك لأن جمال عبد الناصر الذى ترجع معرفتى له فى ذلك الحين إلى أكثر من خمس سنوات لم يقم فى يوم من الأيام بزيارتى فى منزلى ، بل إن جميع المقابلات التى تمت بيننا كانت تتم بمكتبى برئاسة تحرير جريدة المصرى ، يضاف إلى ذلك أننى كنت أعرف أن جمال عبد الناصر يترأس جماعة من الضباط كانت تُسمى نفسها بالضباط الأحرار وكان الصاغ ثروت عكاشة أحد هؤلاء الضباط الأحرار ، وهو فى نفس الوقت من أصدق الأصدقاء لى ونسيبى . وبهاتين الصفتين تم تعارفى على جمال عبد الناصر عندما كان ضابطاً صغيراً برتبة يوزباشى فى الجيش المصرى ، وكان جمال كما سبق أن أخبرنى عكاشة هو الذى طلب التعرف علىّ بعد قراءة مقالاتى السياسية التى كنت أنشرها بين الحين والآخر فى جريدة المصرى أهاجم بها مفاوضات صدقى باشا مع الإنجليز حول مستقبل القوات البريطانية فى منطقة القنال ، ومنذ هذا التعرف كان عبد الناصر يتردد على مكتبى بالجريدة مرة كل بضعة أشهر ، ولكن لم يسبق له أن زارنى فى منزلى إلا هذه المرة ، حيث اتصل بى عكاشة وأخبرنى أن أنتظره فى المنزل حيث سيمر على فى الساعة الرابعة ، وفى الميعاد حضر وبصحبته عبد الناصر الذى استهل الزيارة بهذه المفاجأة الكبرى . وكانت الزيارة فى يوم ٣٠ من شهر يناير سنة ١٩٥٢ أى بعد حريق القاهرة ببضعة أيام .

وكان سؤال عبد الناصر لى كما قلت مفاجأة كبرى لأنى حتى ذلك الحين كنت أعلم

بجماعة الضباط الأحرار وبمنشوراتها السرية التى كانت تنقد فيها نظام الجيش وسوء تسليحه ، والتى تدرجت بعد ذلك من التحدث عن شئون الجيش الصرفة إلى التنديد بسياسة فاروق والحكومات وخصوصا الحكومات غير الدستورية التى كان يفرضها فاروق فرضاً ضد إرادة الشعب . كنت أعرف أن جماعة الضباط الأحرار قد قويت فى الشهور الأخيرة واشتد ساعدها وأن تنظيمها قد امتد فشمل ضباطاً من الشبان فى كافة أسلحة الجيش المصرى ولكنى مع ذلك لم أكن أتوقع أن تفكر هذه الجماعة فى قلب نظام الحكم .

تريثت قليلا قبل أن أتحدث ثم قلت لجمال « لا » .

ويبدو أن عبد الناصر لم يفاجأ بهذا الجواب بل أطرق إلى الأرض لحظة كعادته ، وبدل أن يناقشنى هذا الرفض الذى اقتصر على كلمة واحدة راح يشرح خطة الجيش أو خطة الضباط الأحرار فقال : « إن القاهرة كما تعرف تخضع منذ السابعة مساءً حتى الفجر لنظام منع التجول الذى يشرف عليه جنود من الجيش ، وترتيبنا ينحصر فى أن يخرج بضعة ضباط بملابسهم الرسمية فيعطون أوامر معينة للجنود فى الشوارع ، والجنود سيطيعون بطبيعة الحال أوامر الضباط وعندئذ يخرج فريق آخر من الضباط بأسلحتهم وينفذون خطة احتلال مرافق القاهرة واعتقال الملك فاروق ، والخطة كما ترى سهلة ومضمونة ويمكن بذلك الاستيلاء على جميع مراكز القاهرة والقبض على رئيس الوزراء والوزراء وعلى فاروق » ثم سكت لحظة وأطرق إلى الأرض وقال : « إنى لا أريد أن أشغلك بالتفاصيل الكاملة للخطة من الناحية العسكرية ، وأعتقد أن ما ذكرته لك يعطيك فكرة عن الخطة ، والذى أستطيع تأكيده لك هو أن الخطة من الناحية العسكرية مضمونة النجاح ، ونحن نريد إستطلاع رأيك من الناحية السياسية فإذا كنت لا توافق فإننا كما سبق أن أخبرتك لن ننفذها » .

وقلت لعبد الناصر إنى أرى أن الخطة معقولة وأنها من الناحية العسكرية تكاد تكون مضمونة النجاح ، ولكنى رغم ذلك أرى أن الظروف السياسية التى تجتازها مصر الآن لا تحتمل بأى حال من الأحوال تنفيذ هذه الخطة . ثم استطردت قائلا : إنك تعرف أن إلغاء المعاهدة المصرية البريطانية فى شهر أكتوبر الماضى من جانب وزارة الوفد ، ذلك

الإلغاء الذى جاء من جانب مصر وحدها قد أثار غضب بريطانيا ، وأنك تعرف أن حكومة الوفد بعد أن ألغت المعاهدة على هذه الصورة المفاجئة لم تكتف بهذا الإجراء العنيف بل تبعته بسلسلة من الإجراءات الأخرى ، فأمرت جميع العمال المصريين فى المعسكرات البريطانية بترك أعمالهم مما أدى إلى انسحاب ٣٧ ألف عامل من تلك المعسكرات البريطانية ثم أمرت بمنع تموين القوات البريطانية بالمواد الغذائية ، وأباحت حمل السلاح لمن يرغب من المصريين للقيام بغارات فدائية على المعسكرات ، وأمدت الشباب بالسلاح وجندت الإذاعة لشن الحملات العنيفة على انجلترا ، ولعبت الصحافة الوطنية دوراً خطيراً فى تشجيع الغارات على القوات البريطانية داخل المعسكرات ؛ وأنت تعرف كل ذلك وتعرف أيضاً أن القوات الإنجليزية قد اضطرت إلى خوض معركة حربية إستعملت فيها الدبابات والمدافع ضد بعض قوات البوليس فى الإسماعيلية ، تلك المعركة التى أذهلت العالم الذى ما كان ليتصور أن تعلن بريطانيا الحرب وتأمر قواتها المسلحة بمهاجمة بضعة جنود بوليس بالدبابات والمدافع ، وتعلم ثورة الشعب المصرى على هذه المعركة التى صمدت فيها قوات البوليس ببسالة نادرة حتى آخر طلقة تملكها ، وكيف وقعت حوادث غامضة وترتيبات مجهولة فى صبيحة اليوم التالى أدت إلى حرق مدينة القاهرة » .

وسكت لحظة ثم استأنفت كلامى : « لقد أحرقت القاهرة يوم السبت ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ وأعلنت الأحكام العرفية فى اليوم التالى ومنع التجول من غروب الشمس حتى شروقها ، وإنك لتذكر أنه فى نفس تلك الليلة أقال الملك فاروق حكومة الوفد وأمر على ماهر باشا بتأليف الوزارة الجديدة إعصاب الإنجليز مرهقة ولم تعد تتحمل أية مفاجأة جديدة لكل هذه الأسباب أخشى إن قام انقلاب فى القاهرة الآن ، أن يفلت الزمام فتزحف القوات البريطانية لتحتل القاهرة ويضطر الجيش إلى اعتراض سبيلها ولا شك أنه لن يستطيع منع الزحف ، فيفشل الانقلاب وينهار الجيش المصرى ويعود الإنجليز إلى احتلال القاهرة فتسوء الحالة ونجد أنفسنا مضطرين لإخراج الإنجليز من القاهرة والقنال معاً . لكل هذا فإنى لا أرى الوقت مناسباً للقيام بالانقلاب الآن »

كان جمال طوال حديثى مطرقاً إلى الأرض ، فما أن انتهيت من شرحى لوجهة

نظرى رفع بصره بسرعة وتبادل النظرات مع عكاشة وكأنه يريد أن يقرأ على ملامحه أثر ما أدليت به من آراء ، وبعد لحظة سأل زميله « ما هو رأيك ياثروت » فرد الآخر على الفور : « أعتقد أن ما قاله صحيح ومقنع » .

فحول جمال بصره نحوى وقال فى هدوء ودون أى انفعال :

ــ وأنا أعتقد ذلك أيضاً .

وسكت لحظة ثم قال :

ــ إذن فلنؤجل تنفيذ الخطة .

وأطرق إلى الأرض مرة أخرى وكأنه يستلهم منها أفكاره ؛ وخيم علينا الصمت ثم عاد يقول فى هدوء :

ــ وما رأيك فى الإغتيالات ؟..

وأدهشنى السؤال فرددت فى سرعة وفى شىء من الاستنكار ؛

ــ إغتيالات ؟ ...

فقال عبد الناصر فى هدوئه الذى لا يفارقه

ــ نعم اغتيالات ... إغتيال بعض حاشية فاروق ... حافظ عفيفى ... رئيس الديوان ؟...

فقلت بسرعة وباستنكار أيضاً :

ــ لا ، لا ... إنى لا أوافق أبداً على الاغتيال ...

فقال :

ــ ولا حتى كريم ثابت مستشار فاروق الصحفى ؟ ...

فقلت بنفس السرعة

ــ لا ، لا ... أبدا إنى لا أوافق على مبدأ الاغتيال ... إنى لا أحب أن تتلوث يدى بدم أحد ... وإنى لا أرى الاغتيال وسيلة من وسائل الكفاح السياسى ...

وهنا سكت وهبّ من مجلسه يصافحني مودعا وهو يقول :
ـ إذن لا انقلاب الآن ... ولا اغتيالات ...
وابتسم إبتسامة غامضة ... إبتسامة لم أفهم منها إن كان قد اقتنع برأيي أم لم يقتنع ... ثم انصرف هو وزميله .

ومكثت في الحجرة وحدي مدة ليست بالقصيرة ورحت أستعرض ما دار بيننا من حديث وتلك الظروف التي كانت تجتازها مصر في تلك الآونة .

لقد كانت الظروف التي نعيش فيها مظلمة قاتمة ، كل شيء أسود ، كل شيء يحمل رائحة الرماد الذي خلفه حريق القاهرة .. كل شيء في لون الرماد ، لم يكن هناك أي أمل في الخروج من هذه الظروف الحالكة المظلمة ، وكانت سكنى القاهرة ترهق الأعصاب بل تحرقها حرقا ، فشوارع قلب القاهرة تلك الشوارع التي كانت حافلة بأجمل المحال التجارية ذات الواجهات البلورية الكبيرة التي تحوي كل ما أنتج العالم من بديع الصنع ــ قد تحولت إلى أنقاض وخرائب سوداء تقبض النفس ، وكانت القاهرة إذا ما أقبل عليها الليل يخيم عليها السكون ، ويختفي الناس من شوارعها وميادينها ، وتخفت الأضواء وينعدم صوت عربات النقل والسيارات ، فتبدو كئيبة حزينة ، وذلك لأن الحكومة كانت قد فرضت حظر التجول ليلا . وكانت الحكومة قد استصدرت للصحفيين والأطباء تصريحات تتيح لهم فرصة التجول ليلا ، ومع ذلك فقد كنت أنفر من التجول في الطرقات وأتحاشاه لما كان ينتابني من شعور كلما خرجت إلى شوارع القاهرة فوجدتها خاوية إلا من أصوات الجند حين يستوقفون السيارة فيصرخون صرختهم التقليدية « قف من أنت » ... كان ينتابني شعور بالألم والحزن إذ أرى القاهرة الجميلة التي كانت تحفل بالحياة والحركة قد تحولت إلى مدينة يخيم عليها سكون الموت .

وكنت أحياناً ، وأنا ذاهب إلى مكتبي أو عائد منه ، أرى الناس وقد وقفوا ينظرون من النوافذ فأتخيل أنها تحولت إلى قضبان كقضبان السجون .. وكنت أنظر إلى الناس وأتصور أنهم مساجين ... وكنت في كثير من الأحيان لا أتحمل هذا المنظر وما ينطوي عليه من معان أليمة .. ها هي القاهرة ... تتحول كل مساء إلى سجن كبير ..

بل يتحول كل إنسان فيها إلى سجين وكل منزل من منازلها إلى سجن .

وكان مما يزيد النفس حزناً وغماً أن الكفاح الذى خاضته مصر ضد القوات البريطانيه التى تحتل أرض الوطن قد توقف نهائيا ... وأن المؤامرات كانت تلعب أدواراً خطيرة للحيلولة دون تمكن أية حكومة من الحكومات التى تتعاقب على حكم مصر من الوصول إلى اتفاق مع بريطانيا العظمى على جلاء قواتها عن أرض الوطن .

يضاف إلى كل ذلك أن الرقابة قد فرضت على الصحف فأصبح من الصعب أن يعبر الكاتب عما يريد من آراء حرة ، وأصدرت الحكومة عدة قرارات استثنائية إستنادا إلى سلطة الأحكام العرفية ، وأمرت باعتقال عدد من الشبان دون إجراء أى تحقيق معهم .

كانت الحياة مزيرة وليس من أمل فى التخلص من هذه المصائب إلا بثورة ، ثورة تحطم كل القيود التى تفرضها حكومات الأقلية التى يعينها فاروق ضد إرادة الشعب ، نعم كان لابد من ثورة لتحطيم هذه القيود وتخليص الشعب من القوانين الاستثنائية .

جلست فى الحجرة وحدى أفكر فى كل هذه الأمور وانتهى بى الأمر إلى أنه ما من سبيل إلى تخليص المصريين مما هم فيه إلا عن طريق الثورة ، وعندئـذ قلت لنفسى (ثورة .. ولكن ألم يعرض عليك عبد الناصر منذ وقت قريب القيام بثورة فوقفت فى وجهه وقلت له لا ؟) ...

ورحت أسأل نفسى عشرات المرات (هل وقوفك اليوم فى وجه هذه الثورة خيانة لمصر ؟) ... وإذ لم أنته إلى جواب أسأل نفسى سؤالا آخر : (إذا لم تقم الثورة فكيف يمكن لمصر أن تتخلص من هذه القيود) ؟ ...

مكثت أردد السؤالين الواحـد تلو الآخر دون أن أنتهى إلى نتيجـة ، وكان من الطبيعى ألا أنتهى إلى نتيجة ذلك لأن الظروف كانت كلها تجمع على أنه لا خلاص من هذه القيود ولا خلاص للشعب المصرى من هذا الحرمان (حرمان من كافة حقوقـه السياسية) إلا بثورة ولكن الوقت الحاضر لم يكن بأى حال من الأحوال مناسباً لمثل هذه الثورة .

لقد كان للملك فاروق يعارض الوفد ويكرهه ، لقد كان الوفد أقوى الأحزاب المصرية ، كان الحزب الذى قام فى سنة ١٩١٩ ليقف فى وجه الاستعمار البريطانى يعلن

عليه الثورة لإنقاذ مصر من أنيابه . وظل الوفد حتى ذلك الحين حزب الغالبية العظمى بالرغم من خروج الكثيرين من أعضائه القدامى عليه وتشكيل أحزاب مناوئة له . وكان الملك فاروق لا يستريح لتولى الوفد حكم مصر ذلك لأنه كان يعارض توسيع سلطات الملك . وكان كلما ضغطت الأحداث على فاروق واضطرته إلى إجراء انتخابات سليمة جاء الوفد بأغلبية كبيرة ، وكان كلما سنحت الفرصة للملك فاروق ليقيل وزارة الوفد أقالها ، ذلك لأن الدستور المصرى كان يعطى الملك سلطة إقالة الوزارات وحل البرلمان ، وقد استعمل فاروق هذه السلطة ضد كل حكومة شكلها حزب الوفد .

وحدث أن اضطرت الظروف الملك فاروق إلى إجراء انتخابات حرة أتى الوفد على أثرها إلى الحكم سنة ١٩٥٠ ، ففرح الشعب بانتصار إرادته فرحا كبيراً ، واستأنفت حكومة الوفد حينئذ المفاوضات مع ممثلى بريطانيا ، وتعثرت المفاوضات عدة مرات لإصرار الانجليز على قيام نظام من الدفاع المشترك بين مصر وبريطانيا يعطى للقوات البريطانية حق العودة إلى مصر فى حالة قيام حرب فعلية .

وكان الشعب المصرى قد ضاق ذرعا باحتلال الإنجليز وأصبح لا يقبل بأى شكل من الأشكال أن تعقد مصر مع بريطانيا أية معاهدة تتيح للقوات البريطانية العودة إلى أرض الوطن ، لقد كان الاعتقاد الشعبى أن على الإنجليز أن يخرجوا من مصر ولا يمنحوا أية فرصة للعودة إلى مصر مرة أخرى . وحاول السفير الأمريكى أن يتدخل متوسطا لتقبل الحكومة شرط الدفاع المشترك ولكن كل هذه المساعى والوساطات قد باءت بالفشل .

أجمع الشعب المصرى على وجوب اقتصار المعاهدة الجديدة على تنظيم جلاء القوات البريطانية لا أكثر من ذلك ، إذ أن المصريين لم يكونوا مستعدين أن يرتبطوا بأى ارتباط مع بريطانيا ، وحاول الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير خارجية الوفد حينئذ — أن يقنع المستر بيفن بذلك فى نيويورك سنة ١٩٥٠ أثناء اجتماعات الأمم المتحدة ، ولكن المستر بيفن لم يقتنع بالأمر وأصر على ضرورة النص على نظام للدفاع المشترك بين مصر وبريطانيا .

وكان كلما تعثرت المفاوضات بين الجانبين ووضح للمصريين أن الإنجليز يصرون على الدفاع المشترك هب طلبة الجامعة والمدارس من جميع أنحاء القطر يطالبون بقطع المفاوضات وإباحة التطوع لمقاتلة الإنجليز المعسكرين في منطقة قناة السويس، وقدساعدت الصحافة في ذلك الحين على تأجيج نار الغضب ضد القوات البريطانية .

وسط هذه الظروف والملابسات دعت الحكومة البرلمان إلى جلسة استثنائية، وكان ذلك في الجزء الأخير من صيف سنة ١٩٥١ ، وعاشت مصر بأسرها تنتظر عقد هذه الجلسة وعلامات الاستفهام تملأ كل مكان ! ما هو الغرض من دعوة البرلمان بصفة استثنائية ؟... ما هو السبب الذى دعا النحاس باشا رئيس الحكومة لطلب عقد هذه الجلسة ؟.. عشرات بل مئات الأسئلة فى كل مكان ، فى المنازل ، فى المقاهى ، فى المنتديات ، فى المدن ، الريف ، كانت مصر كلها عبارة عن علامة استفهام كبرى .

ثورة الشعب المصرى الثانية

وتذكرت يوم ٨ من أكتوبر عام ١٩٥١ حين وقف الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا على منصة مجلس النواب ، وقد احتشدت القاعة بالنواب والشيوخ الذين حضروا ليستمعوا للبيان الذى سيلقيه رئيس الحكومة .

تحدث النحاس باشا شارحا تفاصيل المفاوضات التى أجرتها حكومته مع الجانب البريطانى لتحقيق الجلاء عن مصر وتوحيد شطرى الوادى (مصر والسودان) تحت التاج الملكى إلى أن قال : « حضرات الشيوخ والنواب المحترمين : لقد انقضى وقت الكلام وجاء وقت العمل ؛ العمل الدائب المنتج الذى لا يعرف ضجيجا أو صخباً بل يقوم على التدبير والتنظيم وتوحيد الصفوف لمواجهة جميع الاحتمالات وتذليل كل العقبات وإقامة الدليل على أن شعب مصر والسودان ليس هو الشعب الذى يكره على مالا يرضاه أو يسكت عن حقه فى الحياة » .

« أما الخطوات العملية التالية فستقفون على كل خطوة منها فى حينها القريب ، وإنى لعلى يقين من أن هذه الأمة الخالدة ستعرف كيف ترتفع إلى مستوى الموقف الخطير

الذى تواجهه متذرعة له بالصبر والإيمان والكفاح وبذل أكرم التضحيات فى سبيل مطلبها الأسمى » .

« يا حضرات الشيوخ والنواب المحترمين : من أجل مصر وقعت المعاهدة سنة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها »

وتذكرت كيف زلزل إلغاء المعاهدة كيان بريطانيا ، فقد اجتمع فى اليوم التالى هربرت موريسون وزير خارجية بريطانيا بكل مستشارى الوزارة وحضر الاجتماع الجنرال بريان روبر تسون قائد القوات البرية فى الشرق الأوسط وأصدر الوزير بيانا رسميا يحتج فيه على إلغاء المعاهدة .

وأعلن الجنرال روبرتسون أنه سيطير إلى القاعدة البريطانية فى القنال .

وفى مصر طلب السفير البريطانى من القواد البريطانيين لجيش الاحتلال الاجتماع به فى نفس اليوم فى الإسكندرية ، واستمر الاجتماع حتى منتصف الليل .

وألغت الحكومة البريطانية الإجازات لجميع قوات جيش الاحتلال . وفى الخرطوم طافت دبابات الجيش البريطانى فى الشوارع لإرهاب السودانيين فقابلوها بالهتافات بسقوط الاحتلال .

وفى اليوم التالى أدلى الدكتور/محمد صلاح الدين بحديث للصحفى الأمريكى تشارلس فولتر مندوب مجلة (نيوز آندورلد ريبورت) الأمريكية قال فيه :

● لن ندخل فى مفاوضات أخرى مع بريطانيا لأن ذلك معناه تأجيل الجلاء .

● مصر لن تفكر فى الاشتراك فى أية منظمة للدفاع الآن وموقفها هو العمل على إجلاء قوات الاحتلال من القنال والسودان .

● لا يعنينا العدوان (المُتخيل) من جانب روسيا بقدر ما يعنينا احتلال الانجليز لأراضينا .

● من صميم حقوق مصر الشرعية (تجويع) البريطانيين المرابطين فى منطقة القناة .

● لا تعامل مع الغرب إلا إذا تغيرت سياسته نحو إسرائيل .

● تصرفات أمريكا معنا لا تجعلنا نؤمن بأنها بطلة الديموقراطية .

وفى يوم ١٠ من أكتوبر حمل المستردين أتشسون وزير الخارجية الأمريكية حملة شديدة على مصر بسبب إلغاء المعاهدة وذلك فى مؤتمر صحفى .

الثورةالثانية بعد ثورة ١٩١٩ .

وتذكرت تجمع عشرات من الشباب فى حديقة المصرى مطالبين بالحصول على أسلحة كى يقوموا بعمليات فدائية ضد القوات البريطانية فى معسكراتها بمنطقة القصاصين واجتماع المرحوم الأستاذ عبد الوهاب حسين مع فؤاد سراج الدين باشا للتباحث فى أمر الحصول على أسلحة من الحكومة لتسليح الفدائيين ، وقد وعد فؤاد باشا بالاستجابة إلى كل الطلبات .

ولم تمر ٢٤ ساعة إلا وكانت الأسلحة تأتى سراً إلى مبنى جريدة المصرى ، وكنا نخزنها فى حجراتنا بقسم التحرير ونسلم منها كل يوم ما يحتاجه الفدائيون .

وكيف وافق فؤاد باشا على منح ضابط البوليس بهاء الدين عمر خالد إجازة مفتوحة ليسافر إلى منطقة المعسكرات لأن القوات البريطانية كانت قد أحاطت المعسكرات بكشافات تدور لتكشف مواقع الفدائيين المرابطين حولها والذين يقومون بإلقاء القنابل وإطلاق الرصاص .

الضابط بهاء كان الأول فى التصويب وإصابة الهدف بالبندقية على بعد وقد طلب أن يسافر إلى المنطقة العسكرية البريطانية بعد أن علم بأمر الكشافات وتعريضها الشباب من الفدائيين للقتل .

كان بهاء ينام على الأرض موجهاً بندقيته صوب الكشاف وأثناء استدارته لمواجهته يطلق الرصاصة فتفجره ثم ينتقل بعد ذلك إلى الكشاف الآخر .

وكان النائب الوفدى حسين فهمى بك يفتح منزله فى القصاصين للفدائيين رغم قربه من المعسكرات البريطانية وكان يقدم لهم الغذاء والذخيرة وكان النائب الوفدى عبد الحميد صادق يقوم بنفس المهمة الوطنية فى الاسماعيلية .

وكان النائب الوفدى رفيق الطرزى يساهم برجاله فى المعارك ضد قوات الاحتلال .

وضاق الانجليز بتسلل الفدائيين إلى داخل المعسكرات بعد قطع الأسوار الشائكة ووضع قنابل ثم الانسحاب فبثوا ألغاما حول المعسكرات ، وانفجرت ألغام فى أكثر من فدائى حاول دخول المعسكرات . وتفتقت الحيلة عن إحضار كلاب كبيرة وغليظة وتجويعها طوال النهار ثم إصطحابها إلى حيث توجد المعسكرات ، ويطلق الفدائيون الكلب ويقذفون له قطعة من اللحم فى اتجاه المعسكر فإذا ذهب وأكلها إطمأن الفدائى إلى خلو الممر الذى مر عليه الكلب من الألغام ، فيتقدم عليه ثم يلقى قطعة لحم أخرى للكلب وهكذا تتم العملية ليعرف الفدائى طريقه نحو المعسكر ، ويقوم بالتسرب إلى الداخل ليضع المفرقعات .

وتذكرت شيخ مسجد الكخيا بالقاهرة ، وكيف كان بعد كل صلاة يحض الحاضرين على الفداء ويجمع المال لتمويل سفر وغذاء الفدائيين ، ويحضر إلى مكتبى بالجريدة ليسلمنى ما جمع .

وتذكرت صبيا إسمه عصام كان يحضر إلى دار المصرى طالباً أن يسافر مع الشباب الفدائى ، فنصحناه بأن سنه لا يسمح لنا بالموافقة على ذلك فإذا بمندوب المصرى الذى كان يصاحب الفدائيين إلى القطار لييسر لهم مهمة السفر والحصول على تذاكر القطارات يضبطه فى اليوم التالى مختبئا فى القطار فيتكاتف مع بعض الشباب على إنزاله وتسليمه بعد ذلك لوالده ؛ وقد حاول ثلاث مرات السفر مختفيا فى القطار .

وتذكرت ثروت عكاشة وهو يُحضر لى ليلا أسلحة وقنابل ومواد مفرقعة ، كما كان يخبرنى بأن مجموعة من الجيش قد اشتركت فى الأعمال الفدائية . وكيف كان الطيار وجيه أباظة وزميله الطيار عبد اللطيف البغدادى يقومان مع آخرين بتسليح فدائيين ، وبقيامهم بعمل لغم بحرى وعزمهم وضعه فى قناة السويس لينفجر فى سفينة بريطانية تسد المرور فى القناة ، وإبلاغ سراج الدين باشا بالأمر والاتفاق معه على الترتيبات لإيصال اللغم إلى الإسماعيلية ، وقد أصدر تعليماته لإدارة السكك لنقل اللغم .

وتذكرت اجتماعا دعانى إليه مصطفى بك الشوربجى من زعماء الحزب الوطنى الذى كان قد أسسه الزعيمان الكبيران مصطفى كامل باشا ومحمد بك فريد ... ؛

حضر الاجتماع الأساتذة عبد الوهاب حسني وعبد العزيز الشوربجي وأحمد حسين والفريق عزيز باشا المصرى .

وكان الغرض من عقد الاجتماع هو بحث الوسائل والعمليات لتقوية حركة الفدائيين ، ولفت اهتمام العالم بالثورة المصرية التى بدأت بعد إلغاء المعاهدة .

وفوجئنا جميعا عندما اقترح الفريق/عزيز المصرى باشا بأن يضع فدائى يسافر إلى لندن عبوة ناسفة فى مجلس العموم البريطانى ، ويسافر فدائى آخر إلى واشنطون ويضع عبوة مماثلة فى مجلس الشيوخ الأمريكى ، ولا يحاول أى واحد من الإثنين الهرب بل يتم القبض على كل واحد منهما ، ويعلنان أنهما من مصر ويريدان الانتقام من الإنجليز الذين يرفضون الجلاء ومن الأمريكيين الذين ينحازون للإنجليز ضد المطالب الشرعية الوطنية لمصر .

وتذكرت ضابط البوليس عبد الغنى توفيق الذى قام بحراسة إجتماع سرى دعا إليه زعماء العمال الذين يعملون فى المعسكرات البريطانية ، وحضر الاجتماع الذى انعقد فى فايد عدد كبير من العمال ، وتبارى الخطباء فى ضرورة ترك الخدمة بالمعسكرات ، فأخذ الحماس الضابط فألقى فى العمال كلمة مليئة بالحماس والتقدير لموقفهم النبيل ، وقد انتهى الاجتماع ببيان قال فيه العمال : نحن بانتظار أوامر الحكومة للإنسحاب من المعسكرات إنسحابا جماعيا .

وفى الحال كتبت مقالا تحت عنوان (طريق الحرية) تحية للعمال المصريين وطالبت بضرورة اتخاذ الحكومة القرار بانسحابهم وعمل الترتيب لتعيينهم جميعا فور ترك المعسكرات .

وبدأت المناورات الاستعمارية .. إذ طلب سفراء انجلترا وفرنسا وأمريكا وتركيا مقابلة وزير الخارجية صلاح الدين باشا ، فقابلهم وصرح أنه استقبلهم وفقا للقواعد الدبلوماسية وأنه يرفض كل مقترحات للتفاوض فقد ألغى النحاس باشا المعاهدة وانتهى زمن التفاوض .

وطبعا كانت المقترحات التى اشتملت عليها المذكرة البريطانية مرفوضة ، فهى

تقترح بين بنودها اشتراك دول الشرق الأوسط مع بريطانيا وفرنسا وتركيا فى (منظمة عسكرية للشرق الأوسط) والغريب أن تطلب أمريكا إشراك إسرائيل فى هذه المنظمة !!

وفى هذه الأثناء صرح مصطفى نصرت باشا بأن مصانع الأسلحة فى مصر ستستعين بالخبراء السويديين لأن السويد دولة محايدة .

وعلق مراسل جريدة (نيويورك تيمس) على موقف مصر من مقترحات الدول الأربعة التى تضمنتها المذكرة التى قدمها السفير البريطانى لوزير الخارجية بقوله : الشعور الوطنى أصبح من القوة بحيث لا يمكن قبول بحث هذه المذكرة إلا بعد جلاء القوات البريطانية .

وأعلن مجلس الوزراء رفض المقترحات شكلا وموضوعا كما اتخذ المجلس يوم ١٤ من أكتوبر قرارا بالقبض على أى عسكرى بريطانى يظهر فى المدن المصرية .

حرّمت الحكومة استخدام ميناءى السويس وبورسعيد للسفن التى تحمل أغذية للقوات البريطانية .

التضييق الحكومى

وفى يوم ١٦ من أكتوبر أصدر عبد المجيد عبد الحق باشا وزير المواصلات بالنيابة القرارات التالية :

- عزل القوات البريطانية فى معسكراتها بالقنال .
- قطع الاتصال التليفونى والبرقى وإغلاق الطرق والكبارى .
- منع مرور الطائرات البريطانية فوق الأراضى المصرية بدون ترخيص سابق .
- حرمان القوات البريطانية من الإعفاء الجمركى .
- طرد الخبراء البريطانيين من الوزارة .

وفى ذلك اليوم حاول ضباط إنجليز تحدى قرارات الحكومة بعدم السماح لهم بالخروج من المعسكرات فخرج بعض الضباط والجنود بسيارات فى مدينتى بورسعيد

والإسماعيلية فتصدى لهم الأهالى واشتبكوا معهم بالسكاكين والعصى فى معارك حا،
وتوفى سبعة من المصريين فى هذه المعارك ؛ وأصيب عدد من العسكريين الإنجليز وتو
ضابط منهم .

وفى اليوم التالى طاش صواب القيادة البريطانية فخرجت الدبابات والمصفحا
الإنجليزية واحتلت الجمارك والتليفونات والسكة الحديد فى بورسعيد والسويس وأطا
ضابط إنجليزى النار على طفل وهو يهتف (تحيا مصر) وأصاب رصاص البريطانيين
الإسماعيلية سيدتين ؛

ونشر المصرى صورة أول شهيد مصرى فى ثورة أكتوبر الوطنية وهو الجندى
كامل عبد الحليم الجندى ، كما نشر أسماء ستة شهداء فى مدينة الإسماعيلية وخمسة فى
بورسعيد ثلاثة منهم عمر كل واحد منهم ١١ سنة .

وخرجت مظاهرات ضخمة من الطلبة والعمال تجوب شوارع العاصمة تهتف ض
الاستعمار وسقوط بريطانيا وكلما مرت فى شارع انضم إليها الناس .

وألقى النحاس باشا فى مجلس النواب بمناسبة انتهاء الدورة البرلمانية بيانا أعلن فيه
غضبه الجارف على جرائم القوات البريطانية ، وختمه بقوله : الحقوق لا تُمنح ولا تُوهب
ولكن تُؤخذ بالتضامن وإجماع المصريين وتُنال بالجهاد والكفاح .

أم كلثوم تعلن أنها ستتبرع بإيراد حفل يُقام فى النادى الأهلى لأهالى الشهداء
ولكن النحاس باشا يطلب عدم إقامة الحفل حداداً على أرواح الذين استشهدوا دفاعا
عن مصر .

ويوم ١٨ من أكتوبر تم نقل العائلات والتلاميذ الإنجليز من كل بلاد مصر إلى
المعسكرات فى القنال أثناء الليل .

وخلال الأيام الماضية زادت القوات البريطانية من ٣٥ الف ضابط وجندى إلى ٦٥
ألف ؛

وفى ٢١ من أكتوبر قطع الفدائيون أسلاك التليفونات بمحطة الطيران الإنجليزية
وفوجىء الإنجليز فى المعسكرات الواقعة بين الصالحية والإسماعيلية بكتابات مكتوبة

على الجدران كان أكثرها تقول (كتائب التحرير مرت من هنا) ؛

وأغلقت الحكومة وكالة السودان بالقاهرة وأمرت بمغادرة رئيسها الإنجليزى [هيزلدين] مصر وهى الوكالة التى كانت تمنح تأشيرات لدخول السودان .

ووصل خمسة أطفال هم جميل عبد الله وعمره ١٣ سنة وسيد حسن محمد وعمره ١٢ سنة وابراهيم ابراهيم الدسوقى وعمره ١٣ سنة والثلاثة تلاميذ فى مدرسة الزيتون الإبتدائية ؛ ومحمد فاروق طاهر وعمره ١٤ سنة بالسنة الأولى ثانوى ومحمد عبد الحكيم جاد الله وعمره ١٢ سنة مكوجى ... وصل الخمسة إلى الاسماعيلية وقابلوا المحافظ وأخبروه أنهم حضروا مشياً من القاهرة ليتطوعوا مع الفدائيين وطلبوا أن يمكنهم المحافظ من ذلك ولما علموا بأنه سيعيدهم إلى أهاليهم أخذوا يتوسلون ويبكون .

وقد نشر المصرى هذا الخبر فى عدد ٢٢ من أكتوبر عام ١٩٥١ .

وكتب الأستاذ حسين أبو الفتح مقالا بعنوان (منطق القوة) قال فيه : « فيا شعب وادى النيل لقد حان الوقت الذى نفهم فيه الإنجليز كما فهمهم اليهود فقد عركوهم ثم عجنوهم وخبزوهم وأكلوهم وأخذوا منهم ما يريدون . أخرجوهم من فلسطين بعد أن ضربوهم بالسياط والقنابل وأذلوهم ... وهذه هى اللغة التى يفهمها الإنجليز » .

وكثرت الحوادث التى يرتكبها البريطانيون كالاستيلاء على محطة السكة الحديد فى فايد وكتقديم الكولونيل كولفيد إنذاراً لمحافظ السويس بأنه إذا لم يعد العمال المصريون للعمل فى المعسكر الذى يرأسه فإنه سيحاصر المدينة بالدبابات ؛ ولا يعود العمال فيرسل ٢٠ دبابة لحصار المدينة .

وفى السودان انتشرت المظاهرات خصوصا فى الخرطوم بصورة عارمة .

- الأمير فيصل يعلن تأييد المملكة السعودية تأييدا كاملا لمصر .
- البرلمان اللبنانى يصدر قرارا بتأييد مصر .
- الصحافة فى العراق والزعماء الوطنيون يعلنون التضامن مع شعب مصر .
- سوكارنو يعلن فى جاكرتا : أندونيسيا تؤيد مصر فى كفاحها ولقد كانت مصر

أول بلد فى العالم إعترف بنا اعترافا قانونيا فى تلك الأيام الحالكة السواد .

وجه مختار على النشار/صاحب شركة التموين الإنجليزية الأمريكية ، ومرسى العدنى/المتعهد السابق للجيش البريطانى نداءين على صفحات المصرى يعلنان وقف التوريد لأية سلعة للمعسكرات البريطانية ، ويطالبان كل التجار بالامتناع الكامل عن التعامل مع قوات الاحتلال ، وكان التجـار فعلا قـد امتنعت غالبيتهم العـظمى عن التعامل مما إضطر القوات البريطانية إلى استيراد الكثير من المواد الغذائية من خارج مصر . وفى يوم ٢٦ من أكتوبر وصلت بورسعيد سفينة الشحن البريطانية اكستـون وتحمل دقيقا والسفينة مالاباد المحملة بالوقود ورفض العمال المصريون تفريغ الشحنات رغم كل الإجراءات واضطر الجنود الإنجليز إلى القيام بالعملية الشـاقة ، ثم وصلت السفينة اسبابول محملة بالمياه بعد أن قامت محافظة بورسعيد بقطع المياه عن المعسكرات إذ أقسم العمال فى المدينة أن مياه النيل حرام على المستعمرين ...

ويوم ٢٨ من أكتوبر الإسماعيلية تحرم الإنجليز من الخبز .

مجموعة من الشباب تقف عند أول طريق الإسماعيلية لتمنع أية سيارة نقل تنقل أية مواد غذائية للمعسكرات .

تصريحات خطيرة لسراج الدين

يوم ٩ من أكتوبر عقد سراج الدين باشا مؤتمراً صحفياً بوزارة الداخلية قال فيه إن كتائب التحرير التى يرأسها عزيز المصرى باشا هى حركة أهلية وأن من حق كل مصرى أن يحمل السلاح ؛

وحضر المؤتمر صحفيون وأجانب وسألوه هل : ستمتنع الحكومة عن إعطاء تصاريـح لكتائب التحرير لحمل سلاح ؟ فرد فؤاد باشا قائلاً : وهل الذى ينضم لكتائب التحرير سيطلب من الحكومة تصريحا لحمل السلاح ؟!

وسأله صحفى أجنبى : هل تعلم بالتنظيمات التى يرتبها عـزيز بـاشا المصـرى لتكوين فرق كتائب التحرير فأجاب سراج الدين باشا : إن من حق أى مصرى أن يقوم بأى عمل وطنى وفقا لآرائه لتحقيق الأمانى الوطنية .

فسأله الصحفى بعد ذلك : هل يعمل عزيز باشا على إخراج الإنجليز من مصر . فيجيب وزير الداخلية : إن كل مصرى يعمل لذلك بالوسائل التى لا تضر بمصالح البلاد .

فعاد الصحفى يسأله : وهل توافق أن تقوم كتائب التحرير بذلك فقال : نعم

نشرت جريد التيمس البريطانية لمراسلها فى القاهرة أن جريدة المصرى تشعل الحماسة ضد بريطانيا .

● وكانت بعض الصحف البريطانية قد نشرت أجزاء من الأخبار والتعليقات التى تنشرها المصرى من بينها بعض ما جاء فى مقال نشره المصرى تحت عنوان (مرحبا بتشرشل) وفيه هجوم عنيف بمناسبة فوزه فى الانتخابات وتوليه رئاسة الحكومة البريطانية .

● ويوم ٣٠ من أكتوبر أذاعت وزارة الداخلية بيانا بعدد القتلى المصريين والجرحى بسبب الاشتباكات مع قوات الاحتلال : « ١٩ شهيداً منهم ٤ عساكر بوليس ١٣ رجلا وسيدة وطفلا ، وعدد المصابين ١٢٥ جريحاً » .

وفى عدد الأول من نوفمبر نشرت جريدة المصرى نص المنشور الأول الذى تم توزيعه داخل المعسكرات البريطانية وقد نشرته الجريدة فى صدر الصفحة الأولى كما تم توزيعه باللغة الإنجليزية وإلى جواره الترجمة بالعربية وهذا نصه : أيها الجنود البريطانيون : يالها من شجاعة تبدونها فى إطلاق الرصاص على المدنيين العزل إنكم تستحقون التصفيق لفروسيتكم ؛ هل يعجبكم أن تذوقوا جرعة من دوائكم ؟ إن هذا بالضبط هو ما ستنالونه وفقا لشريعة القصاص : العين بالعين والسن بالسن . ليست هذه بلدكم فاخرجوا ... لقد أنذرناكم ... فلا تلوموا إلا قادتكم على ما سينزل بكم ... المدافعون عن الإسلام .

خطف ضابط انجليزى .

يوم ٢ من نوفمبر بينما كان أحد الضباط الإنجليز يقود سيارة جيب مسلحة بمدفع رشاش فى طريقه من المعسكر إلى مدينة القنطرة إذا بثلاثة من الشباب المصرى يهاجمونه عندما هدأ السرعة عند أحد المنحنيات ؛ واستولى الشباب على المدفع الرشاش و٤٠٠ طلقة وقالوا له : إننا نحملك رسالة شفوية من المقاومة السرية فى هذه المنطقة للجيش الإنجليزى الذى (يقاتل) حرية مصر بأمثالك (سنذيقكم من نفس الدواء) ... وهذا هو شعارنا .

وفى بورسعيد وجه المواطنون المسيحيون دعوة عامة لرجال الدين المسلمين لحضور حفلة شاى فى دار جمعية الكتاب المقدس وذلك للتداول فيما يمكن تقديمه لمساندة حركة التحرير الوطنى .

وخطب فى هذا الحفل الأستاذ زكى حنا رئيس جمعية أصدقاء الكتاب المقدس الأرثوذكسى والشيخ محمد عابد ونائب الوفد حامد بك الألفى والأستاذ فهيم اسكندر مدير جمارك بورسعيد .

وفى باكستان سارت مظاهرة من أكثر من ١٥ ألف متظاهر يؤيدون حق مصر فى الاستقلال .

وتحت عنوان (طريق الحرية) كتبت مقالا ثانيا أطالب الحكومة بسرعة توجيه النداء للعمال المصريين لمغادرة العمل بالمعسكرات مع توفير العمل لهم جميعا وكان بعض العمال قد غادروا المعسكرات وعينتهم الحكومة فى وظائف تتناسب ومؤهلاتهم .

وكانت محطة الإذاعة البريطانية من لندن قد أذاعت أن أكبر خطر يهدد القوات فى مصر هو رفض العمال المصريين العمل فى المعسكرات .

وتوسعت كتائب التحرير فى عمليات خطف الجنود الإنجليز إذ استطاعت ــ فى اليوم التالى ــ خطف ثلاثة جنود إنجليز وأسلحتهم وقد أبلغت السلطات البريطانية الحكومة المصرية عن اختفاء سيارة جيب كان بها سائق وثلاثة جنود وكانوا جميعا مسلحين بالبنادق السريعة الطلقات .

وفى نفس اليوم أذاعت القيادة البريطانية أنها تلقت خطابا فى صورة إنذار موجه من كتائب التحرير جاء فيه أن الجنود الأربعة رهائن وسيكون التصرف فيهم موازيا لتصرفات الإنجليز مع الأهالى .

الهجرة الجماعية للعمال

يوم ٣ من نوفمبر فوجىء القواد البريطانيون فى المعسكرات بأنه لا يوجد عمال فى المعسكرات .

٤٠٥٨١ عاملاً تركوا المعسكرات فى يوم واحد ؛ وتكونت فى جميع الوزارات عمل لإلحاق كل عامل فى الجهة الفنية التى يستطيع أن ينتج فيها .

● وأقام عبد الرحمن الخميسى فى حديقة جريدة المصرى فرقة من المحررين يجلس كل واحد أمام منضدة . واحتشد فى الحديقة مئات العمال وكانت مهمة المحررين قيد إسم كل عامل وصنعته ، وعلى ضوء ذلك يسلمه المحرر ورقة مطبوعة يتجه بها إلى الوزارة التى تستطيع الاستفادة من خدماته ، وكان هذا الترتيب قد تم بالاتفاق مع الوزير ابراهيم فرج باشا الذى تولى على عاتقه توفير العمل لهذا العدد الضخم .

وظل محررو المصرى يؤدون هذه المهمة لعدة أيام حتى لم يبق عامل واحد دون عمل .

وقد أدى نجاح ابراهيم فرج باشا فى توفير العمل لهذا العدد الضخم فى أقل من أسبوع إلى اشتعال الحماس بين المصريين فقد أثبتت الحكومة أنها قادرة على مواجهة أصعب المواقف .

ولم تكتف الحكومة بتعيين كل العمال بل صرفت مرتب شهر أكتوبر لآلاف العمال الذين تركوا المعسكرات قبل قبضه .

وكان من أروع مظاهر التأييد لمصر مظاهرة اشترك فيها جميع طلبة وطالبات جامعة طهران والتى طافت بشوارع العاصمة الإيرانية تردد الهتافات بحياة مصر وسقوط الاستعمار البريطانى .

وفى مقدمة المظاهرة حملت الطالبات علماً ضخما يحمل صورة لذراعين أحدهما عليه رسم علم مصر والثانى علم إيران ، واليدان يمسكان بحربة طويلة مغروس سلاحها فى يد شيطان يمثل بريطانيا . ونشرت جريدة المصرى الصورة وانباء المظاهرة .

وفى ليلة ٤ ــ ٥ من نوفمبر هاجم بعض الفدائيين صندلا بحريا قبل الفجر وأشهروا الأسلحة فى وجه الجنود الإنجليز المكلفين بالحراسة واستولوا على صناديق مليئة بالذخيرة .

وهكذا واجهت قوات الاحتلال مقاومة جبارة وهجمات تتكرر كل يوم ، وكانت قد كثرت فرق الفدائيين من الوفديين ، وتعددت كتائب التحرير التى كان يشرف عليها الفريق عزيز باشا المصرى وكان معظم المنضمين إليها من الإخوان المسلمين وشباب مصر الفتاة .

وكان بعض ضباط الجيش قد أخذوا إجازة وخلعوا الملابس العسكرية ليقوموا بأعمال أحيطت بالسرية الكاملة ، وإن كان فؤاد سراج الدين باشا على علم بها ، وكان من أنشط الضباط وجيه أباظة وخالد محيي الدين وثروت عكاشة وعبد اللطيف البغدادى .

وهكذا كانت نار الثورة قد اشتعلت ضد قوات الاحتلال وصارت الحياة داخل المعسكرات جحيما لا يطاق .

وأخذت الصحف البريطانية تنشر عن انتشار الروح الفدائية فى مصر وفى يوم ٦ من نوفمبر أعلن تشرشل رئيس الحكومة البريطانية فى مجلس العموم البريطانى أن بريطانيا ستحارب للبقاء فى منطقة القناة إذا اضطرتها الظروف لذلك .

وكانت القوات البريطانية ترتكب من حين إلى آخر حوادث اعتداء على الأهالى فى مدن القناة : السويس والاسماعيلية وفايد وبورسعيد وكذلك حوادث نهب للمتاجر حيث كانت تخرج قوات مسلحة وتتحرش بالناس ، ويردد المصريون هتافات وطنية وتبدأ الاعتداءات ويسقط عدد من القتلى .

الجنازة الصامتة .

قامت فكرة بترتيب جنازة صامتة على أرواح الشهداء تسير من ميدان الإسماعيلية (التحرير) ، وتحمس للفكرة شباب الأحزاب وتبنوها وتحدد لها يوم ١٤ من نوفمبر أى اليوم التالى ليوم عيد الجهاد .

وأخذت الفكرة تنمو وتجد حماساً من القوى الوطنية وقد أشعلت موافقة الحكومة عليها حماس الفدائيين وكتائب التحرير وزادت عمليات مهاجمة المعسكرات قوة .

وبطبيعة الحال وصلت إلى القيادة البريطانية الأنباء الخاصة بالجنازة الصامتة وأن فكرتها قد لاقت قبولا حكوميا وشعبيا واسع النطاق ، وأدركت أن عمليات الفدائيين لابد وستزداد ، لذلك سعت إلى تحصين المعسكرات ببث الألغام فى الأراضى المحيطة بها .

● مع ذلك قام الفدائيون بقطع كابلات التليفون الموصلة للمعسكرات أثناء الليل مما جعل من المستحيل إمكانية الاتصال التليفونى داخل المعسكرات أو الاتصال بالخارج .

وفى نفس الليلة ٧ ــ ٨ من نوفمبر حرق الفدائيون سيارة حربية بريطانية ؛

● ٩ من نوفمبر : كتائب التحرير تقتحم المعسكرات وتشتبك مع الحراس ؛ قتل جندى انجليزى والاستيلاء على مدفع . حبس ثلاثة جنود بريطانيين فى ثلاجة ضخمة لحفظ اللحوم .

وكان الفدائيون قد حفروا ممراً تحت الأسلاك الشائكة وزحفوا على بطونهم إلى داخل المعسكر وفاجأوا قوات الاحتلال أثناء نومهم ولذلك استطاعوا تنفيذ خطتهم وهى مهاجمة المعسكر (D.S.I.C.I)

● ١١ من نوفمبر : معركة عنيفة بين الجنود الإنجليز والأهالى بالإسماعيلية . قتل جندى وإصابة أربعة من الإنجليز وثلاثة من الوطنيين . الإستيلاء على سيارة إنجليزية وتجريد جنودها من السلاح .

● ١٢ من نوفمبر : إقتحام الإنجليز للكنيسة القبطية فى الإسماعيلية وإعتدائهم على المصليات .

● إشعال النار فى معسكر الطيران الإنجليزى بالإسماعيلية ، ومعركة داخل المعسكر تستمر نصف ساعة ؛ وتخريب السينما داخل المعسكر .

● ١٣ من نوفمبر : خطاب الزعيم مصطفى النحاس فى عيد الجهاد : الحرية فى حاجة إلى بذل وتضحية بالأموال والأرواح . أقف وقفة الإجلال والإكبار لأحيى فى إعجاب وفخار عمال القنال .. يوم ١٣ من نوفمبر انتشرت الجنازات الصامتة فى مدن مصر وكانت أكبرها تلك التى سارت فى مدينة الإسكندرية وتصدرها الوزير الوفدى عبد الفتاح الطويل باشا وكذلك جنازة فى مدينة طنطا والتى قادها عبد السلام جمعة باشا رئيس مجلس النواب .

وفى القاهرة كانت الاستعدادات قد تمت فقد أقيم فى ميدان الإسماعيلية (التحرير) سرادق كبير لاستقبال الشخصيات السياسية والدينية والقضاء والجامعات والنقابات والسفراء العرب وغيرهم .

كان السؤال الذى يدور على الألسن يسأل عما إذا كان النحاس باشا الذى ألقى فى ذلك اليوم خطابا كبيرا سيحضر ليرأس الجنازة أم لا ؟ وكثر الجدل بين الناس إذ اعتقد البعض أنه لن يحضر لكبر سنه ولأنه لن يستطيع السير مسافة طويلة مع وجود مئات الآلاف الذين توافدوا على العاصمة من كل أنحاء مصر .

صباح يوم ١٤ فى الميعاد المحدد وصل النحاس باشا مما أعطى لهذه المظاهرة الوطنية أهمية كبرى ، وكان قد وصل كل الوزراء وكل أعضاء مجلس النواب والشيوخ وكانت كل الشوارع المحيطة بميدان الإسماعيلية قد غصت بالناس الذين لم يجدوا مكانا داخل الميدان .

الاجماع الوطنى .

ولم يدر بخاطر أى شاب أن كل رجال الأحزاب والهيئات سيشاركون رغم الاختلافات الحزبية فى مظاهرة وطنية عن حكومة الوفد .

ولكن زعماء كل الأحزاب بادروا بالحضور إلى السرادق وكان أولهم فى الوصول مكرم عبيد باشا الذى كان قد انشق على الوفد وكذلك عبد الحميد عبد الحق باشا وكان هو أيضا قد اختلف مع الوفد وحضر محمد حسين هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين وعلى ماهر باشا المستقل عن الأحزاب كما حضر صالح حرب باشا رئيس جماعة الشبان المسلمين ، وعن حزب السعديين ناب عن رئيسه ابراهيم عبد الهادى باشا الذى كان ملازما الفراش بأمر الأطباء نائب رئيس الحزب على بك أيوب وهيئة مكتب الإخوان المسلمين وكل زعماء مصر الفتاة .

وحضر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وغبطة بطريرك الأقباط وكانت لحظة هزت المشاعر عندما تعانق الزعيمان الدينيان واختلط القسس بالمشايخ .

كما حضر الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا وجميع مستشارى مجلس الدولة وجميع رجال القضاء وكانوا جميعا يرتدون الأرواب والأوسمة وجميع أساتذة الجامعات مرتدين الأرواب .

وحضر الأمير عبد الكريم الخطابى الزعيم المغربى الكبير والبرنس عباس حليم . وأربعة من كبار ضباط الجيش السودانى وعلى رأسهم اللواء حامد صالح .

ومجالس النقابات وعلى رأس كل نقابة نقيبها وجميع مشايخ الطرق الدينية وعدد كبير من رجال الكنيسة القبطية وكل سفراء الدول العربية ومجلس الجامعة العربية وممثلو الدول العربية لديها .

وشاركت الجمعيات النسائية وكان من أكثر المناظر تأثيرا سيدات كثيرات من أبسط الطبقات فى مصر وقد اتشحن بالملايات اللف السوداء وبينهن من حملت رضيعها على كتفها .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحا ترأس النحاس باشا حشود الناس واصطحب إلى جواره مكرم عبيد باشا والدكتور هيكل باشا وعلى ماهر باشا وشيخ الأزهر والبطريرك والأمير الخطابى والضباط السودانيين ...

وسار الجمع الحاشد فى صمت رهيب إذ كانت التعليمات قد أذاعت أنها جنازة صامتة ودون أى هتاف ولا تصفيق ولم يقع أى حادث يقلل من جلال هذا التضامن الوطنى مع شهداء مصر من الشباب الفدائى ومع الذين قتلهم جنود الاحتلال .

وفى إيران كان الزعيم الدينى الكبير آية الله كاشانى قد دعا لقيام جنازة فى نفس اليوم أى ١٤ من نوفمبر وخرج أكثر من ١٥٠ ألف شاب ورجل وفتاة وسيدة ليشاركوا فى هذه الجنازة الصامتة تأييدا لمصر . ونشرت جريدة المصرى الصور وتفاصيل الجنازة الايرانيه .

وتشتد المقاومة وجرائم قوات الاحتلال :

● يوم ١٥ من نوفمبر : مهاجمة قوات الاحتلال لمدينة بور سعيد واحتلال الكنيسة .

● يوم ١٦ من نوفمبر : هجوم الفدائيين على معسكر دفرسوار وقتل جنديين والاستيلاء على أسلحة .

● يوم ١٧ : معركة فى الإسماعيلية بين البوليس وجنود الاحتلال ١٨ من نوفمبر : أفظع مذبحة فى الإسماعيلية . قوات الاحتلال تدخل المدينة . معارك رهيبة وقتل خمسة جنود من بلوكات النظام وخمسة مدنيين وإصابة ٢٣ بجروح وقتل ثلاثة ضباط إنجليز و٤ جنود . قام على رأس الهجوم البريجادير أكسهام وأصدر أمرا بمنع التجول إبتداء من التاسعة مساء .

١٩ من نوفمبر : إعترافت النشرة البريطانية التى تصدرها القيادة العسكرية فى منطقة القنال بقتل ٦ ضباط وجنود .

٢٠ من نوفمبر : ظهور جثث ٥ إنجليز ببحيرة التمساح وترعة الإسماعيلية .

٢١ من نوفمبر : إلقاء قنبلة على معسكر جريشون بالقرب من الإسماعيلية واشتعال النار داخل المعسكر فى الواحدة والنصف صباحاً

● ٢٣ من نوفمبر : ثلاثة فدائيون يهاجمون المطار الإنجليزى فى كسفريت وينسفون مخازن البترول واشتعال النار . فى الإسماعيلية : إلقاء قنبلة على مصفحة إنجليزية وقطع أسلاك التليفون بمعسكر التمساح .

● ٢٥ من نوفمبر : الإنجليز يعترفون بتخريب محطة مياه معسكر نفيشه وفى الساعة السادسة والنصف مساء اهتزت مدينة الإسماعيلية على اثر انفجار عنيف . تبين أن عبوة ناسفة إنفجرت بالقرب من عمارة تستأجرها القيادة البريطانية .

● ٢٦ من نوفمبر : كتائب الإخوان المسلمين تخوض المعركة فى الإسماعيلية .

● ٢٧ من نوفمبر : كان القطار الحربى المسلح فى طريقه من فايد إلى معسكرات التل الكبير فى ظهيرة أمس وكان الفدائيون فى انتظاره ، وقبل دخول القطار إلى المعسكر إنفجر على شريط السكة الحديد لغم كما إنفجرت كميات من البارود . القوات البريطانية تتحرش بالجيش المصرى . وصول وزير الحربية البريطانى إلى فايد وعقد اجتماع مع القادة حضره السيد رالف ستيفنسون السفير البريطانى .

● ٢٩ من نوفمبر : إنفجار لغم داخل معسكر الإسماعيلية وإصابة عدد من أفراد قوات العدو ، وإلقاء ثلاث قنابل على قافلة عسكرية بقيادة مارشال الجو (بيكر) . معركة فى بور سعيد بين جنود البوليس والجمارك وبين القوات الإنجليزية وإصابة جنديين مصريين .

● ٣٠ من نوفمبر : جنود الموريشان فى بور سعيد يرفضون أوامر القيادة البريطانية ويثورون ضد الأوامر بالتعدى على المصريين فى بور سعيد . فدائى سورى يشترك مع المصريين فى الهجوم على معسكرات التل الكبير . الاستعانة فى المعسكرات بعمال من قبرص ، وقيام أهالى بور سعيد بتوزيع منشورات تحرض القبرصيين على رفض العمل .

● الأول من ديسمبر : ثورة جنود قبرصيين على الإنجليز فى بور سعيد والإنجليز يحاصرونهم ويسوقونهم إلى داخل المعسكرات .

● ٢ من ديسمبر : الفدائيون يلقون قنابل زمنية على نادى القوات الإنجليزية ومقر

القيادة با ماعيلية وقتل وإصابة جنود إنجليز . إنسحاب قوة إنجليزية فى السويس جاولت جرش بضباط من الجيش المصرى .

من ديسمبر : هجوم إنجليزى وحشى على السويس . الإنجليز يضربون ا ...افع الهاون ويطلقون المدافع الرشاشة على المستشفى الأميرى . جنود بلوكات النظام والسكك الحديد والأهالى يتصدون للهجوم ويدافعون عن السكان . ٧٠ سيارة مصفحة تهاجم المدينة . الاعتداء على حكمدار البوليس ورجال الإسعاف . إرسال ممرضات وأطباء من القاهرة والمعركة تستمر خمس ساعات . قتل عدد من الإنجليز ، إصابة ٤٠ واستشهاد ٢٠ مصريا . إيران تبلغ مصر رسميا إعترافها بلقب ملك مصر السودان .

● ٤ من ديسمبر : مؤامرة إنجليزية لإبادة جميع أهالى السويس ومذبحة جديدة تستعمل فيها المدافع الثقيلة والدبابات ، والقوات الإنجليزية تحاصر المدينة وتسد كل منافذها ؛ إعتداء غادر على جنازة أحد الشهداء وقتل ١٥ من المشيعين .

● ٥ من ديسمبر : الفدائيون ينسفون مخازن الذخيرة بالتل الكبير ويهاجمون القوافل البريطانية ويصرعون ضابطا وجنديين . تعطيل الدراسة فى جميع المعاهد لأجل غير مسمى ويشمل التعطيل الجامعات الثلاث . إنفجار فى دار المعهد البريطانى فى الإسكندرية .

● ٦ من ديسمبر : الفدائيون يهاجمون ميناء فنارة وشندورة وفنارة المحجر ويلقون القنابل الحارقة على السيارات الإنجليزية ؛ والإنجليز يطلبون من سكان قرية (أبو رمان) إخلاءها خلال ٢٤ ساعة .

● ٧ من ديسمبر : إجتماع مفاجىء لمجلس الوزراء يستمر ساعتين ونصف . وأرسكين (القائد العام البريطانى لقوات الاحتلال) يطلب إخلاء ٧٥ منزلاً بمنطقة السويس لإزالتها نهائياً ؛ والمجلس الوزراء يرفض ويكلف المحافظ بمقاومة أية محاولة للتنفيذ بالقوة ؛ واستدعاء السفير الإنجليزى إلى دار الرياسة وإبلاغه قرار المجلس ؛ وإرسكين يرفض رأى السفير ويصر على تنفيذ خطته فى السادسة صباح اليوم .

● ٧ من ديسمبر عام ١٩٥١ : قتل ٤ إنجليز واستشهاد ٨ فدائيين .

● ٨ من ديسمبر ١٩٥١ : الإنجليز يبيدون «كفر عبده» من الوجود، والسفير الإنجليزى يوسط السفير الأمريكى لإقناع الحكومة المصرية بالعدول عن اتخاذ موقف إيجابى .

● ٩ من ديسمبر عام ١٩٥١ : مجلس الوزراء يتخذ قرارات خطيرة ضد الإنجليز . فصل كل الموظفين الإنجليز من جميع الوزارات والمصالح والاستيلاء على نادى الجزيرة وإخراج جميع الإنجليز منه . بحث قطع العلاقات التجارية والاقتصادية والدبلوماسية مع انجلترا .

● ١٢ من ديسمبر ١٩٥١ : الإنجليز يدبرون جريمتهم الكبرى الثانية فى الإسماعيلية ويعاينون منطقة فنارة المحجر تمهيدا لإبادتها كما أبادوا «كفر عبده» .

● ١٧ من ديسمبر عام ١٩٥١ : الفدائيون ينتقمون لكفر عبده ويفجرون أنبوبة المياة الرئيسية الموصلة ألى المعسكرات .

● ١٨ من ديسمبر عام ١٩٥١ : صلاح الدين باشا وايدن يجتمعان ساعة كاملة أمس ؛ ولا أمل فى تسوية قريبة للنزاع المصرى ــ الإنجليزى ؛ وإصرار كل من الجانبين على موقفه من الجلاء والسودان .

● ٢٠ من ديسمبر عام ١٩٥١ : نسف الكوبرى الرئيسى فى منطقة الجناين بالسويس ؛ والإنجليز يعاودون التهديد بنسف المحافظة ــ بالإسماعيلية إذا انطلقت منها رصاصة .

● ٢١ من ديسمبر عام ١٩٥١ : الإنجليز يشطرون الإسماعيلية إلى نصفين ويحتلون النصف القبلى . لندن تقول : إرسكين سيعلن الأحكام العرفية فى القنال، وأوامر بالقبض على المدنيين وسلب سلطات البوليس تمهيدا لإعلانها منطقة حربية .

● ٢٣ من ديسمبر عام ١٩٥١ : نسف مبنى النافى بمعسكر الإسماعيلية .

● ٢٧ من ديسمبر عام ١٩٥١ : إيدن يقطع إجازته فجأة ليبحث تطورات الحالة بمصر ؛ وبريطانيا تعترض رسميا على إباحة حمل السلاح فى مصر !!

● ٣٠ من ديسمبر عام ١٩٥١ : الفدائيون يهاجمون ميناء فنارة ويشعلون النار فيه .

● ٣١ من ديسمبر عام ١٩٥١ : روبرتسون ينذر ويهدد باستعمال القوة ويقول إن تصرفات قواته فى منطقة القناة تلقى تأييدا دوليا .

● ٢ من يناير عام ١٩٥٢ : إلقاء القنابل على محطة المياة الإنجليزية بالإسماعيلية .

● ٥ من يناير عام ١٩٥٢ : محاولة إغتيال القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، وإلقاء قنبلتين على سيارة « روبرتسون » وإصابة ياورة والسائق .

● ٩ من يناير عام ١٩٥٢ : ١٠٠٠ جندى إنجليزى يحاصرون أبو صوير بالدبابات والسيارات المصفحة . لندن تهدد بتطويق المنطقة كلها للقضاء على الفدائيين فيها .

● ١٣ من يناير عام ١٩٥٢ : القوات الإنجليزية تأسر ٧ مصريين وتقتلهم ثم تمثل بجثثهم ، وأعنف المعارك بين الفدائيين والإنجليز فى القرين والإسماعيلية والسويس .

● ١٤ من يناير عام ١٩٥٢ : الوطن يُشّيع الشهداء إلى جنة الخالدين ؛ والفدائيون يواصلون هجومهم المجيد فى منطقة القناة .

● ١٧ من يناير عام ١٩٥٢ : الفدائيون يحاصرون قطارا حربيا بريطانيا ويلقون عليه قنابل محرقة .

● تشرشل يطلب من الدول الأربع أن ترسل قوات حربية إلى منطقة قناة السويس لوضع حد للقلاقل الواسعة النطاق بها .

● ١٩ من يناير عام ١٩٥٢ : إرسكين يهدد بإحتلال مديرية الشرقية بأسرها ومدن القنال . وإذا لم تتوقف أعمال الفدائيين نهائيا فإنه سيحتل جميع مدن القطر لسلامة قواته .

● ٢٠ من يناير عام ١٩٥٢ : الجنرال إكسهام يحتل الإسماعيلية ويعين نفسه حاكما عسكريا لها ؛ والاستغناء عن البوليس المصرى .

● ٢١ من يناير عام ١٩٥٢ : ثلاث معارك حامية بين الفدائيين والإنجليز بالإسماعيلية رغم احتلالها .

● ٢٤ من يناير عام ١٩٥٢ : الفدائيون ينسفون مخزن الذخيرة بمعسكر « أبو سلطان » ؛ والإنجليز يحتلون « جنيفه » ويلقون القبض على الأهالى وجنود البوليس ؛ وقائد القوات البريطانية يعلن أنه سيحتل الإسماعيلية غدا وأنه لن يقبل أية مقاومة .

● أعلن سراج الدين باشا وزير الداخلية أنه رفض إنذار القائد البريطانى وأن قوات بلوك النظام فى الإسماعيلية ستتصدى لأى اعتداء على سيادة المدينة .

● ٢٥ من نوفمبر : فى صبيحة يوم ٢٥ من يناير خرجت القوات البريطانية من المعسكرات بقيادة الجنرال إرسكين ووقفت قوات بولك النظام فى وجهها مسلحة ببنادقها القديمة ؛ وقعت المعركة واستمر عساكر بلوك النظام يقاومون بينما يسقط الواحد منهم تلو الآخر قتيلا تحت وطأة الهجوم الذى استعملت فيه قوات الاحتلال الدبابات والمدافع ، ولم يتوقف الجنود البواسل عن القتال إلا عندما نفدت الذخيرة التى بين ايديهم .

أثارت بطولة قوات بلوك النظام الإعجاب ليس فى مصر وحدها بلى أشادت بها كل صحافة العالم حتى جريدة التيمس الإنجليزية تحدثت بإسهاب عن بسالة العساكر المصريين .

كما أثارت المعركة سخطاً فى صحافة العالم ضد الوحشية التى اتسم بها هجوم قوات الاحتلال .

وقد انتقد بعض المصريين عدم إرسال الحكومة قوات من الجيش المصرى للدفاع عن الإسماعيلية ، ولكن هذا النقد لم يجد قبولا لدى العقلاء من المصريين إذ لو كانت الحكومة كلفت الجيش بالدفاع عن الإسماعيلية لكان من الممكن أن يعتبر القائد الإنجليزى هذا بمثابة إعلان حرب ضد قواته وعندئذ ينتهز الفرصة أولا لإنزال هزيمة بالجيش للتفوق الساحق فى التسليح . وثانياً : كان من المحتمل أن توسع قوات الاحتلال هجومها وتتجه نحو القاهرة لاحتلاها . كما ان الحكومة أرادت أن تُشهد العالم على فظاعة ما أقدم عليه الإنجليز وبسالة عساكر البوليس المصرى .

حريق القاهرة .

وبطبيعة الحال أثار هذا العدوان ثائرة المصريين وغلت مراجل الغضب فى كل مكان ، وباتت مصر ليلة تخبىء مفاجآت خطيرة ومخيفة ؛ ففى الصباح أعلنت قوات البوليس الإضراب مطالبة بإرسالها إلى منطقة القنال للإقتصاص لدم زملائهم وخرجت وحدات منها إلى مقر الجامعة بالجيزة لتعلن انضمامها للطلبة فى الرغبة فى الكفاح ضد الإنجليز .

وخرجت المظاهرات من كل فج وصوب وأصبحت جميع الشوارع تعج بالناس على اختلاف ألوانهم ومشاربهم وفجأة بدأت النار تلتهم أحد المقاهى فى وسط القاهرة ثم إذا بها تشب فى النادى البريطانى ، وفى بضع ساعات كان وسط القاهرة قد انتشرت به الحرائق فى كل مكان .

قوات البوليس مضربة ، وضباط الجيش فى قصر عابدين حيث أقام لهم الملك مأدبة غداء ، وطلب سراج الدين من الملك انهاء الحفلة كى يساعد ضباط الجيش فى السيطرة على الموقف فرفض فاروق وعند انصراف الضباط من القصر نصحهم بعدم التوجه إلى قلب القاهرة والحرائق يزداد عددها والنيران تزداد اشتعالا والدخان يتكاثف فى سماء العاصمة .

كان ذلك اليوم يوم السبت ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ ، اليوم الرهيب ، اليوم الأسود ، اليوم الذى حُرقت فيه القاهرة إحدى أجمل مدن الشرق ، واليوم الذى احترقت فيه آمال المصريين فى مواصلة الكفاح ضد الإنجليز ، واليوم الذى احترقت فيه حقوق المصريين فى الحرية والديمقراطية والعدالة . وفى اليوم التالى دعت الحكومة البرلمان لتطلب الموافقة على إعلان الأحكام العرفية وعلى تعيين النحاس باشا رئيس الحكومة حاكماً عسكرياً ، ووافق البرلمان على ذلك ، وأعلن النحاس باشا حظر التجول على جميع المصريين بما فيهم الوزراء منذ غروب الشمس حتى شروقها ، وذهب النحاس ووزراؤه إلى منازلهم قبل غروب الشمس حتى لا يخالفوا الأمر العسكرى الجديد .

وبينما كان النحاس ووزراؤه فى المنازل والجيش يسيطر على مدينة القاهرة ويمنع كل انسان من التجول فى المدينة كانت سيارات الإسعاف تجوب شوارع القاهرة فى اتجاهات

غامضة ، وبعد بضع ساعات سرت الأنباء بأن الملك فاروق قد أقال حكومة الوفد وبأن سيارات الإسعاف فى مهماتها المجهولة كانت تنقل الوزراء الجدد الذين اختارهم فاروق لتكوين الحكومة الجديدة إلى قصر عابدين .

وفى نفس هذه الليلة صدرت المراسيم بتأليف الحكومة الجديدة برئاسة على ماهر باشا فضاع على الشعب المصرى كفاحه الغالى فى سبيل إجلاء الإنجليز عن أرض الوطن ، وأقيلت الحكومة التى تمثله وفرضت الرقابة على الصحف وأصبح قانون الأحكام العرفية الذى صدر ليستعمل سلاحاً ضد المجرمين الذين حرقوا القاهرة ، أصبح سلاحاً موجهاً ضد الشعب المصرى بأسره . ورغم جلاء القوات البريطانية عن مصر لا يزال قانونُ الاحكام العرفية جاثماً على صدر الشعب المصرى يحرمه حرماناً مطلقاً من كافة حقوقه السياسية ويبيح للحاكم استعمال كافة السلطات ضد حريات المصريين وحقوقهم .

تألفت وزارة على ماهر باشا يوم الأحد ٢٧ من يناير سنة ١٩٥٢ . وعلى ماهر باشا من السياسيين القدامى الذين اشتركوا فى المعركة الوطنية وانشق على سعد زغلول زعيمها وزعيم الوفد . وقد تقلد على ماهر رئاسة الحكومة عدة مرات لآجال قصيرة ، فلما عهد إليه برئاسة هذه الحكومة ظن أن الفرصة قد واتته ليختم حياته السياسية بعمل ضخم ألا وهو إقناع الإنجليز بالجلاء عن أرض مصر . وبدأ عمله بزيارة النحاس فى منزله وأعلن أنه لن يقبل أن تستمر المفاوضات مع الإنجليز طويلا ولأكثر من ثلاث جلسات يعقدها مع ممثلى بريطانيا فإذا لم تنته هذه الجلسات إلى نتيجة أطلق الشعب من قيوده وأباح الكفاح المسلح مرة أخرى .

بطبيعة الحال إتخذت الحكومة كافة الوسائل للحيلولة دون قيام أية مظاهرات أو أعمال عنف سواء داخل القاهرة أو فى منطقة القنال حيث توجد القوات البريطانية . وكانت أهم الاحتياطات مركزة فى مناطق الجامعات بالقاهرة والإسكندرية . ولكن رئيس الحكومة الجديد رغبة منه فى تهدئه ثائرة الطلبة وفى الضغط على الإنجليز أعلن أنه سيدرب جميع الطلبة على الأعمال العسكرية ، وأعلن أنه إنما يقوم بذلك لتهيئة أكبر عدد من المصريين للكفاح ضد القوات البريطانية إذا ما فشلت المفاوضات فى اقناع بريطانيا

بالجلاء العاجل غير المقيد بأى قيد .

واستعملت الرقابة على الصحف سلطتها فمنعت أية مقالة فيها إثارة أو بث لروح التمرد على قيام مفاوضات جديدة بعد أن ألغت الحكومة السابقة المعاهدة ، كما استعملت الحكومة سلطاتها فى تحويل لهجة الإذاعة من الدعاية الوطنية الحماسية إلى الدعوة إلى نوع من الصبر إنتظارا لمحادثات رئيس الحكومة مع الإنجليز ، واستطاعت الحكومة كذلك أن تمنع المدرسين والأساتذة وأئمة المساجد والقسس من التحدث عن الكفاح والتضحية فى سبيل الوطن ، وران الحزن بأجنحته السوداء على قلوب المصريين ، وبدأت الصحف تخرج كل صباح فاترة باردة ، وأصبحت الإذاعات وخصوصاً نشرات الأخبار مملة تافهة .

وأخذ على ماهر باشا يعد العدة للمباحثات مع السفير البريطانى ويستعد للجلسات التى حدد عددها بثلاث جلسات يعلن بعدها نتيجة مباحثاته فإما أن يكون قد وصل إلى اتفاق مع الإنجليز على الجلاء الكامل غير المشروط أو فشل فى ذلك فيطلق الشعب من قيوده ليواصل ما انقطع من كفاح .

ومر الأسبوع الأول والثانى والثالث ، مرت الأسابيع بطيئة كئيبة ، وأثر الحرائق يشوه وجه القاهرة الجميل ويجعلها كالحسناء التى أصيبت بالجدرى ، فيتذكر الإنسان جمالها السابق ويقارنه بما هى عليه الآن من قبح ، فلا يسعه إلا أن يحزن لها وعليها ، والليالى طويلة على أهالى القاهرة المسجونين داخل منازلهم لا يستطيعون فكاكاً من القيود التى حرمتهم من حق إبداء الرأى سواء بالكتابة أو الخطابة . والبرلمان معطل ، وكل شىء راكد يملأ النفس انقباضاً وحزناً برغم كل الجهود التى بذلها على ماهر باشا ليحيى الأمل فى مساعيه لتحقيق الجلاء . فلما أدرك الرجل أن الشعب غير ملتفت لتصريحاته ، وأنه لا سبيل إلى تفريج الحزن عن قلوب المصريين إلا بعمل حاسم ، أعلن أنه قد حدد السبت الأول من شهر مارس سنة ١٩٥٢ كميعاد لمقابلة السفير البريطانى لبدء الجلسات الثلاث .

وحشد على ماهر باشا كل جهده ليضغط على الإنجليز كى يقبلوا الجلاء السريع ، وأخذ يعلن كل يوم من الأيام الباقية على اليوم المحدد لبدء المباحثات نبأ جديدا عما

ينوى عمله إذا ما فشلت هذه المباحثات ، وبطبيعة الحال كان كلما اقترب اليوم المحدد لها إزدادت حماسة على ماهر فى تصريحاته ، وبدأ الشعب تدريجياً يهتم بهذه التصريحات ويحاول أن يقنع نفسه بأنها لا بد أن تسفر عن شيء .. فإما قبول الإنجليز لمطالب مصر أو رضوخ على ماهر لرغبة مصر فى العودة إلى الكفاح وكان كلما قرب السبت الموعود إزداد اهتمام المصريين بأمره وبما سيتم فيه .

وجاء يوم الجمعة ومر اليوم وأتى الليل وانتصف وانتقلنا بعد ذلك إلى الساعات المبكرة من السبت . وكنت فى مكتبى بجريدة المصرى فى الساعة الرابعة صباحا حيث علمت أن مؤامرة جديدة قد أحكمت ، وبمقتضاها يتمارض السفير البريطانى فلا يذهب فى الصباح إلى مقر وزارة الخارجية ليجتمع بعلى ماهر باشا بل يعتذر عن المقابلة بحجة المرض المفاجيء ، وقد تأكدت عندئذ أن أعصاب على ماهر لن تتحمل هذه الصدمة فيثور ، ويندفع فى ثورة غضبه لتقديم استقالته ليقبلها فاروق فوراً .

وصح ما توقعته ففى الصباح ذهب على ماهر باشا إلى وزارة الخارجية ينتظر مقدم السفير البريطانى ، ولكن السفارة إتصلت بالوزارة وأبلغتها إعتذار السفير بعدم إمكانه الحضور نتيجة إصابته ببرد مفاجيء ، وثار على ماهر باشا وفى ثورته الجامحة قدم استقالته للقصر الملكى حيث قبلها فاروق فوراً .

ونرى من الطبيعى أن نفسر هنا أسباب اتهام على ماهر للملك بالتآمر مع الانجليز لمنع بدء المباحثات بينه وبين الانجليز .

والسر فى هذا ينحصر فى أنه كان يوجد بين أفراد حاشية الملك من يُدعى إلياس أندراوس إحتضنه الملك وقربه إليه ومنحه رتبة الباشوية وعينه مستشاراً اقتصادياً للقصر ، وكان هناك شخص أخر هو كريم ثابت إحتضنه الملك أيضاً وعينه مستشاراً صحفياً ، ومنحه رتبة الباشوية ، وكانت الصداقة وطيدة بين أندراوس وكريم ثابت ، وكان الشعب غير راض عن تقريب الملك لهما ، ولكن كريم ثابت بعد أن نال رتبة الباشوية ، وبعد أن أصبح مستشاراً صحفياً ، أصيب بداء الرغبة فى تولى منصب وزير فى الحكومة . واستعان بنفوذه لدى الملك وبنفوذ زميله أندراوس ليقر الملك تعيينه وزيراً ،

وبدأ فاروق محاولته الأولى لتنفيذ رغبة كريم ثابت لدى النحاس عند توليه الوزارة الأخيرة فرفض النحاس ذلك ، فلما أقال فاروق حكومة الوفد ، وكلف على ماهر بتأليف الحكومة حاول مرة أخرى أن يفرض كريم ثابت وزيرا فيها فرفض على ماهر . وسعى إلياس أندراوس إلى ذلك ، ولكن رئيس الحكومة أصر على الرفض . ولما كانت الظروف تحتم تأليف الحكومة بسرعة أذعن الملك لرفض على ماهر وقبل أن تخلو الحكومة الجديدة من كريم ثابت .

ويقال أن اندراوس ابلغ السفير البريطانى رغبة الملك فى تغيير حكومة على ماهر .

وفى اعتقادى أن الانجليز قد رحبوا بالتخلص من مفاوضة على ماهر لأنهم لم يكونوا قد نسوا الاتهام الذى وجهوه له أثناء توليه حكم مصر أثناء الحرب العالمية الثانية ، بأنه كان يتعاون مع المحور وخصوصاً مع إيطاليا وأعوان موسولينى .

كان سقوط حكومة على ماهر على هذا النحو بمثابة ضربة جديدة للآمال الشعبية ، وصدمة أخرى من سلسلة الصدمات العنيفة التى أصابت المصريين فى تلك الآونة القلقة .

وكلف الملك أحد أعضاء الوفد السابقين الذين كانوا قد انشقوا على الحزب بتشكيل الحكومة الجديدة ، وجاء خطاب رئيس الحكومةالجديدة أحمد نجيب الهلالى باشا الذى وجهه إلى الملك ليعلن فيه قبوله رئاسة الوزارة وقد حوى إشارة عابرة للقضية الرئيسية وهى قضية جلاء القوات البريطانية عن مصر .

وكما رفض النحاس وعلى ماهر قبول كريم ثابت المستشار الصحفى للملك وزيراً فى الوزارة رفض كذلك نجيب الهلالى قبوله عضواً فى وزارته . لقد كان الجميع يعلمون أن دخول كريم ثابت فى الحكومة هو تحد صريح لمشاعر المصريين ، حيث أن الهوة التى قامت بين الملك والشعب كان من أهم الدوافع لها إعتقاد المصريين أن كريم ثابت يستغل صلته بفاروق لتحقيق منافع شخصية .

وجاءت حكومة الهلالى مع ذلك مخيبة للآمال إذ كانت بحكم تشكيلها حكومة ضعيفة لا يُرجى منها أى خير فضلا عما عُرف عن رئيسها وعن البرنامج الذى أعلنه من عداء شديد للوفد .

وأصبح من الواضح أن قضية جلاء القوات البريطانية عن مصر قد وضعت على الرف ، كما أصبح من الواضح أن حكومة الهلالى باشا ستعتمد اعتمادا كاملا فى حكمها للشعب المصرى على سلطة الأحكام العرفية .

كل هذه الأسباب جعلت المصريين تزداد نقمتهم على الملك فاروق وعلى حاشيته وعلى حكومته الضعيفة التى أتت تحت ستار الأحكام العرفية ، وجعلت الشعب المصرى يؤمن ألا أمل فى الخلاص من كل هذه المصائب والقيود المفروضة ضده إلا بقيام ثورة .

نعم ثورة ... ثورة تحطم كل القيود وتطيح بعرش فاروق وبطانته وحاشيته ... وتلغى الأحكام العرفية وتعيد الحياة النيابية والحقوق السياسية ... وكان السؤال « كيف تقوم الثورة ... ؟ ومن الذى سيقوم بهذه الثورة ؟ ...

لقد كانت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف والسلطات الاستثنائية والاعتقالات كلها ـــ وبالإضافة إلى حظر التجول ليلا ـــ تعوق قيام الشعب المصرى بثورته .

ولكن كان لابد من قيام ثورة ... ولا حل لكل هذه المشاكل إلا بقيام ثورة تقلب الأوضاع رأسا على عقب ، ونعود إلى نفس السؤال « كيف تقوم الثورة ؟ ... ومن ذا الذى سيقوم بها ؟ ... » .

وفى هذه الاثناء يزورنى عبد الناصر وعكاشة الضابطان فى الجيش ليخبرانى أن الضباط الأحرار قادرون على القيام بثورة !!!

لا شك أن الجيش هو الهيئة الوحيدة التى تستطيع فى هذه الآونة القيام بالثورة ... ولا شك أن الشعب وحده لا يستطيع تنفيذ ثورة الجيش ... بل لا شك أن الجيش إذا لم يتحرك ، فإنه لا أمل فى هذه الظروف من الخلاص مما يعانيه الشعب .

ومع ذلك فإن الوقت لم يكن مناسبا لقيام هذه الثورة ، فقد كان خطر تدخل القوات البريطانية وزحفها على القاهرة وباقى أجزاء القطر يهدد مثل هذه الثورة بالفشل التام ويهدد مصر باحتلال أشد قسوة وفظاعة من الاحتلال القائم .

وكان رفضى لوقوع اغتيالات تتناول حاشية فاروق بما فيها كريم ثابت مبنياً على

كرهى لإراقة الدماء وعلى اعتقادى أن الاغتيالات ليست هى الحل الذى يُخلص مصر من قيودها .

فلما خرج عبد الناصر من منزلى طافت كل هذه الذكريات فى ذهنى وتساءلت أكان نصحى لعبد الناصر وزميله عكاشة حكيماً أم غير حكيم ، وهل كان هذا النصح محققاً لمصلحة الوطن أم لا ؟ .

ظلت هذه الأسئلة تتردد فى ذهنى عدة أيام ولم أستطع أن أجد لها رداً صحيحاً مقنعاً .

وعلى كل حال فإن الضباط الاحرار لم يقوموا بتنفيذ خطتهم ... ولا أستطيع أن أجزم إذا كان ذلك قد جاء نتيجة مباشرة لرأيى أو لظروف أخرى ...

الفصل الثانى

قيام الحركة

« هناك أزمة بين الملك وبين رئيس الحكومة ، فالملك يريد أن يعين اللواء سرى عامر وزيراً للحربية ويعتقد أن هذا هو السبيل الوحيد للسيطرة على الحال ، ورئيس الحكومة يريد أن يتولى اللواء محمد نجيب منصب وزارة الحربية وهو يعتقد أنه أصلح رجل للسيطرة على الموقف ... ؟ فهمت يا ثروت ... الملك يريد اللواء سرى عامر ورئيس الحكومة يريد اللواء نجيب ... أزمة وزارية وأعتقد أن الحكومة ستضطر إلى الاستقالة اليوم أو غداً على أكثر تقدير ...

ورد ثروت عكاشة العضو العامل فى هيئة الضباط الأحرار « فهمت يا أحمد .. فهمت تماماً » .

وانتهت المحادثة التليفونية بيننا ، وكنت أقيم فى الإسكندرية لأن الحكومة والملك وجميع مصادر الأنباء كانت فى الإسكندرية .

ولقد كان عملاً خطيراً أن أخطر الصاغ عكاشة بكل هذه التفاصيل من مدينة الإسكندرية حيث كانت جميع تليفوناتى سواء فى المنزل أو فى المكتب موضوعة تحت الرقابة ، ولكن لم يكن أمامى أى مجال آخر لإخطاره بالأخطار المحيقة به ، وبالضباط الأحرار ، ذلك لأن اللواء سرى عامر كان يعتبر أشد خصم لهذه الهيئة ، ويعرف الكثير عن أسرارها وعن أسماء أعضائها .

كان فاروق يريد تعيين اللواء سرى عامر وزيراً للحربية ، ذلك لأنه كان من أقرب الضباط إلى فاروق وكان مشهوراً عنه العداء لكل من يقف فى وجه فاروق ، خصوصاً داخل صفوف الجيش ، وكان الملك يقربه دائماً ويضعه فى المناصب الكبيرة ، وكانت هناك شائعات كثيرة تؤكد أن اللواء سرى عامر على اطلاع كبير بحركة الضباط الأحرار وعلى علم بأسماء أعضائها .

وحدث منذ بضعة أشهر قبل قيام الانقلاب أن احتدم الصراع بين فاروق وشباب ضباط الجيش ، عندما قرر فاروق نقل اللواء محمد نجيب من رياسة سلاح الحدود إلى رياسة سلاح المشاة وقرر تعيين اللواء سرى عامر قائداً عاماً لسلاح الحدود . لقد اعتبر الضباط هذا التبديل إيثاراً من جانب فاروق لعامر دون أى اعتبار للكفاءة أو النزاهة .

كما اعتبروا تنحية اللواء نجيب عن هذا المنصب تحدياً لهم ، ذلك لأن نجيب كان معروفاً بالنزاهة والكفاءة العسكرية فضلا عن أنه كان قد بات معلوماً أن نجيب يناصر السياسة التي يدعو لها الشبان في الجيش وخصوصاً الضباط الأحرار .

وقد سبق للواء محمد نجيب أن اشترك في الحرب ضد إسرائيل . وعلى الرغم من أنه كان في رتبة عسكرية كبيرة وهي رتبة أميرالاي فقد اشترك بنفسه في القتال الذى كانت تدور رحاه في الصفوف ، ولم يحاول أن يفعل كغيره من الأميرالايات واللواءات الذين اشتركوا في هذه الحرب بالبقاء خلف القتال يرسمون الخطط العسكرية ويتركون للرتب الاصغر تنفيذها . لقد كان نجيب أثناء حرب فلسطين يتقدم الصفوف ويحارب جنباً إلى جنب مع صغار الضباط وقد أصيب في إحدى المعارك برصاصتين .

وأثناء حرب فلسطين تعرف جمال عبد الناصر بمحمد نجيب واتسعت رقعة الضباط الأحرار إذ ضمت زكريا محى الدين وصلاح سالم وكمال الدين حسين وغيرهم من الضباط .

وأثناء حرب فلسطين أدرك جمال عبد الناصر أن محمد نجيب هو أقرب الضباط العظام إلى تفكير الضباط الأحرار وإلى التفاهم معهم ، فضلا عن أنه أحد الضباط العظام القلائل الذى نالوا شهادة عسكرية عليا وهي شهادة « مدرسة أركان الحرب » وليسانس الحقوق وشهادات عليا في القانون .

وانتهت حرب فلسطين وعاد نجيب دون اتفاق صريح مع الضباط الأحرار . ولكن كانت كل آرائه تقطع على أنه يساير وجهات نظرهم في وجوب إصلاح الجيش والنهوض به وتسليحه تسليحاً كاملا .

وكان اللواء نجيب يدعو إلى هذه الآراء في الخفاء فقد اتصل بي أثناء حكم الوفد حيث كانت الصحافة حرة تكتب ما تشاء وأخذ يمدني بمعلومات عن الأخطاء التي ارتكبت أثناء الحرب في فلسطين وكنت أنشر هذه المعلومات في صورة أخبار .

ولا أستطيع أن أقطع ما إذا كان الملك قد علم بأن اللواء نجيب هو الذى كان يمدني بهذه المعلومات أو لا ولكن حدث أن قرر فاروق إقصاء اللواء محمد نجيب بعد بضعة

أشهر من رياسة الحدود إلى قيادة المشاة .

وفى هذه الأثناء لعبت منشورات الضباط الأحرار دوراً خطيراً فى تجسيم قرار النقل هذا ، وفسرته على أن الملك يبطش بكل ضابط يعمل للنهوض بالجيش ، وكانت منشورات الضباط الأحرار لا توزع لا على الضباط فحسب بل يمتد توزيعها إلى رجال الصحافة والسياسيين وإلى الوزراء أنفسهم .

وبدا واضحاً أن الخلاف الواقع بين شباب الضباط أو هيئة الضباط الأحرار وبين الملك فاروق وحاشيته ، خصوصاً العسكريين منهم ، قد أخذ مظهراً جديداً ، مظهراً أشبه بالعلانية .

وبدا واضحاً حينئذ أن محمد نجيب هو المحور الذى يتجمع حوله الضباط الأحرار وأن اللواء سرى عامر هو المحور الذى يرتكز عليه فاروق لمكافحة الضباط الأحرار .

وزاد الأمور تعقيداً أن حل الموعد السنوى لانتخابات مجلس إدارة نادى ضباط الجيش . وكانت الانتخابات هذه إجراء تقليدياً يقع كل عام لينتخب الضباط من كل سلاح نواباً عنهم فى إدارة النادى ، ولم يكن لمثل تلك الانتخابات فى الماضى أى معنى سياسى ، ولكن الأمر إختلف ذلك العام بعد أن وصلت الحرب الباردة بين الملك والضباط الأحرار إلى ذروتها . فقرر الضباط الأحرار أن يجعلوا من هذه الانتخابات مناورة سياسية سافرة توضح للملك مدى قوتهم داخل صفوف الجيش .

ووضع الضباط الأحراز قائمة بأسماء مرشحيهم لإدارة النادى ، ووضع أنصار فاروق قائمة أخرى ، وكان من أهم أهداف الضباط الأحرار فى هذه الانتخابات انتخاب اللواء محمد نجيب رئيسا لمجلس إدارة نادى ضباط الجيش ، وأعتبر الضباط الأحرار فوز نجيب بهذا المنصب أكبر هزيمة يمكن أن تلحق فاروق داخل صفوف الجيش .

وأراد الضباط الأحرار أن ينقلوا معركة الانتخابات إلى الرأى العام ليعرف الناس أن انتخابات مجلس إدارة نادى ضباط الجيش ليست مجرد إجراء تقليدى يقع كل عام بل

هى مظاهرة سياسية كبرى ضد فاروق وأعوان فاروق ، ولم يكن ذلك بمستطاع لهم إلا عن طريق النشر في الصحف ، ولذلك زارنى الصاغ ثروت عكاشة وأطلعنى على التفاصيل الكاملة وطلب منى أن أنشر قائمة المرشحين الذين يؤيدهم الضباط الأحرار وكان ذلك من أصعب الأمور نظراً للرقابة المفروضة على الصحف ولاحتدام النزاع فى ذلك الوقت بين الجيش والملك وغضب الملك أيضا على جريدة المصرى التى كانت تقف له ولحاشيته بالمرصاد .

نشر المصرى قائمة المرشحين فى أبرز مكان فى الصفحة الأولى ، وصدر المصرى فى الصباح وقد نشر القائمة . ووضح من طريقة النشر أن الأمر أعمق بكثير من مجرد انتخاب مجلس إدارة لنادٍ ينتخب مجلس إدارته كل سنة دون أية ضجة أو نشر فى الصحف . وغضب الملك غضبا شديدا . خصوصا أن النشر تم بالمخالفة لتعليمات الرقابة وادى إلى مصادرة المصرى ولكن بعد أن كان قد قارب النفاد من السوق وطالب الملك بتعطيل المصرى ورفضت الحكومة طلباته .

وجرت الانتخابات وفاز جميع مرشحى الضباط الأحرار واللواء محمد نجيب . وكانت صدمة عنيفة للملك فاروق وضباطه الذين كانوا حتى ذلك الحين يصورون له حركة الضباط الأحرار بأنها حركة تافهة لا تمثل إلا عدداً قليلاً من الشبان المتهوسين .

تم كل ذلك أثناء تولى حكومة الهلالى باشا التى خلفت وزارة ماهر باشا فى الحكم .

وكما سبق أن أوضحت فى الفصل الأول جاءت وزارة الهلالى ببرنامج يوحى أنها تنوى اضطهاد الوفد وتشريد رجاله خصوصاً الموظفين منهم ، مما زاد من سخط الشعب وكرهه لها . وتصادف فى هذه الأثناء أن هبط ثمن القطن المصرى فى الأسواق هبوطاً كبيراً بعد أن كان مرتفعاً إرتفاعاً فى عهد الوفد ، فزاد ذلك سخط المصريين على الهلالى وحكومته .

وكانت الحكومة مرتبكة لا تعرف ماذا تريد . وراح رئيس الحكومة يعلن أنه يراجع جميع مراحل المفاوضات التى تمت خلال السنوات السبع الماضية ليستعد لمفاوضة الإنجليز ، وأعلن عن تشكيل لجان التحضير والبحث والدراسة . وكانت المسألة فى نظر المصريين جميعاً لا تقتضى كل هذه الدراسة وهذه اللجان ، ذلك لأنهم يعتبرون أن مطلب

لمصر الوحيد هو أن تجلو القوات البريطانية عن مصر دون شروط ، وهو مطلب بسيط وواضح ومحدد . لذلك اعتبر المصريون ما يعلنه رئيس الحكومة عن دراسة واستعداد ولجان ما هو إلا حجة لإضاعة الوقت دليلاً على عجزه عن مواجهة الإنجليز ومطالبتهم بالجلاء .

وضاق الشعب صدراً بهذه الحكومة عندما أعلن رئيسها حل البرلمان الوفدى الذى كان قائماً وعن إجراء انتخابات عامة ، وأخذ يشغل الشعب بأنباء هذه الانتخابات ومواعيدها ، محاولا بذلك أن يلهى المصريين عن الفشل الذى أصابه فى سياسته الداخلية والخارجية !

وسار رئيس الحكومة فى تمثيليته الجديدة شوطاً بعيداً فأعلن عن فتح باب الترشيح للانتخابات ، ويبدو أن المصريين كانوا غير واثقين من جدية هذا القرار فلم يتقدم للانتخابات فى الأيام الأولى إلا عدد قليل من المرشحين .

وما كادت تمضى بضعة أيام حتى أعلن الهلالى باشا عدوله عن إجراء الانتخابات وطلب من الذين تقدموا للترشيح أن يستردوا التأمينات المالية التى أدوها .

كانت مصر تعيش فى فوضى حكومية ، وكانت النقمة على وزير المالية شديدة لفشله فى الحد من هبوط أسعار القطن وكان الاضطراب واضحاً فى الإدارة الحكومية ، فالحكومة عاجزة عن مفاوضة الإنجليز وإجراء انتخابات ، والحريات السياسية مقيدة بالأحكام العرفية ، وبعض الزعماء محددة إقامتهم فى منازلهم .

وزاد الطين بلة أن حدثت محاولة اعتداء عنيفة على حياة اللواء سرى عامر . ذلك أنه كان يقطن ضاحية من ضواحى القاهرة ، وفى ليلة من الليالى عاد بسيارته إلى المنزل حوالى الحادية عشرة مساء ، وعندما هم بمغادرة السيارة انطلق مدفع رشاش يصب وابلاً من الرصاص عليه ، وكان من حظه أن انبطح فى أرضية السيارة أمام المقعد الخلفى ، فلم يصبه الرصاص بإصابات قاتلة ، ولم يسفر التحقيق عن معرفة الجناة الذين هربوا فى سيارة صغيرة ، واهتم فاروق بالحادث أكبر اهتمام ولكن الحكومة عجزت عجزاً كاملاً عن وضع أيديها على مرتكبى الجريمة .

ووسط هذه الدوامة من الفشل والاضطراب والفوضى وهبوط أسعار القطن سقطت حكومة نجيب اهلالى باشا بعد النصف الثانى من شهر يونيه سنة ١٩٥٢ ، أى بعد أن أمضت فى الحكم قرابَةَ أربعة أشهر ونصف ، وبذلك تكون ثلاث حكومات قد سقطت فى أقل من نصف عام .

وكلف الملك فاروق حسين سرى باشا بتأليف حكومة جديدة وهو من المستقلين ، ووضح وقتئذ أن كريم ثابت قد جعل قبوله وزيراً فى هذه الوزارة شرطاً لموافقة الملك على توليها الحكم . ورفض رئيس الحكومة الجديد قبول كريم ثابت وزيراً ، وتعثر إجراء تشكيل الوزارة ومضت أيام ومصر دون حكومة ، والمؤامرات تدبر من قبل أندراوس باشا مستشار الملك الاقتصادى لإرغام رئيس الحكومة على قبول كريم ثابت باشا المستشار الصحفى للملك وزيراً .

ولما أصبح واضحاً لفاروق أن حسين سرى باشا يرفض قبول مستشاره الصحفى فى الوزارة إستدعى بهى الدين بركات باشا ، أحد المستقلين ، وطلب منه تأليف الوزارة وأخذ هذا يعد العدة لذلك ، فأثر على أعصاب حسين سرى باشا وسارع إلى تعيين كريم ثابت باشا وزيراً ، فوقع فاروق مواثيق تشكيل الوزارة ، واجتمع مجلس الوزراء الجديد فى منزل سرى بالإسكندرية دون أن يكلف أحد نفسه مشقة الاتصال ببركات باشا ، وإخباره بألا يواصل مساعيه لتشكيل الحكومة لأن الوزارة قد تألفت فعلا برئاسة المرشح السابق لرياستها .

وتولت وزارة سرى باشا الحكم فى الرابع من شهر يوليه سنة ١٩٥٣ ، وكان واضحاً أنها وزارة لن تستطيع أن تفعل شيئا ، ويكفى أن يكون بين وزرائها كريم ثابت للقضاء على شعبيتها .

وضح منذ الأسبوع الأول أن رئيس الحكومة الجديدة لن يبقى فى كرسى الرياسة طويلاً إذ كانت كل العوامل تنبىء بأنه لن يستطيع أن يواجه المشاكل المختلفة فى هذه الظروف المضطربة التى كانت تجتازها مصر لا لعجزه ولكن لكثرة المشاكل التى تجابهه ، ووضح كذلك أن الصراع بين الملك وخصومه من ضباط الجيش قد اتخذ صوراً مختلفة ولكنها جميعها عنيفة ، وكان حادث الاعتداء على اللواء سرى عامر مظهراً من هذه

المظاهر العنيفة . ولما وضح لفاروق أن الجناة استطاعوا النجاة من المحاكمة لعجز سلطات الأمن عن اعتقالهم ، طلب من رئيس الحكومة أن يأمر بغلق نادى ضباط الجيش الذى يرأسه اللواء محمد نجيب . وقد حاول رئيس الحكومة أن يقنع الملك بخطورة هذا الإجراء ، ولكنه لم يقتنع وأصر على إغلاق النادى ، وفعلا أمرت الحكومة بغلقه ، وقد استطعت بحيلة على الرقيب أن أنشر الخبر فى الصفحة الأولى من المصرى ، وثار الملك على رئيس الحكومة وثار رئيس الحكومة على وزير الداخلية المسئول عن الرقابة على الصحف وثار الوزير على الرقيب ... ولكن الخبر نشر وعرفت مصر من أدناها إلى أقصاها أن نادى ضباط الجيش قد أغلقته الحكومة أو بلغة أصح أغلقه الملك .

وفى الأيام القلائل التى أعقبت غلق النادى كانت مصر تعيش فى جو من الفزع والقلق ، وكان الناس يتحدثون فى كل مكان عن الأزمات المتلاحقة التى تواجهها مصر ، أزمات تأليف حكومات وسقوط حكومات ، أزمة بقاء الإنجليز واحتلالهم لأرض الوطن ، أزمات فاروق والجيش وحرمان الشعب المصرى من كافة حقوقه السياسية .

عاشت مصر أسبوعاً حافلاً بالانفعالات النفسية والاضطرابات الفكرية ، وفى نهاية هذا الاسبوع علمت بطريقة سرية أن رئيس الحكومة لم يعد قادراً على مواجهة الموقف على هذه الصورة المضطربة ، وأنه أبلغ الملك أن الاستمرار فى سياسة معاداة الجيش من أخطر الأمور ، وأنه يجب العمل على إيجاد حل يهدىء غضب الضباط ، وأنه يرى أن أحسن سبيل لذلك هو تعيين اللواء محمد نجيب وزيراً للحربية ، وبذلك يستطيع أن يضمن رضاء الضباط فيتفرغ هو لحل المشاكل الأخرى . ولكن الملك إعتبر هذا ضعفاً من جانب رئيس الحكومة ، وأن التسليم بتعيين اللواء نجيب وزيراً للحربية هزيمة كاملة له ، وبدل أن يقبل ذلك الرأى طلب اتخاذ إجراء عنيف هو تعيين اللواء سرى عامر وزيراً للحربية .

وأدرك رئيس الحكومة أن الاستجابة لرغبة الملك ستحدث انفجارا داخل الجيش ، وأصر الملك على أنه لا سبيل لقمع التمرد داخل صفوف الجيش إلا بتعيين اللواء سرى عامر لاعتقاده أنه يعرف مصدر التمرد وأسماء المتمردين .

علمت بكل ذلك فانتهزت فرصة اتصال شقيق زوجتى الصاغ عكاشة عضو لجنة الضباط الأحرار بى تليفونياً وأبلغته تفاصيل الأزمة بين الوزارة والملك ، وسألته إن كان قد فهم المقصود من إبلاغه هذه التفاصيل ،

وفى نفس اليوم أى يوم ٢١ يوليه قدم رئيس الحكومة إستقالة وزارته للملك فقبلها فى الحال ، وبذلك سقطت رابع وزارة تولت مقاليد الحكم خلال سنة ١٩٥٢ ، ولما تمكث فى الحكم أكثر من سبعة عشر يوما ؟ ...

واستدعى الملك الهلالى باشا مرة أخرى وكلفه بتأليف حكومة جديدة ، وفى اليوم التالى أى ٢٢ يوليه إنشغل رئيس الوزارة الجديد باختيار وزرائه ، وذهب الوزراء الجدد إلى مساكنهم فرحين بمناصب الحكم وأقبل الليل حتى قارب على الانتصاف ، وعندئذ علم وزير الداخلية مرتضى المراغى باشا الذى كان يقيم هو وجميع أعضاء مجلس الوزراء بالإسكندرية (المقر الرسمى للحكومة أثناء الصيف) بأن فرقاً من الجيش قد بدأت تتحرك من ثكنات الجيش بالقاهرة .

لقد كانت هذه الحركات هى بدء ثورة الجيش أو كما تسمى بدء حركة الجيش .

ولكى نفهم ما وقع عقب محادثتى التليفونية مع الصاغ عكاشة أرى أن ننتقل إلى مدينة القاهرة وأن نرجع إلى يوم ٢١ من يوليه . كانت المحادثة ظهر ذلك اليوم ، وفور انتهائى منها ، إتصل عكاشة بزملائه عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محى الدين وطلب منهم الحضور إلى منزله فوراً . وجاءوا جميعاً إلى منزل الصاغ عكاشة ، وعندئذ أخبرهم بتفاصيل الحديث الذى دار بيننا وبحث المجتمعون الأمر ، وقرروا بدء حركتهم فى منتصف الليل ، ولكن اتضح لهم أن الساعات الباقية لا تكفى للاتصال بباقى الضباط الأحرار ورسم الخطة معهم والاتفاق على تنفيذها .

نصرف المجتمعون إلى رسم الخطة وكانت فى مجملها بسيطة ، وهى تقضى بأن يذهب كل ضابط من الضباط الأحرار إلى مقر سلاحه فى الساعة العاشرة من مساء اليوم التالى ، ويختار ضابطا من كل سلاح وتبلغ له الخطة كاملة ، ويعهد اليه الإشراف على باقى ضباط سلاحه وأن عليه أن يوزع الاختصاصات على هؤلاء الضباط قبل الميعاد المحدد لبدء العمليات بوقت قليل .

وكانت الخطة تقضى بأن تتوجه فرق من كل سلاح مزودة بجنودها وأسلحتها فى منتصف الليل إلى مقر سلاح الفرسان ، وعند تجمع هذه الفرق تخرج الدبابات لتحتل مرافق العاصمة ترافقها الفرق اللازمة من الأسلحة الأخرى ، كما تخرج بعض فرق وتحتل مركز قيادة الجيش المواجهة لسلاح الفرسان .

وفى المساء عقد المجتمعون إجتماعاً آخر مع الضباط الذين سيوكل لهم الاشراف على تحريك أسلحة الجيش وشرح عبد الناصر لهؤلاء الخطة والأسباب التى دعت إلى بدء الحركة ، وأوصى كل واحد منهم بأن يحرص على كتمان الأمر عن باقى الضباط الأحرار فى سلاحه ، وأن يحرص أيضاً على أن يجمع هؤلاء الضباط فى مقر قيادة السلاح فى الساعة العاشرة على أكثر تقدير ، وألا يعطى التعليمات لهؤلاء الضباط إلا قبل الميعاد المحدد لبدء العمليات بساعة على الأكثر كى لا تتسرب الأنباء إلى الجهات الحكومية أو إلى قيادة الجيش .

ووزع جمال على الضباط المجتمعين به كشفاً بأسماء الأماكن العامة التى على الجيش أى على الضباط الأحرار إحتلالها .

وظل الضباط الذين عهد إليهم عبد الناصر مهمة الإشراف عى أسلحة الجيش يدرسون الخطة طوال يوم ٢٢ يوليه ، ونبه كل ضابط منهم زملاءه من الضباط الأحرار فى السلاح بالحضور إلى مقر السلاح ليلاً فى وقت محدد ، وأن يحرص الجميع على الوصول فى وقت واحد حتى لا يثير تواردهم الواحد تلو الأخر الشكوك .

وأمضى عبد الناصر ذلك اليوم فى حركة دائبة واتصال مستمر بباقى زملائه . ومنعاً من تسرب أية أنباء عن الخطة أخبر أحد الضباط الذين كانوا يعملون لحساب فاروق أن رأى الضباط قد اجتمع على رفع قضية أمام مجلس الدولة ضد قرار الحكومة بغلق نادى الضباط . لقد أسر جمال بهذا النبأ الزائف إلى هذا الضابط دون أن يشعره بأنه يتشكك فى إخلاصه لباقى الضباط ، ودون أن يشعره أيضا بأنه يتشكك فيه ، أسر بالنبأ إلى هذا الضابط وهو واثق أنه سيرفعه إلى رؤسائه الموالين للملك ، وأن هؤلاء الرؤساء سيبلغونه فوراً لفاروق .

وكان الميعاد المحدد لبدء الحركة هو الساعة الثانية عشرة أى عند منتصف الليل أى فى الدقيقة الأولى من يوم ٢٣ من يوليو ، ولكن تصادف أن اختلط الأمر على البكباشى يوسف صديق الذى كان مكلفاً بسلاح المشاة فأخطأ الميعاد إما لأنه تصور أنه تحدد فى الحادية عشرة مساء أو لأنه أخطأ تقدير أرقام الساعة عندما نظر إلى ساعته فظنها تشير إلى الثانية عشرة بدلاً من الحقيقة وهى الحادية عشرة . وقد كان هذا الخطأ أو السهو له أهمية عظمى فى نجاح حركة الجيش ذلك لأن أحد الضباط المشتركين فى الحركة طلب من زوجته أن تصلى له وتطلب من الله له التوفيق ، فأثار هذا الطلب فضول الزوجة فألحت لمعرفة سبب خروجه ليلاً ونوع العمل الذى هو مقدم عليه . ولم يسع الزوج أمام إلحاح زوجته إلا أن يخبرها بالمهمة بل بالحركة التى سيتخذها ضباط الجيش ، وخرج الضابط وبدأت المخاوف تتسلط على الزوجة فأجرت بعض اتصالات تليفونية كان من شأنها تسرب أنباء الحركة لقيادة الجيش قبل الحادية عشرة مساءً بقليل .

واتصل عندئذ قائد الجيش بباقى قواد الأسلحة وطلب منهم الحضور فوراً إلى مقر قيادة الجيش بالقاهرة .

وفى الساعة الحادية عشرة خرج البكباشى يوسف صديق على رأس جنوده يعاونه باقى الضباط الأحرار للسلاح متجهين إلى مقر سلاح الفرسان ، وأثناء سيرهم فى الطريق حدث حادث آخر غريب ، ذلك أن الجنود الذين كانوا فى المقدمة شاهدوا سيارة صغيرة تسير ببطء إلى جوارهم ثم تقف ويطل منها اثنان من الشبان فى ملابس مدنية ، فأسرع الجنود إلى القاء القبض على الشابين وكادا يقتلانهما لولا صراخهما الذى جعل البكباشى يوسف صديق يسارع إلى مقدمة الصفوف ليستطلع الخبر ، فإذا به يجد الجنود وقد قبضوا على جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فيخلصهما من قبضة الجنود .

وبادر عبد الناصر بسؤال صديق عن سبب خروجه قبل الميعاد فجادله صديق بأن هذا هو الميعاد المحدد ، وأدرك عبد الناصر أنه لا مفر من التسليم بما تم وأنه لا مناص من أن يترك يوسف صديق يواصل سيره إلى مقر سلاح الفرسان وإن كان الزمن متقدماً ساعة عن الميعاد . ومن المعروف أن الأوامر كانت تقضى بأن يرتدى كل الضباط المشتركين فى الحركة الملابس العسكرية ولكن عبد الناصر خرج تلك الليلة بملابس مدنية

المشتركين فى الحركة الملابس العسكرية ولكن عبد الناصر خرج تلك الليلة بملابس مدنية . وواصل البكباشى صديق يقود فرقة سلاح المشاة إلى مقر سلاح الفرسان وهناك اكتشف أن فى قيادة الجيش المواجهة لمركز سلاح الفرسان حركة غير طبيعية فأرسل بعض الضباط وفصيلة من الجنود برئاسة القائمقام أحمد شوقى إلى مقر قيادة الجيش وألقى القبض على رئيس أركان حرب الجيش ورؤساء الأسلحة .

ولولا هذه الساعة التى بكرها البكباشى يوسف صديق لتمكن قواد الأسلحة من التوجه إلى مراكز الأسلحة وإفساد الحركة ، ذلك لأن الجنود كانوا سيقومون بتنفيذ أوامر قائد السلاح ، ويمتنعون عن تنفيذ أوامر مرؤوسيهم من شباب الضباط .

تم الاستيلاء على مركز قيادة الجيش وخرجت الدبابات والسيارات المصفحة وأتمت استيلاءها على القاهرة فى أقل من ساعتين ولم تقم فى وجهها أية مقاومة .

كانت الحكومة بجهازها الإدارى فى الإسكندرية ، وكانت القاهرة خالية من المسئولين . وبعد أن أعلم وزير الداخلية مرتضى المراغى باشا بأن الجيش قد ألقى القبض على قواده ، وأنه احتل المرافق العامة ، أدرك أنه لا فائدة من إصدار أمره لضباط البوليس بالمقاومة لأن النتيجة النهائية ستكون انتصار الجيش ورأى حقنا للدماء ألا يصدر أى أمر بالمقاومة .

وفى الساعة الثانية صباحاً أرسل عبد الناصر بعض الضباط إلى منزل اللواء محمد نجيب حيث أخبروه أن الجيش قد قام بحركة عسكرية ، وأنه إذا أراد أن يرأس هذه الحركة فعليه أن يذهب معهم إلى مقر القيادة ، وبعد بضع دقائق كان اللواء نجيب يرافق الضباط إلى مقر القيادة ، وحمل المسئولية الجسيمة دون أن يسأل عن خطة هذه الحركة أو مدى احتمالات نجاحها ، أو عن موقف باقى فرق الجيش فى مختلف أنحاء القطر المصرى . ذهب محمد نجيب وتولى مسئولية رياسة الحركة لأنه منذ بضعة أسابيع خلت كان قد زاره جمال عبد الناصر فى منزله وأخبره أن هناك تنظيماً داخل صفوف الجيش وأن هذا التنظيم قد يقوم ببعض الأعمال خدمة لصالح الجيش وصالح الشعب ، وتمكينا لقيام حكم برلمانى دستورى سليم ، وطلب من اللواء نجيب أن يقبل الانضمام إلى هذا التنظيم

عندما يبدأ العمل الجدى ، فوافق فى الحال على هذا الطلب ، وتعاهد الرجلان على ذلك . وانصرف عبد الناصر دون أن يحاول اللواء نجيب معرفة أسماء الضباط المنتمين للهيئة أو خططهم أو أى سر من أسرارهم !!!

وفى الساعة السادسة صباحاً إستيقظ سكان القاهرة على إذاعة بيان تم إلقاءه بإسم اللواء محمد نجيب عن طريق الإذاعة ، يعلن فيه أن الجيش قد قام بحركته وأنه استولى على مدينة القاهرة دون أن تراق نقطة دم ، وأن حركة الجيش هى حركة الشعب وأن أهدافها هى إقامة حكم دستورى سليم ، وإلغاء الأحكام العرفية ، وتمكين سيادة الشعب وتطهير الأداة الحكومية والنهوض بمستوى الجيش .

وخرج سكان القاهرة فى الصباح ليجدوا الدبابات قد انتشرت فى أحياء وشوارع القاهرة وعند مداخل العاصمة ، وسرعان ما علم الجميع أن الجيش قد سيطر على القاهرة ، وأن الضباط الذين قاموا بالحركة قد عهدوا إلى على ماهر باشا برئاسة الحكومة .

ولأول مرة تتولى وزارتان حكم مصر ، وزارة عينها الملك فاروق برئاسة الهلالى باشا وتقيم بالإسكندرية ، ووزارة ثانية عينها الجيش برياسة على ماهر باشا وتقيم فى القاهرة .

وبطبيعة الحال سبق إذاعة بيان اللواء محمد نجيب عدة اتصالات من قبل وزير الداخلية فى وزارة الهلالى ، كان القصد منها تأجيل إذاعة بيان الجيش حتى يتم التفاهم على الوضع الجديد ، ولكن الضباط كانوا قد أصروا على إذاعة البيان واعلان الحركة للشعب ، فأذاع اللواء نجيب البيان ضاربا بكل هذه المساعى عرض الحائط .

وما أن كانت الساعة الثامنة صباحاً إلا وكان كل سكان مصر يعرفون بأن الجيش قد استولى على القاهرة وأقام حكومة من قبله باعتباره صاحب السلطة فى حكم البلاد .

ولقد كان نجاح الحركة فى الاستيلاء على مدينة القاهرة مفاجأة كبرى للشعب ، ذلك لأن كل مصرى كان يعرف بالصراع القائم بين الملك والجيش ، ولكن الغالبية العظمى ما كانت تتصور أن تتطور الأمور إلى انقلاب ، وما كانت تتصور أن يقوم الجيش

بالانقلاب وما كانت تتصور أن ينجح بمثل هذه السهولة . ومع ذلك فقد كانت المفاجأة سارة لغالبية الشعب المصرى الذى كان قد ضاق ذرعاً بالأحكام العرفية وبالقيود المفروضة عليه وبتعاقب الوزارات الضعيفة الواحدة تلو الأخرى وبهبوط أسعار القطن وبعجز الحكومات الأخيرة عن إخراج الإنجليز من مصر . لهذه الأسباب ولضيق الناس بحياة فاروق الخاصة وبتصرفات بعض رجال حاشيته وتدخلهم السافر فى شئون الحكم رحب الشعب المصرى بقيام حركة الجيش .

وإذا كان نجاح الحركة فى الاستيلاء على مدينة القاهرة جاء سهلاً فإن استسلام فاروق جاء أسهل ، ذلك لأنه سرعان ما نحى حكومة الهلالى باشا عن الحكم ، واعترف بحكومة على ماهر باشا التى عينها الجيش حكومة رسمية للبلاد ، ثم أنعم على اللواء نجيب برتبة فريق . لقد طاش صواب فاروق ولم يعرف كيف يتصرف فى هذه الأزمة برغم أن الجيش لم يكن قد استولى بعد إلا على مدينة القاهرة ، ولم تكن فرق الجيش الأخرى فى الإسكندرية والعريش ومنقباد قد حددت موقفها . ولم يسع فاروق إلى الاتصال بها وجمعها على تأييد ولائها له وآثر التسليم .

وكان عبد الناصر قد خشى أن يتصل قبل الحركة بفرق الجيش الموجودة خارج القاهرة خوفاً من أن ينكشف أمر الحركة قبل قيامها ، وحرص على أن تقوم الحركة بالقاهرة أولاً ثم يتصل بالفرق الأخرى الموجودة فى أنحاء القطر .

وانهالت على جريدة المصرى برقيات من هيئات مختلفة تعلن الولاء للحركة الجديدة ، وكان من أشجع هذه البرقيات برقية أرسلتها هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية . فعلى الرغم من أن سلطان حركة الجيش لم يكن قد امتد إلى الإسكندرية ، وعلى الرغم من وجود الملك بها ، فإن هيئة التدريس قد جازفت بإعلان رأيها صراحة .

وصدرت جريدة المصرى صبيحة اليوم التالى . وكأنها منشور ثورة فى الوقت الذى حاولت الصحف الصباحية الأخرى أن تنشر أنباء حركة الجيش فى أضيق الحدود فى أماكن غير بارزة . ولقد كانت مغامرة بإصدار المصرى على هذا النحو ، ولكن اقتناعى بضرورة عودة الحياة البرلمانية وتحطيم كل القيود المفروضة على الشعب ، واقتناعى بأن

ذلك لن يتم إلا بثورة ، قد جعلنى لا أتردد لحظة فى تأييد ما قام به الجيش تأييداً تاما ، إذ جعلت الصفحة الأولى بأكملها عناوين لتأييد الهيئات المختلفة لما قام به الجيش . وقد زاد من اندفاعى فى تأييد الثورة البيان الذى أذاعه محمد نجيب ، وأكد فيه أن الحركة قد قامت باسم الشعب لإلغاء جميع القيود المفروضة عليه ، ولإقامة حكم ديمقراطى سليم ، لقد كنت دائما أومن بالديموقراطية وبالحكم البرلمانى رغم ما تعرض له الحكم النيابى فى مصر من عثرات .

ونعود لتفصيل ما حدث فى هذه الفترة الحاسمة فى تاريخ مصر لنذكر أن اللواء محمد نجيب قد رفض رتبة فريق التى منحه إياها الملك فاروق . وكان واضحاً فى ذلك الحين أن الضباط أنفسهم ماكانوا يتوقعون نجاح حركتهم على هذا النحو . واتخذوا من مركز القيادة محل إقامة دائمة لهم ، فكانوا يعيشون على الساندويتش وينامون فى مركز قيادة الجيش يراقبون باستمرار تطور الأمور . ولما كان تنفيذ الحركة قد جاء وليد الأزمة الوزارية الأخيرة فإن القائمين عليها لم يكونوا قد رسموا الخطوات التالية التى يجب أن تتخذ عقب الاستيلاء على الحكم . وكان الضباط غير واثقين تمام الثقة بأن وزارة على ماهر باشا ستستطيع أن تحمل العبء وحدها . لذلك ظلوا ساعة بعد أخرى متابعين وضع الخطط بحسب ما يجد من الأمور ، وتكون فى ذلك الحين مجلسٌ أطلق على نفسه إسم مجلس القيادة برئاسة البكباشى عبد الناصر وعضوية عبد الحكيم عامر وخالد محى الدين وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وجمال سالم وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وزكريا محى الدين وانور السادات وكان اللواء محمد نجيب يحضر هذه الاجتماعات دون أن يكون له حق التصويت .

وقد كنت أتردد دائما على مركز القيادة حيث أجتمع بعبد الناصر لمناقشة الأمور . وقد كان واضحاً أنه حتى مساء اليوم الثانى لقيام الحركة لم يكن الرأى قد استقر بعد على مطالبة الملك فاروق بالتنازل عن العرش ، وقد حدث أثناء اجتماعى باللواء محمد نجيب فى مكتبه أن دخل البكباشى زكريا محى الدين وقال لنجيب « إنه من الواجب أن نضع أوراقنا فوق المنضدة ونبحثها » ثم أضاف : « إن بقاء فاروق على العرش سيظل خطراً على حركتنا ومن الواجب أن نعمل على تنازله عن العرش » .

وقابلت عبد الناصر وتباحثت معه فى الأمر ولكنه لم ينته إلى رأى فى هذه المسألة . وعندئذ اتصل به القائمقام رشاد مهنا تليفونياً من العريش ، وأعلن رشاد مهنا إنضمام حامية العريش للحركة ثم قال لعبد الناصر : إلى متى ستتركون الرجل فى الإسكندرية ؟ » وكان يعنى فاروق ، فلما أخبره عبد الناصر بأنه يبحث الأمر ، قال مهنا : « إذا لم تطردوه فإنى سأحضر بحامية العريش لأتولى هذا الأمر بنفسى » .

وعدت إلى مركز قيادة الجيش حوالى منتصف الليل فأخبرنى عبد الناصر أن الرأى قد استقر على حمل فاروق على التنازل وأن المجلس « أى مجلس القيادة » قد بحث الخطة وأقرها .

وقبل إنصرافى من مجلس القيادة أخبرنى عبد الناصر أن الخطة التى سيتبعونها لحمل فاروق على التنازل هى محاصرة قصر المنتزه بالدبابات وتقديم إنذار لفاروق بالتنازل عن العرش فإذا رفض تدخلت الدبابات لحسم الأمر .

وكانت حامية الإسكندرية لم تقرر موقفها حتى ذلك الحين فرأى الضباط الاعتماد كلياً على حامية القاهرة ، ولذلك تقرر إرسال فصيلتين من الدبابات والسيارات المصفحة أثناء الليل إحداهما عن طريق الشحن بالسكة الحديد والثانية عن الطريق الصحراوى الذى يصل القاهرة بالإسكندرية حتى إذا عاق وصول إحدى الفصيلتين أى عائق وصلت الثانية وتولت تنفيذ الأمر . وقد وقع الاختيار على الصاغ عكاشة لتنفيذ هذه الخطة .

وكان مركز القيادة يترقب بلهفة أنباء سفر الدبابات والسيارات المصفحة حتى إذاما وصلت إلى الإسكندرية توجهت فوراً إلى مقر المنتزه وحاصرت القصر . وكان رئيس الوزارة على ماهر باشا قد سافر إلى الإسكندرية مع وزير داخليته سليمان حافظ بك . وبينما كانت الدبابات تحاصر القصر قدم رئيس الوزارة طلب التنازل عن العرش للملك . وكان الطلب يقضى بأن يتم تنازل فاروق لإبنه الطفل أحمد فؤاد الذى لم يكن يزيد عمره عن عامين .

وفى هذه الأثناء تدخل السفير الأمريكى مستر جفرسون كافرى فى الأمر ، وطلب

من الضباط ضماناً بأن حياة فاروق لن تمس بأى إعتداء، وأنهم سيسمحون له بالسفر إلى الخارج، وأنه إذ يغادر البلاد يغادرها بمظاهر التكريم التى يجب أن تتوفر لملك يغادر وطنه. وقد قبل الضباط بعد مناقشات طويلة ذلك لأن فريقاً منهم كان يرى إعدام فاروق أو على الأقل الاحتفاظ به فى مصر على اعتبار أن وجوده فى الخارج يمثل خطراً مستمراً على الحركة.

ولما قبل الضباط وساطة السفير الامريكي أمضى فاروق وثيقة التنازل عن الملك لابنه الصغير أحمد فؤاد.

وفى الساعة السادسة من بعد ظهر يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ انطلقت المدافع فى الإسكندرية تعلن مغادرة الملك فاروق أرض الوطن. وكان قد ودع توديعاً ملكياً فقد اصطفت فرق من الجيش على الجانبين أثناء اتجاهه إلى اليخت «المحروسة»، وخرج فى وداعه رئيس الوزراء واللواء نجيب والضابط الطيار جمال سالم، ويبدو أن الأخير كان واقفاً بطريقة لم يسترح لها فاروق باعتباره ضابطاً فى القوات المسلحة التى يرأسها، فلفت نظره إلى ذلك، ولما صافح فاروق يد اللواء محمد نجيب ابتسم وقال له: «اتمنى لك التوفيق فى مهمتك الصعبة».

وكان عبد الناصر قد حدثنى فى منزلى فى الساعة الرابعة وكنت منهكاً أشد الإنهاك فأصر على أن أكون فى مركز القيادة فى الساعة الخامسة والنصف، فلما حاولت الإعتذار رفض فذهبت، وكان مركز القيادة فى ذلك الوقت قد إكتظ بالضباط، فأخذنى من يدى وقدمنى للضباط واحداً بعد الآخر، هذا صلاح سالم، وهذا كمال الدين حسين وهذا... وهذا... ثم قال وهذا الجمع من شباب الضباط. وجلست وجلس عبد الناصر إلى جوارى وإلى جوارى من الناحية الأخرى صلاح سالم، وبعد قليل شخصنا جميعاً إلى جهاز الراديو حيث دقت الساعة السادسة وخرج صوت اللواء محمد نجيب يعلن تنازل الملك السابق فاروق عن العرش لإبنه الملك أحمد فؤاد الثاني. وعندئذ وزع الجنود المرطبات علينا وقال عبد الناصر «لقد حرصت أن تكون معنا فى هذه اللحظة الحاسمة»

وهكذا انتهى ملك فاروق لعرش مصر، هكذا طوت مصر صفحة من صفحات التاريخ الحاسمة، وهكذا انتقل مُلك مصر لطفل صغير لايدرى من أمره أو أمر الملك شيئاً.....

الفصل الثالث

الزحف نحو الدكتاتورية

« المرحلة شاقة ، وأمامك برنامج ضخم ، ويجب على كل مصرى أن ينصرف إلى أداء عمله فى جد وعزم ، حتى تستطيع مصر أن تحقق كل آمالها ، لقد خرج فاروق ، وما خروجه إلا فتحاً لصفحة جديدة حافلة بالعمل المتواصل ، فأرجو أن لا يشغلكم شاغل عن السير فى البرنامج المرسوم حتى تستطيعوا أن تفخروا بأنكم حققتم للوطن ما يصبو إليه من آمال » .

كانت هذه كلماتى لعبد الناصر بعد أن تناولنا المرطبات إبتهاجاً بخروج فاروق من مصر .

فرد عبد الناصر « إنى أعلم ذلك وسأعمل له ، وإنى أقدّر المسؤولية وأعرف البرنامج وتأكد أننا سننفذه كما أعلناه » .

وصافحته وصافحت باقى الضباط ، وغادرت مركز القيادة فخلا المبنى من المدنى الوحيد الذى كان فيه وتركه للضباط يبحثون أمرهم ومستقبل البلاد .

وفى هذه الليلة أعاد الجيش إلى الإشراف على الإذاعة مديراً سابقاً كان أبعده عنها فاروق وهو الاستاذ محمد فتحى ، وأصّر هذا المدير أن أكون أول مدنى يعلق على خروج فاروق . وقبلت الدعوة وكتبت الحديث فى سرعة وأذعته . وكان الحديث كله منصبا لا على فاروق ولكن على ما يجب أن يقوم به كل مصرى ، وهو أن يطوى صفحة فاروق ويفتح صفحة جديدة هى صفحة العمل لمستقبل سعيد وحياة أفضل ، وأن نضع نصب أعيننا آمال البلاد وما تصبو إليه من إلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف والإفراج عن المعتقلين وإقامة حياة دستورية برلمانية والعمل على استقلال مصر والسودان .

وعدت إلى مركز القيادة وأطلعت جمال عبد الناصر على نص حديثى ، وقد دفعنى إلى ذلك حديث دار بينى وبين الأستاذ إحسان عبد القدوس الذى جاءنى إلى مبنى جريدة

المصرى ، وسار معى فى حديقتها وبادرنى بالسؤال : « ما هو شعورك اليوم ؟ .. » .

فأجبت « شعورى ... ما هذا السؤال ؟ ... ألم تكن تتمنى أن تصل إلى ذلك ؟ » .

فالتفت الصديق إلىّ وشد بيده على ذراعى وقال « أرجو ألا تغرق فى التفاؤل فإننا مقبلون على حكم عسكرى ديكتاتورى » وقال المرحوم « أخى محمد أبو الفتح » ، كنا نتمنى أن يقوم الشعب باخراج فاروق وبذلك تعود للمصريين الحريات والحقوق ، أما الجيش فإنه لن يعيدها أبداً » فلم يسعنى إلا أن أذهب على الفور إلى مركز القيادة حيث اجتمعت فورا بجمال وأخبرته أنى أذعت حديثاً قلت فيه أن أهم ما تصبو إليه مصر هو إلغاء الأحكام العرفية ورفع الرقابة عن الصحف والإفراج عن المعتقلين .

فابتسم عبد الناصر وقال « لقد أحسنت فإن هذا هو رأينا جميعاً ... ومنذ الليلة سترفع الرقابة عن الصحف ... وسنبحث الليلة أمر المعتقلين ونفرج عنهم تباعاً فى الأيام القلائل القادمة . فقلت « والحياة النيابية ؟ » .

فعاد عبد الناصر يبتسم وقد بدا عليه الإعياء « إنها قادمة ... لقد قمنا بالحركة لإعادة الحياة النيابية ... ولولا محادثتك التليفونية مع ثروت عكاشة لتأخر قيام الحركة للسبت الثالث من نوفمبر ــ وهو الموعد الدستورى لاجتماع البرلمان ــ فإذا لم يكن فى مصر برلمان ليجتمع فى ذلك اليوم ... لأجبرنا فاروق على دعوة البرلمان القديم للانعقاد ... » .

وسكت لحظة ثم عاد يقول « لقد كانت هذه خطتنا ، ولولا تطور الأمور بالشكل الذى فصلته لثروت عكاشة لقمنا بحركتنا فى السبت الثالث من نوفمبر ... نعم لقد كنا قد حددنا ذلك اليوم لحركتنا لنجبر فاروق على إقامة حياة نيابية » .

وشعرت بكثير من الراحة بعد هذا الحديث خصوصاً وأن عبد الناصر قد أكد لى بعد أن هممت بالانصراف أنهم سيلتزمون بالبرنامج الذى أعلنه اللواء نجيب صباح ٢٣ من يوليه ... فهل التزم جمال عبد الناصر بهذا البرنامج ؟...

حقيقة أن الرقابة على الصحف قد أُلغيت فى تلك الليلة وأصبحت الصحافة حرة تكتب ما تشاء ، وبطبيعة الحال كانت كل الصحف تؤيد الحركة تأييداً كاملاً ذلك أن

الصحيفتين الصباحيتين اللتين تنافسان المصرى خرجتا فى صباح يوم ٢٧ من يوليه لأول مرة تؤيد حركة الجيش ، وفى صدر جريدة الأخبار مقال بإمضاء محمد التابعى ... وكل ما فى المقال سب وطعن فى فاروق ، وأذكر أنى زرت جمال فى اليوم التالى فبادرنى بابتسامة عريضة وقال « هل قرأت جريدة أخبار اليوم ؟ ... » فأجبت بالايجاب ، فزاد اتساع ابتسامته وقال « قرأت مقال التابعى ؟ ... » ففهمت عندئذ غرضه : فقال « هل تعرف ماذا فعلت بالمقال ؟ ...

فقلت ماذا فعلت ؟ ...

فابتسم بل قهقه وقال « لقد نزعتها من الجريدة ولصقتها بحجرة نومى » .

فلما لاحظ دهشتى أضاف مقهقها وكتبت عليها كلمة « النفاق » .

أردت أن أسجل هذه الحادثة العابرة لا لشىء إلا لأن محمد التابعى هذا قد نصبه جمال عبد الناصر مديراً لمؤسسة أخبار اليوم المؤممة وغدا من أهم الكتاب الذين أصبح يعتمد عليهم جمال عبد الناصر كل الاعتماد .

أُلغيت الرقابة على الصحف ، وبدأ الإفراج عن بعض المعتقلين السياسيين الذين اعتقلتهم الحكومات التى تلت حكومة الوفد .. ولكن التجربة التى واجهتها حركة الجيش وقيادة الجيش لتحديد موقفهم من الدستور قد دخلت فى امتحان سريع فاقتضى ذلك تعيين مجلس وصاية . بعد تنازل فاروق لابنه فؤاد . وقد وقع إختيار قيادة الثورة على الأمير محمد عبد المنعم عضواً ، وبهى الدين بركات باشا عضوا ثانيا والقائمقام رشاد مهنا الضابط وذى النفوذ الكبير فى صفوف الجيش ، لاسيما سلاح المدفعية ، وعُرف أن اختياره لهذا المنصب بالجيش قد قصد به إقصاؤه عن الجيش وعن مجلس قيادة الحركة . وكان الدستور المصرى ينص بأن يحلف الأوصياء على العرش اليمين أمام أعضاء البرلمان « النواب والشيوخ » .

وكان البرلمان الأخير قد حلته وألغت وجوده وزارة الهلالى باشا الأولى ، فقام البحث فيما إذا كان الدستور يوجب فى حالة عدم وجود برلمان أثناء تعيين أوصياء على العرش دعوة آخر برلمان للاجتماع ليحلف الأوصياء اليمين أمامه ... ؟ أم ما هو الإجراء الآخر الذى يجب اتباعه ؟ .

والقاعدة الدستورية فى مصر هى وجوب دعوة آخر برلمان حتى ولو كان قد سبق حله للاجتماع ليحلف الأوصياء اليمين أمامه ... فبدل أن تأخذ قيادة الحركة بهذا الإجراء الدستورى أحالت الأمر على رئيس مجلس الدولة الدكتور السنهورى ليبحثه ويستصدر به فتوى دستورية .

وكان الدكتور السنهورى فى ذلك الوقت من أشد المتحمسين للحركة فبدلاً من أن يجمع جميع مستشارى مجلس الدولة الإداريين منهم والقضائيين لبحث الأمر واستصدار الفتوى ، أسقط من الاجتماع المستشارين القضائيين وقصره على المستشارين الإداريين ، والفرق بين الإثنين واضح جدا خصوصاً لمن عاش فى مصر فى تلك الحقبة من الزمن ، ذلك أن المستشارين القضائيين بحكم عضويتهم فى أحد أكبر هيئة قضائية فى مصر كانوا دائماً يتوخون الحق والعدالة ونصوص الدستور وروحه . أما المستشارون الإداريون فهم ليسوا قضاة بل إداريين تؤثر فيهم التوجيهات السياسية .

إجتمع المجلس وكان بين أعضائه الدكتور وحيد رأفت أكبر عالم فى القانون الدستورى عرفته مصر فى السنين الأخيرة ، وكان حتى وقت قريب أستاذ القانون الدستورى بكلية الحقوق بجامعة القاهرة وقد ظل يشغل هذا المنصب عدة سنوات والمستشار القانونى لوزارة الخارجية ، وطعن الدكتور رأفت فى قرار جمع المستشارين الإداريين دون المستشارين القضائيين . ولما رفض المجلس طعنه وبدأ البحث فى الموضوع ، راح الدكتور وحيد رأفت يشرح نصوص الدستور والسوابق الدستورية فى العالم ويستشهد بآراء كبار علماء الدستور فى فرنسا وبلجيكا وغيرهما من الدول التى أخذنا عنها الدستور المصرى ، وكان المفروض أن يأخذ المجلس برأى الدكتور رأفت لأنه الأستاذ المتخصص بين المجتمعين ، ولكن أعضاء المجلس ظلوا يجادلون سبع ساعات فلم يسعه إلا أن يقدم استقالته عندما تبين له أن الرأى قد استقر على أنه لا داعى لدعوة البرلمان السابق للاجتماع .

وكنت حريصاً أشد الحرص على أن أعرف النتيجة التى سينتهى إليها مجلس الدولة فى بحثه ، وكنت أعتبر هذا القرار الامتحان الأول الذى تجتازه مصر بالنسبة لمستقبل الحكم

الديموقراطى فيها ، ولشدة قلقى ذهبت لعبد الناصر فى مركز القيادة وسألته عن معلوماته بالنسبة للقرار فقال لى أن المجلس لا يزال مجتمعاً ، وبعد قليل دق جرس التليفون واستمع إلى الحديث دون أن يعلق عليه إلا بلفظ « طيب » ثم قال : (إن القرار قد صدر ، لا داعى لاجتماع البرلمان) .

وكان الذهول قد عقد لسانى فلم أنطق بحرف ، وكان جمال قد لاحظ ما يدور بخلدى وأحس بخيبة أملى الشديدة فأمسك بذراعى وقال : « أعمل إيه .. السنهورى جمع المستشارين الإداريين فقط » ...

ولم أنطق بحرف بل تركته وانصرفت إلى سيارتى ...

وطوال المسافة بين مركز القيادة وجريدة المصرى كنت أفكر فى عبارتين ، العبارة الأولى التى قالها صديقى إحسان عبد القدوس يوم تنازل فاروق « أرجو الا تُفرط فى التفاؤل فإننا مقبلون على حكم ديكتاتورى عسكرى » والعبارة الثانية هى تلك التى ختم بها عبد الناصر حديثه معى الليلة « أعمل إيه ... السنهورى جمع المستشارين الإداريين فقط » ...

ورحت أسأل نفسى كيف عرف عبد الناصر أن هناك فارقاً بين جمع المستشارين جميعاً بما فيهم القضائيين وبين اقتصار السنهورى على دعوة المستشارين الإداريين ... إن عبد الناصر ضابط وهو بحكم منصبه فى السابق وبحكم مشغولياته ومسئولياته الآن لا يمكنه بمفرده أن يميز الفرق بين دعوة المستشارين وبين إسقاط القضائيين من الإجتماع » .

وعادت عبارة صديقى إحسان تدق رأسى « أرجو ألا تُفرط فى التفاؤل فإننا مقبلون على حكم عسكرى ديكتاتورى » . واسترجعت كلمات أخى محمد : « الجيش لن يعيد الحريات أبداً » .

ووصلت مكتبى فوجدت أحد المحررين بالجريدة فى انتظارى وبادرنى بقوله « الدكتور وحيد رأفت يريد مقابلتك حالاً فى منزله بالمعادى » . فلما حاولت أن أعتذر عن الذهاب بحجة أن الساعة قد قاربت الحادية عشرة ليلا ، وأن المنزل بعيد ، وأن الدكتور لابد أن يكون قد آوى إلى فراشه ، أجاب بقوله « لقد كلفنى بأن أصطحبك إليه مهما كان الوقت متأخراً » .

وذهبت مع المحرر ، وكان الأستاذ أمين عبد المؤمن ، إلى منزل الدكتور وحيد رأفت ، الذى كان أستاذى فى كلية الحقوق ، وكنت دائماً أجله وأحترمه ، وأذكر أنه فى أثناء دراستى أقال الملك فاروق إحدى حكومات الوفد ، وبعد ظهر نفس اليوم كان من المقرر أن يحاضرنا الدكتور رأفت فى فصل من فصول القانون الإدارى ، فلما اجتمعنا بمدرج الكلية وقف الدكتور وقال : « إخوانى الطلبة نحن فى قاعة علم ولسنا بمجال البحث فى الأمور السياسية ودرسنا اليوم هو حقوق الملك الدستورية ، وإنى إذ أحاضركم فى حقوق الملك الدستورية أرجو أن تنصتوا وألا تجعلوا عواطفكم السياسية تتغلب عليكم » . وبعد هذه المقدمة حاضرنا الدكتور فى حقوق الملك الدستورية وأهمها حقه فى إقالة الحكومات وكانت محاضرة عنيفة ضد سلطة الملك فى إقالة الحكومات .

لقد قدرت الدكتور وحيد رأفت منذ ذلك اليوم ، ذلك لأنى كنت أعرف أنه ليس وفديا ، بل على العكس كان يوجه للوفد نقداً شديداً لعدم وجود برنامج محدد للحزب ، ومع ذلك ففى اليوم الذى يقيل فيه الملك حكومة الوفد ، تلك الإقالة التى أغضبت الشعب وجعلت الدم يغلى فى شرايين المصريين ، فى ذلك اليوم بالذات يختار الدكتور رأفت محاضرة ليكون موضوعها حقوق الملك الدستورية ... إنها شجاعة ... فقد كان باستطاعته إلقاء محاضرة فى أى موضوع آخر ... وأى شجاعة أن يحاضر أستاذ فى كلية الحقوق بالذات التى كانت دائماً منبع الحركات الوطنية والحركات التى تقوم دفاعاً عن الدستور ــ أن يحاضر فى حقوق الملك الدستورية .

وصلنا إلى المنزل ودخلنا حجرة الإستقبال وكان النور خافتاً ولكنى استطعت أن أرى الدكتور النحيل يهبط درج السلم فى تؤدة ، تؤدة الحزين الشاردالذهن ...

دخل علىّ وصافحنى وصافح زميلى الذى يمت اليه بصلة متينة ثم رفع بصره إلىّ وقال فى صوته العميق الذى طالما استمعت إليه فى مدرجات كلية الحقوق . ولكن الصوت هذه المرة كانت تتخلله رعشة :

« لقد مُزِّق الدستور اليوم ... وقد رأيت أن أبلغك ذلك ... حرصت على أن أبلغك ذلك ... لقد مُزق الدستور اليوم » .

وسكت ، وسكت أنا إحتراماً لحزنه .

« لقد كان الإجراء غير قانونى ... فالقانون يحتم دعوة جميع المستشارين الإداريين والقضائيين ... لقد أبعد القضائيون لأنهم كانوا لا يستطيعون مخالفة القانون ... إجراء غير قانونى ... ولقد ترافعت سبع ساعات ... شرحت الدستور ... والحجج والأسانيد والسوابق فى الدول الأخرى وآراء علماء الدستور ... ولكن النية كانت مبيتة والأمر مقضياً فيه ... سبع ساعات دون فائدة ... قدمت استقالتى » .

وسكت لحظة ثم رفع بصره إلىّ لأول مرة منذ بدأ الحديث وقال : « لقد مُزق الدستور اليوم ... حرصت على ألا أنام قبل أن أبلغك هذا » .

وقد زادت الرعشة فى صوته عندما فاه بهذه العبارة ... وصمت فترة ليست بالقصيرة وكأنى أراه ينعى بهذه العبارة أعز عزيز لديه ... لقد كان فى صمته كالراهب فى المحراب يصلى دون أن يحرك شفته .

وأردت أن أقول شيئاً ... أردت أن أقول ولو عبارة واحدة تخفف عنه آلامه ولكنى لم أوفق إلى ما أقوله ، فوقفت مستأذناً فى الخروج فصافحنى وهو يوجه بصره إلىّ ... لم يتكلم ولكنى شعرت أنه يقول لى ... لا بصفة الصديق إلى الصديق ... بل بصفة الأستاذ لتلميذه ... شعرت كأنه يأمرنى « بأن أبذل كل ما بوسعى للدفاع عن الدستور » فأحنيت رأسى وكأنى أرد عليه كتلميذ يتلقى أوامر أستاذ « سأبذل كل جهدى للمحافظة على الدستور » .

* * *

كانت التعليمات المبلغة للصحف ألا تنشر صور أو أسماء أعضاء مجلس القيادة وألا تكتب عنهم شيئا ، وقد احترمت الصحف هذه التعليمات إلى أن فوجئت فى صبيحة أحد الأيام بجريدة الأخبار وقد نشرت صور أعضاء مجلس الثورة وأسماءهم ونبذة عن حياة

كل واحد منهم وخصت جمال عبد الناصر بنصيب أكبر من زملائه فى الحديث عنه .

كانت مفاجأة كبرى لى لأن عبد الناصر هو الذى كان قد أصدر تلك التعليمات وأكد على الصحف بالتزامها ، وزاد من دهشتى أن الحركة كانت قد وعدت بأن يعود الجيش إلى ثكناته بمجرد إستئناف الحياة النيابية ، وانتقال السلطة الفعلية إلى المدنيين ، فما الذى دفعهم إلى نشر الصور والكتابة عن الضباط الذين تولوا قيادة الحركة ؟ ...

إن جريدة الأخبار لا يمكن أن تقوم بذلك من تلقاء نفسها ودون إذن أوامر من عبد الناصر ، لقد كان يمكن أن يمر الحادث طبيعياً ، وألا يترك فى نفسى سوى مرارة السبق الصحفى الذى أحرزته جريدة أخرى على المصرى الذى أتولى رياسة تحريره ، ولكن الشكوك حول مستقبل الحياة النيابية حملتنى على تفسير ذلك النشر بأنه محاولة جديدة لإفهام الشعب أن العسكريين قد بدأوا يتحولون عن برنامجهم الخاص بإعادة الحياة النيابية ، ونشروا صورهم وتاريخ حياتهم ليعرف الناس من الذى يحكمهم ويدبر أمورهم ... إن النشر ليس مقصوداً به إظهار الذين قاموا بالحركة وتنفيذها فحسب ، وإنما المقصود به أعمق من ذلك بكثير .

ذهبت إلى عبد الناصر ... وما كاد يرانى حتى قال : لقد تضايقت جداً ألا تنشر الأخبار شيئاً عن ثروت عكاشة ... وعلى كل حال فقد أصدرت الأوامر للصحف ألا تنشر أى شىء عنا أو عن غيرنا بعد ذلك ... ولكنى أرجوك أن تنشر شيئاً عن ثروت عكاشة ... أنت تعرف أنى عرضت عليه عضوية مجلس قيادة الحركة ، كما عرضتها على يوسف صديق وعبد المنعم أمين ، ولكنه أصر على تعيين حسين الشافعى زميله فى سلاح الفرسان بحجة أنه يريد التفرغ للسلاح للنهوض به وبحجة أن الشافعى أعلى منه رتبة ... إنى أرجوك أن تنشر صورته وتكتب عنه ما تريد فأنت تعرف دوره فى الحركة » .

وشعرت بالصدمة ، ذلك لأنى لم أحضر لأحتج على عدم نشر صورة ثروت عكاشة شقيق زوجتى أو لإهمال الكتابة عنه ، ولكن لأستفسر عن الأسباب التى دعت عبد الناصر ليسمح بنشر صورته وصور زملائه ... وقبل أن أوجه له السؤال وقف جمال وقال : ــ « لا تؤاخذنى فقد تركت اجتماع مجلس القيادة لأقابلك عندما علمت بحضورك » ... وصافحنى وهو يقول : « لا تنس أن تنشر صورة ثروت عكاشة ...

ولا تنشر أى شىء عن أى ضابط آخر ... إنى لا أحب أن تفتح هذا الباب » .

لقد أكدت تلك المقابلة لى أن النشر كان بأمر عبد الناصر ... وقد كنت أحبه أكثر من أى ضابط آخر ... ولذلك فقد كانت الصدمة عنيفة وشديدة الوقع .

* * *

وبالرغم من أن على ماهر باشا كان يرأس الحكومة فقد كانت السياسة الداخلية والخارجية فى واقع الأمر فى يد مركز القيادة يبلغها يومياً عن طريق إثنين من أعضائه هما جمال سالم وأنور السادات .

وأخذت أفكر جيداً فى الأخطار التى بدأت تهدد مستقبل الديموقراطية فى مصر ، ورأيت أن الواجب أن يعود النحاس باشا زعيم الوفد وسراج الدين باشا سكرتير الوفد من جنيف فوراً . وكان معهم فى ذلك الحين شقيقى الأكبر ، فاتصلت به تليفونياً وأخبرته بوجوب عودتهم فوراً . وكان شقيقى الأكبر محمود أبو الفتح صاحب المصرى أول مصرى فى الخارج أيد فى تصريح سياسى طويل قيام الحركة . وقد نشرت جريدة الفيجار والفرنسية فى ٢٥ من يولية تصريحاته باعتبارها تعبر فى نفس الوقت عن وجهة نظر النحاس باشا رئيس الوفد .

وفى اليوم التالى كان الجميع قد استقلوا الطائرة عائدين إلى مصر ، حيث وصلوها بعد منتصف الليل بقليل . وألقى النحاس باشا خطاباً أشاد فيه بحركة الجيش وباللواء نجيب وبالوعود التى قطعوها على أنفسهم بعودة الحياة النيابية وإطلاق جميع الحريات .

وركبت السيارة مع النحاس باشا واقترحت عليه أن يزور اللواء نجيب . فرحب بالفكرة واتجهت السيارة إلى مقر القيادة ، وكانت الزيارة مفاجأة للضباط ، ذلك لأنى لم أحدّث عبد الناصر بأمرها ، وانتظرنا حتى أفاق اللواء نجيب وعبد الناصر من النوم وارتديا الملابس العسكرية .

وعانق نجيب النحاس ، وألقى كلمة أشاد فيها بكفاح النحاس من أجل مصر ورد عليه النحاس بكلمة حماسية ، وانصرفنا فى جو من الانشراح .

وبدأ بعد ذلك دورى ودور شقيقى الأكبر فى التوسط بين عبد الناصر والوفد للوصول إلى اتفاق يرتضيه الطرفان تمهيداً لعودة الحياة النيابية .

وقد استطعت بعد مجهود طويل أن أقنع عبد الناصر بالاجتماع مع فؤاد سراج الدين باشا سكرتير الوفد لبحث الأمور ، وكان عبد الناصر دائماً يردد أن النحاس باشا لا اعتراض لأحد عليه ، أما سراج الدين فإنه شخصية غير مرغوب فيها ، ولكن بعد إلحاح ومجهود شاق إستطعت أن أحدد ميعادا ليجتمعا سويا فى منزل ضابط يمت بالقربى لسراج الدين هو الضابط عيسى سراج الدين .

لقد كانت القيادة تعترض على بعض الشخصيات من الوفد ، وكان عبد الناصر دائما يردد هذا اتجاه ، فرأيت ألا سبيل إلى تسوية هذا الأمر إلا بعقد اجتماع بين عبد الناصر وسراج الدين . وتم الإجتماع وحضرته وحضره الاستاذ أبراهيم طلعت وبدأ الاجتماع الذى حضره كل ضباط القيادة ما عدا نجيب كما حضر القائمقام أحمد شوقى متوترا ولكن تدريجا زال التوتر بفضل إجابات سراج الدين التى كانت مقنعة وتصورنا أن النتيجة كانت طيبة ولكن يبدو أننا كنا متفائلين .

ووقعت فى هذه الآثناء أحداث أخرى أهمها إصدار قانون بتحديد الملكية الزراعية بحيث لا يزيد ما يمتلكه أى انسان عن ٢٠٠ فدان ... ولاقى هذا ترحيباً شعبياً كبيرا ، ذلك لأن بعض كبار الملاك كانوا ينتسبون إلى العائلة المالكة ، وكان البعض الآخر من الثراء بحيث يثيرون نقمة المصريين .

ومما لاشك فيه أن العدالة الإجتماعية كانت توجب ألا يمتلك فرد آلاف الأفدنة فى الوقت الذى لا يملك الآلاف من الفلاحين أى نصيب من الأرض التى يزرعونها . ولكن هل كان القصد من هذا القرار تحقيق العدالة الإجتماعية ؟ ... إن الطريق الذى سارت عليه قيادة حركة الجيش أو بصورة أصح ، سار عليه عبد الناصر يجعلنى أجزم أن الهدف الذى أراد جمال عبد الناصر بلوغه من إصدار هذا القانون هو تحطيم نفوذ أصحاب الأراضى الزراعية وتحقيق دعاية شعبية واسعة النطاق على حسابهم . إن المالك الذى كان يملك آلاف الأفدنة كان يتمتع بنفوذ قوى على المنطقة التى يملكها ، ومثل هذا النفوذ القوى خطر على الحاكم ... ويؤيد هذا الرأى تعريض عبد الناصر الدائم بهؤلاء الملاك

والتحدث عن خطر أولئك الإقطاعين فى كل خطاب ألقاه ، برغم أنه جردهم من أراضيهم .

لقد كسب جمال عبد الناصر بتحديد الملكية نجاحاً شعبياً ... وأزال خطراً كان قد يعترض سبيله .

إتصل بى البكباشى أنور السادات ذات مساء تليفونياً وقال إنه يطلب منى أن أحتجز مكاناً فى الصفحة الأولى لخبر يوضع عنوانه على ثلاثة أعمدة وأنه سيمر علىّ بعد قليل .

وقبل منتصف الليل قدم السادات وأعطانى نص الخبر وقد صيغ فى عبارة غير صريحة ، وإنما يُفهم منه أن القائمقام رشاد مهنا الوصى على العرش يخالف الأوضاع الدستورية التى تنص على أن الملك ، أو من يقوم مقامه ، يملك ولا يحكم وأنه يحاول فرض سلطاته على الموظفين والوزراء فيبلغهم أوامره مباشرة .

وقد دهشت لهذا الخبر ، حقيقة أنى كنت أعلم أن رشاد مهنا يتدخل فى كثير من الأمور ، ولكنه افترض لنفسه هذا الحق وأن من حقه أن يشترك فى كل ما يتخذه مجلس قيادة الحركة من قرارات ، وأنه رأى مجلس القيادة يملى على رئيس الوزارة كل صغيرة وكبيرة فمن حقه هو إذن أن يتدخل أيضاً فى شئون الحكم .

وأعددت الخبر للنشر وذهبت فوراً إلى جمال عبد الناصر فى مركز القيادة فأخبرنى بأنه هو الذى اختص المصرى بهذا النبأ ، فشكرته على ذلك ثم سألته عن السر فى هذا النشر فقال :

« إنك تعرف أننا قمنا بالحركة للحد من طغيان فاروق واعتدائه المستمر على الدستور ، فهل يرضيك أن نقوم بالحركة وأن نعرض أنفسنا للموت دفاعاً عن الدستور واستقرار الأوضاع ، ثم نجد أن رشاد مهنا يعمل على تحطيم القواعد التى ثرنا من أجلها ، ويتدخل فى شئون الوزارة ، ويتصل بالوزراء بل وبالموظفين يبلغهم أوامره ؟ » ...

ثم عاد يقول : « بل أكثر من ذلك ؛ عندما حاول نجيب أن ينصحه بالعدول عن

ذلك ، ضرب المكتب بيده وقال : إن من حقى تماماً أن أشرف على كل صغيرة وكبيرة فى هذا البلد » كأنه قد نسى أنه أصبح وصيا على العرش ، وأن الوصى على العرش حكمه حكم الملك تماما . إنه يملك ولا يحكم » .

وتحدث جمال عبد الناصر فى تلك الليلة حديثاً طويلاً عن الدستور ، وعن وجوب التزام الأوصياء نصوصه . وكنت أستمع إلى حديثه وكلما كدت أصدق ما يقول تذكرت أن عبد الناصر قد عين هؤلاء الأوصياء بصورة مخالفة للدستور .

وفى اليوم التالى كان رشاد مهنا قد عُزل من منصبه كوصى على العرش ... وحددت إقامته بالمنزل وأُلغى الخط التليفونى الخاص به ... وبعد أيام أُتهم بأنه يدبر مع بعض الضباط مؤامرة لقلب نظام الحكم .... وحوكم سريعاً مع من قدموا للمحاكمة وصدر عليه الحكم بالسجن لمدة ١٥ سنة .

وهكذا تخلص جمال عبد الناصر من ضابط كبير من أقوى شخصيات الجيش باسم المحافظة على الدستور .

* * *

إتصل بى البكباشى يوسف صديق ذات يوم وطلب منى الحضور إلى نادى ضباط الجيش بعد الظهر للتشاور فى أمر هام .

ذهبت إلى النادى فوجدت بعض الصحفيين ويوسف صديق واليوزباشى أحمد حروش وبعض المدنيين واجتمعنا جميعاً حول مائدة فى إحدى غرف النادى وتحدث البكباشى صديق فقال : « إننا قد فكرنا فى إنشاء مجلة إسمها التحرير » .

ودهشت لهذا الذى يقوله صديق ولم أتمالك أن قلت « مجلة ... مجلة يملكها الجيش ..؟ هل ستستقيل من الجيش وتنشر المجلة ؟ » .

فقال : « صبراً ... صبراً ... لن أستقيل من الجيش ... »

ودارت المناقشة وقتاً غير قصير وانتقلنا من الحجرة إلى حديقة النادى فانتحى بى

صديق جانباً وقال : « إنه لابد من صدور هذه المجلة ... إنك لا تفهم ما أقصد من إصدارها ... إننا نريد أن نربط الجيش بالأهداف التي أعلناها صباح قيام الحركة في البيان الذي أذاعه محمد نجيب يوم ٢٣ من يوليه ... لا تنس أننا بشر ...

وأن الجيش الآن هو الذي يحكم مصر ... وأن استمرار الحال على هذا المنوال ستكون نتيجته أن الأمور ستنتهي بألا يعود الجيش إلى ثكناته ... وبألا يقوم في مصر برلمان ... لابد من صدور هذه المجلة لتربط الجيش بأهدافه ... وليس ذلك فحسب بل إني قد كلفت أحد الرسامين بعمل رسم يرمز إلى أن الجيش قام بالحركة لحماية الديموقراطية ... وها هو الرسم ...

وأطلعني على اللوحة فإذا بها مبنى البرلمان وقد رفرف على قبته العلم المصري ووقف إلى جوار المبنى جندي جيش شاهرا سلاحه وقد كتب تحت الرسم (نحن نحمي الدستور) .

كان ذلك في الأسابيع الأولى بعد بدء الحركة ، ورغم عدم اقتناعي بأن يصدر الجيش مجلة توزع في الأسواق وتباع كعمل صحفي تجاري إلا أني أمام الحجج التي ذكرها لم يسعني إلا السكوت ، فلم أبد موافقة أو معارضة للأمر .

ونفذ البكباشي صديق خطته ، وذات صباح كانت كل شوارع القاهرة بل المدن الكبرى بالقطر المصري قد لصق عليها لوحات (نحن نحمي الدستور) .

ورأيت أن أنشر صورة اللوحة بالصفحة الأولى من جريدة المصري ، ولكن فوجئت بأن تعليمات كانت تبلغ للصحف من مركز قيادة الحركة قد نصت على منع نشر صورة لوحة (نحن نحمي الدستور) .

وبعد يومين زارني عبد الناصر وعامر في مكتبي ، وكثيراً ما كانا يفعلان ذلك لعدة شهور بعد قيام الحركة ، فناقشت عبد الناصر في سبب عدم السماح بنشر لوحة (نحن نحمي الدستور) ، فوجدته برماً بها وقال (ألا يكفي أنها أصبحت معلقة على جميع شوارع مدن مصر ؟ ... فقلت (فإذا كانت قد ألصقت على جدران جميع شوارع مصر فما السبب في عدم السماح بنشرها) ؟

واستمر الجدل بيننا بعض الوقت وفى النهاية سمح عن غير رضاء بنشرها ...

وصدرت مجلة التحرير فإذا بها دعوة صريحة للدستور ولأهداف الثورة ، وبعد العدد الثالث سحبت المجلة من إشراف البكباشى صديق ، ونحى عن تحريرها اليوزباشى حمروش .

وبدأ يوسف صديق الذى كان عضواً فى مجلس القيادة يضيق ذرعا بانحراف الحركة عن الارتباطات التى ارتبطت بها أمام الشعب يوم ٢٣ من يوليه ، وبدأ يثير مناقشات ومجادلات داخل مجلس القيادة ، وينتقد تدخل العسكريين فى كل صغيرة وكبيرة فى شئون البلاد ، خصوصاً وأن ضباطاً من الجيش بدأوا يزحفون على الوزارات باسم مراقبين وسرعان ما احتلوا المكاتب فى كل وزارة بل فى كل إدارة ، ثم أصبحت السيطرة على شئون الحكم فى أيديهم يصرفونها كيف شاءوا ووفقا للتعليمات التى يتلقونها من مركز القيادة أو على وجه أدق من جمال عبد الناصر شخصيا .

أصبح يوسف صديق شوكة فى حلق جمال عبد الناصر يثير له المتاعب كل يوم . فما كان من جمال عبد الناصر إلا ان وضعه تحت المراقبة الشديدة . وعرفت هذا عندما إستدعانى جمال وأخذ يشكو إلى أمر يوسف صديق ولم يُثر فى شكواه أى شىء بخصوص دفاع صديق عن الدستور ، ووجوب عدم تدخل الجيش فى شؤون الحكم بل جعلها شكوى شخصية ، وطلب منى أن أُقنع صديق بأن يبعد عن هذه المتاعب التى يثيرها كل يوم ، وما أن عدت إلى مكتبى حتى وجدت أحد أقارب صديق ينتظرنى ، فطلبت منه أن يتوجه إلى منزل صديق ويخبره بما دار بينى وبين عبد الناصر من حديث . واستأجر الرجل سيارة أجرة من موقف مجاور لدار الجريدة (المصرى) وذهب . وفى اليوم التالى جاءنى سائق سيارة أجرة من الذين يقفون إلى جوار مبنى المصرى وقال لى : (إن رجلا خرج فى العاشرة والنصف مساء أمس من دار المصرى واستقل سيارة أجرة ، وبعد أن عاد السائق إلى الموقف جاءت قوة من رجال الجيش واعتقلته وحتى الآن لم يعد) ... ورجانى أن أحاول الإفراج عنه ... لأن زوجته تبكى وأولادها ...

واتصلت تليفونياً بعبد الناصر ، وأخبرته بالقصة فضحك وقال « إذن أنت الذى أرسلت من استأجر السيارة ! . إننا نحقق مع السائق طوال الليل لنعرف شخصية من

ركب معه ... وزاد صوت ضحكه ارتفاعا ثم قال : « سنفرج عنه ... سنفرج عنه » وانهى المحادثة وهو غارق فى الضحك ... وفعلا أفرج عنه .

وبعد بضعة أيام سعى البكباشى صديق إلى جمع زعماء مصر على اختلاف مذاهبهم السياسية ليتوجهوا إلى مركز القيادة ويقدموا مذكرة مشتركة يطالبون فيها اللواء محمد نجيب بإعادة الحياة النيابية ، وبينما هو يواصل جهوده لإقناع الزعماء بتناسى خلافاتهم القديمة والقيام بهذا العمل المشترك ، قام جمال عبد الناصر باعتقاله وتحديد إقامته بالمنزل ، وبعد أيام أرسله إلى سويسرا بحجة العلاج من مرض يشكو منه ، وفصله من مجلس القيادة بعد أن كان قد ضمه إليه .. وهكذا أُلقى رشاد مهنا فى غياهب السجون بحجة الدفاع عن الدستور ، وأُقصى يوسف صديق بحجة المشاغبة .

وفى إحدى زياراتى لعبد الناصر إلتفت إلىّ وقال وهو يضحك : هل سمعت بالمؤامرة الجديدة ؟ ... فقلت : أية مؤامرة ؟ ... ونظر عبد الناصر إلى حسن ابراهيم وجمال سالم الضابطين بسلاح الطيران وعضوى مجلس الحركة وقال : « اكتشفنا أن أحد صولات الجيش يعد انقلابا » فقلت : صول بالجيش ... فرد عبد الناصر « نعم صول بالجيش » فقلت : إنك ولا شك تهزل فمن غير المعقول أن يُقدم صول بالجيش على عمل انقلاب ، إذ ما هى القوة التى يملكها هذا الصول حتى يستطيع القيام بانقلاب ، ثم ما هى سلطاته على الجيش التى ستمكنه من القيام بتدبير انقلاب ضدكم ؟ ...

ورد جمال عبد الناصر بقوله : « لقد اتصل ببعض صولات الجيش وقال لهم لماذا ينفرد الضباط بأمر البلاد ، إننا نستطيع أن نقوم بما قاموا به » .

وأمسك عن الكلام لحظة ثم استمر قائلا « وقد استطاع بعض الضباط دخول مسكنه ووضع آلات تسجيل داخل المنزل ، وسجلوا بذلك كل ما كان يدور داخل المنزل من اجتماعات ، وقد كان بين التسجيلات ، بيان أعده ليذيعه عن طريق الإذاعة على الشعب المصرى » .

وعندئذ أشار إلى حسن ابراهيم الذى أحضر جهاز تسجيل وأدار الشريط فإذا بصوت رجل يقول « نحن رأفت شلبى رئيس الحركة الجديدة ... » .

كان عبد الناصر فخوراً بالعمل الذى قام به ضباطه الذين دخلوا مسكن رأفت شلبى ووضعوا آلات تسجيل داخل المنزل ... وكانت هذه الحادثة هى بدء تطور جديد فى الحياة المصرية ، إذ أصبح من المستطاع بل من المباح لضباط الجيش وعملائهم أن يتسللوا داخل المنازل للتجسس على حياة الناس ...

وكانت هذه الحادثة بدء دخول أدوات جديدة للتجسس على الناس ، ألا وهى آلات التسجيل .

ومنذ هذه الحادثة بدأ جمال عبد الناصر يهتم بآلات التسجيل ، فأرسل يشترى منها كل ما هو حديث ، وكان من أهم هذه المسجلات ، الساعات المسجلة ، وهى عبارة عن جهاز تسجيل صغير يوضع فى الجيب الداخلى للجاكتة ويتصل بسلك رفيع بساعة اليد ، فاذا ما تحدث إنسان إلى من يحمل آلة التسجيل سجلت الآلة كل ما يقول .

وقد انتشرت الساعة المسجلة انتشاراً غريباً بين خدم الفنادق الكبرى والنوادى الهامة وعملاء وجواسيس مجلس القيادة فى المصانع وفى دور الحكومة وبين الطلبة ، وقد عرف الشعب المصرى بأمرها حتى بات كل إنسان يتجنب الحديث مع آخر فى السياسة ويوجه نظره إلى يد زميله وحركتها خشية أن يكون زميله أو صديقه حاملاً لساعة لتسجيل ما يقول .

ومنذ الأسابيع الأولى إهتم جمال عبد الناصر بتكوين شبكة ضخمة من رجال المخابرات ، وأسند مهمة تنظيم هذه الشبكة والأشراف على أعمالها ورياستها إلى البكباشى زكريا محيى الدين عضو مجلس الحركة .

وتخصص زكريا محيى الدين بهذا العمل فنظمه تنظيماً واسعاً داخل الجيش ثم مدّ نطاقه إلى المدنيين ، وأصبحت مصر تعيش فى جو من الجاسوسية التى نمت وازدادت إحكاماً يوماً بعد يوم .

وكان فى مقدمة أعمال التجسس مراقبة التليفونات ، فوضعت تليفونات جميع رجال السياسة حتى رئيس الوزراء على ماهر باشا ووزرائه ، وتليفونات الكثيرين من رجال الجيش والصحف ، ورجال الصحافة وأساتذة الجامعة ورؤساء وأعضاء النقابات .

المختلفة ، ووضعت جميعها تحت المراقبة . وباختصار كان كل انسان فى مصر يشعر أن تليفونه مراقب حتى ولو لم يكن فعلاً موضوعاً تحت المراقبة .

وكانت أجهزة الرقابة على التليفونات حديثة لا تشعر المراقبين بوجودها .

ونمت شبكة الجاسوسية نمواً خطيراً فى الشهور الأولى لقيام الحركة ، وكان أهم الوسائل فى تنظيم جاسوسيته الاعتماد على طبقة الخدم فى المنازل والفنادق والنوادى وسائقى السيارات وماسحى الأحذية . وكان يجند فى خدمة الجاسوسية كل راغب فى التقرب والزلفى للجيش مقابل مال أو حظوة ، وما أكثر هؤلاء فى كل حزب وفى كل هيئة سياسية أو غير سياسية ، واشتركت بعض السيدات فى ذلك ايضاً .

ولقد استطاع عبد الناصر عن طريق شبكات الجاسوسية الواسعة النطاق وآلات التسجيل ورقابة التليفونات أن يجعل الشعب المصرى يعيش فى جو من الفزع ، وراح كل إنسان يخشى أن يتحدث حتى مع أقرب الناس إليه خشية أن يكون جاسوساً . سواء أكان ذلك الشخص صديقه أو عميله أو سائقه أو بائع سجائره .

* * *

وروعت مصر ذات يوم إذ علمت أن مجلس قيادة الحركة قد قبض على وكيل وزارة سابق وعلى لواء سابق بتهمة التحدث ضد الحركة ، وبإحالة الموظفين الكبيرين إلى محكمة عسكرية وكانت أدلة الاتهام جميعها تنحصر فى أجهزة مسجلة لأحاديث دارت على لسان المتهمين .

وأثناء نظر القضية تبين أن وكيل الوزارة السابق كانت قد جرت العادة له أن يشترى السجاير من تاجر مجاور لمنزله ، وأنه كثيراً ما كان يقابل صديقه اللواء عند هذا البائع ، فتدور بينهما بعض الأحاديث عن تطور الأحوال ، وبطبيعة الحال كانت ترد فى سياق الحديث بعض ألفاظ تحمل نوعاً من عدم الرضاء على ما يقوم به الضباط ، وكان يقف إلى جوار دكان بائع السجاير رجل رقيق فى ملابس فقيرة وقد أحاط ساعده بجبيرة ، وفى بعض الأحيان كان يعطف وكيل الوزارة أو اللواء السابق على هذا الرجل فيمنحانه بعض المال أو يسمحان له بتنظيف حذائيهما مقابل بعض المال ...

واتضح بعد ذلك أن هذا الرجل لم يكن مكسور الساعد ، كما كان يدّعى ، بل قد خبأ فى ساعده آلة لتسجيل العبارات التى يفوه بها الناس عند شراء السجاير .

وعلى ضوء هذه « البينة » وحدها قدم مجلس قيادة الحركة وكيل الوزارة السابق وحكمدار البوليس السابق للمحاكمة ، وحكمت عليهما المحكمة العسكرية بخمسة عشر عاما أشغال شاقة .

كان انتشار الجاسوسية والمراقبة المحكمة التى فرضت على الناس من الأسباب التى تؤكد أن مصر ليست مقبلة بأى حال من الأحوال على حكم ديموقراطى بل كانت تقطع وتؤكد أننا نسير إلى حكم ديكتاتورى سافر تنعدم فيه كل الحريات ومنها حرية الفرد داخل منزله .

* * *

ونعود الآن إلى قانون تحديد الملكية لنذكر أن جريدة المصرى كانت قد نشرت نص مشروع القانون قبل صدوره ، فأثار هذا النشر فزع أصحاب الأراضى الزراعية ، وكان على ماهر باشا رئيس الوزارة فى ذلك الحين غير موافق على المشروع ، وكان يرى أنه إن لم يكن هناك بد من تحديد الملكية فلا أقل من أن يترك لصاحب الملكية الكبيرة خمسمائة فدان لا مئتا فدان كما نص المشروع .

وأعقب نشر المصرى لمشروع القانون أن بدأت حركة من أصحاب الأملاك من مقتضاها أن يزور كل صاحب ملكية زراعية كبيرة على ماهر باشا ، ليحدثه فى أمر هذا المشروع ، وفى مضاره على مستقبل الزراعة فى مصر وتأثير تفتيت الملكية الزراعية ، وتوزيع الأرض على معدمين لا يستطيعون زراعتها بعجزهم المادى ، ولعدم توفير الآلات الزراعية أو المواشى اللازمة للزراعة .

وتبلورت الأمور إلى شبة اتحاد بين أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة ، وشعرت أن مساعى رئيس الوزراء فى هذا السبيل ستؤدى إلى إقالة الحكومة المدنية ، وعندئذ تنتقل السلطة فوراً إلى الجيش ويزول كل أمل لنا فى تطور الحكم إلى الديموقراطية .

ذهبت إلى منزل على ماهر باشا بالجيزة حيث استقبلنى فى الطابق العلوى ، وحدثته عن خطورة التيار الذى سار فيه ، وأفهمته أن الضباط لن يغيروا رأيهم بأى حال فى أمر الملكية ، وأن كل محاولة لصرف الضباط عن هذا القانون أو تعديل الأسس التى يقوم عليها إن هى إلا عبث ولن ينتج عنها إلا تدهور الأحوال .

وكان على ماهر باشا بصفته رئيساً للوزارة قد ألقى خطابا طويلا عن طريق الإذاعة يوضح به برنامج الحكم ؛ وحمل فى خطابه على الأحزاب السياسية حملة قاسية وخصوصاً على حزب الوفد ، واتهم هذه الأحزاب بالفساد ، وطلب منها أن تعمل على تطهير صفوفها ، وما حمل على الأحزاب وخصوصاً حزب الغالبية الشعبية تلك الحملة إلا رغبة منه فى اتهام هذه الأحزاب بالعجز عن تولى زمام الأمور ، فيستمر القابض عليه لاسيا والجيش كان قد أعلن أنه لن يتولى حكم مصر وأنه سيعود إلى ثكناته بمجرد استتباب الحياة السياسية فى مصر .

إنتهزت فرصة زيارتى هذه وأخبرته أن حملاته على الأحزاب السياسية ستعطى الجيش الفرصة لأن يتولى الحكم بنفسه ، وأن هذه الحملة التشهيرية بالأحزاب السياسية ، وخصوصاً الوفد ، لن تكون عاملاً فى استمرارك رئيساً للوزارة بل ستنتهى بإقالة حكومتك وتولى الجيش شئون الحكم صراحة . وعندئذ سينتهى حكم المدنيين لمصر ويتحول إلى حكم عسكرى وحضر المقابلة الأستاذ زكريا لطفى جمعه .

هذا ما قلته لرئيس الوزارة ثم انصرفت بعد اجتماع دام ثلاث ساعات .

ولم يأخذ على ماهر باشا برأيى ، بل استمر فى مقابلة أصحاب الأراضى رغم تعدد مقابلات جمال سالم وأنور السادات له نيابة عن مجلس قيادة الثورة .

وكان عبد الناصر قد أحس على مر الأيام بمزيد من الثقة فى نفسه ، وكان قد أعد شبكة الجاسوسية إعدادا لا بأس به وثبت وضعه بتأييد جماعة الإخوان المسلمين .

وبعد بضعة أيام من زيارتى لعلى ماهر باشا علمت أن عبد الناصر قد أعد ضربة جديدة من مقتضاها إقالة وزارة على ماهر باشا وتعيين حكومة جديدة يرأسها اللواء محمد نجيب ، ووزارة من المدنيين يرأسها عسكرى ، كما أعد قوائم بشخصيات سياسية

من أقوى رجال الأحزاب السياسية في الوفد وغيره من الأحزاب ، ومن بعض أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة وبعض رجال فاروق ليعتقلهم في تلك الليلة بعد منتصف الليل .

إتصلت بجمال عبد الناصر تليفونيا في منزله ودار بيننا حديث طويل وعنيف ، لقد إعترضت بشدة على حركة الاعتقالات التي ينوى القيام بها وقلت له « هل قامت الحركة لتنهى الأوضاع الشاذة ، أم لتزيد تلك الأوضاع شذوذاً » .

ورد على قائلا « إننا مضطرون إلى القيام باعتقالات حتى لا يفلت الزمام » .

فقلت « إذا كانت هنالك جرائم حقق مع المتهمين بارتكابها وقدمهم للمحاكم ، أما الاعتقالات فهذا إجراء غير طبيعي » .

« إننا لا نستطيع ترك هذه الفوضى ، ألا ترى ما يقوم به أصحاب الأراضي الزراعية ؟...

واستمر الجدل بيننا وختمت حديثي بقولي : « إنى أحملك مسئولية كل نقطة دم تهدر نتيجة لهذه الاعتقالات » .

وكان رده « لن تراق أية نقطة دم » .

وأنهينا المحادثة .

وفي تلك الليلة أيضا ٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ كتبت أول مقال سافر ضد حركة الجيش ، وقد كان عنوان المقال : « إلى أين ؟ ... » وأذكر أني تحدثت فيه عن الآمال التي عقدتها وعقدها الشعب على مستقبل الحكم في مصر بعد قيام حركة الجيش ، ذلك لأن الجيش كان قد ارتبط باعادة الحياة الديموقراطية وإطلاق الحريات وإلغاء المعتقلات ، ثم قلت إن كل خلية من خلايا بدني تؤمن بالديموقراطية ، ولكن هل نحن سائرون إلى الديموقراطية أم إلى مدارج الديكتاتورية ... وأظهرت مساوىء الحكم الديكتاتورى .

وفي تلك الليلة خرجت عشرات السيارات الحربية تعتقل المئات من زعماء الأحزاب السياسية وأفراد حاشية فاروق .

وفى الساعة الحادية عشرة من مساء نفس الليلة زارنى أحد الأصدقاء وقال إن شافعى بك اللبان وزير المعارف يريد مقابلتى ، وخشى الحضور إلى المصرى لأسباب معينة ، ويرجونى أن أزوره فى فندق المتروبوليتان ، فذهبت إليه ، وحاول أن يلف ويدور حول الموضوع الذى يريد أن يتحدث عنه ، فالتفت إليه وقلت « إختصاراً للأمور ، إذا كنت تريد المحافظة على كرامة على ماهر باشا ، فأنا أنصحك أن تبكر فى الذهاب إلى منزله وتبلغه بأن هذا هو آخر يوم بل لعلها تكون آخر ساعاته فى الحكم .. وعليه أن يستقيل أم ينتظر حتى يقيله الضباط » .

ويبدو أن الوزير لم يكن يتوقع أن تكون نهاية الوزارة بهذه السرعة ، إذ أنه قال فى دهشة واضحة « غداً صباحاً » ؟ ...

فاومأت برأسى علامة الايجاب

فقال : « ألا يمكن أن تتدخل لدى عبد الناصر فهو صديقك » .

فقلت بشىء من الانفعال « لقد حرقتم المراكب ياسيدى . لقد كان هجومكم على الأحزاب السلم الذى ارتقاه الضباط لبدء الحكم العسكرى . لقد كنتم تظنون أن الهجوم على الأحزاب سيسد عليهم فلا يبقى أمام العسكريين سواكم فيتركون لكم الحكم ، ولكن الضباط قفلوا الباب فى وجه الأحزاب ، وسيقفلونه غداً صباحاً فى وجوهكم » .

وفى تلك الليلة ٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ تم القبض على رجال الأحزاب ، وعلى حاشية فاروق ، وعلى بعض أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة ، ولم يتحرك أحد من الشعب ليثور على هذا الإجراء ، ولم ترق نقطة دم واحدة .

وفى صباح يوم ٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ ذهبت آخر حكومة مدنية حكمت مصر وتولت الحكم حكومة يرأسها عسكرى لأول مرة فى مصر ، فقد تولى رئاسة الوزارة اللواء محمد نجيب .

وانقفل باب الأمل فى العودة إلى حياة ديموقراطية ، وبدأنا فى الطريق الشاق نحو الحكم العسكرى .

بالرغم من أنى كنت أتساءل فى مقالى : « إلى أين ـــ نسير » فقد كـان واضحاً

الاتجاه الذى تُدفع مصر إليه دفعاً ، لقد تحدد خط السير وما تنفع فيه كتابة ، وإنه لتغيير الاتجاه لابد من ضغط شعبى جبار . ولكن كيف كان للشعب المصرى ، ذلك الشعب الذى كان حديث العهد بالحكم النيابى ، ذلك الشعب الذى كان حتى يومنا هذا لا يعرف معنى الحكم الديكتاتورى وكان يردد فى طيبة كلمة « المستبد العادل » ويقول فى كثير من المناسبات إن مصر فى حاجة إلى حاكم مستبد عادل ، ناسياً أن الاستبداد والعدل ضدان لا يمكن أن يجتمعا فى شخص واحد .

وهكذا كنت أكتب المقالات تحت عنوان « إلى اين ؟ » . وأنا واثق من أننا نسير بل نندفع فى سرعة جنونية إلى حكم ديكتاتورى سافر ، وأعتقد الآن أن مقالاتى هذه لم تكن مقبولة لدى الكثير من الناس ولم تكن مفهومة لدى الأكثر منهم .

الفصل الرابع

تحطيم الحواجز

تولى اللواء محمد نجيب رئاسة الحكومة يوم ٨ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، وبدأت الإجراءات تتوالى الواحدة تلو الأخرى ، وكلها تتجه نحو غاية واحدة هي التمهيد لحكم ديكتاتورى سافر .

تولى منصب نائب الرئيس ووزارة الداخلية سليمان بك حافظ الذى كان وكيل مجلس الدولة ، إذ رفض السنهورى باشا الاشتراك فى الحكومة لأنه بدأ يكتشف إتجاهات الضباط ورفض أن يشارك فى تيسير السبيل لإقامة حكم ديكتاتورى .

ولكن سليمان حافظ كان يكفى لتيسير السبيل لإقامة حكم ديكتاتورى لأنه كان يكره حزب الوفد كراهية شديدة ، وكان يشاركه هذا الاتجاه الأستاذ فتحى رضوان الذى تولى منصب وزير للدولة . وعلى كل حال فإن تشكيل حكومة اللواء نجيب كانت تصرخ بأنه تشكيل ضد الوفد ، إذ كان بين المشتركين فى الحكومة الأستاذ نور الدين طراف من الحزب الوطنى وإسماعيل بك القبانى وهو أيضا لا يميل للوفد ، بالإضافة إلى الشيخ أحمد حسن الباقورى .

كل هؤلاء الأعضاء فى الحكومة التى يرأسها اللواء نجيب كانوا يدركون أنه لو قامت الأحزاب وجرت انتخابات حرة ونزيهة فإن الوفد سيكتسحها ، فبالإضافة إلى شعبيته منذ سنة ١٩١٩ فإن إلغاء المعاهدة البريطانية وإباحة الفداء وتسليح الفدائيين والمضايقات والتضييق الذى مارسته حكومة الوفد برئاسة النحاس باشا باستمرار ضد قوات الاحتلال ، خصوصا بالنسبة لإغراء العمال على ترك الخدمة داخل المعسكرات وتعيينهم جميعا ، كل هذه الأمور وغيرها كانت لا تزال تحتل مكانة لدى المصريين .

ورغم أن اللواء نجيب كان باستمرار مجاملاً للنحاس باشا إلا أن تشكيل الحكومة بهؤلاء الأشخاص كان دليلاً قاطعاً على أنها حكومة معادية للوفد .

على كل حال فمن المؤكد أن جمال عبد الناصر هو الذى قام بإسناد المناصب للوزراء . إذ اتضح بعد ذلك أن نجيب لم يكن له نفوذ حتى انه لم يكن فى اول الامر له حق التصويت على ما يطرحه مجلس الحركة من قرارات .

قبل إسقاط حكومة على ماهر باشا إتصل بى جمال وطلب منى أن أعد قائمة بأسماء شخصيات غير حزبية لتتولى المناصب الوزارية ، واتفقنا على أن نتقابل فى جروبى الموجود فى ميدان سليمان باشا فى الساعة السابعة مساء .

جاء عبد الناصر فى الميعاد ومعه جمال سالم وجلسنا نحتسى القهوة ونتداول فى أمر الكشف الذى كنت قد رصدت فيه بعض الأسماء ، واستمع عبد الناصر كعادته فى صمت ، وأخذ منى الورقة دون تعليق على الأسماء وإن كان وجهه قد انقبض عندما ذكرت إسم الدكتور وحيد رأفت كمرشح .

حتى ذلك الوقت لم تكن صور عبد الناصر وزملائه قد كثر نشرها فى الجرائد فقد اقتصر النشر تقريبا على صور نجيب والسادات وجمال سالم ، وذلك لأن الأخيرين كانا حلقة الإتصال بعلى ماهر باشا أثناء توليه رئاسة الحكومة ، لذلك لم يلحظ الناس وجوده كما لم يلفت وجود جمال سالم الانتباه ، فقد كان الاثنان يرتديان الملابس المدنية .

وعند المناقشة حول الأسماء التى اقترحتها إعترض جمال سالم على أحد الأسماء ، فأغلظ عبد الناصر فى تعليقه على اعتراضه وقال له إن تقديراتك ليست سليمة ، وعندئذ وجدت جمال سالم الذى كان مشهورا عنه شدة عصبيته وأنه ضرب سائق تاكسى فى الطريق لأنه تخطى السيارة التى كان يقودها ، فأسرع واعترض سير السيارة التاكسى وإعتدى على سائقها بالضرب ... وجدت جمال سالم مضطرباً وأخذ يقول : أنا ياجمال تقديراتى غير سليمة ... أنا ياجمال .

أدركت يومها مدى ما يتمتع به عبد الناصر من قوة على زملائه ، ذلك لأنه إذا كان جمال سالم وهو أشدهم عصبية وأكثرهم إندفاعاً قد اضطرب بهذه الصورة أمام ملاحظة من عبد الناصر ، فلابد أن يكون نفوذه على باقى الأعضاء قويا .

وأثناء انصرافنا قابلنا وكيل نيابة كنت زميلا له أثناء عملى بالنيابة سنة ١٩٤٥ فصافحنى وطلب منى أن أعرفه بمن معى فلما ذكرت إسم جمال عبد الناصر ذهلت أن قال هذا الزميل : وهل يخفى القمر .

ونظر إلى عبد الناصر وابتسم .

على كل حال فإن الأسماء التى اقترحتها لم يتم إسناد أى منصب لأى واحد من أصحابها .

رأيت أن أسوق الحديث إلى اجتماع جروبى لأوضح أن عبد الناصر هو الذى ألّف الحكومة وأسند رئاستها للواء محمد نجيب ، ولذلك كـان الخلاف واضحـاً جداً بـين تصريحات الوزراء والقوانين التى يعدونها ، وبين تصريحات محمد نجيب .

ولم يكن عبد الناصر ليترك لنجيب أية حرية ليتصرف كرئيس للحكومة . وعندما نمعن النظر فى التناقض القائم بين مواقف وتصريحات نجيب وما تصدره الحكومة من قوانين ندرك أن الحكومة لم تكن خاضعة لرئيسها بل لمجلس القيادة الذى يسيطر عليه عبد الناصر ، بل ندرك أن جمال كان قد بدأ عملية تصفية نجيب وذلك بإظهاره بأنه لا يملك السلطة وأن تصريحاته تتناقض مع الواقع .

ولأضرب مثلاً على ذلك :

عقب تولى اللواء نجيب رئاسة الحكومة إستطاع الصحفى الأمريكى ولتر كوينز مدير مكتب وكالة يونيتد برس للأنباء إجراء حديث خاص معه ، وكان من بين أهم الأسئلة التى وجهها الصحفى لرئيس الحكومة سؤال عن السياسة بالنسبة لمستقبـل الأحزاب فى مصر ، فأجابَ اللواء نجيب على هذا السؤال بقوله : إن الحكومة ستحترم حرية الأحزاب ولن تقوم بأى إجراء بالنسبة لها .

فى نفس اليوم الذى أجرى فيه الصحفى الأمريكى الحديث ، وبعد ساعات من وصول نص الحديث إلى جريدة الأهرام التى كانت تحتكر أنباء هذه الوكالة ، تم توزيع قانون خاص بالأحزاب على الصحف .

وكان من المضحك أن تصدر جريدة الأهرام فى اليوم التالى بحديث اللواء نجيب الذى يعلن فيه صراحة بأن الأحزاب لن تُمس وإلى جواره فى نفس الصفحة الأولى نص قانون تنظيم الأحزاب .

وهذا مثل من أمثلة كثيرة تؤكد أن عبد الناصر كان قد بدأ فعلاً فى تنفيذ عملية تصفية اللواء نجيب ، فهو ولاشك عائق له خطورته على أطماعه ، ذلك لأن شخصية

نجيب كانت باستمرار تزداد شعبيتها .

أزاح عبد الناصر على ماهر عن الحكم واختار هو الوزراء ، وكانوا جميعا يدركون أنه هو الذى يرجع اليه فضل توليهم المناصب ، وأسند رئاسة الحكومة للواء نجيب ليظهر أمام المصريين بأنه هو وحكومته اللذان يتحملان مسئولية الزحف نحو الدكتاتورية .

ذلك الزحف الذى بدأ بالاعتقالات ثم بتنفيذ حكم إعدام العاملين خميس والبقرى ثم القوانين التى أخذت تصدر بسرعة خارقة .

كل هذه الأمور كان يدبرها عبد الناصر ومجلس القيادة ولكن الذى يظهر للمصريين هو أنها من صنع الحكومة التى كان يرأسها اللواء نجيب .

عملية بارعة من جانب عبد الناصر يحقق بها أهدافه ، وفى نفس الوقت يسعى بها إلى هز صورة نجيب لدى المصريين

وكان نجيب يمثل لدى المصريين الشخصية الطيبة بين كل من قاموا بالحركة وهو الذى لا يميل للعنف ، وكان مثلاً معروفاً عنه أنه يُفضل بالنسبة لقانون تحديد الملكية الزراعية أن يكون الحد الأقصى ٥٠٠ فدان بدل ٢٠٠ فدان وأن لا يقسو القانون على أفراد العائلة .

لم يترك عبد الناصر لنجيب أية فرصة للمطالبة بهذه التعديلات للحد الأقصى وحصص أفراد الأسرة إذ صدر القانون يوم ٩ من سبتمبر أى بعد تأليف الحكومة بيومين .

على كل حال ، لم يؤثر هذا القانون على شعبية محمد نجيب ، ذلك لأن الدعاية ضد أصحاب الملكيات الكبيرة كانت بالغة العنف ، وكان مظهر القانون يعطى انطباعا بأنه يحقق العدالة الاجتماعية ، إذ أن الأرض التى ستنتزع من كبار الملاك ستوزع على الفلاحين الذين لا يملكون أرضا .

كان عبد الناصر يريد تحطيم قوة أصحاب الأرض الزراعية ، ولذلك بادر بإصدار القانون يوم ٩ من سبتمبر وهو يدرك أن نجيب قد يكسب باستهلال حكمه بصدور هذا

القانون باسم الحكومة ، ولكنه وازن بين ذلك المكسب الذى قد يحققه نجيب وبين حاجته لتحطيم قوة كبار الملاك الزراعيين ، فوجد أن التحطيم هام جدا بالنسبة لأهدافهبالإضافة إلى أن الحديث عن القانون كان قد ذاع منذ عدة أسابيع سابقة عندما نشر المصرى القانون فى عهد على ماهر باشا ، وأنه شاع بين المصريين أن جمال سالم هو الذى كان وراء فكرة ذلك القانون ، وأن مجلس القيادة قد قرر إصدار القانون .. ومجلس القيادة لم يكن لنجيب داخله أية سلطة بل لم يكن له حق التصويت على قراراته .

وفى يوم ٨ من سبتمبر نشرت المصرى نداء وجّهه محمد نجيب للشعب المصرى تحت عنوان : نداء إلى الشعب من اللواء محمد نجيب .

جاء فى الكلمة ما يلى :

« إلى شعب وادى النيل الكريم : لقد تفضلت هيئة الوصاية الموقرة فأسندت إلىّ مهمة رياسة الوزارة وقد شكلت الوزارة ... وإنى أعُدّ اضطلاعى بالحكم مرحلة من مراحل ثورتنا نحو الحرية وإعلاء كلمة الدستور » .

وفى يوم ١٠ من سبتمبر تنشر الصحف عن إصدار الحكومة لقانون ينظم الأحزاب .

ومن أخطر ما جاء فى هذا القانون المواد التالية :

المادة الثالثة : على من يرغب فى تكوين حزب سياسى أن يُخطر بذلك وزير الداخلية بخطاب موصى عليه بعلم وصول .... وبذلك تم وضع شرط على حرية تكوين الأحزاب اذ لم يكن شرط إخطار وزير الداخلية قائما قبل سنة ١٩٥٢ .

ولو أن الأمر قد توقف عند هذا الشرط لهان الأمر بل إن القيود وسلطات وزير الداخلية تمتد إلى أكثر من ذلك ...

المادة الخامسة : لوزير الداخلية حق الاعتراض على تشكيل الحزب وقيامه وعندئذ يُحال الأمر إلى محكمة القضاء الإدارى لتفصل فى الاعتراض .

الأعجب من كل ذلك !! .

المادة الثالثة عشرة : لوزير الداخلية ولكل ذى شأن أن يعترض على إخلال الحزب بحكم من الأحكام المتقدمة حتى ولو كان الإخلال قائما وقت تكوين الحزب ، وأن يطلب حسب الأحوال حل الحزب أو وقف نشاطه أو إسقاط عضوية أحد أعضائه أو تصحيح الوضع الخاطىء

ويُرفع الاعتراض إلى محكمة القضاء الإدارى .

وهكذا أصبح وزير الداخلية له سلطات واسعة فى عرقلة قيام أو استمرار أى حزب ، وهذا ولا شك يسلب المصريين حرياتهم فى تكوين الأحزاب ... والأغرب من ذلك ما جاء فى المادة الثالثة عشرة التى تقول (ولكل ذى شأن أن يعترض على الحزب وأن يطلب حسب الأحوال حل الحزب ... الخ)

صدور القانون بهذه الصورة هو نسف لبيان اللواء نجيب الذى وجهه للشعب ، وهو نسف لحرية تكوين الأحزاب وضمنياً : ينسف وجود الأحزاب التى كانت قائمة قبل صدوره ، ومن يريد منها أن يعاود الحياة أن يخضع وينفذ شروط القانون الجديد .

وكأن إصدار القانونين لم يكن كافياً إذ يوم ٩ سبتمبر أمر له أهميته يدل على أن التطلع إلى فرض حكم دكتاتورى لا يكتفى بتحطيم سلطة ونفوذ كبار الملاك الزراعيين والأحزاب فحسب ، بل إبعاد كل صاحب شخصية وطنية ومركز شعبى عن المنصب الذى يتولاه .

كنت يوم ٩ سبتمبر مساء فى مكتبى بجريدة المصرى وإذا بالضابط مصطفى لطفى وكان صديقا لى منذ الدراسة الثانوية ، يفاجئنى بالزيارة ويقدم لى مقالاً طالباً نشره فى العدد الذى نعده ليصدر صباح الغد ١٠ سبتمبر .

قرأت السطور الأولى فى المقال فوجدتها حملة قاسية على عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية ، وشعرت بالقرف وأنا أقرأ هذه الحملة إذ أن عزام باشا من أشجع المصريين ومن أكثرهم وطنية ، وهو الذى حارب فى صفوف الليبيين ضد الاستعمار ، وهو الرجل الذى يحترمه كل زعماء الأحزاب فى مصر وكل ملوك ورؤساء الدول العربية المشهود له بالقدرة والحنكة فى إدارة مجلس الجامعة العربية وتوحيد إرادة

رؤساء الدول والحكومات الأعضاء فى المنظمة ؛ وهو فوق كل ذلك الذى يرعى هو والدكتور محمد صلاح الدين باشا مصالح زعماء دول المغرب العربى الذين يدافعون عن استقلال أوطانهم ضد الاستعمار الفرنسى .

وعزام باشا هو الذى حارب فى صفوف الليبين عند قام الجيش الايطالى بغزو ليبيا قبل الحرب العالمية وكان عزام يتمتع فى المحافل الدولية باحترام كبير ساعد على تأكيد مكانة الجامعة العربية فى الميدان الدولى .

كيف أقبل أن أنشر تجريحاً لرجل أحمل له كل التقدير والاحترام والإعزاز .

قلت لصديقى مصطفى لطفى مستنكراً : ما هذا الذى تريد نشره ؟ فقال إن نشره مطلوب وأن نسخاً منه تم تسليمها للأخبار والأهرام وهذه نسخة المصرى . وسألته عن الهدف من هذه الحملة فأجاب بأن الغرض هو إحراج عزام باشا ودفعه على الاستقالة .

عندئذ قلت إذا كان هذا هو الهدف فلماذا هذا الأسلوب ومحاولة تجريح أحد أكبر الوطنيين المصريين ، ونحن نفاخر به ويقّدره كل العرب حتى سوكارنو فى إندونيسيا ونهرو فى الهند .

ثم قلت : هل تتصور أن عزام باشا متشبث بأهداب المنصب لدرجة أن إزاحته عنه يتطلب هذا الهجوم الفظيع .. هل إذا قدم استقالته ستوقفون النشر ... إذا كنتم تعدوننى بذلك فأنا مستعد أن آتيكم باستقالته الليلة .

فأجاب بأنه إذا استطعت إحضار استقالته فإنهم سيوقفون النشر وعندئذ أرسلت الأستاذ أحمد فهمى مدير التحرير إلى دار عزام باشا بعد أن أطلعته على ما دار بينى وبين مصطفى لطفى ، وأن عليه أن يشرح الأمر لعزام باشا ويأتى بخطاب استقالته .

ومن عجيب الصدف أن يكون عزام باشا فى تلك الليلة قد لبى دعوة عشاء لدى أحد السفراء الأجانب ، وكان كل الحاضرين من سفراء الدول الأجنبية وأن دعوته للعشاء مع هذا العدد من السفراء قد تمت بغرض أن يحدثهم عزام باشا عن حركة الجيش وعما لديه من معلومات عن أهدافها وكان يشرح لهم ويدافع عن وطنية أهداف الحركة .

المهم أنه عاد الأستاذ أحمد فهمى بالاستقالة بعد أن اتصلت الأسرة بعزام باشا فعاد إلى المنزل وبمجرد شرح أحمد له كتب خطاب الاستقالة .

إتصلت بمصطفى لطفى الذى حضر إلى مكتبى مرة ثانية وسلمته خطاب الاستقالة وذكّرته بوعده بعدم نشر أى هجوم فى الصحف ، فأكد حرصه على الوعد . ولكنى للأسف الشديد فوجئت فى صباح يوم ١٠ بالأهرام والأخبار وقد نشرتا الهجوم فلما أبديت لمصطفى لطفى تليفونيا غضبى ، أكد لى أنه أتصل بالجريدتين ليبلغهما التوقف عن نشر الهجوم ، وقال فى حيرة يبدو أن هناك من أصدر للصحف أوامر أخرى .

وما أن أذاعت وكالات الأنباء نقلاً عن المصرى خبر تقديم عزام باشا الاستقالة من منصبه حتى سارعت الوفود العربية الممثلة فى الجامعة إلى الحضور إلى القاهرة حيث انعقد الاجتماع لمجلس الجامعة فى نفس الليلة وكان على ماهر باشا هو ممثل مصر فى الجامعة وقرر المجتمعون تأجيل البت فى الاستقالة إلى يوم السبت ١٣ من سبتمبر حتى يتمكن الأمير فيصل بن عبد العزيز رئيس الوفد السعودى من حضور الاجتماع إذ حالت (وعكة) دون حضوره .

والمعروف أن الأمير فيصل والملك عبد العزيز والأسرة السعودية يكنون كل تقدير واحترام لعزام باشا ، وأن غياب الأمير عن حضور الجلسة كان لإظهار غضبه على الرغبة فى إبعاد عزام باشا عن منصبه .

* * *

وتمتد اليد إلى استقلال القضاء إذ يصدر يوم ١٢ من سبتمبر قانون يضرب بهذا الاستقلال عرض الحائط ، إذ ينص القانون الجديد على تشكيل لجنة قضائية تنظر فى صلاحية رجال القضاء والنيابة العمومية ، ولها حق فصل من لا ترى صلاحيته ، بل ولها أن تحرم القاضى أو عضو النيابة كل حقه أو بعضه فى المعاش أو المكافأة وتبلغ اللجنة قرارات العزل من الوظيفة لوزير العدل الذى يصدر مرسوما ينفذ القرارات .

وصدر أيضا فى نفس اليوم قانونان مماثلان أحدهما خاص بالقضاة الشرعيين والثانى خاص بكل موظفى الدولة ، وقد منحت القوانين الثلاثة الوزراء سلطة وقف الموظف عن

عمله مع منحه مرتبه حتى يتم فصل اللجنة المختصة فى أمره .

وكان المعروف بعد ذلك للجان التطهير أن من يوقفهم الوزراء عن العمل يتم إيقافهم بأوامر من مجلس قيادة الحركة ، ولذلك فإن عليها أن تستجيب لهذه الأوامر .

وبذلك تم إحكام السيطرة على كل موظفى الدولة بما فيهم رجال القضاء والنيابة والقضاء الشرعى .

الارهاب :

سبق أن ذكرت أن الحركة اعتقلت عددا من رجال السياسة والأحزاب وحاشية فاروق وأخرين وتم القبض عليهم يوم ٦ سبتمبر .

وكان لابد من إرهاب كبار الملاك وتلقينهم درساًمرعباً ، ولم يكتف عبد الناصر بالقبض على عبد العزيز بك البدراوى وبعض كبار الملاك يوم ٦ من سبتمبر بل بحثوا عن فريسة يُحدث القبض عليها دوياً هائلا .

تم العثور على من يحدث القبض عليه ضجة كبرى ؛ ففى يوم ١٤ من سبتمبر تحركت القوات إلى مدينة مفاغة بمديرية المنيا وألقت القبض على الشاب عدلى لملوم الذى قيل إنه عند علمه بقانون تحديد الملكية اقتحم مكتب ضابط البوليس وصرخ فى وجهه متحديا الحكومة .

عائلة لملوم من أقوى عائلات الصعيد ومشهور عنها أنها كانت دائما تدافع عن مصالحها بقوة ، فالقبض على أحد رجالها من الأمور التى تثبت مدى قوة السلطة واستعدادها للبطش بكل من يحاول الخروج على أوامرها ، ومما يدل على أن القبض كان مرتباً أنه فى نفس اليوم أصدر وزير الداخلية فورا بمنح الضابط نوط الجدارة تقديرا لشجاعته ، كما تقرر تكوين مجلس عسكرى لمحاكمة عدلى لملوم .

وفى صباح يوم ١٥ من سبتمبر عام ١٩٥٢ بدات محاكمة الصول رأفت شلبى والذى كان يعمل ممثلا بالمسرح الشعبى أمام المجلس العسكرى العالى بتهمة محاولته يوم ٢٨ من أغسطس أو حول هذا التاريخ إغراء الصول عبد العزيز محمد عبد الله وآخرين وبعض

ضباط الجيش بالخروج عن الطاعة وإحداث فتنة بين القوات المسلحة مما يندرج تحت البندين ٢ و ١٧٦ من قانون الأحكام العسكرية والعقوبة التى ينص عليها البندان هى الإعدام .

ولم يشفع للصول رأفت شلبى أنه كان قد اشتغل ممثلاً ، وأن الأمر لا يتعدى تمثيلية هزلية وأن قواه العقلية كان مشكوكا فى أمرها .

ويروى الصول عبد العزيز محمد عبد الله شهادته فيقول :

قال لى رأفت عندما قابلنى : إيه رأيك فى الحركة اللى حصلت ؟

دا أنا من يوم ما حصلت ما بنامش ... شوية عيال عملوا الحركة وكلهم صنيعة الإنجليز لأنهم جايين مخصوص علشان الدفاع المشترك ويسبوا ويلعنوا الملك السابق ويقولوا إنه بيشرب خمره مع أنه ما شربشى خمره طول عمره .

وسأل محامى رأفت شلبى الشاهد : هل صحيح أن المتهم أخبرك أنه قدم مشروعا لعمل فرقة للجيش للترفيه .

أجاب الشاهد : هو فعلا كان قال إن له مشروع فى إدارة الجيش .

وفى مكان أخر من الشهادة سأل ممثل الادعاء بالمجلس العسكرى : ماذا قال المتهم ساعة القبض عليه للقوة التى قامت بالقبض ؟

وقال الشاهد : قال سيبونى أنا راجل ممثل باعمل رواية تمثيل ؛

ويسأل رئيس المجلس العسكرى الشاهد عن الطريقة التى كان سيهاجم بها المتهم مركز القيادة فأجاب : قال رأفت إن عربية جيب ستخرج ومعها قوة ويخرجوا منها للقبض على اللواء نجيب .

ويقول رئيس المجلس للشاهد : تقدر تقول تفاصيل أكثر عن طريقة القبض

يقول الشاهد : قال إنهم يطلعوا على بيت محمد نجيب وعلى بيت رشاد مهنا وفى حالة عدم وجود الأول بمنزله فإنه يكون موجوداً فى مقر القيادة فيحاصر المبنى ويلقى رأفت شلبى الأوامر من عربة بميكروفون على ضباط القيادة بالتسليم وتكون قوات

الحراسة الموجودة لحراسة مبنى القيادة تساعد فى القاء القبض عليهم ويقول رئيس المجلس : كل الدبكة دى فى عربة جيب واحدة !!

ويطلب محامى المتهم وهو ضابط من المجلس عرض المتهم على طبيب للكشف على قواه العقلية فيرفض المجلس الطلب .

ورغم كل هذا يصدر المجلس العسكرى حكمه على رأفت شلبى بالإعدام ، ثم يتم تخفيفه إلى الأشغال الشاقة المؤبدة . ويستمر مسلسل الأرهاب ففى يوم ١٨ من سبتمبر تبدأ « محاكمة » عدلى لملوم أمام المجلس العسكرى حيث يطلب (المدعى العام) الحكم بإعدامه .

وكانت السيدة والدة المتهم قد طلبت حضور المحاكمة فصدر الأمر للقوات التى تحرس مبنى المجلس المحلى بمدينة المنيا الذى تحول إلى مكان للمحاكمة بأن تفتشها خوفا من أن تكون تحمل مفرقعات أو مدفعا رشاشا !!

ومن الغريب أن الشاهد الأول وهو أهم شاهد إثبات يقرر أنه (يستنتج) أن ثورة عدلى لملوم سببها تحديد الملكية ؛

وواضح من قوله أنه يستنتج أن الأتهام هو استنتاج ولا يستند إلى حقائق واضحة وثابتة .

وفى يوم خمسة من أكتوبر أعلن الحكم ضد عدلى لملوم وهو الأشغال الشاقة المؤبدة وقابل عدلى الحكم بالضحك وعلى أثر النطق بالحكم تم ترحيله إلى ليمان طره .

* * *

الاحزاب :

لم تكن قضية رأفت شلبي وقضية عدلي للوم هما وحدهما اللتان تستحوذان على الرأى العام فى مصر بل كانت هناك قضيتان أو أمران شغلا المصريين هما:قضية الأحزاب بعد صدور قانون الأحزاب،وتطهير الموظفين .

كان على الأحزاب بمقتضى قانون الأحزاب الذى صدر بمجرد تولى اللواء نجيب رئاسة الحكومة أن تتقدم بإخطارات لوزير الداخلية سليمان بك حافظ وتشتمل الإخطارات على تكوين الهيئة العليا للحزب ورئيس الحزب وبرنامج الحزب وبيانات أخرى .

ولم ينتظر وزير الداخلية حتى يقدم الوفد إخطاره بل انتهز فرصة مقابلة تمت بينه وبين الدكتور صلاح الدين باشا ليبلغه أنه سيرفض إخطار الوفد إذا كان النحاس باشا هو رئيس التشكيل الجديد .

وهكذا بدأت الخلافات العنيفة بين الوفد وحكومة اللواء نجيب ، أو بلغة أصح بين الوفد والنظام الجديد الذى يسيطر عليه مجلس قيادة حركة الجيش التي يسيطر على سياستها وقراراتها جمال عبد الناصر .

كان الأستاذان سليمان حافظ وفتحي رضوان وهما من الحزب الوطني الجديد الذى قام من أواخر الأربعينات على أنقاض الحزب القديم اللذين قادا الحملة ضد الوفد وخصوصا ضد الزعيم الجليل مصطفى النحاس .

ومن سخرية القدر أن يكون الحكم على وطنية مصطفى النحاس ونزاهته وصلابته متروكاً لسليمان حافظ أو فتحي رضوان .

وكان من الطبيعي أن ترد جريدة المصري على الحملات التي شنها وزير الداخلية سليمان حافظ ووزير الدولة فتحي رضوان ضد مصطفى النحاس وكتبت خمس مقالات عن كفاح النحاس منذ بدأت ثورة عام ١٩١٩ .

واستمر الصراع بين الوفد والسلطة ممثلة فى سليمان حافظ من منتصف شهر

سبتمبر إلى منتصف شهر نوفمبر حيث رفض وزير الداخلية إقرار تشكيل حزب الوفد فلجأ الحزب إلى محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة .

عقدت محكمة القضاء الإدارى جلستها الأولى يوم ٢٠ من نوفمبر لتنظر اعتراض الوفد على قرار وزير الداخلية القاضى بعدم الموافقة على إخطار الحزب .

حضر عدد كبير من المحامين منهم عبد الفتاح الطويل باشا وسليمان غنام باشا وإبراهيم فرج باشا والدكتور سامى مازن والدكتور وحيد رأفت .

طعن محامو الوفد فى دستورية قانون الأحزاب وطلبوا من المحكمة ضم مستندات وأمرت المحكمة بضمها ثم قررت تأجيل القضية للمرافعة إلى يوم ٢٠ من ديسمبر .

وفى جلسة ٢٠ من ديسمبر أثار محامو الوفد تقصير الحكومة فى تقديم المستندات التى كانت المحكمة قد أمرت بتقديمها ، واستمر الجدل طويلاً بين محامى الوفد وبين ممثل الحكومة الأستاذ محمد حسين عونى المستشار بإدارة قضايا الحكومة .

وأبدى الدكتور سامى مازن استعداد محامى الوفد للمرافعة بالنسبة للجانب القانونى للدعوى ، أما الجانب الموضوعى فتتم فيه المرافعة فى جلسة أخرى بعد تقديم الحكومة للمستندات المطلوبة . واعترض ممثل الحكومة وطلب التأجيل حتى لا تتجزأ القضية وتقرر التأجيل إلى يوم ١٠ من يناير ١٩٥٣

ويوم ٢١ من ديسمبر كانت محكمة القضاء الإدارى تنظر طعن حزب الأحرار الدستوريين فى قرار رفض وزير الداخلية سليمان بك حافظ للإخطار الذى تقدم به الحزب ، وحضر عن الحزب الدكتور محمد حسين هيكل باشا وابراهيم دسوقى أباظة باشا وأحمد على علوبة باشا وآخرون ؛

وقال المحامون أن قانون الأحزاب بدعة وأنه يتنافى مع أسس الحياة الديموقراطية السليمة ، كما طالب الدفاع بضم أوراق حكومية . وعندئذ قال رئيس المحكمة لممثل الحكومة : لازم الحكومة تقدم الأوراق للمحكمة .... ؛

وتقرر تأجيل الجلسة إلى يوم ١٧ من يناير ... ؛

ويوم ١٠ من يناير عادت محكمة القضاء الإدارى لتنظر قضية الوفد ويتضح أن

الحكومة لم تقدم المستندات التى طلبها الدفاع وقررت المحكمة ضرورة تقديمها .

وعندما تحدث مندوب الحكومة عن أن القانون يعطى للحكومة حق الاستيلاء على أموال الأحزاب التى يعترض على تشكيلها وزير الداخلية ، قال أن الاستيلاء على أموال الأحزاب وتحويلها للأعمال الخيرية لا يُعتبر مصادرة ، فتصدى له ابراهيم فرج باشا قائلاً له : أمال تسميها إيه ؟.

عندئذ قال مندوب الحكومة : إذا حُل حزب الوفد فهو كشخصية معنوية تؤول أمواله ...

فقاطعه ابراهيم فرج باشا صائحا : الوفد لن يُحل ولا تستطيع أنت ولا سليمان حافظ حله : الوفد تحله الأمة وتبقيه الأمة .

وفى اليوم التالى يستمر نظر القضية حيث يقول الدكتور سامى مازن : هذه القضية تتعلق بالجهاد الوطنى ضد المحتل والدكتور محمد صلاح الدين باشا يقول : هل قدر للحياة السياسية أن يعين سليمان حافظ عليها قيماً ؟!

ويقول عبد الفتاح الطويل باشا : إن الحزب الوحيد الذى لم يعترض عليه سليمان حافظ هو حزب فتحى رضوان الذى تدل أحاديثه على أن هذا الحزب سيتلاشى فى هيئة التحرير ، والكلام عن الحزب الواحد يتردد منذ شهور .

وأستمرت محكمة القضاء الإدارى تنظر قضية الوفد لمدة أربعة أيام متوالية كان يستمر خلالها إنعقاد الجلسات إلى قرب منتصف الليل . وفى مساء يوم ١٣ من يناير قررت المحكمة النطق بالحكم يوم ١٩ من فبراير .

ومن الأمور المضحكة أن حافظ باشا رمضان الذى كان يرأس الحزب الوطنى منذ أكثر من عشر سنوات قدّم لوزير الداخلية إخطار الحزب الوطنى فرفضه سليمان حافظ ، فرفع رمضان باشا قضية أمام المحكمة ووقف هو وفتحى رضوان كل منهما يدعى أن الحزب الوطنى ملكٌ له .

كانت قضية الوفد مؤجل الحكم فيها إلى ١٩ من فبراير ، وقضية حزب الأحرار الدستوريين إلى ١٧ من يناير ..

وفى هذه الأثناء التى استغرقتها الخلافات والصراعات بين الأحزاب وبين السلطة وهو صراع فى الواقع بين الاتجاه بمصر نحو الديموقراطية وحرية المصريين وبين الاتجاه نحو الدكتاتورية ، حدثت أحداث كثيرة منها : عزل القائمقام رشاد مهنا الذى كان يشغل منصب الوصى على العرش ، وبعد عزله إستقال بهى الدين بركات باشا من نفس المنصب وبقيت الوصاية للأمير عبد المنعم وحده .

وكان وزير الداخلية سليمان بك حافظ يواصل إصدار قوانين أغلبها غير شعبية ، وإن ألبسها أسماء شعبية ، وذلك كى تطول الدكتاتورية رقاب من تريد البطش بهم .

مثلا فى ١٣ من نوفمبر عام ١٩٥٢ صدر مرسوم يُحصّن ما يتخذه القائد العام للقوات المسلحة من أمور .

ويقول المرسوم :

يعتبر من أعمال السيادة وفقا للمادة ٧ من قانون مجلس الدولة والمادة ١٨ من قانون نظام القضاء كل تدبير اتخذه أو يتخذه القائد العام للقوات المسلحة باعتباره رئيس حركة الجيش التى قامت فى ٢٣ من يولية سنة ١٩٥٢ بقصد حماية هذه الحركة والنظام القائم عليها إذا اتخذ هذا التدبير فى مدة لا تتجاوز ستة أشهر من ذلك التاريخ وتنتهى هذه التدابير بانتهاء هذا الأجل .

وواضح من هذا المرسوم أن الغرض منه هو شل سلطة القضاء عن أى تصرف تقدم عليه حركة الجيش مدعية أنه صدر من القائد العام للجيش .

وكانت هذه هى الضربة الثانية لسلطة القضاء واستقلاله ، إذ كانت الضربة الأولى متمثلة كما ذكرت فى القانون الذى يبيح عزل القضاة وأعضاء النيابة .

حركة الجيش كانت تعلم تمام العلم أن القضاء المصرى يمثل أكبر حماية لحقوق المصريين ، وأن القضاة لن يخضعوا أبداً لسلطان حركة الجيش أو الدكتاتورية ، ولذلك عندما وقعت حوادث كفر الدوار شكلت (محكمة مجلس عسكرى) ليحاكم المتهمين وحوادث كفر الدوار تتلخص فى اضراب شنه العمال فى مصانع الغزل والنسيج مطالبين بتحسين احوالهم وادت إلى القبض على عدد من المضربين وتمت محاكمتهم امام مجلس

عسكرى وصدر الحكم باعدام عاملين هما خميس والبقرى وتم تنفيذ حكم الاعدام فيهما وسارت على هذا المنوال فى قضية رأفت شلبى ثم قضية الملوم .

وقد أثبتت محكمة القضاء الإدارى التى نظرت بعد ذلك قضية الوفد والأحزاب برئاسة المستشار محمد عفت وعضوية المستشارين على أبو الغيط والدكتور عبد الحميد فراج وحسن أبو علم ومحمد وصفى أباظة حرصاً على الوصول إلى العدالة ، واتسع صدرها يوما بعد يوم للمرافعات والمجادلات ، وكم من مرة أحرجت ممثل الحكومة إحراجاً شديدا .

وجاءت ضربة جديدة لتضيف إلى الضربات السابقة القفز نحو الدكتاتورية .

فى الساعة الواحدة من صباح يوم ١٠ من ديسمبر عام ١٩٥٢ ، وبعد احتجاج استمر ساعات بين الحكومة ومجلس قيادة الحركة برئاسة عبد الناصر أذاع اللواء محمد نجيب بياناً خطيراً أعلن فيه سقوط دستور سنة ١٩٢٣ .

بدأ البيان بشن حملة عنيفة على الحياة الدستورية قبل حركة الجيش ثم قال : وهاأنذا أعلن باسم الشعب سقوط ذلك الدستور .. دستور ١٩٢٣ ؛

كما أعلن أن الحكومة آخذة فى تأليف لجنة لتضع مشروع دستور جديد يقره الشعب ويكون منزهاً عن عيوب الدستور الزائل ومحققا لآمال الأمة فى حكم نيابى نظيف ثم يصل إلى ما تتطلع له للزحف نحو الدكتاتورية فيقول : وإلى أن يتم إعداد هذا الدستور تتولى السلطات ، فى فترة الانتقال التى لابد منها ، حكومة عاهدت الله والوطن على أن ترعى مصالح المواطنين جميعا دون تفريق أو تمييز مراعية فى ذلك المبادىء الدستورية العامة .

وفى نفس الوقت تقررت (فترة انتقال) تنطلق فيها يد القابضين على السلطة إنطلاقا كاملا .

ويعلق الوفد على قرار إلغاء الدستور فيقول إنه كان بالإمكان تعديل بعض فقراته بدل اللجوء إلى إلغائه ؛ وعلق على فترة الانتقال التى لم يحددها البيان بأن الوفد يربط دائما بين وجود دستور يوفر للمصريين حقوقهم السياسية فى إنتخاب الحزب الذى

تتكون منه الأغلبية وبين تولى أية حكومة الحكم ..

وبالنسبة لما أعلنه اللواء نجيب عن أن الحكومة آخذة فى تكوين لجنة لوضع الدستور أعلن الوفد أن هذه اللجنة يجب أن تأتى عن طريق انتخابات عامة ينتخب المصريون فيها جمعية تأسيسية هى التى تتولى وضع الدستور .

وبطبيعة الحال لم يلق رأى الوفد أى اهتمام من ضباط الحركة ولا من اللواء نجيب وحكومته .

وبعد كل هذه القوانين والقرارات التى تهدر كل حقوق المصريين الدستورية وتطلق يد المسيطرين على السلطة ، يطلع على مصر وزير الداخلية بقانون جديد ألبسه إسما لم تكن مصر تعرف به من قبل هو « قانون الغدر » .

وهذا القانون كما جاء فى البيان الذى أصدرته الحكومة يعاقب الذين استغلوا النفوذ ومناصبهم وأفسدوا الحياة السياسية ..

وتقول المادة الأولى لهذا القانون : يعد مرتكبا لجريمة الغدر من كان موظفا عاماً وزيراً أو غيره ، وكل من كان عضوا فى مجالس البرلمان أو المجالس البلدية ... وعلى العموم كل شخص كان مكلفاً بخدمة عامة أو له صفة نيابية وارتكب بعد الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩ فعلاً من الأفعال الآتية :

١ ــ التعاون على إفساد الحياة السياسية للحصول على مزايا سياسية .

٢ ــ إستغلال النفوذ ولو بطريق الإيهام للحصول على فائدة لنفسه أو لغيره من أية سلطة عامة أو هيئة أو مؤسسة .

٣ ــ إستغلال النفوذ للحصول لنفسه أو لأحد ممن يمتون اليه بصلة قرابة أو مصاهرة أو حزبية على وظيفة فى الدولة أو فى الهيئات العامة أو أية هيئة أو شركة أو مؤسسة خاصة .

وهكذا يظل القانون ينسب الغدر لأعمال لا حصر لها بحيث يمكن به تصيد الاتهامات لأى انسان مهما كان نزيهاً فيعتبر أيضا مرتكبا جريمة الغدر .

٤ ــ من يؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر ومن يستغل النفوذ لرفع أو خفض أثمان العقارات والبضائع والمحاصيل وغيرها

٥ ــ كل من قصد التأثير على القضاء .

٦ ــ التدخل الضار بالمصلحة العامة فى أعمال الوظيفة أو قبول هذا التدخل .

وتتحدث المادة الثانية عن العقوبات :

١ ــ العزل من الوظيفة العامة

٢ ــ سقوط العضوية فى المجالس النيابية .

٣ ــ الحرمان من الترشيح وحق الانتخاب لمدة لا تقل عن ٥ سنوات

٤ ــ الحرمان من الانتساب لحزب لمدة لا تقل عن خمس سنوات

٥ ــ الحرمان من المعاش كله أو بعضه .

وبعد كل ذلك تقول المادة : ويجوز الحكم أيضا بإسقاط الجنسية عن الغادر كما يجوز الحكم بأن يرد ما أفاده من غدره وتقدر المحكمة قدره .

أما عن تشكيل المحكمة فتقول المادة الثالثة أنها تتكون برئاسة مستشار من محكمة النقض ومستشارين من محكمة الاستئناف يعينهم وزير العدل وأربعة ضباط عظام يعينهم القائد العام للقوات المسلحة ؛

أى أن الغالبية فى المحكمة للضباط وليست لرجال القضاء .

ولم يسعنى أمام هذه الخطوات التى تزحف بالحكم فى خطى سريعة نحو الدكتاتورية إلا أن أعبر عن مخاوفى .

يوم ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ كتبت أول مقال واضح يُبدى القلق الصريح من بوادر الزحف نحو الدكتاتورية ، وتم نشر المقال فى الصفحة الأولى من جريدة المصرى وكان العنوان الذى إحتل ثلاثة أعمدة هو :

قوانين ... قوانين ... قوانين !

بقلم أحمد أبو الفتح

ثم قلت :

إلغاء الدستور ... ما مبرراته وما هى العيوب التى استوجبت هذا الإلغاء ؟!!

فترة الإنتقال ... ما هى وما نوع الحكم خلالها وكيف تحدد ؟!!

الدستور الجديد ... ماذا يُراد له ومتى ستشكل اللجنة التى ستضعه وعلى أية صورة ستشكل وما هى المدة المحددة لعملها ؟!!

الحياة النيابية ... متى ستعود وما هو الأجل الذى يرى المسئولون أنه الأجل الذى يحق أن يُسمح للشعب بعده بممارسة حقوقه ؟!!

سيل القوانين .. متى سيقف تدفقه وهل سنستمر فى وضع تشريعات الواحد تلو الأخر ؟!

وهناك عشرات الأسئلة ... !

اسئلة واسئلة فهل من أجوبة ؟!

الكل يسأل : ... العامل ... والمالك .. والتاجر والفلاح ...

....

إلى أن قلت :

والناس بين كل هذا فى حيرة تتلمس الطريق فلا تجد له أولا ولا آخراً وتحاول أن تتبين الأهداف المتوخاة فيعييها البحث ؛ .... ولكن جهودها تذهب أدراج الرياح فيتحدث البعض إلى البعض فيفتى كل برأى فتلاحقه أفعى تقول له إحذر الإشاعات وإياك والفتن وحذار من الأباطيل ...

....

....

إشاعات ... أكاذيب ... أباطيل ... السموم : فى الطريق .. فى الترام ... فى الإذاعة ... فى صندوق البريد ..

....

....

مـاذا قال المسئـولون عن إلغـاء الدستـور ... ألغى بإسم الشعب !! مـاذا قال المسئولون عن الدستور الجديد ... تقريبا لا شيء !!

ماذا قال المسئولون عن فترة الانتقال ... لا شيء !! غير هذا أو غـير ذاك من المسائل الرئيسية لا نسمع عنها شيئا ... ومع ذلـك لا يمر يـوم من الأيام إلا ويصـدر قانون ... وكأن البلد قد امتلأ بالمجـرمين والقتلة واللصـوص والخونـة ، لذلـك يجب ألا تنشغل الحكومة إلا باستصدار القوانين

....

....

ولعل من المناسب أن نقلب الرأى قليلا فى الأسباب التى من أجلها ثار الناس على فاروق ... وقام الطلبة بمظاهرات يهتفون بسقوطه وقامت الصحافة الحرة تقاوم طغيانه

هل ثار الشعب على فاروق لأنه كان مقامراً ... ؟

هل كانت ثورة الشعب لأن فاروق مستهتر يهتك الأعراض ؟!

كانت ثورة الشعب لأن فاروق كان يعتدى اعتداء سافرا ومستمرا وبشعا على حقوق الشعب السياسية ...

كانت ثورة الشعب لأن فاروق كان يقيل وزارات الشعب ..

كانت ثورة الشعب لأن فاروق كان يزيف إرادة الشعب ... كان يفرض حكاما على الشعب ... كان يفرض الأحكام العرفية على الشعب ... كان يفتح أبواب المعتقلات للشعب ويعطل دستور الشعب .

....

....

ولا يزال الشعب حريصا على أن يحقق الجيش له كل آماله بأن يزيل كل ما كان يشكو منه أثناء حكم فاروق ..

الشعب حريص على الدستور ؛

الشعب حريص على إلغاء الأحكام العرفية ... وعلى عودة الحياة النيابية ... وإلغاء كافة القوانين الرجعية ؛ ويوم أن يحقق الجيش ذلك يكون قد أدى الأمانة إلى أصحابها .

ولم أتعرض فى المقال بالنقد لعبد الناصر .

التطهير .

بعد قيام حركة الجيش باسابيع قليلة قدم الاستاذ أحمد نافع احد أهم وانشط المحررين بجريدة المصرى أخبارا بأن الحركة تنوى اجراء حركة تطهير واسعة بين موظفى الحكومة .

كان الخبر فى غاية الاهمية ولذلك صدرت به الجريدة كعنوان يحتل كل صدر الصفحة الاولى .

وفوجىء المحررون والاداريون بالجريدة فى الصباح بالدبابات تحاصر مبنى المصرى ويتقدم الضابط قائد الحصار إلى الاستاذ عبد الرحمن فهمى طالبا معرفة اسم المحرر الذى جاء بالخبر ويرفض عبد الرحمن وكل من بالدار البوح باسم أحمد نافع .

ويهدد الضابط بانه لابد من معرفة اسم المحرر ليتم شنقه اليوم فى ميدان الأوبرالأنه اثار فتنة بين الموظفين والا فيستمر حصار المصرى ولن يسمح لاحد بالدخول او الخروج من المبنى وظل الحصار إلى بعد الظهر ثم فجأة انسحبت الدبابات وتم فك الحصار .

وبعد أسابيع قليلة أعلنت حركة الجيش عن تكوين لجان لتطهير موظفى الدوله .

وكان التطهير هو السلاح الماضى لإبعاد كل من لا يريد أصحاب السلطة بقاءه فى وظيفته ، فقد أصبحت كلمة التطهير هى الرعب لكل موظف أمين ليس له من يسانده ... وبالتطهير تم إبعاد عدد من ضباط الجيش والبوليس وتألفت فى كل الوزارات وفى الجيش والبوليس لجان عرفت باسم (لجان التطهير)

وكما سبق أن ذكرت كان الضباط قد تسربوا إلى جميع فروع ودواوين الحكومة **بصفة مراقبين ثم سرعان ما تحولت رقابتهم إلى إشراف فعلى على الموظفين المدنيين ؛ وقد أطلقوا على أنفسهم إسم مندوبى القيادة ؛ وقد كانت تقارير هؤلاء الضباط السرية عن إخلاص موظف أو عدم إخلاصه للجيش هى فى مقدمة العوامل التى قررت على أساسها لجان التطهير بقاء الموظف أو عدم بقائه .**

وكان هؤلاء الضباط ــ مندوبو القيادة ــ قد سيطروا على جميع مرافق الحكومة ، وانشأوا بدروهم شبكة من الجاسوسية واسعة النطاق جمعت المعلومات عن كل موظف فى الدولة ومدى الاخلاص للجيش .

وفتحت لجان التطهير مجالا واسعاً للدس والوقيعة إذ كثرت ادعاءات الموظفين على زملائهم ، وكثرت الشكاوى غير الموقعة وامتد النطاق إلى تلفيق التهم . فتحت لجان التطهير الباب على مصراعيه أمام النفوس الحاقدة والمتزلفين والمنافقين .

وخوفاً على مراكزهم سارع أكثر الموظفين إلى إعلان تأييدهم للقيادة ، وحاولوا أن يبحث كل واحد منهم عن ضابط صاحب نفوذ يعتمد على تأييده له ليبقى فى مركزه ، وقد دفعهم الخوف على مراكزهم أن يكونوا أدوات طيعة فى أيدى الضباط الموجودين فى الوزارات ، فسخرهم هؤلاء الضباط فى أحط أنواع الجاسوسية على زملائهم من الموظفين .

لقد كان التطهير سلاحاً مشهراً على مستقبل كل موظف فى الدولة ، ولذلك اندفعت غالبية الموظفين تتنافس فى النفاق والتجسس .

لقد كان التطهير سلاح الجيش لإفساد الأخلاق والذمم وأدى إلى تجرد البعض من اخلاقهم ، فقاموا بأحط ألوان الجاسوسية وأفحش أنواع الزلفى والنفاق ، وتمادى البعض فى نفاقهم فجعلوا من أنفسهم ملفقين لتهم ضد زملاء لهم لا لشىء إلا لعلمهم أن الضابط الموجود بالوزارة غير راض عن هذا الموظف أو ذاك .

وقد لعبت الأهواء الشخصية والأحقاد والحسد والطمع والتلفيق والتزوير أدواراً رهيبة أمام لجان التطهير .

وياويل الموظف الذى يحاول فى هذه الأثناء أن يحافظ على كرامته فابتعد عن التزلف والتجسس على زملائه ، لقد كان هذا النوع من الموظفين فى مقدمة ضحايا لجان التطهير .

حقيقة أن من بين من فصلتهم لجان التطهير بعض الموظفين من ذوى الضمائر

الفاسدة الذين يستحقون الفصل ولكن الغالبية ممن فقدوا وظائفهم لم تكن من هذا النوع ، بل إن أسباب الفصل فى كثير من الحالات لم يكن قائما على الفساد وإنما كان قائماً على إبعاد كل من يخشى الجيش أو قيادة الجيش بقاءه فى عمله .

مئات من الموظفين فقدوا وظائفهم لا لشىء إلا أنهم يمتون بصلة القربى أو النسب لبعض كبار السياسيين القدامى ، أو لأنه سبق أن عرفوا بميل للأحزاب السياسية .

وتناول التطهير فى الجيش الكثير من الضباط لا لأمر إلا لأنهم لم يكونوا محل استلطاف أعضاء مجلس القيادة .

وفى بضعة أسابيع كان الجيش قداستبعد من صفوفه ومن الوظائف المدنية كل من هو غير مرغوب فيه .

وأصبحت كلمة التطهير هى « مودة » العهد فسرعان ما انتشرت هذه الكلمة على كل لسان ، وسرعان ما تألفت لجان تطهير فى المؤسسات التى تشرف عليها الحكومة كالجمعية الزراعية وبنك التسليف وغيرها . وأصبحت هذه المؤسسات تعيش فى جو من الدس والوقيعة والتلفيق والشكاوى المجهولة ، وأصبح كل من يعمل بها تحت رحمة كل هذه الأسلحة الدنيئة .

وانتشر التطهير فامتد إلى كل مكان فنادى المنادون بتطهير الشركات التجارية والمؤسسات الخاصة ، حتى النوادى الخاصة والنوادى الرياضية حتى النقابات ، امتدت اليها مودة التطهير ، وقد قيل فى ذلك الوقت بتطهير كل شىء حتى الموسيقى المصرية والكتابة ودور الصحف ..

وصارت مصر كلها تعيش فى جو رهيب ، وبات مستقبل كل إنسان مهددا تهديداً كاملا .

وشهدت مصر أهوال وفواجع أخلاقية فى هذه الفترة ، وكوارث تحل بالأبرياء الذين لا سند لهم بين ضباط القيادة والضباط « الأحرار » .

ولعب الضباط ذوو النفوذ فى ذلك الوقت أدواراً رئيسية فى تحطيم مستقبل آلاف من الناس .

وانتشرت الفوضى تحت ستار التطهير ، ففى الأندية الخاصة مثلا أخذ بعض الناس من ذوى العلاقة بمجلس القيادة يدعون أنهم مندوبو القيادة ويفرضون سلطاتهم على النوادى ، وسرعان ما تبين لبعض اعضاء النادى أن هذا الأدعاء كاذب ، فيقوم هذا البعض عن طريق التزلف لفريق من ضباط مجلس القيادة فيعلن أن الفريق الأول ليس له سلطان وأنه هو صاحب السلطان ... وهكذا حتى وصل الأمر إلى أن زوجة أحد ضباط القيادة تدخلت بدورها فى أمر نادى السيارات ، وهو أحد اندية الطبقة الراقية فى مصر ، وأعلنت قرارات وأوامر وبدأت تفرض إرادتها على أعضاء النادى ، وبلغ بها الأمر أن دونت أوامرها على بعض الأوراق ولصقتها على لوحات النادى . وعلم البكباشى يوسف صديق بذلك وكان حتى ذلك الحين عضواً بمجلس القيادة فأبلغ الأمر إلى مجلس القيادة ... وهكذا كانت مصر والشعب المصرى يعيشون فى جو من الفوضى والدس والوقيعة .

وقد نجح التطهير فى تحقيق الغاية التى سعى إليها جمال عبد الناصر إذ بات واضحاً

وقد أدت عمليات « التطهير » إلى سقوط مئات من الضحايا الأبرياء وباتت الشكوى على كل لسان ، فأعلن جمال عبد الناصر فى حديث أفضى لى به ونشرته بالمصرى أن الحكومة ستعيد النظر فى أمر كل من فصلتهم لجان التطهير ، وبعد بضعة أيام عاد عبد الناصر يؤكد هذا المعنى ، ولكنه فى يوم من الأيام كان يزورنى فى مكتبى فقال إنه صرف النظر عن أمر البحث فى قرارات لجان التطهير وسألته عن سبب العدول عن إعادة النظر فكان رده :

« لأن المراجعة معناها أن الحركة أخطأت ولذلك تراجع قراراتها .... الحركة لا تخطىء .. وقرارتها لا تراجع ابداً

وبانتهاء التطهير دانت جميع دواوين الحكومة بما فيهم الوزراء المدنيون لمندوبى القيادة من الضباط ، وزاد عدد هؤلاء المندوبين بل إن بعض أعضاء مجلس القيادة أنفسهم قد أخذوا يتخصصون كل واحد منهم فى شئون وزارة من الوزارات ، فتخصص

كمال الدين حسين مثلا فى شئون وزارة المعارف وأصبح يعين مندوبيه فى هذه الوزارة ويتلقى منهم التقارير ويصدر إليهم الأوامر لينفذوها .

وانتشر مندوبو القيادة فى كل مؤسسة عامة أو خاصة حتى شركات السينما أصبح لديها مندوبون عن القيادة .

وتضخم نفوذ الضباط وامتد إلى جميع مرافق وألوان الحياة المصرية ، وامتدت شبكة الجاسوسية وأصبحت إدارة بوليسية كبيرة يمتد أثرها إلى كل مكان وإشرافها إلى كل ناحية من نواحى الحياة فى مصر ، وأصبح البوليس الحربى هيئة يخشاها الناس لأنه كان يقوم بتنفيذ أوامر الاعتقالات ، وبالجملة أصبح الأمر والنهى فى مصر فى أيدى الضباط وخصوصاً مجلس القيادة ، وإدارة المخابرات والبوليس الحربى ومندوبى القيادة .

وامتدت يد المخابرات إلى بعض الشخصيات الهامة من الأجانب وعومل هؤلاء أقسى معاملة فى السجون ، وساد الذعر بين الأجانب وبات كل أجنبى يخشى أن يُعتقل فى أية لحظة ، وكثر إعلان الضباط عن اكتشاف مؤامرات يحيكها الأجانب ضد مصر ، وعن مؤامرات للاتصال بإسرائيل ، ثم صدرت الأوامر لبعض الأجانب بمغادرة الأراضى المصرية فى مهلة أحياناً كانت لا تتجاوز أربع وعشرين ساعة .

وبعد أسابيع من الاعتقال والإرهاق والمعاملة السيئة داخل المعتقلات والتحقيق الذى كان يبدأ بعد منتصف الليل حتى الصباح ؛ ونقل المعتقلين فى سيارات لورى تطوف بهم شوارع القاهرة والقيود الحديدية تطوق أيديهم وجنود الجيش تمنع بقسوة وعنف زوجاتهم وأهلهم من الاتصال بهم أثناء خروجهم ، وبعد أسابيع يتعرض خلالها هؤلاء الأجانب لكافة أنواع القسوة والإهانة والتحقير ، يخير الضباط هؤلاء المعتقلين بين الأفراج عنهم بشرط أن يعملوا كجواسيس لهم أواستمرار إعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة العسكرية .

وبطبيعة الحال قبل الكثيرون العمل كجواسيس لإدارة المخابـرات ، ذلك لأن القسوة التى تعرضوا لها أثناء الاعتقال جعلتهم يقبلون أى أمر مقابل الخلاص من هذه القسوة .

وأصبحوا بعد الأفراج عنهم النواة الأولى لانشاء شبكة التجسس بين الأجانب ، وخصوصاً التجسس على السفارات والمفوضيات الأجنبية ، وكانت عملية التجسس سهلة إذ كانوا يقابلون الأجانب ويشكون إليهم ما أصابهم من ظلم أثناء الاعتقال فيتطور بذلك الحديث عن الأوضاع القائمة ويسفر المتحدث إليهم عن آرائهم فيها .

وكثيراً ما كانت إدارة المخابرات تكلف أحد هؤلاء الأجانب بمحاولة الاتصال ببعض رجال السلك الدبلوماسى الأجنبى ، ليبحث معهم احتمال تدبير مؤامرة ضد الحكم القائم ، أو ليبحث معهم مدى ما يستطيعون القيام به ضد هذا النظام .

وبالتهديد والاعتقال والإفراج والتفضيل بين المسجون أو الطرد من مصر وبالمال ، وأحياناً بالضغط عن طريق الحياة الخاصة وإذاعة أسرارها إستطاعت إدارة المخابرات أن تجند فرقاً من الأجانب للعمل تحت إمرتها ، تأمرهم بأحط الأعمال فيقومون بها صاغرين .

وفى فترة وجيزة كانت غالبية النساء الأجانب اللاتى يعشن فى مصر كفنانات بالملاهى أو بائعات الهوى من مصريات أو أجنبيات يعملن لحساب المخابرات .

وبهذا تمكنت إدارة المخابرات أن تمد نطاق نفوذها إلى الأجانب فى مصر خصوصاً رجال البعثات الدبلوماسية بعد أن نجحت فى مد سلطاتها إلى جميع المصريين .

وخصصت إدارة المخابرات ضباطاً لإدارة الجاسوسية على الأجانب فى مصر ، وكانت تضع تحت أيديهم مبالغ ضخمة من الأموال ينفقونها دون حساب ، وكانت هذه الادارة تتلقى وتجمع التقارير عن كل أجنبى يتمتع بمركز أو ثراء أو عضو بعثة ديبلوماسية ، بما فيها التقارير عن حياتهم الخاصة وسلوكهم الشخصى ، خصوصاً العلاقات الجنسية .

وكانت فى مقدمة الهيئات الأجنبية التى امتدت إليها المخابرات بالاعتقال ، مدير وكبار موظفى وصحفيى شركة الإعلانات الشرقية ، وهى فى ذلك الوقت دار ضخمة تشرف على الإعلانات بمختلف وسائلها ، الإعلان فى الصحف وفى الطرق وبأنوار النيون وفى السينما ، وكذلك تصدر عدة صحف باللغات الأجنبية ، الإنجليزية والفرنسية

واليونانية فى مصر والإسكندرية .

وهذه المؤسسة كانت تمتلك الغالبية الكبرى من أسهمهـا مسز فنى وهى سيـدة إنجليزية ، وكان مدير الشركة وكثير من موظفيها من اليهود واليونانيين والفرنسيين .

فاجأت إدارة المخابرات الشركة باعتقال مـديرهـا وكبار المـوظفين وعـدد من المحررين والمحررات فى صحفها المختلفة . وقيل فى ذلك الوقت أن الاعتقال قد تم لأن الشركة تعمل للتجسس لحساب إسرائيل ، وأن المخابرات قد وضعت يدها على أدلة ومستندات تثبت أن الشركة وكر للجاسوسية وأنها كانت قد حصلت على تفاصيل كاملة لفرق الجيش وأسلحته المختلفة تمهيداً لإرسالها إلى إسرائيل .

وفى جو من الإرهاب والذعر تم القبض على كل هؤلاء ، وتعمدت إدارة الجيش خصوصاً المخابرات تعريض المقبوض عليهم لكافة أنواع الإرهاق والإهانة والتحقير والتعذيب الروحى والجسمانى ، وبعد بضعة أسابيع من المذلة والعذاب أمـرت مديـر الشركة بمغادرة مصر فى خلال ٢٤ ساعة ، ثم بعد بضعة أسابيع أخرى أفرجت عن باقى المعتقلين دون أن تقدمهم إلى أية محاكمة وكان الكثيرون منهم نواة شبكة الجاسوسية الأولى على الأجانب .

وقد نجحت عملية إدارة المخابرات من كافة النواحى ، ذلك لأن الإعلان عن التجسس لحساب إسرائيل إن هو إلا إعلان عن أخطر اتهام يحرك مشاعر المصريين ضد المتهمين ويجعلهم يقبلون كل إجراء يتخذ ضدهم ، ونجح لأن من أفرجت عنهم إدارة المخابرات بعد ذلك وسخرتهم للعمل فى الجاسوسيـة هم من بحكم عملهم كصحفيين وصحفيات وبحكم إدارتهم لإكبر شركة للإعلان وإصدارالصحف باللغات الأجنبية فى مصر من أكثر الأجانب إتصالا بالهيئات السياسية الأجنبية والبعثات الديبلوماسية .

عودة الرقابة على الصحف .

عادت الرقابة على الصحف يوم ٢٨ من يناير عام ١٩٥٣ تلك الرقابة التي كان قد ألغاها على ماهر باشا طوال مدة حكمه ، عادت الرقابة لا ليتولى الإشراف عليها مدنيون من موظفي وزارة الداخلية ، وإنما ضباط يشرف عليهم البكباشي أنور السادات . ونظام الرقابة على الصحف يقضي بأن يذهب إلى دار كل صحيفة ضابط ، ويراجع كل ما تنشره الصحيفة قبل أن يأذن بالطبع ، وكانت تنحصر مهمة الرقيب فيما مضى فى الإشراف على الأنباء السياسية أو التى لها اتصال بالسياسة ، أما فى عهد الرقابة العسكرية فكان الرقيب الضابط يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة وكان يراجع حتى أخبار السينما وأنباء الجرائم العادية .

وفى الشهر الأول لعودة الرقابة كانت أوامر جمال عبد الناصر للرقيب تقضى بألا يعترض على نشر أى مقال أكتبه بتوقيعى ، وكثيراً ما كان يختصنى بأخبار هامة ، فلما اندفعت أعارض اتجاهه إلى الحكم العسكرى ، بدأت مضايقات الضابط الرقيب تزداد تدريجياً وأصبحت الرقابة عبئاً على كاهل باقى الصحف الأخرى لا سيما وقد كان الضباط الرقباء كلهم على جهل تام بأصول الصحافة ، وكان تدخلهم فى كثير من الأحيان يأتى متأخراً فيشمل إلغاء أخبار فى عدة صفحات وضياع الوقت الضرورى لنجاح توزيع الصحف فى الموعد المبكر .

وبالرغم من وجود ضابط فى كل جريدة يراجع كل حرف تنشره ، فإن رئيس تحرير الجريدة يظل مسئولاً عن كل ما ينشر فى صحيفته من أنباء سياسية ، والمسئولية هنا ليست المسئولية الجنائية المعروفة فى جميع الدول وإنما تتحدد هذه المسئولية حسب مزاج أعضاء مجلس القيادة .

حدث أن نشرت جريدة الأهرام خبراً يتعلق بمواد التموين ، ومساء صدور هذا العدد من الجريدة فوجئت دار الأهرام بسيارات الجيش تحاصرها من كل مكان ، وفوجىء رئيس التحرير ميرزا بك فى ذلك الوقت بعدد من رجال البوليس الحربى يدخلون عليه فى مكتبه حاملين المدافع الرشاشه ، وكان على رأس القوة ضابط من ضباط البوليس الحربى ، وإذا لاحظنا أن رئيس التحرير كان يبلغ من العمر فى ذلك

الحين حوالى الستين عاما إستطعنا أن نتصور مدى الذعر الذى أصيب به حين دخلت عليه هذه القوة من الجنود والضباط شاهرة السلاح .

وانتزعت القوات رئيس تحرير الأهرام من مكتبه واقتادته إلى إدارة البوليس الحربى حيث استمر التحقيق معه إلى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ، وكان التحقيق يدور على يد ضابط من الجيش حول هذا النبأ الذى نشرته الجريدة حول مواد التموين ، فكان الرد أن الخبر قد عرضته إدارة تحرير الجريدة على الضابط الرقيب شأنه شأن باقى الأخبار وأن الضابط الرقيب وافق على نشر الخبر ، ولكن هذا الرد لم يكن ليقنع المحققين من الضباط ، بل استمروا يرهقون الرجل بالأسئلة عدة ساعات .

وحدث أن قدم أحد المحررين بالمصرى خبرا للنشر فلم يوافق على نشره الضابط الرقيب ولم تنشره الجريدة ، وحاول الضابط أن يعرف إسم المحرر الذى قدم الخبر للجريدة فامتنعت الجريدة عن ذكر إسمه ، وعلم المحرر بذلك فتقدم وأخبره بحسن نيته أنه هو الذى حصل على الخبر وأنه حصل عليه من أحد ضباط مجلس القيادة . وحاول أقناعه بأنه لا ضرر من نشر الخبر ، وبلطف اعتذر الضابط للمحرر عن عدم الموافقة على النشر .

وفى الفجر داهمت قوة من البوليس الحربى شاهرة السلاح دار هذا المحرر واعتقلته وألقت به فى أحد السجون عدة أشهر دون أى تحقيق معه .

وسرعان ما كانت تنتشر أنباء هذه الاعتقالات فتصل إلى كل صحفى ، فتكون النتيجة أن يحاول كل صحفى أن يلتزم جانب الحذر فى كتابة أخباره وأن يكون فى صياغته للأخبار داعية لما يقوم به مجلس القيادة من أعمال .

وبدأت شبكة من الصحفيين تعمل للتجسس على باقى الصحفيين مقابل أجور يقبضونها من إدارة المخابرات .

وفى يوم من الأيام كان جمال عبد الناصر يتحدث إلى أحد الضباط من أعضاء مجلس القيادة فقال له : « إن أحمد أبو الفتح لا يرأس صحفيين وإنما هو يرأس عصابة ؟ . وقد دهش زميله من هذه العبارة غير المفهومة ، فقال « عصابة ماذا تعنى بعصابة ؟ إننا نعرف

أن أحمد أبو الفتح على أخلاق فكيف يرأس عصابة ؟ ... فرد عبد الناصر بقوله « لقد استطعنا أن نكوّن لنا فى كل جريدة من يوافينا بما يدور فيها ، أما المصرى فإننا حتى الآن لم ننجح فى استمالة أحد معاونيه ...

ومع ذلك فمن المؤكد أن عبد الناصر قد استطاع فيما بعد أن يستميل إثنين ممن كانوا يعملون بالمصرى ليوافياه بما يقع من أحاديث وأسرار داخل المصرى . وقد انكشف أمرهما فيما بعد أثناء القضية التى أقامها مجلس القيادة ضد المصرى ، ولو أنهما حاولا إخفاء إسميهما وحرصت هيئة المحكمة العسكرية على ذلك .

وبدأت الصحف تخشى الإجراءات العنيفة التى تقع ضد رؤساء التحرير وضد المحررين نتيجة نشر أخبار لا ترضى عنها قيادة مجلس القيادة ، وأدى هذا الخوف إلى تدرج الصحف إلى النفاق شيئاً فشيئاً حتى اتخذ النفاق صوراً من الفحش المنفر .

ونتيجة لكل هذه الأمور التى جردت المصريين من كل حقوقهم السياسية وبعد عودة الرقابة على الصحف إنتشرت صور النفاق .

مثلا كتب أحد كبار الكتاب يصف زيارة اللواء نجيب لمزرعة دواجن فقال : وما أن رأت الدواجن الرئيس نجيب حتى انتفضت طربا بمقدمه ! .

وقال عن جمال عبد الناصر بمناسبة أدائه الصلاة فى أحد المساجد : ووقف عبد الناصر بين الناس كسائر البشر .

ولم يترك الضباط محطة الإذاعة بل سيطر فريق منهم عليها سيطرة كاملة .

الدكتاتورية

حل الأحزاب ومصادرة أموالها
فترة انتقال ثلاث سنوات

يوم ١٦ من يناير عام ١٩٥٣ صدر البيان التالى :

« إعلان من القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصرى .

لقد استمدت ثورة الجيش قوتها من إيمانها الكامل بحق جميع المواطنين فى حياة قوية شريفة ، وعدل تام ومطلق ، وحرية كاملة شاملة فى ظل دستور سليم يعبر عن رغبات الشعب وينظم العلاقة بين الحاكمين والمحكومين . ولما كان أول أهداف الثورة هو إجلاء الأجنبى عن أرض الوطن ، ولما كنا آخذين الآن فى تحقيق هذا الهدف الأكبر والسير به إلى غايته مهما تكن الظروف والعقبات ، فإننا كنا ننتظر من الأحزاب أن تقدر مصلحة الوطن العليا فتقلع عن أساليب السياسة المخربة التى أودت بكيان البلاد ، ومزقت وحدتها وفرقت شملها لمصلحة نفر قليل من محترفى السياسة وأدعياء الوطنية » .

إلى أن قال البيان :

« ولما كانت الأحزاب على طريقتها القديمة وبعقليتها الرجعية لا تمثل إلا الخطر الشديد على كيان البلاد ومستقبلها فإنى أعلن حل جميع الأحزاب السياسية منذ اليوم ومصادرة جميع أموالها لصالح الشعب بدلا من أن تنفق لبذر بذور الفتنة والشقاق .

ثم قال البيان :

ولكى تنعم البلاد بالاستقرار والإنتاج فإنى أعلن قيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات حتى نتمكن من إقامة حكم ديموقراطى دستورى سليم .

ومنذ اليوم لن أسمح بأى عبث أو إضرار بمصالح الوطن ، وسأضرب بمنتهى الشدة على يد من يقف فى طريق أهدافنا التى صنعتها آلامكم الطويلة وتتمثل فيها رغباتكم وأمانيكم نحو مستقبل كريم على نفوسنا وعلى العالمين والله ولى التوفيق .

قائد عام القوات المسلحة لواء أركان حرب محمد نجيب .

ونفس اليوم أذاعت القيادة العامة للقوات المسلحة البيان التالى :

صدرت الأوامر مساء أمس الأول بالتحفظ على عدد ٢٥ ضابطاً من الجيش قامت الشبهات حول بعض تصرفاتهم وتقوم أيد أمينة بالتحقيق السريع لإظهار الحقائق وسيعود البرىء إلى عمله وسيلقى من تثبت إدانته جزاءه .

وهكذا تم الزحف نحو الدكتاتورية ، وتحطيم الكثير من الحواجز التى كانت تعترض هذا الزحف .

الفصل الخامس

الإرهاب
في خدمة تحطيم الحواجز

فى منتصف شهر يناير عام ١٩٥٣ أعلنت قيادة الجيش عن مؤامرتين : مؤامرة كان المتهم فيها القائمقام رشاد مهنا والثانية متهم فيها الضابط محمد حسنى الدمنهورى .

وعلمت من أحد أعضاء جماعة الضباط الأحرار بأن التحقيق فى (المؤامرتين) يتم ليلاً ويستمر أحياناً طوال الليل ، وأنه لا يوفر للمقبوض عليهم أدنى وسائل الراحة .

وكانت تسرى شائعات مختلفة عن هذه التحقيقات التى تجرى فى الخفاء ولا يعلم الناس إن كانت صادقة أو مبالغا فيها ، إذ كانت تروى عن تعذيب لبعض المقبوض عليهم كى يعترف الواحد ضد الآخرين ، وأنه أثناء التحقيق كان المحقق يوجه إهانات جارحة لبعض الضباط المتهمين أمام العساكر الذين يتولون حراستهم .

بل ذهبت الشائعات إلى أبعد من ذلك فروت عن وسائل تعذيب وعن حقن بعض المتهمين بحقن تجعلهم فاقدى الإرادة ويوافقـون على أى إتهـام يوجهـه المحقق لهم أو لغيرهم .

لقد تسربت أخبار كثيرة عن هذه التحقيقات وكانت تجمع على وسائل تعذيب وحشية قد استعملت ضد المعتقلين أثناء التحقيق .

وقد تحدثت فى أمر هذه التحقيقات مع عبد الناصر فكان يسمع إلى أحاديثى ولكنه لا ينفى ولا يؤكد ما أرويه له عن شائعات التعذيب . وقد حاولت عدة مرات أن أحول دون الاستمرار فى هذه التحقيقات موضحاً لجمال أنه من الخير للجيش والبلد ألا يقال أن هناك مؤامرات تحاك ضد قيادة الجيش وأن الأفضل أن يقنع الناس بأن التآمر على الجيش ، لا يفكر فيه أحد ، وكان جمال عبد الناصر يتمتع فى ذلك الوقت بمزية نادرة وهى الاستماع لكل ما يقال له دون أن يبدى رأياً . ولذلك كانت دائماً تنتهى أحاديثنا دون نتيجة . مستشهدا بانه فى ايام الملكية كانت تعليمات النائب العام تقضى بان يحاول وكلاء النيابة بكل الوسائل حفظ قضايا العيب فى الذات الملكية حتى لا يقال أن هناك من يتجرأ على ارتكاب هذه الجريمة

وزاد ضغطى على عبد الناصر لأسباب كثيرة منها أنى كنت أعرف أن الدمنهورى ليس من الضباط الذين يقدمون على تدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم وأنهم عندما قبضوا على الدمنهورى قبضوا أيضاً على شقيقه وهو ضابط أيضاً بالجيش ، وبذلك أصبحت الأسرة مهددة بنكبات قاسية لو صدر الحكم على الشقيقين ، وتحريت الأمر فعرفت أن ما صدر عن الدمنهورى لم يزد عن حديث مع زملائه انتقد فيه ترك بعض الضباط صفوف الجندية للعمل خارج الجيش فى وظائف مدنية ذات مراكز وسلطة كبيرة .

ورحت احدث عبد الناصر بضرورة وقف هذه التحقيقات وعدم تقديم المتهمين إلى المحاكمة وقلت له إن مثل هذا التصرف سيجعل من المقبوض عليهم أخلص المخلصين له ولقيادة الجيش ، فضلاً عما فى ذلك من إرضاء لزملاء هؤلاء الضباط ، وكان فيما قلته أنه يكفى بالنسبة للقائمقام مهنا أن تم عزله من منصب الوصاية على العرش .

ولكن التحقيق استمر وقدم المتهمون لمحاكمات سرية لم يسمح حتى لآباء وأقارب المتهمين حضورها ، بل لم يسمح للمتهمين بتعيين محامين عنهم ، وصدرت الأحكام سرية . وكان عبد الناصر على وشك القيام برحلة إلى الصعيد يزور فيها بعض البلاد فذهبت إلى منزله ورجوته وقف تنفيذ الأحكام ، فلما لم يعطنى رداً شافياً ، ألححت عليه أن يؤجل إصدار أو إعلان الأحكام حتى يعود من رحلته فوعدنى بذلك بعد أن اقتنع أنه لا يجوز أن تقترن أول رحلة له لمنطقة من مناطق القطر بصدور أحكام على بعض الضباط والمدنيين .

ونشرت فى اليوم التالى موضوعاً فى صورة قصة أسميته « الطريق إلى الجنة » وقد كان موضوعاً كبيراً إحتل الصفحة الأخيرة من المصرى بأكملها وصورت فيه البؤس الذى يخيم على بيت المتهمين ، والحزن وصرخات الأطفال وبكاء الزوجات وأنين الآباء والأمهات والخراب الذى يهدد هذه الأسر بسجن عائليها ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى العفو والرحمة وتخيلت أنه قد عفى عنهم للرحمة التي ملأت قلوب أولى الأمر ، صورت هذا العفو بأنه الطريق الموصل إلى الجنة .

كتبت الموضوع كما قلت فى قالب قصصى دون أن أشير إلى المتهمين وأسمائهم ولكن من يقرأ الموضوع يشعر ويدرك أنى قصدت الضباط والمدنيين الذين جرت

محاكماتهم سراً ، وبمجرد اطلاع عبد الناصر على الموضوع إتصل بى تليفونياً وقال : « تحرض علينا الناس وتقلبهم ضدنا ؟ ... فقلت : « لا على العكس أردت أن تدرك معنى العفو عن هؤلاء والرحمة بهم » .

ولكنه لم يرض عن هذا الرأى وبقى غاضباً لما نشرت .

وبمجرد عودته من رحلته للصعيد عقد مجلس القيادة إجتماعاً وظل الاجتماع منعقداً حتى الساعة الثانية صباحاً تقريباً ، وكانت إدارة تحرير الصحف قد أبلغت بأن تنتظر صدور قرارات هامة من مجلس قيادة الحركة ، وحوالى الثانية صباحاً أبلغ مجلس القيادة الصحفيين نص الأحكام التى صدرت ضد الضباط والمدنيين .

وقرأت الأحكام وتولتنى دهشة مفجعة ذلك لأن الحكم على الضابط الدمنهورى كان « الإعدام رميا بالرصاص فجر اليوم » ... إعدام ... وفجر اليوم .

وفى هلع طلبت عبد الناصر فى منزله رغم تأخر الوقت ، ودار بيننا حديث عنيف ، واستمر وقتا غير قصير ، وأخيراً قال أنه لن ينفذ حكم الإعدام فى الدمنهورى ، فلما أخبرته بأن الحكم ينص على أن التنفيذ فجر اليوم أى بعد ساعات ، فقال إننى أستطيع استبعاد هذه الفقرة من صورة الحكم ، فأخبرته أن المهم ليس بقاء الفقرة أو استبعادها وإنما عدم تنفيذ الحكم . وقلت له أننى لو استبعدت هذه الفقرة فإن باقى الصحف لن تستبعدها ، فطلب منى أن أتصل بالصحف وأبلغها أمره باستبعاد هذه الفقرة ، فاقترحت أن أوصله بالضابط الرقيب بالمصرى ليبلغه بنفسه أمر استبعاد هذه الفقرة ويكلفه بتبليغ أمره هذا لباقى الصحف وفعلا تم ذلك .

ولم ينفذ حكم الإعدام فى الدمنهورى ، بل أوقف تنفيذه بعد ذلك وإن استمر فى السجن . ومع ذلك كانت هذه الأحكام صدمة عنيفة للشعور العام ولكثير من الضباط .

إعدام :

وهذا هو نص البيان عن المحاكمة والحكم .

فى الساعة الثانية من صباح يوم ٢٢ من يناير ١٩٥٣ تمت إذاعة نص قرار تشكيل محكمة الثورة وحكمها فى قضية الضابطين البكباشى محمد حسنى الدمنهورى واليوزباشى حسن رفعت الدمنهورى .

محكمة الثورة تتشكل من كل أعضاء مجلس القيادة برئاسة جمال عبد الناصر .

واجتمع مجلس القيادة بكوبرى القبة فى مبنى مجلس قيادة الثورة للقوات المسلحة لمحاكمة المتهمين البكباشى محمد حسنى الدمنهوى من سلاح المشاة واليوزباشى حسن رفعت الدمنهورى من سلاح الفرسان .

وكانت التهمة الموجهة للبكباشى الدمنهورى هى سعيه بإغراء عسكرى بخروجه عن الطاعة وذلك أنه بجهة القاهرة حول تاريخ ١٤ من يناير عام ١٩٥٣ سعى مع آخرين على إحداث فتنة بين القوات العسكرية .

ويقرر البيان الرسمى أن المتهم اعترف بأنه غير مذنب .

ويقول البيان بعد ذلك : استقر رأى المجلس بأن المتهم البكباشى محمد حسنى الدمنهورى مذنب فى الإدعاء المقام عليه .

ثم يقول البيان : المجلس يحكم على المتهم بالآتى : إعدامه رمياً بالرصاص (فجر اليوم) وقد صدر القرار والحكم بإجماع آراء هيئة المجلس فى ١٩ من يناير عام ١٩٥٣ . وقد صدّق اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة على قرار المجلس وحكمه يوم ١٩ من يناير عام ١٩٥٣ .

أما المتهم الثانى : اليوزباشى حسن رفعت الدمنهورى فقد قال البيان أن الجناية التى ارتكبها هى : علمه بوجود تصميم على فتنة وتأخره فى الإبلاغ عنها فى الحال لقائده ، وذلك بأنه فى جهة القاهرة حول تاريخ ١٤ من يناير عام ١٩٥٣ عندما علم بوجود تصميم على الفتنة من آخرين لم يبلغ بذلك فى الحال .

وعن إجابة المتهم على توجيه التهمة له قال البيان : غير مذنب .

ثم يقول البيان : واستقر رأى المجلس بأن المتهم مذنب فى الأدعاء المقام عليه ويحكم عليه أولاً ــ بطرده من الخدمة العسكرية ثانياً ــ بالليمان لمدة خمس سنوات .

وصدق اللواء نجيب على الحكم يوم ١٩ من يناير مع استبعاد عقوبة الليمان .

وقد كان من المفزع حقاً أن تتم محاكمة ضابطين ويصدر الحكم بإعدام أحدهما فى جلسة واحدة ، إذ واضح من البيان الرسمى أن تشكيل المحكمة قد صدر يوم ١٩ وأن المحاكمتين تمتا يوم ١٩ ، وأن التصديق على الحكم كان يوم ١٩ .

واضح أنها لم تكن محاكمة بل كانت مجرد اجتماع لإصدار الحكمين .

وواضح أن المتهمين لم يدافع عنهما أحد ، إذ لو كان قد تولى الدفاع محامى أو ضابط لذكر البيان ذلك .

وقد أذاع مجلس القيادة الحيثيات التى استند اليها القرار والحكم وهى لا تزيد عن مجرد أقوال لضباط وتسجيل سجله واحد من الضباط .

ويقول البيان عن الحيثيات : المتهم الأول سعى مع آخرين على الإغراء على الفتنة ودأب على متابعة الضباط لمحاولة إغرائهم وبث سموم دعوته فيهم .

ثم يتحدث البيان عن الحيثيات عن أن القرار والحكم قد تقررا بناء على شهادات أدلى بها ضباط جاء فيها أن الدمنهورى كان متذمراً مما يحدث ، وأن التذمر منتشر بين ضباط أسلحة أخرى وأنه يريد القيام بعمل وأنه أعد خطة لمواجهة الموقف .

وهو كلام غير محدد ولا يمكن لأية محكمة أن تصدر حكماً بالإعدام يستند إلى مثل هذه الشهادات ، خصوصاً وأن كل ما سجله البيان الرسمى من أقوال البكباشى الدمنهورى قوله أنه غير مذنب .

رشاد مهنا والمؤبد

وفى يوم ٣٠ من مارس أذاعت (محكمة الثورة) المكونة من كل اعضاء مجلس القيادة برئاسة البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر ، حكمها فى القضية المتهم فيها القائمقام محمد رشاد مهنا الذى تم القبض عليه بعد عزله من منصب الوصي على العرش ومتهم فيها ضباط آخرون .

وكانت الأحكام هى :

١ ـ القائمقام/محمد رشاد مهنا ـ السجن المؤبد .

٢ ـ البوزباشى/محسن عبد الخالق ـ ١٥ سنة

٣ ـ البكباشى/ابراهيم عاطف ـ ١٠ سنوات

٤ ـ البكباشى/مصطفى راغب ـ ١٠ سنوات

٥ ـ اليوزباشى/محمد سعد الدين عبد الحفيظ ـ ٧ سنوات

٦ ـ اليوزباشى/محمد عبد الله ـ ٥ سنوات

٧ ـ الملازم أول/محيى الدين الخولى ـ ٥ سنوات

٨ ـ الصاغ/السيد ابراهيم ـ ٣ سنوات

٩ ـ اليوزباشى/أحمد وصفى ـ ٣ سنوات

١٠ ـ الصاغ/محمد عبد العزيز هندى ـ سنة واحدة .

١١ ـ طبيب/عبد العزيز الشال ـ ١٠ سنوات

١٢ ـ صبرى الحكيم/المحامى ـ سنتان .

١٣ ـ محمود رشيد/المحامى ـ سنتان .

١٤ ـ اليوزباشى/حمزة أدهم ـ الاستغناء عن خدماته .

أما اليوزباشى فتح الله رفعت فلم تجر محاكمته لمرضه وقد أعلنت القيادة فى هذه المرة تفاصيل كثيرة ... مثلاً أسماء رئيس وأعضاء تلك (المحكمة) ... محكمة الثورة فقالت : الرئيس البكباشى جمال عبد الناصر أ . ح (اركان حرب)

والأعضاء : قائد جناح . جمال سالم ، قائد الجناح . عبد اللطيف بغدادى ، بكباشو أ . ح زكريا محيى الدين ، صاغ أ . ح حسين الشافعى ، صاغ أ . ح عبد الحكيم عامر صاغ أ . ح . صلاح سالم ، صاغ أ . ح كمال الدين حسين ، قائـد أسراب . حسن إبراهيم ، صاغ خالد محيى الدين ، نائب أحكام حلمى عبد المعطى .

وهذه هى المرة الأولى التى يتم فيهـا الإعلان رسميـاً عن أعضاء مجلس قيـادة الحركة .

ويلاحظ غياب إسم البكباشى يوسف صديق الذى كان قد تم إبعاده ، وكذلك إسم قائد أسراب عبد المنعم ابراهيم .

أما الملاحظة الثانية فهى حرص البيان الرسمى على أن يعلن أن المحاكمات بدأت يوم ٢ من مارس وانتهت يوم ١٩ من مارس عام ١٩٥٣ ، وأنها استغرقت ١٣ جلسة وأن المحكمة إستمعت لدفاع المتهمين عن أنفسهم .

كما أعلنت أن الأحكام لهذه المحكمة يجب أن يوافق عليها كل أعضاء المحكمة ، فإذا حدث اختلاف فتحكم المحكمة بالعقوبة الأقل .

وأعلن البيان الرسمى أيضا : أن الأحكام نصت على معاملة جميع المدانين معاملة المسجونين من الفئة (١) ، ومعنى ذلك السماح لهم بتناول طعام خاص يرد إليهم من منازلهم وارتداء ملابسهم الخاصة وتخفيف القيود الحديدية التى توضع فى أطرافهم .

ومن المعروف أن محاكمة الدمنهورى كانت قد أثارت سخطاً داخل صفوف الضباط وأنها بدل أن تؤدى إلى إرهاب الضباط ، كانت محل تعليقات كثيرة منها أنها كانت (سلق بيض) إذ من غير المقبول أن تتم بهذه السرعة ، كما استاء بعض الضباط من معاملة الدمنهورى معاملة المجرمين من القتلة والسفاحين ، ولذلك حرص مجلس القيادة أن يعلن أن المعاملة لكل المدانين هى من الفئه (١) .

ولا شك أن محاكمة الدمنهورى لم تقنع أحداً فقد كان محبوباً داخل صفوف الجيش دائم الابتسام ويعامل مرؤوسيه معاملة كريمة .

وإذا كانت (محاكمة) الدمنهورى لم تُقنع أحداً ، فإن محاكمة رشاد مهنا فشلت بل كانت أكثر فشلاً فى إقناع الضباط بجديتها .

ففى منتصف شهر أكتوبر تم إبعاده عن منصبه الكبير (وصى على العرش) وبعد بضعة أسابيع تم القبض عليه . وقد كان التفسير لاتهامه هو الرغبة فى إبعاده عن الاتصال بالضباط خصوصاً الضباط زملائه فى سلاحه عندما كان فى الجيش خوفاً من تأثيره عليهم وعلى غيرهم من ضباط الأسلحة الأخرى .

وأعلنت (المحكمة) حيثيات الحكم بالنسبة لجميع من حاكمتهم ، وكانت الحيثيات الخاصة بإدانة رشاد مهنا ترتكز على أقوال أدلى بها بعض الضباط ، ولم يكن سراً أن التحقيقات التى يجريها ضباط الجيش يتم خلالها استعمال وسائل للضغط رهيبة ومؤلمة للحصول على اعترافات .

وكانت قبل ذلك بأكثر من أربعة شهور قد انتشرت نكتة عن وسائل الإرهاب والإكراه فى الحصول على اعترافات والنكتة تقول : ذهب جمال عبد الناصر إلى السينما ، وبعد عودته تفقد قلمه فلم يجده فى جاكتته وبحث فى المنزل لعله يكون قد سقط من الجاكتة فلم يعثر عليه ، فاتصل بالبكباشى زكريا محيى الدين الذى كان فى مجلس القيادة مسئولاً عن الأمن وأبلغه بفقدان قلمه فى السينما ... وبعد حوالى ساعتين أثناء تقليبه لبعض الأوراق وجد القلم وسطها ، فاتصل بزكريا وأبلغه بعثوره على القلم وطلب منه ألا يتعب نفسه فى البحث عنه ، وعندئذ قال له زكريا : أنا عندى ستة معترفين بسرقة القلم ! .

وكان معروفاً عن رشاد مهنا أنه متدين ومع ذلك جاء فى شهادات الشهود ضده أنه كان يقول : إن الضباط ينوون فى الدستور الجديد إلغاء أن دين الدولة هو الإسلام .

أى أن رشاد مهنا اذا نجح فى احداث انقلاب فإنه سيلغى من الدستور النص بان دين الدولة هو الاسلام .

على كل حال لقد أدت المحاكمتان إلى إفهام الضباط أن القيادة لن ترحم ، وأن كل من تسول له نفسه حتى مجرد إنتقاد تصرفاتها أو إظهار عدم الرضاء سينزل به أشد العقاب .

ومن الأمور التى شاعت بعد صدور الحكم على رشاد مهنا أن من بين الذين حوكموا معه بعض الضباط الذين دستهم قيادة الحركة عليه ، ليتسقطوا له الاتهامات ؛ وزاد من هذا الاعتقاد أنه تم الإفراج بسرعة عن فريق من المدانين بعقوبات شديدة .

وعلى كل حال : ففى مثل هذه القضايا التى تتم فى الخفاء تنتشر القصص والشائعات بين الناس خصوصا إذا تبينوا أن البعض من المدانين بقوا داخل السجون ، والبعض الآخر غادرها وتم إسناد مراكز مدنية كبيرة لهم ، ومثل هذه الأمور لا يمكن للناس أن تعرف الحقائق عنها ، وقد تكون مجرد شائعات لا أساس لها من الصحة تأخذ بالمظهر وتستنتج وتبنى على الاستنتاج ما خالف الحقيقة .

وكان بين الضباط الذين صدرت ضدهم أحكام ضابط يدعى اليوزباشي أحمد وصفي وقد توفى فى السجن وفاة غامضة ، وقالت الشائعات عن وفاة هذا الضابط أنه أصيب بانهيار عصبى نتيجة التعذيب الذى تعرض له أثناء المحاكمة ، وبعد صدور الأحكام ، وأنه قد أصيب فى الأسابيع الأخيرة بحالة صرع مع اختلال قواه العقلية ، فكان دائم الصراخ طوال الليل . وقبل وفاة هذا الضباط ترك خطاباً وصلنى بطريق سرى ، والخطاب ليس موجهاً إلى أحد وواضح أنه كُتب بيد مرتجفة ، وأن كاتبه كان قد كتبه وهو فى حالة عصبية مضطربة . وقد جاء فى الخطاب « أن شبحاً يحضر إليه كل ليلة ويحاول دفعه إلى طريق شرير وأنه إذا رفض السير فى هذا الطريق عذبه بقسوة وحشية ، وأنه لا يستطيع اتقاء شر هذا الشبح ، ويخافه خوفاً قاتلا ، وأنه إذا استمرت مطاردة الشبح له فإنه يفضل الموت » .

وكانت كلمات الخطاب تنم على مدى الخوف والذعر الذى اعترى هذا الشاب أحمد وصفى من ذلك الشبح ، كانت كلمات الخطاب تنطق بأن كاتبه فى حالة انهيار عصبى كامل وأنه يعانى حالات من الفزع القاتل ...

وقد قيل لى فى ذلك الحين أن إدارة السجن كانت قد سمحت للضابط أحمد وصفى بتناول دواء منوم ليتغلب على حالات الصرع والفزع التى كان يتعرض لها ، وقيل فى تبرير وفاته أنه لم يتناول الحبوب المنومة لبضعة أيام حتى إذا ما تجمع لديه كمية من هذه الحبوب تناولها كلها دفعة واحدة فمات .

وسواء كانت قصة المحبوب صحيحة أم غير صحيحة ، أو كان الخطاب الذى وصل إلى يدى منه أو لم يكن هو كاتبه ، فإن اليوزباشى أحمد وصفى قد مات فى ظروف غريبة ، مات داخل السجن ، ولم تسمح السلطات لأمه بنشر نعيه فى الصحف يوم تسلم الجثة ، وإن كانت قد عادت وسمحت بالنشر فى اليوم التالى على شرط عدم نشره فى جريدة المصرى ، حتى لا تضعه الجريدة بشكل يوحى أن وراء موته أمراً مريباً .

هذه قصة رأيت تسجيلها للتاريخ حتى تكشف الأيام حقيقتها . وإذا كان الحكم على الدمنهورى ومهنا وغيرهما من الضباط والمدنيين قد أثار شعوراً من النقمة للقسوة البالغة إلا أن الأحكام وحيثياتها قد أدخلت فى روع الضباط وغير الضباط أن الجاسوسية منتشرة وأن العيون والآذان وأدوات التسجيل مسلطة على كل إنسان .

هذا الرعب قد جعل الذين ينشدون السلامة يتبرع بعضهم للقيام بأعمال التجسس على كل من يتصل بهم ، وهى مهنة حقيرة لم تكن تعرفها مصر من قبل ؛ وسبق أن تحدثت عن وكيل الوزارة الذى كان أحيانا يتقابل مع ضابط كبير فى البوليس يسكن بالقرب من منزله أثناء شراء السجاير وأنهما كانا يتحدثان فى أمور مصر غير عابئين بفقير لف ذراعه بلفافة من الجبس ، وكانا أحيانا يسمحان له أن يُلّمع الحذاء أو يعطيانه حسنة فإذا بهذا الفقير جاسوس يضع على ذراعه مسجلاً يُسجل به أحاديث الناس ويخفيه عن الأعين مستعيناًبالجبس الملفوف حول ذراعه ، وإن كان لا يغطى جهاز التسجيل .

وكان التجسس أيضا وسيلة إلى الزلفى وإرضاء الضباط أعضاء مجلس القيادة أملاً فى الترقى إذا كان موظفاً ، أما إذا كان من ضباط الجيش فأملاً فى أن يترك العسكرية إلى منصب مدنى يحقق له السلطة والثراء السريع .

وساعد مساعدة كبرى على انتشار الجاسوسية داخل دواوين الحكومة أن عبدالناصر كان بعد بضعة أسابيع من قيام حركة الجيش قد أرسل ضباطاً إلى كل وزارة أو مصلحة حكومية بإسم مندوب القيادة .

ومندوب القيادة كان هو الرعب الأكبر للموظفين ، لأن كل موظف يعلم أن بقاءه فى الوظيفة وترقيته يتوقف على رضاء مندوب القيادة .

وكان من الأمور الشائعة فى دواوين الحكومة أن يحدث تصارع بين الجواسيس ، فيقدم جاسوس التقارير ضد جاسوس ينافسه ويحاول أن يزايد فى تقاريره بالنسبة لما يلفقه ضد الموظفين كى يقنع مندوب القيادة بأنه أمهر من الجاسوس الآخر .

مندوب القيادة هو الآمر الناهى وهو دكتاتور صغير فى ميدان النادى .

وانتشرت بين الجمعيات النسائية سيدات يتجسسن ضد العضوات .

وروى لى البكباشى / يوسف صديق أن سيدة كانت عضوة فى نادى السيارات أدخلت فى روع المسئولين عن الإدارة أنها لها اتصال وثيق بقيادة الحركة ، واستطاعت أن تسيطر على النادى حتى وصل بها الحال أن كانت تعلق على اللوحة المخصصة للقرارات أو امرها . وعلم يوسف صديق بالامر فنهرها وكشف أمرها لأعضاء النادى .

وقابلت فى جنيف أحد المصريين وأخبرنى أنه هارب من مصر ، وأثناء رواية قصته قال إنه أثناء وجوده كطالب فى كلية الحقوق اتصل به ضابط وطلب منه كتابة تقارير عن الأساتذة والطلبة ، وأنه كان يتقاضى مقابل ذلك ١٥ جنيهاً شهرياً ، واستمر هكذا حتى تخرجه من الكلية ، وعندئذ إنقطعت عنه المكافأة الشهرية وأخذ يبحث عن طريقة يستعيد بها هذه المكافأة ولم يُوفق فى بحثه .

وأحكام سابقة

وكانت المجالس العسكرية قد أصدرت كما سبق أن ذكرت حكمين ، الأول : فى قضايا حوادث مصانع كفر الدوار للغزل والنسيج ، وكان العمال فى هذه المصانع يتصورون أن حركة الجيش ستنصفهم ، فقدموا مطالب لحكومة على ماهر باشا ولم تستجب الحكومة للمطالب ، فقرر العمال الاضراب يوم ١٢ من أغسطس ، وبدأ الإضراب سلمياً لكن عندما حاصرت فرق من البوليس والجيش المصانع تطور الأضراب إلى مشادات وإلى إشعال النار فى مصنعين .

إستطاعت القوات السيطرة على الموقف وقبضت على عدد كبير من العمال . وبدل أن تتولى النيابة التحقيق إنتدبت قيادة حركة الجيش بعض الضباط من الجيش للقيام بهذه المهمة ، وتم تشكيل مجلس عسكرى لمحاكمة المتهمين وأصدر المجلس العسكرى

حكمين بإعدام عاملين هما خميس والبقرى ، كما أشرنا فى موضع سابق .

وتم تنفيذ الحكم فى نفس اليوم الذى ألّف فيه اللواء نجيب حكومته الأولى فى ٧ سبتمبر عام ١٩٥٢ ، وقد أدى إعدام العاملين إلى النتيجة التى كانت ترجوها القيادة إذ بث الرعب فى قلوب العمال ولم تقم بعد ذلك أية إضرابات داخل المصانع .

أما الحكم الثانى : الذى أصدره مجلس عسكرى ، فكان فى قضية الثرى صاحب الأرض الزراعية عدلى لملوم ، كما نوهنا فى موضوع سابق وقد تعمدت السلطات أن تُصرح لمصورى الصحف بتصويره وقد وضع الكلبشات الحديد فى يديه ، ثم بتصويره وهو فى ليمان طره بملابس المجرمين ويُقّطع الحجر ، وذلك لإدخال الرعب وإشاعة الخوف عند كل من يملك أرضا ينطبق عليها قانون تحديد الملكية .

وفعلاً لم يحاول أحد منهم مقاومة هذا القانون .

والغدر .

وفى منتصف شهر يونيه ١٩٥٣ بدأت محاكم الغدر تنظر قضايا ضد بعض رجال الملك فاروق وبعض رجال السياسة .

وبدأت أولا بقضية كان المتهم فيها كريم ثابت باشا الذى كان مستشاراً صحفياً لفاروق ثم تولى منصب الوزارة فى وزارة حسين سرى باشا فى يوليه عام ١٩٥٢ - أى قبل قيام حركة الجيش مباشرة .

ولأن تشكيل المحكمة كان يضم ثلاثة مستشارين مع أربعة من ضباط الجيش وأن رئيس المحكمة كان مستشاراً من محكمة النقض ، فإن الإجراءات أمامها كانت تختلف تمام الاختلاف عنها فى المجالس العسكرية ، إذ كان يحضر مع المتهم عدد كبير من كبار المحامين وكانت المحكمة تفسح صدرها للمناقشات وشهادات الشهود الذين كان أكثرهم من أكبر رجال السياسة فى العصر الملكى ، وكانت المحكمة تستدعى الأميرات أخوات الملك للإدلاء بالشهادة .

وكانت بين دفوع المحامين الدفع ببطلان المحاكمة لأن القانون قد صدر فى نهاية عام

١٩٥٢ ويُراد تطبيقه على أمور صدرت فى الماضى إبتداء من سبتمبر عام ١٩٣٩ وأن القاعدة القانونية : أن القوانين لا تنطبق على الماضى .

وأصدرت هذه المحاكم أحكاماً فى قضايا عرضت عليها ، ولكن قضية من هـذه القضايا وهى القضية التى أُتهم فيها وزير أشغال وفدي سابق باستغلال النفوذ قد أثارت غضب القيادة ، ذلك لأن المتهم فيها وهو عثمان محرم باشا ، ويعتبر أنبغ مهنـدس تخصص فى شئون الرى بالقطر المصرى ، قد استطاع بمناقشته الطويلة الفنية أن يفضح أدلة الاتهام خصوصاً شهود الإثبات الذين جاءت بهم القيادة ليشهدوا ضده ، ولقد كان عثمان محرم وزير الأشغال الوفدى لاذعاً فى مناقشاته الفنية لهؤلاء الشهود ، وكثيراً ما كانت تضج قاعة المحكمة بالضحك على تعليقات المتهم على شهادات شهود الإثبات عندما يثبت بالحجة والمنطق جهلهم فيما يشهدون به ضده .

وفى إحدى الجلسات كانت المحكمة تناقش نفقات مشروع من مشاريع الرى التى أنشأها ، وتحاول بمناقشتها أن توضح أن النفقات كانت باهظة فالتفت المتهم إلى هيئة المحكمة ثم قال :

« أنا على استعداد أن أشترى ما قمت بتنفيذه فى هذا المشروع . نعم أنا على أتم استعداد لدفع كافة المصاريف على أن يكون لى حق استغلاله » .

وضجت القاعة بضحك الجمهور وضحك هيئة المحكمة أيضا ... وانتظر الوزير السابق حتى انتهى الضحك ثم وقف وقال :

« إنى لا أمزح بل أقول جداً وصراحة بأنى على استعداد لشراء ما نفذته ، إنكم تقولون أنى أنفقت نفقات باهظة على هذا المشروع ، والمعنى المقصود من هذا الاتهام واضح ، مع ذلك فأنا على استعداد أن أشترى هذا العمل وأن يكون لى حق استغلاله ولن أحاسب الحكومة عن الفوائد التى ترتبت عليه منذ تنفيذه حتى اليوم ، بل سأتنازل عن ذلك وأعتبر حقى متعلقاً به منذ يوم شرائه » .

وبطبيعة الحال لم توافق السلطات على عرض الشراء الذى تقدم به وزير الاشغال السابق . ولكن هذا العرض وباقى أقوال المتهم قد جعلت جلسات محاكمته مجالاً واسعاً

للتهكم على قرارات الاتهام وعلى شهود الاثبات ، وضيّعت على السلطات الأثر الذى أرادت تحقيقه ألا وهو تحقير الوزراء السابقين وإظهارهم بمظهر الجهل واتهامهم بالإثراء غير المشروع وارهابهم .

لقد كان المقصود بهذه المحاكمات التى تجرى أمام « محكمة الغدر » أن تكون سلاحاً تُسلطه السلطات على رأس السياسيين القدامى لترهبهم ، وتجعلهم يبادرون إلى تملّق الحكام ، ولكن المحاكمات قد أتاحت لوزير الأشغال السابق الوفدى إلى أن يقلب نتائجها إلى عكس ما أرادته السلطات ، وسرعان ما أوقفت السلطات عمل محاكم الغدر وراحت تبحث عن محاكم أخرى تكون أكثر إرهاباً وأشد بطشاً وقسوة .

عدالة محكمة الجنايات :

وزاد من اقتناع الضباط بوجوب الالتجاء إلى محاكم أشد قسوة أن قُدمت إلى محكمة الجنايات بالقاهرة قضية هامة كان ابتداء التحقيق فيها فى عهد فاروق ، وهى القضية المعروفة بقضية الأسلحة الفاسدة ، وتتلخص فى أن بعض الضباط وبعض رجال حاشية فاروق قد أثروا إثراء غير مشروع أثناء حرب فلسطين عن طريق تقديم أسلحة فاسدة للجيش ، وكانت لهذه القضية شهرة كبيرة خصوصاً أثناء حكم فاروق ، وكانت تعتبر فى ذلك العهد قضية سياسية أكثر من أن تكون قضية جنائية ، وقد استغلت أثناء حكم فاروق للتشهير به وبحاشيته ، وقد رأى الضباط إثارة القضية من جديد فقدموها لمحكمة الجنايات ، فإذا بمحكمة الجنايات بعد جلسات طويلة أباحت فيها للدفاع كل أوجه الدفاع القانونية ، إذا بالمحكمة بعد ذلك تصدر حكمها ببراءة جميع المتهمين .

وقد جاء حكم المحكمة بمثابة لطمة قاسية للضباط أعضاء مجلس القيادة ، ذلك لأن المحاكمة جرت فى عهدهم وليس فى عهد فاروق ، ولأن المحكمة التى فصلت فى القضية هى محكمة جنايات مشكلة من ثلاثة من أكبر المستشارين الذين عرفوا بالعدالة وتحرى الحقيقة والحكم بمقتضى القانون وهم الأساتذة كامل أحمد ثابت رئيس المحكمة وعضوية الأستاذين أحمد مختار وكامل البهنساوى .

وكان الجيش قد قدم قضية أخرى قديمة ذات مغزى سياسى إلى محكمة الجنايات ، فأصدرت المحكمة أيضا حكمها فيها بالبراءة ، فانشأ بعد ذلك محكمة الثورة وهى ليست المحكمة التى حاكمت الدمنهورى ومهنا ، وسيأتى ذكرها فيها بعد .

وهكذا كانت كل وسائل الارهاب فى خدمة الدكتاتورية .

الفصل السادس

تخدير الشعب

أترك مؤقتاً عمليات تحطيم الحواجز لنعود إليها فيها بعد مرة أخرى ، فإنى أريد أن أشرح الأساليب التى استطاعت بها قيادة الحركة تخدير أعصاب الشعب المصرى وصرفه عن رغباته الأصلية وهى الدفاع عن الحياة الدستورية وإقامة حكم ديموقراطى سليم ، وإلغاء الأحكام العرفية وإطلاق الحريات .

عندما قامت حركة الجيش ونجحت فى الاستيلاء على القاهرة ثم فى خلع فاروق عن العرش ، أقام الجيش عدداً ضخما من الاحتفالات والمهرجانات ، وظلت القاهرة تغص بالناس الذين جاءوا من الأقاليم ليشاهدوا الاحتفالات بخروج فاروق .

ولم تكد تمر بضعة أسابيع حتى أعلن الجيش أنه سيقيم احتفالات أخرى ضخمة لمرور شهر على حركة الجيش ، وكانت أيام ٢٣ أغسطس حافلة بسلسلة من الاحتفالات بدأت باستعراض للجيش ثم مهرجانات مختلفة وعربات زهور قدمتها جميع الشركات التجارية الكبرى ، ولهذه المناسبة خفضت الحكومة أسعار السكك الحديدية تخفيضاً هائلاً ، ليتمكن عشرات الألوف من الحضور إلى العاصمة ، وظلت القاهرة طوال هذه الأيام غارقة فى مهرجانات واستعراضات .

وفى الأسابيع الأولى التى تلت قيام الحركة بدأ فرع الشئون العامة للجيش ينصرف عن عمله العسكرى إلى تنظيم سلسلة كاملة من أدوات التسلية ، فأنشأ هذا الفرع مسارح وصالات غناء شرقى فى مبنى الجمعية الزراعية الملكية ، كما ساعد فى إنشاء حديقة ملاهي ضخمة . وكان كل عمل إدارة الشئون العامة هو إيجاد وسائل للترفيه عن الشعب بأسعار زهيدة .

ونجحت إدارة الشئون العامة فى عملها هذا نجاحاً كبيراً ، ذلك لأنها باسم الجيش قد استطاعت أن تُجند عشرات الراقصات والمغنين والمغنيات بأسعار زهيدة .

وكانت هذه المسارح وصالات الرقص هى فاتحة عهد جديد ، إذ لأول مرة فى تاريخ مصر يتولى أحد فروع الجيش إقامة مسارح . وكان هذا العمل على غرابته من الوسائل

الأولى التى بدأت بها حركة الجيش تُدخل ألواناً جديدة من التسلية للمصريين .

ومنذ قيام الحركة ظهرت سلسلة من أنواع التسلية قدمها الجيش بطريق مباشر كالمهرجانات واستعراضات الجيش وعربات الزهور ، وبطريق غير مباشر فتسمح بنشر ما يُلهى الشعب ويشغل وقته ؛ فمثلاً قصص فاروق وخصوصا ما يتعلق بحياته الخاصة مع النساء والراقصات المصريات والأجنبيات .

لقد كنت قد اتفقت مع جمال عبدالناصر عقب خروج فاروق علىٰ قلب صفحة الماضى وفتح صفحة جديدة هى صفحة عملٍ وإنتاج وتمهيد لعودة الحريات والحياة النيابية . وقد أقرنى جمال عبدالناصر على ذلك ، ولكن سرعان ما رأيته يتجاهل قراره ويترك الصحف تنشر كل ما تريد عن فاروق . وكانت مادة النشر عن فاروق هى أكثر مادة عليها القارىء المصرى خصوصاً علاقاته مع النساء .

وذهبت مرة إلى جمال عبد الناصر وأخبرته أن الصحافة تنزل إلى درك غير مقبول بنشر فضائح فاروق الذى كان ملكاً إلى وقت قريب ، وأنه سواء كان فاسداً أو غير فاسد فليس من مصلحة مصر أن تنشر مثل هذه الفضائح على العالم ؛ وكان رد جمال عبد الناصر على ذلك قوله : « دع الناس تتسلى » .

لقد كانت فعلاً مادة مسلية للناس ..

ولقد وصل الحال أن نشرت إحدىٰ الصحف فى أعدادها قصة فاروق مع راقصة مصرية . روت الجريدة قصة دخول فاروق مع هذه الراقصة حجرة النوم ووصفت الملابس الداخلية التى كانت ترتديها الراقصة ، ثم تفاصيل الحديث الذى دار بين الملك السابق وبينها ، ويستطيع القارىء أن يتصور أى نوع من الأحاديث يمكن أن يدور بين رجل وامرأة فى مثل هذا المكان وتلك الظروف .

ورغم اقتناعى بوجوب قفل صفحة فاروق والالتفات إلى المستقبل فقط ، وجدت نفسى كمسئول عن تحرير المصرى مضطراً إلى نشر بعض قصص فاروق .

وخرج فاروق وكتب مذكرات وكتبت ناريمان زوجة فاروق فى ذلك الحين مذكرات ، وعرضت الشركة التى احتكرت توزيع مذكرات الملك السابق حق نشر المذكرات

علينا ، فاجتمعت مرة أخرى بعبد الناصر وذكرت له عرض المذكرات علينا واقترحت عليه أن يمنع نشرها فى مصر ، وكنت حريصاً فى ذلك على تجنيب البلاد الانشغال بأمر فاروق عما يجب أن تنصرف إليه جهودنا . ووافقنى جمال عبدالناصر على رأيى .

وبعد أيام أعلنت جريدة الأخبار عن تعاقدها على نشر مذكرات فاروق ، وعندما أعدت الجريدة العدة لنشر الموضوع الأول من هذه المذكرات فوجئت برسول مجهول يطلب مقابلتى به ، وإذا هو يقدم إلىّ الجزء الأول من هذه المذكرات وقد ترجم إلى العربية وطبع على ورق صحف مما نسميه (بروفات الطبع) ، سلمنى الزائر هذا الجزء من المذكرات الذى كان مفروضا أن يصدر فى جريدة الأخبار فى عدد الغد ثم انصرف دون أن يخبرنى بمن أرسله بها إلىّ .

ونشرت هذا الجزء من المذكرات ، وفى اليوم التالى أخبرنى عبد الناصر أنه هو الذى حصل على هذه « البروفات » من مطبعة جريدة الأخبار وأرسلها إلىّ لأنه شعر بمسئوليته إذ نصحنى بعدم شرائها .

وفى اليوم التالى أرسل لى مذكرات كانت إدارة المخابرات قد استكتبتها كريم ثابت مستشار فاروق الصحفى ، ثم تلا ذلك مذكرات أخرى كتبها بعض رجال فاروق .

واستمر الناس يقرأون عن فاروق قصصاً عجيبة . وقد نجح نشر هذه القصص فى إدخال التسلية على الشعب نجاحاً كبيراً جداً .

وفى الأسابيع الأولى أيضا إنتشرت فى دور السينما لوحات عن الجيش ثم نشيد تغنيه مغنية معروفة ويردد المقاطع معها المتفرجون .

وخرج الضباط على الناس ببدع جديدة ، وكانت إحداها أسبوع معونة الشتاء ، وقد جرت العادة فى كثير من الدول الأخذ بمثل هذا الأسبوع لمساعدة الفقراء والمعوزين ، لكن الجيش إذ نظم هذه المعونة اعتمد فى جمع التبرعات على المغنيين والمغنيات ، وخصوصاً الراقصات ، وأخذ الضباط يطوفون القطر المصرى كل ضابط ومعه جوقة من المغنيين والمغنيات الراقصات يطوفون بلداً أو منطقة يغنون ويرقصون فى الشوارع ثم يجمعون التبرعات ، وكانوا يطلقون على القطارات التى يتنقلون عليها قطار الرحمة .

والشعب فرح بهذه المظاهرات إذ يرى الراقصات يرقصن مجانا والمغنين والمغنيات عن قرب ، خصوصاً سكان الأقاليم فقد أتاحت لهم هذه المهرجانات تسلية كبرى .

وتبع أسبوع معونة الشتاء أسابيع أخرى كثيرة كأسبوع الترفيه عن الجيش ، وأسبوع الدواجن ، حتى الدواجن أقاموا لها أسبوعا ، ثم أسبوع الشجرة ، وهو أسبوع يذهب فيه كل مواطن صالح إلى منطقة قريبة من القاهرة ليزرع شجرة . وقد افتتح الأسبوع اللواء محمد نجيب إذ ذهب إلى المكان المخصص لغرس الشجر وغرس شجرة وتبعه الضباط والوزراء ثم الشعب ، وكانت الصحف والإذاعة تتابع هذه الأسابيع وتصف ما يقع من مهرجانات ومظاهر ، وتنشر الصور وتكتب الأخبار . وقد نجحت تقاليع الأسابيع فى ايجاد جو « الزيطة » المطلوب ، ولكنها بطبيعة الحال لم تحقق أية نتائج ، فلم يُرفه عن الجنود بما جمع من أموال ، ولا انكسى الفقراء بمعونة الشتاء ؛ أما الشجر فقد جف وذبل بعد أن أهملت الحكومة شأنه ... وأهملته لأنها اكتشفت بعد غرسه أن مصاريف صيانته وريه باهظة خصوصاً وقد زرع فى منطقة مرتفعة نوعاً عن سطح الأرض ولابد من آلات لرفع المياه إلى مستوى الأرض التى زرع فيها .

ومن الأنباء التى كان يتسلى بها الشعب أنباء الوزراء ، نعم أنباء الوزراء كانت غاية فى الطرافة والتسلية ، إذ أعلن الوزراء أن حكم فاروق قد انتهى وأن حكم الاقطاع قد انقضى عهده ، ولذلك فإنهم لن يستعملوا سيارات الحكومة فى تنقلاتهم . وكان معظم الوزراء من غير طبقة الأغنياء فراحوا يعلنون أن تنقلاتهم ستكون بالترام ، وكثيراً ما كنت تطالع فى الصحف صورة وزير وقد تعلق على سلم الترام ، أو وزير آخر وقد جلس وسط الناس فى زحمة سيارة أوتوبيس ، وكانت ولا شك « تقليعة » جديدة إذ أن السيارات الحكومية كانت موجودة ، فإذا رأى الوزير عدم استعمالها فى تنقلاته الخاصة ، فلا أقل من أن يستعملها فى تنقلاته الرسمية حرصاً على الوقت .

ومن أنباء الوزراء أيضاً إعلانهم بأنهم سيأكلون أرخص الأطعمة الشعبية إذا ما اضطرهم العمل إلى البقاء فى المكاتب أوقات تناول الطعام ، وما من صحيفة إلا ونشرت صورة لأكثر من وزير وهو ممسك بساندويتش . وكان الوزير يبدو ديموقراطياً

يحاول أن يجعل من تقاطيع وجهه ما يعبر تعبيراً شديداً باللذة لتناول الأطعمة الشعبية الرخيصة . وكثيراً ما كانت مغالات الوزير فى إظهار فرحه بالساندويتش مثاراً للضحك والتسلية وبطبيعة الحال كانت الساندوتشات بالفول والطعمية كى يثبت الوزراء مشاركتهم الفقراء غذاءهم .

وكانت مصر كلها تتحدث عن الجيش ، فالصحافة لا هم لها إلا تمجيد الجيش ، والإذاعة والسينما وصالات الرقص الشعبى تُلقى فيها الأغانى عن عظمة الجيش ، وانشغل الوزراء فى اكتشاف الوسائل للتعبير عن تمجيد الشعب للجيش .

وخرجوا يوماً على الشعب بقرار عجيب يقضى بأن يبدأ الوزراء فى تلقى دروس فى الفنون العسكرية ، وفى اليوم التالى كان الوزراء على اختلاف أعمارهم وأحجام أجسادهم يرتدون كل واحد منهم « شورتا » وقميصاً بنصف كم من اللون الكاكى ويقفون فى طابور يتعلمون المشية العسكرية ، والصحافة تلاحق هؤلاء الوزراء الذين تركوا مكاتب عملهم ليتلقوا دروس التدريب العسكرى بالتصوير ، وتم نشر صورهم فى الجرائد فكانت مثار سخرية الناس .

حقيقة أن الوزراء كان لا سلطان لهم على الوزارات التى يرأسونها لأن الأمر كان فى يد مجلس القيادة ومندوبيهم من الضباط ، ولكن ليس معنى ذلك أن يترك الوزراء عملهم فى تلك الحقبة العصيبة من تاريخ البلاد ليضيعوا الوقت فى تدريبات عسكرية ، ولعل من المضحك المؤسف أن بعض هؤلاء الوزراء كانوا قد جاوزوا الخمسين من العمر . كما أن مظهر الكروش فى هذه الملابس كان مبعثاً للسخرية .

فبين الذهاب بالترام وانتظار مصورى الصحف ليلتقطوا لهم صوراً يحرصون فيها على اتخاذ موقف دراماتيكى وهم معلقون على سلم الترام ، وبين انتظار المصورين مرة أخرى ليصوروهم وهم يتناولون السندويتشات فى المكاتب ، وبين التدريبات العسكرية وإلى الأمام سر ، وخطوة إلى الوراء سر كان الوزراء يقضون وقتهم فى مرح وسرور ... وكان الشعب يجد مادة لذيذة يطالعها وصوراً مضحكة يفرج بها عن نفسه .

وخرجت علينا بعد ذلك الحركة بحركات جديدة منها زيارات اللواء محمد نجيب

للأقاليم ولمدن القطر المختلفة ، وكان يقتضى هذه الزيارات أن يسافر معه أكثر الوزراء ، ويقتضى أيضا أن يتعطل دولاب العمل فتطلق يد القيادة فى كل وزارة غاب وزيرها عنها ، ويقتضى ذلك أيضا أن تجند الصحافة أفصح مندوبيها وأحسن مصوريها ليسجلوا تلك الزيارة خطوة خطوة . وكان الشعب يستقبل اللواء محمد نجيب دائما استقبالات رائعة ، ذلك لأنه فعلا يمثل الزعيم الشعبى الذى تتقبله الجماهير بالفرح والترحاب ، فهو دائم الابتسام ، دائم النكتة بسيط غاية البساطة ، يحمل الأطفال ويقبلهم ويحرص على أن تؤخذ لهم صورٌ معه ، ويقف بين القرويات ويتحدث إلى صغار الناس ، ولا يقيد نفسه بأى بروتوكول .

كانت زيارات اللواء محمد نجيب وما يتخللها من مفارقات مادة دسمة لتسلية الشعب الذى أصبح فى شهور قليلة متعلقاً بحب نجيب تعلقاً بالغاً .

إن تلك البساطة التى كانت تنم عنها ابتسامته الدائمة كانت تجعله قريباً من قلوب الناس خصوصاً الشعب العادى ، وكثيراً ما كان نجيب يخرج من منزله لزيارة صديق له فإذا ما وصل إلى باب المسكن الذى يقيم به الصديق ، وقف مع بواب المسكن يتحدث معه ، ومعظم هؤلاء البوابين من السودانيين الذين يعرف نجيب بلادهم معرفة تامة ، فيناقش البواب فى كافة الأمور . ويرى الناس نجيب رئيس الوزارة ورئيس الحركة التى أخرجت فاروق يحادث البواب فيجتمع الناس حوله ويجتمع البوابون ، فيسأل كل واحد عن بلده ويناقشه فى أمورها ثم يحادث جمهرة الناس الذين تجمعوا حديثاً لطيفاً ، يتخلله بعض النكات الشعبية ، وإذا تقدم له أحد بشكاية أبدى اهتمامه بأمرها ، وعندئذ يصفق له الناس فيحييهم ويذهب إلى زيارة صديقه ، وسرعان ما تصل الأخبار إلى الصحافة فتنشرها .

لقد كان نجيب ولا شك ، بمثل هذه التصرفات ، النجم اللامع والزعيم الذى أحبه الناس محبة كبرى ، وقد نجحت رحلاته وتنقلاته نجاحاً عظيماً . وكانت مادة يقبل الشعب على قراءتها دون ملل ، يقرأها الناس ويتسلون بما فيها من حوادث طريفة وتصريحات غريبة . فمن الحوادث الغريبة أن ذهب ذات يوم فى زيارة خاصة لأحد أصدقائه ، وأثناء نزوله سلم البيت رأته طفلة على السلم فاتجهت إليه فرحة « بابا

نجيب ، بابا نجيب » فوقف الرجل ورفع الطفلة بين يديه وقبلها ، وكانت الطفلة لا يزيد سنها عن ست سنين ، وعندما تركها وأراد أن يواصل نزوله صرخت الطفلة « بابا نجيب تعال » وتشبثت بملابسه ، فتبعها إلى مسكنها وكان والداها فى الخارج ، ومع ذلك دخل مع الطفلة وجلس على أحد المقاعد وصار يداعب الطفلة ويلاعبها ، وفى هذه الأثناء كان جميع سكان العمارة قد تجمعوا داخل الشقة يشاهدون رجل مصر الأول يداعب فتاة صغيرة فى فرح وحبور وتواضع ، وبقى حتى أحضرت الخادمة القهوة فشربها بين فرح وبشر جميع سكان العمارة .

وعلى الرغم من أن كـل القرارات والقـوانين المقيـدة للحريـات وكل أحكـام (المحاكم الاستثنائية) كانت تصدر باسم اللواء محمد نجيب ظلت شعبيته جارفة فقد كان الناس قد بدأوا يدركون أن هذه القرارات والقوانين والأحكام لم تكن من صنعه بل من صنع مجلس قيادة الحركة وكانت تفرض عليه فرضاً .

نجحت تصرفات وزيارات نجيب فى تسلية الشعب وصرفه عن الأهداف التى يتعلق بها وهى السعى لتحقيق حياة ديموقراطية سلمية

وقد دفعت زيارات اللواء نجيب للأقاليم ونجاحها فى تسلية الشعب مجلس القيادة إلى إيفاد بعثات أخرى من بين ضباطه لـزيارة أقـاليم القطر المختلفـة ، ولكن هذه الزيارات لم تكن تلاقى نفس النجاح الذى كانت تلاقيه زيارة نجيب ، ومع ذلك فقد كانت حدثا فى حياة الأقاليم نظرا لمـا يصاحب الـزيارة من احتفـالات واستقبالات ومهرجانات .

وقد ساعدت بعض القرارات التى كان يتخذها مجلس قيادة الحركة على تسلية القارىء وشغل تفكيره . فمثلا قانون تحديد الملكية ، وقانون إلغاء الـرتب وقرارات التطهير وما تبعه من خروج الموظفين ، مئات الموظفين ، ثم المشروعات الخيالية التى كان يعلن عنها بعض الضباط كمشروع زرع صحراء سيناء . كان كل ضابط تجود عليه قريحته بفكرة يذهب إلى إحدى دور الصحف ويكتب عنها . وأية صحفية كانت لا تجرؤ على رفض نشر ما يريده حضرة الضابط ، ومن ذا الذى كان يجد لديه الشجاعة ليقول للضابط أن مشروعه عقيم وسخيف أو نظرى للدعاية وليس للتنفيذ ، وكان الشعب يقرأ

عن هذه المشروعات الخيالية فمنه من يُعجب بها ومنه من يَعجب منها ، ولكن على كل حال كان الجميع يتسلون بقراءتها .

ثم جاءت المحاكمات المتتالية كمحاكمة الصول شلبى الذى اتهمته قيادة الحركة بأنه يدبر انقلابا للاستيلاء على الحكم ، ومحاكمة العمال بكفر الدوار ومحاكمة الثرى للوم ، ثم محاكمات محاكم الغدر . كانت كل هذه المحاكمات عوامل تلهية للشعب وصرفه عن قضية الحريات .

ثم بدأ الشعب يسمع عن الآت التسجيل ويحكى نوادر عن الساعات المسجّلة ، وكيفية استعمالها ، ومن الذين يستعملونها . لقد تسلى الشعب أسابيع بقصص ساعات التسجيل التى يحملها الضباط وغير الضباط .

لقد تنوعت وسائل التلهية وأفلح مجلس قيادة الحركة بشغل الشعب أسابيع وأسابيع بل شهوراً عما يدبر للوصول إلى الحكم . ولكن جمال عبد الناصر الذى كان يتعجل هذا الوصول إلى الحكم قد ارتكب فى ذلك الوقت غلطة أفاقت الناس من كافة أنواع المخدر التى كانت تقدّم له فى صور مهرجانات واستعراضات جيش ورقص وهز بطن فى الصالات فى الشوارع خلال الأسابيع المختلفة ، ومن صور تنقلات نجيب وما يتخللها من مفاجآت ، وفى صور المحاكمات على اختلاف ألوانها ، لقد قدمك جمال عبد الناصر وزملاؤه كل هذه الألوان من وسائل التسلية لتخدير الشعب وصرفه عن أهدافه الأصلية ، وهى إقامة ديموقراطية سليمة وإطلاق جميع الحريات وإخراج الإنجليز من مصر والسودان . وقد استطاع فعلاً مجلس القيادة خلال فترة التخدير هذه أن يحقق الكثير من أهدافه ، فقضى على الأحزاب واعتقل أقوى رجالها ، ثم حلها وصادر أملاكها ، وبث مندوبى القيادة فى كل مرفق عام أو خاص من مرافق القطر المصرى ، ورفت آلاف الموظفين والضباط من وظائفهم ، وفرض الرقابة على الصحف وقتل حرية الرأى ، ونظم شبكة واسعة من الجاسوسية ، إلى غير ذلك من الأعمال التى كانت كلها تمهيداً واسع النطاق لاستيلائه هو وزملاؤه على الحكم .

ولكن عبد الناصر ارتكب ـ كما قلنا ـ غلطة جعلت الشعب يفيق من هذا المخدر

ويتنبه إلى أهدافه ، وهذه الغلطة هى سعيه بل إعلانه عن تكوين حزب واحد ينفرد بالحكم فى مصر ، لقد أعلن عبد الناصر أنه لن يسمح بقيام الأحزاب إلا الحزب الذى يشكله ؛ ولم يسمه فى ذلك الحين حزبا بل سماه هيئة وأطلق عليه اسم « هيئة التحرير » .

ففى ٢٣ من يناير سنة ١٩٥٣ أعلن عبد الناصر تكوين هيئة التحرير وعين لها سكرتيرا عاما ضابطا من الضباط المخلصين له واسمه الطحاوى .

إن الإعلان عن هذا الحزب أو تلك الهيئة قد نبهت المصريين إلى التعهدات التى قطعها الجيش على نفسه يوم قيام الحركة ، وجعلته يفكر فى مصيره ومساره وفى ما تبيته حركة الجيش له ، وتساءل الشعب عن الحريات ورقابة الصحافة والاعتقالات المستمرة ، ولماذا الصحافة لاتزال مراقبة ، والاعتقالات قائمة وأحكام السجن والإعدام ؟

لقد بدأ الشعب يتحدث عن كل هذه الأمور وخصوصا الطبقات المتعلمة منه ، وأخذ الناس يناقشون الأمور ويتوجسون خيفة من المستقبل ، وكانت كل حادثة تقع تثير التساؤل رغم حظر النشر عنها .

حدث مثلا أن دخل ضابط جيش إحدى المحاكم فى مدينة القاهرة وطلب الاطلاع على بعض القضايا التى يحققها وكيل النيابة العمومية ؛ وكان القضاء فى مصر حتى ذلك الوقت مستقلا ووكلاء النائب العام لا يخضعون لأى سلطان إلا لرؤسائهم المباشرين وللنائب العام ، واعتبر وكيل النيابة طلب الضابط غير مقبول بل اعتداءً سافراً على استقلاله وكرامة القضاء ، فلم يسعه إلا طرد الضابط من مكتبه . وفى اليوم التالى إضطر مجلس القيادة النائب العام إلى نقل وكيل النيابة هذا من مركزه إلى مركز نائب فى أرياف مصر .

مثل هذه الحوادث كانت تقع فى كل فرع من فروع الدولة ، وكان الناس يتناقلون رواياتها دون أن يعيروها اهتماماً ، ولكن إعلان جمال عبد الناصر عن هيئة التحرير كان محور التحول فى تفكير الشعب المصرى .

لقد استيقظ الشعب فجأة ليجد الضباط قد سيطروا على جميع الوزارات والنوادى

العامة والخاصة كمندوبين للقيادة وأركان حرب المصالح والإدارات ، ووجدوا الجاسوسية تحيط بهم من كل ناحية والتليفونات مراقبة . والأحزاب التى حُلت لا يجوز عودتها للعمل ولو فى صور أخرى جديدة ، بل لا يجوز تكوين الأحزاب السياسية إلا الحزب الذى يؤلفه جمال عبد الناصر « حزب هيئة التحرير » .

حشد جمال عبد الناصر كافة الجهود من دعاية وضغط وإغراء لينجح فى هذا ، وكان يرسل الطحاوى وغيره من الضباط إلى الشخصيات المثقفة يطلبون منهم الانضمام إلى هيئة التحرير . ولكن الرفض كان الجواب فى أغلب الحالات ، ورغم الدعاية الهائلة ورغم الإغراء ورغم الوعيد رفض أساتذة الجامعات الانضمام إلى هيئة التحرير ، ورفضت غالبية المحامين والأطباء والمهندسين والصحفيين ، كان كل إنسان يتمتع بقسط ولو بسيط من الوعى والاحترام الشخصى يرفض الانضمام إلى هيئة التحرير ، حتى الطبقة غير المتعلمة التى كانت ترتبط فى الماضى بالأحزاب القديمة رفضت غالبيتها العظمى الانضمام لحزب عبد الناصر .

وخُلقت هيئة التحرير مشوهة ، وكانت العاهات التى تشوهها تجعل عبد الناصر يحشد جهوداً أكبر ليزيل عنها هذه العاهات ، كان يحاول الظهور على الناس بمظهر المُؤيد من الشعب فيعلن كل يوم عن تشكيل لجنة جديدة لهيئة التحرير ولكن ما يكاد يطلع الناس على أسماء أعضاء الهيئة حتى يجدوا أنها لا تشمل أية شخصية لها قيمتها بل من أسماء بعض المرتزقة الذين يبغون تحقيق مآرب شخصية ، أو بعض التجار الذين انضموا ليقوا أنفسهم تحكم مصلحة الضرائب فى أمورهم .

وقد جرت بينى وبين عبد الناصر فى ذلك الحين أحاديث طويلة حول الحزب الواحد وانحرافه عن وعوده وخيبة آمال الشعب . وقلت له فى إحدى المناسبات أنه يستطيع أن يستقيل من الجيش وأن يؤلف هو وزملاؤه حزباً سياسيا ينافس الأحزاب الأخرى من أجل الحكم . حاولت أن أقنعه بوجهة نظرى وأن أجعله يؤمن بأن ذلك سيوصله إلى كافة أغراضه لعلّى بذلك أجعله يحيد عن الاتجاه إلى الحكم الديكتاتورى ، وأكدت له أن حزبه سيفوز بالأغلبية لأن الشعب لا يزال يذكر للجيش حركته الجريئة ، ولكن جمال عبد

الناصر بدل أن يحاول الاقتناع بهذا الرأى أخذ يبذل كل جهده فى إقناعى بالانضمام لهيئة التحرير .

وليلة كان معتكفاً بمنزله فطلبنى تليفونيا واستمر يحادثنى أكثر من نصف ساعة ، ويحاول إقناعى بالانضمام لهيئة التحرير ، وكنت أؤكد له أنى لا أمانع فى الانضمام للهيئة لو أنه أطلق حرية تكوين الأحزاب ، وتقدم هو ببرنامج على قدم المساواة مع الأحزاب الأخرى حتى يتنافس الجميع فى الديموقراطية وخدمة الشعب .

أراد جمال عبد الناصر أن يزور الجامعة لأول مرة ، فطلبنى فى الليلة السابقة على الزيارة تليفونيا وقال لى أنه لم يعد بعد الخطاب الذى يلقيه فى الجامعة . وطلب إلىّ أن أعد له خطابا ، فأعددت الخطاب وذهبت إلى منزله فلما قرأه قال : « إن الخطاب كله وعود حول قرب عودة الحياة النيابية ؟...» قالها دون ارتياح ، فقلت له : « ماذا يمكن أن تقول للطلبة وكفاح الجامعة منذ عشرات السنين معروف للجميع ».

لم يرتح عبد الناصر لما أعددت ، وإن كان قد اقتنع أن أول زيارة يقوم بها لطلبة الجامعة يجب أن تقترن بوعود تعطى الأمل فى قرب عودة الحياة الديموقراطية ، فلما ذهب فى الصباح إلى الجامعة ألقى الخطاب كما كتبته تقريباً ، وإن كان قد خفف من لهجة تأكيد الوعود بقرب عودة الحياة النيابية وإطلاق الحريات .

ومرت الأيام والأسابيع وأدرك طلبة جامعة القاهرة أن الحكم يتجه بسرعة فائقة إلى ديكتاتورية عسكرية مطلقة . وكانت عادة جامعة القاهرة أن تنتخب فى الشهور الأولى مجلساً للطلبة يشرف على النواحى الرياضية والاجتماعية ، ولكن التقليد جرى على اتسام انتخابات الطلبة بالاتجاهات السياسية . وفى ذلك العام قرب موعد الانتخابات فائتلف مرشحو الطلبة المنتمون لكافة الأحزاب ضد الطلبة المرشحين عن جماعة الإخوان المسلمين ، ذلك لأن هذه الجماعة كانت الحزب الوحيد فى ذلك الوقت الذى يؤيد الجيش والذى لم يكن قرار حل الأحزاب قد شمله .

وصباح الانتخابات خرج المصرى وقد احتل صدر الصفحة الأولى عنوان بترشيح أحمد الخطيب زعيم الطلبة الوفديين رئيساً لاتحاد الطلبة بجامعة القاهرة .

وكانت انتخابات الطلبة فى هذا اليوم بمثابة اختبار لمدى ما يتمتع به الضباط من تأييد داخل صفوف الطلبة . والطلبة فى مصر كانـوا دائما الصف الأول فى الحـركات السياسية ، وكانت انتخابات الطلبة بمثابة استفتاء عام ، على ضوء نتيجته يتضح الاتجاه الشعبى المرغوب فيه أهو إلى الحكم الديموقراطى أم الحكم العسكرى ؟

وظهرت النتائج وفاز مرشحو الأحزاب المنحلة على مرشحى الإخوان بغـالبية ساحقة ، وتم انتخاب أحمد الخطيب رئيساً لاتحاد الطلبة وكانت ضربة أليمة أصابت عبد الناصر ، فلما فكر فى إقامة هيئة التحرير حاول إغراء الطلبة للانضمام إليها ، فلم ينضم إلا أقلية ضئيلة ، فغضب جمال واعتقل أعضاء
مجلس اتحاد طلبة الجامعة من غير الإخوان المسلمين واعتقل عددا آخر كبيراً من الطلبة ، ثم أرسل الدبابات تحاصر مبانى الكليات ، فعل هذا بينما كانت مبانى الجامعـة تتمتع باستقلال تام ، ولا يجوز لقوات البوليس أن تـدخلها . لقـد كان للجـامعة بـوليسها الخاص . ولكن عبد الناصر لم يعبأ بهذا الاستقلال . وأرسل السيارات المصفحة ترابط داخل أسوار الجامعة ، وسد جميع المسالك التى توصل إلى مبانى الجامعة ، وفرض على كل طالب استخراج بطاقة تثبت انتسابه للجامعة . ومن لم يكن يحمل تلك البطاقة لا يسمح له باختراق النطاق الذى فرض على مدخل كل طريق يوصل للكليات .
وبعد اعتقال الطلبة ببضعة أيام حدث حادث هز فرائص عبد الناصر ، ذلك أن أحد الطلبة المعتقلين وكان سودانياً إنتحر فى المعتقل وتوفى . ولم أستطع أن أعرف تفاصيل الأمور التى أدت إلى انتحار هذا الطالب ، فقد علمت بالانتحار من جمال عبد الناصر الذى أبلغنى الخبر . ولما كان يعلم بعـدم موافقتى عـلى مبدأ الاعتقـال ، وعلى وجـه الخصوص إعتقال الطلبة ، فقد سارع بإبلاغى الخبر حتى لا أعلم به من جهة أخرى فأناقشه فيه ، وسارع بإظهار حزنه على الطالب .

ولم ينشر خبر انتحار الطالب فى الصحف ، ذلك لأن الرقابة كانت تمنع نشر أى خبر عن الجامعة وما يدور فيها ، أو ما يتعلق باعتقال الطلبة أو غير الطلبة المعتقلين .

وبالرغم من منع نشر الأخبار الخاصة بالاعتقالات ، فإن الشعب كان يعلم بها . وكما سبق أن قلت كان الشعب قد استيقظ فجأة عندما أعلن عبد الناصر عن تكوين

هيئة التحرير ، استيقظ الشعب ليدرك جميع آماله فى الحرية السياسية قد أخـذت فى الإنهيار ، وبالرغم من انتشار الجاسوسية ومعرفة الناس برقابة التليفونـات والآلات المسجلة بدأ الحديث يكثر فى كل مكان حول مستقبل الحكم وكثرت النكـات حول الديكتاتورية وحول الساعات المسجلة ، وجاءت تقارير هيئة « السميعة » التابعة لإدارة المخابرات حافلة بما يرويه الشعب فى مجالسه الخاصة عن مستقبـل الحكم ، ومتضمنة الكثير من النكات التى تروى على ألسنة الناس حول الجاسوسية وكبت الحريات .

وكان عبد الناصر يهتم اهتماماً خاصاً بتقارير « السمّيعة » ويحرص على مراجعة ملخصها بنفسه ، وأحس بأن رأيا عاما بدأ يتكون بين الناس يدل على السخط والنقمة . وكان عبد الناصر فى الشهور الأولى من بدء قيام الحركة يخشى تكوين رأى عام ضده ، وكان فى كثير من تصرفاته يحرص على كسب رضاء الشعب ، فإذا أقدم على قرار يغضب الشعب حمل الصحف على حشد دعاية واسعة تبرر هذا التصرف ، وكان يحرص دائما أن يكون صدور القرارات التى تغضب طوائف من المصريين لا يحمل ما ينم على أنها من وضعه هو أو من تدبيره .

خاف جمال عبد الناصر من تطور مشاعر الشعب ، ورأى أن الناس لا تُقبل على الانخراط فى عضوية هيئة التحرير ، بل لمس بنفسه نفـور الشعب وخصوصـاً طبقة المتعلمين منها عن الانضمام لها ، وجاءت تقارير قسم « السميعة » بالمخابرات تعبر عن ضيق الشعب بالأمور ، فرأى أن يقدم للشعب شيئاً جديدا يلهيه به ، شيئا يجعل الشعب يسكت على ما يجرى من أمور على أساس أن كل هذه التدابير إن هى إلا تدابير مؤقتة ستزول عما قريب .

فأعلنت قيادة الحركة فى فبراير سنة ١٩٥٣ عن عزمها على وضع دستور جديد يحل محل الدستور القديم ، مدعية أن الدستور القديم لا يوفر كافة الحريات والضمانات للشعب ، وبعد هذا الإعلان بدأت الأحاديث بين الناس عن الدستور الجديد ومن الذى سيضعه ، وهل سيدعى آخر برلمان لوضع هذا الدستور ، أم أن جمعية تأسيسية ستنتخب لتتولى وضعه ، وأخذت الأحاديث عن الدستور والطريقة التى سيوضع بها تشغل أذهان الناس ، وتلهيهم عما يقع من تصرفات منافية لكل أسس الديموقراطية .

وبعد بضعة أسابيع أعلنت قيادة الحركة أنها قد ألفّت لجنة تضع قواعد الدستور الجديد ، وأن أعضاء هذه اللجنة سيعينون من بين مختلف طوائف الشعب ، وفعلا صدرت الأوامر بتكوين لجنة الدستور وأسندت الرئاسة لعلى ماهر باشا .

وكان جمال عبد الناصر قد سارع بإبلاغى نبأ اعتزام تكوين لجنة لوضع الدستور ، فلما ناقشته فى كيفية اختيار أعضاء هذه اللجنة أخبرنى بأن الأعضاء سيعينون ، وعندئذ قلت له أن الواجب يقضى بانتخاب الأعضاء لأنه من غير المعقول أن تنفرد جهة ما باختيار أعضاء لجنة لوضع الدستور ، وأن الوضع السليم هو أن يختار الشعب أشخاصاً يثق بهم فى وضع دستور مصر . وحاول جمال عبد الناصر أن يقنعنى أن الظروف التى تجتازها البلاد لا تتحمل إجراء انتخابات ، وأن الأفضل أن يتم الاختيار بالتعيين . ولم يستطع أحدنا أن يقنع الآخر برأيه .

بدأت لجنة الدستور أعمالها وتوالت اجتماعاتها ، وكان بطبيعة الحال فى مقدمة المسائل التى يجب الاهتمام بها تحديد شكل الدولة ، أهى ملكية أم جمهورية ، وفى هذه الأثناء بدأت مجلة روز اليوسف تروج لفكرة إعلان الجمهورية ، وإنهاء الحكم الملكى فى مصر .

وكان اللواء نجيب ضد هذا الاتجاه ، لقد كان يرى أن تبقى الملكية خصوصا وأن الملك كان طفلا لم يتجاوز من العمر سنتين ، وأن وجود وصى لا يتدخل من قريب أو بعيد فى شئون الحكم هو أقوم سبيل لحكم مصر .

وعلى الرغم من أنه كان معروفاً أن انتهاء النظام الملكى سيصل حتما باللواء نجيب إلى رياسة الجمهورية ، فقد كان يعارض هذا الاتجاه معارضة شديدة .

وفى يوم من الأيام إتصل بى مكتب اللواء نجيب ، وطلب منى الحضور لرياسة الوزراء لمقابلة اللواء نجيب ، وتوجهت فى الميعاد حيث استقبلنى ، وفور بدء المقابلة حدثنى عما تنشره المجلة الأسبوعية من دعوة للنظام الجمهورى ، وقال لى : « هل تعتقد أن جمال عبد الناصر وراء هذه الدعوة ؟..» فقلت له : « أنا لا أعرف إذا كان هو الذى دفع رئيس تحرير المجلة إلى القيام بها أم لا » فقال : « أرجوك ــ وأنا أعرف صداقتك به

وثقته بك ــ أن تتحدث معه ليمنع المجلة من الاستمرار فى هذا الاتجاه » ثم أردف قائلا : « إننا نمر بظروف عصيبة وليس من الحكمة الآن إحداث هزات عنيفة فى نظام الحكم » ثم استطرد يوضح وجهة نظره فى حديث طويل جاء فيه : « أننا يجب ألا نفتح الباب أمام الأطماع ، وأن أمامنا مشاكل كثيرة ... أرجوك أن تحادث عبد الناصر فى ذلك وتقنعه بضرورة وقف هذه الحملة فورا » فوعدته بذلك .

ولكن اللواء نجيب لم يترك الفرصة لبحث الأمر مع عبد الناصر ، ذلك لأنه فى مساء ذلك اليوم كان مدعوا لحضور إحدى الحفلات ، وطلب الحاضرون منه أن يلقى كلمة ، فوقف ليتحدث فإذا به يهاجم المجلة الأسبوعية ويحمل على دعايتها ضد الملكية حملة شديدة وقاسية ، وأخذ يوضح وجهة نظره ذاكراً أن أية هزة عنيفة الآن معناها صرف جهود الحاكمين عن المشاكل الرئيسية التى تواجه البلاد .

وكان المفروض بعد هذه الحملة القاسية التى حملها اللواء نجيب على المجلة ورئيس تحريرها أن تتوقف المجلة عن دعايتها لإنهاء الملكية وإبداله بنظام جمهورى ، فلقد كان اللواء نجيب رئيس الوزارة ورئيس مجلس قيادة الحركة ، ولكن المجلة لم توقف حملتها ، بل استمرت تواصل دعايتها . ولم تتدخل الرقابة لمنعها من نشر هذه الدعاية ، مما يقطع بأن عبد الناصر كان وراء هذه الدعاية ، بل هو الذى أمر بها .

وانشغل الشعب أسابيع بأنباء اجتماعات لجنة الدستور ، وبتتبع الإشاعات عن شكل الحكم فى مصر هل هو ملكى أم جمهورى .

لقد نجحت قيادة الحركة مرة أخرى فى تخدير أعصاب الشعب وصرفه عن تكوين نوع من المقاومة ضدها بتأليف لجنة الدستور ، وإثارة شكل الحكم ، ولكن أثناء انشغال الشعب فى هذه المسائل كان جمال عبد الناصر يعد العدة ليصل إلى حكم مصر .

وكانت أولى خطوات تحقيق الوصول إلى الحكم إعلان النظام الجمهورى فى ١٩ من يونية عام ١٩٥٣ وتعيين الرئيس نجيب أول رئيس لها واشتراك عبد الناصر فى الحكومة التى شغل فيها منصب نائب رئيس الوزارة ، وظل محمد نجيب محتفظاً برئاسة الحكومة إلى جوار رئاسة الجمهورية .

وفى مقابلة للرئيس نجيب سألته عن سبب عدوله عن رأيه الذى كان ضد إقامة نظام جمهورى فقال إنه فوجىء بموافقة مجلس القيادة على الاقتراح بإعلان النـظام الجمهورى فاضطر إلى القبول كما يضطر فى كثير من الأمور إلى القبول حرصاً على وحدة الصف فى تلك الظروف .

الفصل السابع

محكمة الثورة

نحن الآن فى شهر أغسطس من سنة ١٩٥٣ ، أى بعد انقضاء أكثر من عام على قيام الجيش بالانقلاب . وكان الشعب المصرى قد مرت به خلال هذا العام صور مختلفة من ألوان العنف والبطش والإكراه فكانت هيئة القيادة قد اعتقلت الكثيرين من أبناء مصر لمزاعم مختلفة . إعتقلت زعماء مصر السياسيين بضعة أشهر ثم أفرجت عنهم ، واعتقلت مئات الطلبة واعتقلت عمالا ، وكانت قد ألفت ألوانا مختلفة من المحاكم ، مجالس عسكرية حاكمت عمال كفر الدوار وشنقت عاملين من بين المتهمين ، ومجالس عسكرية أخرى أصدرت أحكاماً مختلفة على مصريين بعضهم بتهمة مقاومة تنفيذ قانون تحديد الملكية الزراعية ، والبعض الآخر بتهم محاولات لقلب نظام الحكم ، ثم محاكم غدر شكلتها بحجة محاكمة الوزراء السابقين الذين اتهمتهم بأنهم استغلوا النفوذ ، وحققوا إثراءً غير مشروع أثناء توليهم الحكم مع أن السرقة والنهب كان يفوق فى عهد حركة الجيش كل تصور .

وكان الشعب قد رأى مجلس القيادة يلغى الدستور ويبطش بالحريات ، ويزيد من قبضة الرقابة على الحريات العامة لا سيما حريات الصحافة ، وكان الشعب قد أخذ يحس بتفشى الجاسوسية على كل أحواله ، ورأى الشعب الجيش قد تسرب إلى كافة نواحى الحكم فيسيطر عليها بل امتد تسربه إلى جميع نواحى الحياة المصرية فأصبح فى كل مكان ضابط له الأمر والنهى .

رأى الشعب كل هذا وبدأ يدرك أن حركة الجيش التى قامت بحجة تحقيق حياة ديموقراطية للشعب ، وبحجة إلغاء كل القيود التى كانت مفروضة فى عهد فاروق على الحريات ، وبحجة تمكين الشعب من حكمه نفسه . بدأ الشعب يدرك أن الجيش لن يفى بأى وعد من هذه الوعود بل على العكس من ذلك فقد تنكر لكل تلك الوعود وانقلب خصما لدوداً للديموقراطية وللحريات الشعبية ، وبدأ الشعب يفهم أنه قد وقع فريسة فى أيد ديكتاتورية أشد عنفاً وبطشاً من تلك التى عرفها فى عهد فاروق ، أدرك الشعب كل

ذلك وراح الناس يتحدثون فى كل مكان وينتقدون الأوضاع ويعقدون الاجتماعات الخاصة يدرسون فيها الحالة وما تطورت إليها .

وأحس عبد الناصر بكل ذلك ، أحس عن طريق المخابرات أن الناس قد بدأت تضيق ذرعا بالجيش وبحكم الجيش ، كانت المخابرات تجمع له الأخبار وتجمع له النكات التى أطلقها بعض المصريين وتندر بها الشعب ، وكلها نكات تتناول العهد بسخرية لاذعة ، وأحس عبد الناصر بأنه لابد من إجراء جديد يخرج به على الشعب ليرهبه به وليسليه فى نفس الوقت .

وخلال شهر أغسطس زاد الشعب من انتقاداته فى المجالس وفى الأندية لنظام الحكم ، وزادت النكات يوماً بعد يوم . وفى منتصف شهر مايو كنت قد نشرت مقالا فى جريدة المصرى تحت عنوان « الدستور يارئيس اللجنة » ، والمقال عبارة عن خطاب مفتوح وجهته لعلى ماهر رئيس اللجنة المشكلة لوضع الدستور وتحدثت فى المقال عن عصفور وضعه صائده فى قفص من الذهب ومع ذلك فقد قتلته القضبان التى حدت من حريته ، ثم ناشدت على ماهر أن يسرع إلى إعلان الدستور الجديد حتى ينال الشعب حرياته ، وقلت له إن مصر تخصص أسابيع لمناسبات مختلفة .. أسبوعاً لمعونة الشتاء وأسبوعاً للتبرع لتسليح الجيش المصرى وأسبوعاً للتشجيع على تربية الدواجن واقترحت عليه أن يخصص أسبوعاً للدستور تنهى فيه اللجنة وضع الدستور ، خصوصاً أنه كان قد انقضى على تشكيلها بضعة أشهر . وختمت مقالى بأن الدستور هو الاجدى أن نخصص له أسبوعاً ، فإنه أهم وأجل شأناً بالنسبة للشعب من كل الأمور الأخرى التى أقيمت لها الأسابيع .

ولا أعرف كيف وافق الرقيب على نشر هذا المقال ، لقد سمح بنشره وكان وقعه شديداً . فالشعب قد فرح به أكبر الفرح لأنه جاء معبراً تمام التعبير عن آماله وما يتطلع إليه من حقوق . أما مجلس قيادة الحركة فقد حنق أشد الحنق على هذا المقال ، فأوحى إلى الصاغ صلاح سالم أن يدلى بحديث لجريدة الأهرام نشرته الجريدة تحت عنوان : « الباكون والمتباكون على الدستور » والحديث كله هجوم شخصى على زعماء الوفد ، ومدح فى حكم الجيش . ورأيت الفرصة سانحة فى مناقشة أحد أعضاء مجلس القيادة علناً

وعلى صفحات الجرائد فى الوضع القائم بالبلاد . فكتبت مقالا تحت عنوان : « نعم الدستور » وقلت فى مقالى هذا أن الشعب لم يؤيد حركة الجيش ضد فاروق لأن فاروق كان مستهتراً أو يحيا حياة خاصة ماجنة ، وإنما الشعب أيد الجيش فى حركته ضد الملك السابق لأن هذا كان يعتدى على الحريات ، فكان يأمر باعتقال الناس دون سبب أو محاكمة . وكان يفرض الأحكام العرفية والرقابة على الصحف ويعطل الدستور ، أما أنتم فقد اعتقلتم الناس دون سبب أو محاكمة ، وأبقيتم الأحكام العرفية والرقابة على الصحف ولم تكتفوا بتعطيل الدستور بل ألغيتموه » . ثم تحدثت بعد ذلك عن الحريات التى يحققها الدستور للشعب وأوضحت الأسباب التى من شأنها طالبت بضرورة عودة الحكم الديموقراطى لمصر .

ورفض عبد الناصر نشر المقال وأمر الرقيب وإدارة البوليس أن تصادر أعداد المصرى إذا تمسكت بنشره ، وظللت حتى ساعة متأخرة من الليل أحاول أن أقنع إدارة الرقابة بالسماح بنشر المقال ولكن دون جدوى ، وصدر المصري دون المقال .

وفى اليوم التالى أبلغتنى إدارة الرقابة أنها ستسمح بنشر مقالى على شرط أن أنشر إلى جواره وبنفس الشكل مقالا لصلاح سالم يرد فيه على مقالى ، ورحبت بالقرار لأنه أولا يتيح لى نشر مقالى ، وثانياً لأن نشر مقال صلاح سالم إلى جواره يؤكد أنى حاولت نشره بالأمس ، وأن الرقابة قد منعته لتتيح الفرصة له أن يرد علىّ ، كما يثبت للشعب أن مجلس القيادة قد أخذ يرتعد لقيام كاتب بالكتابة عن الدستور ، وأن المجلس يجد نفسه مضطراً للرد على المقال فى نفس اليوم لا فى اليوم التالى لظهوره كما جرت العادة ، وزاد من فرحى أن مقال صلاح سالم لم يقم على حجج منطقية ، وإنما جاء يحوى سباً لى ولأخى محمود ويتهمه بأنه اتجر أثناء الحرب فى ورق الصحف ، وأنه أثرى من وراء ذلك ، لقد كانت مثل هذه الاتهامات التى حواها المقال تثبت ضعف موقف مجلس القيادة وتدل على أنه يتهرب من مجابهة الحجة بالحجة إلى اتهامات شخصية سخيفة .

وعلمت أن الأهرام والأخبار سينشران مقال صلاح سالم ، فعرضت عليهما مقالى فقبلاه .

وصدرت جريدة المصرى بل جميع الجرائد فى اليوم التالى تحمل مقال صلاح سالم وإلى جواره مقالى ، وكانت هذه أول مرة فى تاريخ مصر تنشر جميع صحف مصر مقالا لرئيس تحرير إحدى هذه الجرائد .

ومرت أسابيع والرقابة على المصرى خانقة ولكن انتهزت فى الأسبوع الأول من سبتمبر فرصة تغير الرقيب العسكرى وكتبت أذكر بأن الدستور لم يتم وضعه بعد وأثار النشر غضب جمال عبد الناصر وأعلن صلاح سالم عن الدعوة لعقد اجتماع شعبى فى ساحة قصر عابدين لسماع قرار خطير تعلنه قيادة الحركة ، وأراد أن يزيد من أهمية الاجتماع فأعلن أن اللواء محمد نجيب والبكباشى عبد الناصر وغيرهما سيخطبون فى هذا الاجتماع ، وحدد صلاح سالم الساعة الرابعة من يوم ١٥ من سبتمبر تاريخاً لهذا الاجتماع .

وجاء ١٥ سبتمبر وخطب نجيب ثم خطب عبد الناصر وجمال سالم ، وكانت الخطب الأخيرة هجوماً عنيفاً على زعماء مصر والمنادين بالحريات العامة والحكم الديموقراطى ، ثم وقف صلاح سالم ليواصل الهجوم على الزعماء وعلى من ينادون بالحكم الديموقراطى فقال : « وبدأوا حملة واسعة من الأراجيف والأكاذيب ، والمستعمر لهم سند وظهير . وأخذوا يشككون فى كل عمل يعمل ويقومون بحملات واسعة النطاق ضد رجال هذا العهد ، حتى ييأس الشعب من الثورة » .

« مهلا أيها الخونة ... إنكم باتخاذكم هذا السبيل إنما تخبطون رؤوسكم فى صخر صلب لن تنالوا منه ولكن سيحطم جباهكم ...» .

وهكذا ظل يسب ويهدد إلى أن جاء الوقت لإعلان ما سبق أن أسماه بالقرار الخطير ، فقال ، وهو يصرخ « ... أعلن باسم مجلس الثورة تشكيل محكمة الثورة من بعض رجال مجلس الثورة ، وستنظر هذه المحكمة فوراً فى قضايا المتهمين بالعمل ضد مصلحة البلاد وضد كيان الثورة ...» .

وفى الوقت الذى كان صلاح سالم يعلن فيه عزمه وعزم زملائه على تشكيل محكمة عسكرية جديدة تحمل إسم محكمة الثورة كانت عمليات القبض والاعتقال تتم فتتناول أهم الشخصيات السياسية باستثناء مصطفى النحاس .

وفى اليوم التالى أصدر مجلس القيادة قرار تشكيل محكمة الثورة ، وقد رأيت أن أنشر هذا القرار بنصه وأن أخصص هذا الباب للحديث عن هذه المحكمة ليطلع العالم على صورة من صور اغتيال العدالة وقتلها ، وقد يرى البعض أن مثل هذا الاجراء قد اتخذ فى ثورات سابقة بل إن الثورة الفرنسية قد شكلت محاكم شعب أشد قسوة من هذه المحاكم ، ولكن علينا أن نذكر أن الثورة الفرنسية قد وقعت فى القرن الثامن عشر وأننا نعيش الآن فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وهناك منظمات دولية لحماية حقوق الإنسان ، ومنظمات دولية تعمل للدفاع عن العدالة واحترام القوانين وحريات الصحافة ، إننا نعيش فى عهد تقوم فيه جمعيات دولية لحماية الحيوان والدفاع عنه ، فكيف يمكن أن تقوم فى مصر مثل هذه المحاكم التى تقطع بما لا شك فيه فى القضاء على الحقوق والقوانين وإهدار آدمية الإنسان ..؟

بالإضافة إلى الأديان السماوية سواء الإسلام أو المسيحية تأمر بالعدل وترفض رفضاً باتاً تلفيق الاتهامات وتكوين (محاكم) للانتقام من الناس .

وإليكم نص الأمر الصادر من مجلس القيادة بشأن تشكيل محكمة الثورة وإجراءاتها :

مادة ١ ــ تشكل محكمة الثورة على الوجه الوارد بالأمر الصادر من مجلس قيادة الثورة بتاريخ ١٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣ من : ــ

قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس قيادة الثورة ... رئيساً

البكباشى أنور السادات « « « « « « « ... عضواً

قائد الأسراب حسن ابراهيم « « « « « « عضواً

مادة ٢ ــ تختص هذه المحكمة بالنظر فى الأفعال التى تعتبر خيانة للوطن ، أو ضد سلامته فى الداخل والخارج . وكذلك الأفعال التى تعتبر موجهة ضد نظام الحكم الحاضر ، أو ضد الأسس التى قامت عليها الثورة . وبالنظر فى الأفعال التى ساعدت على إفساد الحكم وتمكين الاستعمار من البلاد ، وكل ما كان من شأنه إفساد الحياة السياسية ، أو استغلال النفوذ ، دون مراعاة صالح الوطن . سواء أكان ذلك بالتحايل على أحكام الدستور الذى كان قائماً ، أو

غير ذلك من الوسائل . ولو كانت قد وقعت قبل العمل بهذا الأمر .

كما تختص المحكمة بالنظر فيما يرى مجلس قيادة الثورة عرضه عليها من القضايا ... أيا كان نوعها، حتى ولو كانت منظورة أمام المحاكم العادية أو غيرها من جهات التقاضي الأخرى ، مادام لم يصدر فيها الحكم . وتعتبر هذه المحاكم أو الجهات متخلية عن القضية ، فتحال إلى محكمة الثورة بمجرد صدور الأمر من مجلس قيادة الثورة بذلك .

مادة ٣ ــ يعاقب على الأفعال التى تعرض على المحكمة ، بعقوبة الإعدام ، أو الأشغال الشاقة المؤبدة ، أو المؤقتة أو السجن أو بالحبس بالمدة التى تقدرها المحكمة ؛ ولها أن تقضى فضلا عن ذلك على المتهم بتعويض للخزينة العامة يقابل ما أفاد من أفعال أو ضاع على الخزانة العامة بسببها .

كما يجوز للمحكمة أن تحكم بمصادرة أموال المتهم ــ كلها أو بعضها ــ إذا ما تبين لها أنها كانت نتيجة كسب غير مشروع .

وتقرر المحكمة الطريقة التى يتم بها تنفيذ الحكم .

مادة ٤ ــ ينشأ بمقر قيادة الثورة مكتب للتحقيق والإدعاء ، يلحق به نواب عسكريون ، وأعضاء من النيابة العامة ، يعينهم مجلس قيادة الثورة ، يتولون التحقيق ورفع الدعوى والادعاء بالجلسة فى الأفعال التى تختص هذه المحكمة بنظرها .

ولهم حق الأمر بالقبض على المتهمين وحبسهم احتياطياً ، ويجوز المعارضة فى هذا الأمر .

مادة ٥ ــ يخطر المتهم بالتهمة بيوم الجلسة بمعرفة المدعى ، قبل ميعادها بأربع وعشرين ساعة على الأقل .

ولا يجوز تأجيل القضية لأكثر من مرة واحدة ، ولمدة لا تزيد عن ٧٢ ساعة ويجب على المتهم أن يحضر بنفسه أمام المحكمة . فإذا تخلف جاز القبض عليه وحبسه . وله أن يتولى الدفاع عن نفسه أمام المحكمة ، أو ينيب محامياً واحداً للدفاع عنه ، فى جميع ما هو منسوب إليه .

مادة ٦ ــ تبدأ المحكمة بسؤال المتهم عن الأفعال المنسوبة إليه ، ثم تأخذ فى سماع شهود الادعاء إن كان هناك شهود ، ولها أن تسمع شهود النفى إذا رأت لذلك محلا . ثم تسمع مرافعة المدعى ودفاع المتهم .

ولها أن تتبع من الإجراءات غير ما سبق ... إذا ما رأت وجهاً لذلك .

ولا يجوز المعارضة فى هيئة المحكمة أو أحد أعضائها .

مادة ٧ ــ تجرى المحاكمة أمام هذه المحكمة بطريقة علنية ، إلا إذا قررت جعل الجلسة سرية ، لأسباب تراها . ويصدر الحكم ويتلى فى جلسة علنية ، وذلك بعد التصديق عليه من مجلس قيادة الثورة ، الذى يجوز له تخفيف الحكم إلى الحد الذى يراه .

مادة ٨ ــ أحكام هذه المحكمة نهائية ولا تقبل الطعن بأى طريقة من الطرق ، أو أمام أية جهة من الجهات . وكذلك لا يجوز الطعن فى إجراءات المحاكمة أو التنفيذ .

مادة ٩ ــ يعمل بهذا الأمر ... إعتباراً من تاريخ صدوره .

القاهرة فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٣ .

وكما يتضح من أمر تأليف هذه المحكمة أن القضاة الثلاثة هم ضباط وليسوا مجرد ضباط عاديين بل أعضاء فى مجلس القيادة . فإذا أضفنا إلى ذلك أن رئيس مكتب التحقيق والادعاء هو البكباشى زكريا محى الدين عضو مجلس القيادة أيضاً ، وأن الحكم الذى تصدره هذه المحكمة لا يجوز الطعن فيه بأية صورة من الصور ، وأن مجلس القيادة بما فيه الأعضاء الثلاثة وبما فيه أيضا رئيس مكتب التحقيق والادعاء هو الذى يصدق على أحكام المحكمة ، لاستطعنا أن ندرك مدى ما توفره هذه المحكمة من عدالة للمتهم ؟؟؟ ...

إنى لا أجد هناك ما يدعو لمناقشة أمر تشكيل المحكمة لأظهر مدى منافاته لأبسط قواعد العدالة ، فإن كل من يقرأ يستطيع بسهولة أن يكشف ذلك . لهذا أرى أن أبادر

إلى تقديم نموذج للمحاكمات التى دارت أمام هذه المحكمة . وإنى إذ أقدم هذا النموذج إنما أقدمه كما ورد فى محاضر جلسات هذه المحكمة التى نشرتها وزارة الإرشاد القومى ، وقد اخترت القضية التى حاكمت فيها المحكمة ابراهيم عبد الهادى باشا أحد زعماء الأحزاب السياسية ورئيس وزارة سابق ، وقد اخترت هذه القضية بالذات لأنها أول قضية نظرتها هذه المحكمة ولأنها تتناول محاكمة زعيم سياسى كنت خصما له فى الماضى .

وقد بدأ مجلس القيادة أعمال محكمته الجديدة بالقضية التى اتهم فيها عبد الهادى لعدة أسباب ، فهو أولا كان خصما عنيفاً للإخوان المسلمين ، وفى عهده قتل مؤسس جمعية الإخوان الشيخ حسن البنا ، وكانت الحركة حتى ذلك الوقت على علاقة طيبة بالإخوان المسلمين ، وتبغى كسب رضاء هذه الجمعية . فهى الوحيدة بين أحزاب مصر التى كانت لم تنقلب بعد ضد حكم الجيش ، أما السبب الثانى فهو أن عبد الهادى كان قبل حركة الجيش خصما سياسيا للوفد ، لهذين السببين أعتقد مجلس القيادة أن الشعب سيرحب بمحاكمة عبد الهادى ، وإذا كان هذا هو ما قصده مجلس القيادة فإن ما حققه عبد الهادى من هذه المحاكمة هو عكس ذلك على خط مستقيم ، فإن إجراءات تشكيل المحكمة وسير المحاكمة قد جعل الشعب يحنق على الجيش ، ويشفق على عبد الهادى ، ثم وقوفه أثناء المحكمة موقف الشجاع غير المرتعد أو الخائف رغم أن العقوبة التى طلب ممثل الادعاء توقيعها عليه هى عقوبة الإعدام قد جعل الرأى العام يحترمه ويكبر شجاعته ، لقد أراد مجلس القيادة أن يحقر ابراهيم عبد الهادى لدى الشعب فكانت النتيجة أن احترمه الشعب لشجاعته .

وإذا كان قرار تشكيل المحكمة قد صدر يوم ١٦ من سبتمبر فإن محكمة الثورة قد انعقدت صبيحة السبت ٢٦ من سبتمبر لتحاكم ابراهيم عبد الهادى فى ست تهم أعلنت بها إدارة الاتهام فى الساعة السابعة إلا ربعاً من مساء يوم الخميس ٢٤ من سبتمبر . وإذا لاحظنا أن يوم الجمعة هو يوم عطلة رسمية فى مصر لا تضح لنا أن المتهم لم تكن لديه أية فرصة ليدرس هذه التهم دراسة كافية وليعد دفاعه فيها ، خصوصاً وأن المحامى الذى كان يريد توكيله كان يقضى إجازة نهاية الأسبوع فى الإسكندرية .

وفى يوم ٢٦ من سبتمبر إتضحت حقيقة رهيبة وهى أن التهم الست التى وجهها

الادعاء ضد عبد الهادى لم يجر إلا فى اثنتين منها تحقيق معه ، أما باقى التهم الست فإنه لم يُسأل فى أمرها أى سؤال قبل إحالته للمحاكمة ، أى أنه دخل جلسة المحكمة وهو لا يعرف إلى أى أساس يستند الاتهام فى أربع تهم ، ويزيد من خطورة هذه الحقيقة الرهيبة أن الاتهام الأول الذى وجهته إليه المحكمة وطلبت منه أن يقرر فيها إذا كان مذنباً أم غير مذنب هو اتهام بالخيانة وأن العقوبة المطلوبة هى الإعدام ، هذا الاتهام الخطير وجهته المحكمة إلى عبد الهادى وسألته هل هو مذنب أم غير مذنب دون أن يعرف عنه المتهم أى شيء !

المحاكمة :

وقف المتهم لتواجهه المحكمة بالاتهام التالى :

« أتى أفعالا تعتبر خيانة للوطن وضد سلامته والأسس التى قامت عليها الثورة ، وذلك أنه فى غضون عام ١٩٥٣ عمد إلى الاتصال بجهات أجنبية تهدف إلى الإضرار بالنظام الحاضر ، ومصلحة البلاد العليا » .

فهل أنت مذنب أم غير مذنب ؟

ويقف الأستاذ مصطفى مرعى المحامى ليطالب المحكمة بالتأجيل ، التأجيل لمدة تكفى للاستعداد وتدبير دفاعه عن ست تهم خطيرة فيقول :

ـــ إنى أطلب التأجيل لأية مهلة ترونها . أنا راغب فى أن يأخذ العدل مجراه سريعاً بل أسرع منكم ، ولو شئتم أن أبقى معكم ليل نهار فأنا على استعداد لذلك .

ثم يتحدث عن الادعاء فيظهر بوضوح أنه لم يحدث بالنسبة له أى تحقيق بل أن المتهم لا يعرف من أمره أى شيء ، لا يعرف ما هى الأفعال التى أتى بها والتى اعتبرها مكتب الادعاء خيانة للوطن وضد سلامته ، ولا يعرف أية جهات أجنبية قصد مكتب الادعاء اتهامه بأنه اتصل بها ، ولا يعرف ما هى الأدلة التى استند الادعاء إليها فى توجيهه هذه التهمة الخطيرة .

يقول الأستاذ مرعى :

ــ بخصوص الادعاء الأول لم نتبين وجهه إلى الآن ، واقعة الماهية إيه ... دليله إيه ؟... لا شيء ... إنى لا أعرف ولا يعرف ابراهيم عبد الهادى عنه شيئاً[1] .

ويقول الأستاذ مرعى فى الجلسة الثانية :

ــ بخصوص أننى لم أُمكن من الاطلاع فبالنسبة للإتهام الأول الخاص بتهمة الخيانة طلبت أوراقه للإطلاع عليها فكان الجواب : لا أوراق ..

ويرد عليه ممثل الاتهام البكباشى محمد التابعى ليقول :

ــ لم نتكلم فى الادعاء الأول ، ونحن نريد الكلام فى هذا الادعاء فى جلسة سرية . فيرد الأستاذ مرعى قائلا :

ــ لقد عرضت على القضاء العادى أخطر قضايا المؤامرات ، فنظر بعضها فى جلسات علنية والبعض فى جلسات سرية ، ولكن ما كانت السرية أبدا فى وقت من الأوقات لتحول دون التحقيق الذى يسبق المحاكمة ، ولا خطر فى ذلك لأن فى أيديكم أن تجعلوا التحقيق سرياً فى هذا الادعاء بالذات .

وهنا يتكلم ممثل الادعاء مرة أخرى البكباشى محمد التابعى فيقول :

ــ نحن لم نرد أن نكشف الستار عما لدينا من أوراق خاصة بالادعاء الأول إلا أثناء الجلسة لأننا نرى هناك مصلحة عليا تقابلها مصالح أخرى وهى العلنية ، وطبعاً المصلحة العليا هى التى ترجح . ولذلك طلبنا نظر هذا الادعاء فى جلسة سرية .

ويتدخل رئيس المحكمة الضابط عبد اللطيف البغدادى ليمنع المحامى من الاسترسال فى تبيان مخالفة هذا الإجراء لأبسط قواعد العدالة ، إنه يريد أن يوضح للمحكمة أنه لا يمكن أن يحال متهم إلى المحاكمة دون أن يسبق ذلك أى تحقيق معه ، بل أكثر من ذلك دون أن يستطيع المتهم أو المحامى الموكل للدفاع عنه أن يطلع على أدلة الاتهام ، يقول رئيس المحكمة :

---

(١) ص ٤٥ من كتاب محاكمات الثورة ــ المضبطة الرسمية جلسات محكمة الثورة .

ـ الموازنة بين الاعتبارات التى تدعو إلى السرية أو العلانية ستكون موضع تقدير المحكمة .

يقول رئيس المحكمة هذا الكلام الغريب وكأن موضوع المناقشة قد انحصر فى هل تعقد الجلسة سرية أم علنية ، وكأن المحامى لم يثر مسألة أهم وأخطر من ذلك بكثير ، فيسارع المحامى قائلاً :

ـ أريد أن أتكلم فى ...

فيقاطعه رئيس المحكمة بقوله :

ـ أرجو الإيجاز !

فيرد المحامى ،

ـ إذا كان كلامى فيه تزيد يبقى لحضراتكم الحق ، قانونكم يوجب التحقيق ولا أقول قانون الإجراءات الجنائية بل قانون تشكيل المحكمة ... شوفوا المادة بتقول : « ينشأ بمقر قيادة الثورة مكتب للتحقيق والادعاء يلحق به نواب عسكريون وأعضاء من النيابة العامة يعينهم مجلس قيادة الثورة يتولون التحقيق ورفع الدعوى والادعاء .»

وبدل أن يعترف رئيس المحكمة بأنه لا يجوز تقديم متهم إلى محكمة فى تهمة لم يجر معه بشأنها أى تحقيق وبدل أن يعترف بأن قانون تشكيل المحكمة يوجب التحقيق أولاً قبل التقديم للمحاكمة يبادر فيقول :

ـ للمحكمة ألا تتقيد بهذا الإجراء .

ويصاب المحامى بذهول فيقول :

ـ للمحكمة ألا تتقيد بأى إجراء بالنسبة للمادة الرابعة ؟؟ ...

ويرد رئيس المحكمة :

ـ مش بس بالنسبة لهذا بل بالنسبة لأى إجراء ، فربما نكتفى بالتحقيقات السابقة مع المتهم .

ويصرخ المحامى :

ـ مافيش تحقيقات

ويرد الرئيس :

ــ المحكمة ربما ترى أن تحقق مع المتهم فى الجلسة ، مش المسألة التقيد بقاعدة معينة يجرى عليها العمل فى المحاكم العادية ، كما أن هناك تحقيقاً سابقا فهل اطلعت عليه أولا ؟ ...

ويعود المحامى ليقول :

ــ أولا فيما يختص بالادعاء الأول لم يجر تحقيق ــ لا بمعرفة رجال مكتب الادعاء ولا غيرهم ــ ولم أطلع على ورقة واحدة ولم يسأل فيها ابراهيم عبد الهادى .

وهنا يتدخل الممثل الثانى للإدعاء وهو مصطفى الهلباوى ، فيعترف فى صراحة بأنه لم يجر أى تحقيق مع المتهم بالنسبة للإتهام الأول إذ يقول :

ــ نحن لم نقل أنه حقق معه فى الادعاء الأول .

ويخيم على قاعة المحكمة صمت رهيب . فلقد اعترف الادعاء نتيجة ضغط المحامى الأستاذ مصطفى مرعى بأنه لم يجر أى تحقيق مع المتهم ابراهيم عبد الهادى فى الاتهام الأول ، وهو اتهام بالخيانة للوطن واتهام بالاتصال بجهات أجنبية تهدف إلى الإضرار بمصلحة البلاد العليا وهو اتهام عقوبته الإعدام .

ويشعر رئيس المحكمة بالكارثة التى تهدد كيان هذه المحكمة فى أول قضية تنظرها فيبادر إلى القول :

ــ ربما حيسأل بواسطة المحكمة .

لقد اتضح عندئذ أن هذه المحكمة التى تتشكل من ثلاثة ضباط أعضاء فى مجلس القيادة والتى يرأس مكتب الاتهام فيها زكريا محى الدين عضو مجلس القيادة ، والتى يختص مجلس القيادة أيضا بما فيه الأربعة القضاة ورئيس مكتب الاتهام بالتصديق على الأحكام التى تصدرها المحكمة ، لقد اتضح لنا أن هذه المحكمة قد شكلت للتنكيل بكل من يتوجس مجلس القيادة أى خوف منه . لقد اتضح أن الأمر لا يعدو عملية انتقام من كل سياسى يعارض ، أو تخشى معارضتهلمجلس القيادة أو لحكم الجيش .

وإذا كنت قد ركزت القول لإثبات أن الادعاء الأول لم يجر من قبل تحقيق مع المتهم

بشأنه فإنه ليس معنى ذلك أن باقى الاتهامات قد جرى بشأنها تحقيق بل الثابت من محاضر الجلسات التى نشرتها وزارة الإرشاد القومى أن أربعة على الأقل من الاتهامات الستة لم يجر بشأنها أى تحقيق مع ابراهيم عبد الهادى .

وإذا كان محامى عبد الهادى الأستاذ مرعى قد حاول بكل السبل أن يثبت للمحكمة أنه لا يجوز محاكمة متهم حاضر دون سابق تحقيق معه حتى حصل على اعتراف ممثل الاتهام بذلك إذ اضطر الهلباوى إلى القول : « نحن لم نقل أنه حقق معه فى الادعاء الأول » ، فإنه مع ذلك لم ينجح فى إقناع المحكمة فى أن تأخذ بوجهة نظره فتأمر بتأجيل الفصل فى هذا الاتهام وغيره من الاتهامات حتى يقوم مكتب الادعاء بالتحقيق فى هذه الاتهامات .

ومع ذلك فقد حاول المحامى فى هذه الظروف المنافية لكل قواعد العدالة أن يواصل مهمته فى الدفاع عن موكله ، ولكن يبدو أن رئيس المحكمة وقد رأى مهارة المحامى فى كشف منافاة الادعاء لكل قواعد العدالة بل أبسطها ، قد أيقن أن استمرار الأستاذ مرعى فى الدفاع عن عبد الهادى سيؤدى إلى تمزيق أقنعة العدالة التى أراد أن يلبسها لمحكمته ، ولذلك عمد إلى إهانة المحامى المرة تلو الأخرى إذ قال له :

ــ الآن فيه ادعاء منظور أمامنا والمحكمة عليها أن توازن بين رغبة المدعى ورغبة الدفاع فى أن ينظر الادعاء بصفة سرية أو علنية .

فيرد المحامى

ــ لسه لم أتكلم فى السرية وأنا لى فيها كلام .

فيقول رئيس المحكمة فى ضيق .

ــ يعنى مش حاتخلص ....

فيقول المحامى .

ــ إسمعونى أنا لسه ماقلتش حاجة ....

ويقاطعه الرئيس قائلا :

ــ اختصر أوجز كلامك ... لابد أن تفهم أن هذه المحكمة هى محكمة ثورة ولابد أن تبسط فى الإجراءات والمسألة مش مسألة مماطلة .

ويحس المحامى بالإهانة فيسرع قائلا :
ـ أنا لا أماطل أبداً ...

ويقاطعه رئيس المحكمة مرة أخرى
ـ المفروض أننا نوجز فى كلامنا ونختصر القول :
ويقول المحامى :
ـ عندى أسباب أريد أن تسمعوها ...

ويقاطعه الرئيس ضائقاً
ـ أوجز ...
ويقاطعه المحامى فى عنف :
ـ ياسيدى أنا مش باخطب وأنا عارف أننا فى محكمة ثورة ...
ويعود الرئيس إلى المقاطعة :
ـ لابد أن نفهم أن المحاكمة لابد أن تدور بسرعة
ويؤكد المحامى نيته فى الإسراع فيقول :
ـ لقد عاهدتكم أن أسايركم فى السرعة على قدر استطاعتى
ويدرك رئيس المحكمة أن أعصاب المحامى قد بدأت تنفلت فيقول :
ـ بهذه الطريقة ما تبقاش مسايرة
ويحاول المحامى السيطرة على أعصابه فيقول :
ـ والله أنا حريص على عهدى ألا أعوقكم وألا أعطلكم
ولا يترك رئيس المحكمة الفرصة للمحامى ليتكلم بل يبادر إلى إهانته بأن يقول :
ـ كل هذا الكلام تضييع للوقت ، أدخل فى الموضوع .

ويبذل المحامى آخر جهد للسيطرة على أعصابه . إنه ليس بالمحامى الشاب المبتدىء بل إنه من أكبر المحامين فى مصر ، وله مكانة عليا لدى مختلف الناس . وقد كان أستاذاً للقانون فى كلية الحقوق ، ورغم كل ذلك فإنه يقف أمام شبان لا يعرفون ولم يتعلموا حتى مبادىء القوانين ، ويتلقى الإهانة تلو الإهانة من هذا الضابط الذى كان

حتى الأمس القريب شيئاً مجهولا ، يبذل الأستاذ مصطفى مرعى آخر جهد للسيطرة على أعصابه فيقول :

ــ يا سيدى أقول أن السرّية إن وجدت فهى لا تعفى من التحقيق قبل المحاكمة لازم المتهم توجه له التهمة ويحقق معه ــ ولو تحقيق سرّى ــ قبل أن يأتيكم مهما تكن الظروف مش حانتناول الوجه الثانى . حضرنا إلى المحكمة لاشفنا ورق ولا حقق معنا حيث كان يلزم هذا ، قد يكون من الممكن لى أن أحكم على السرية بعد أن أطلع على الورق علشان نعرف إيه أهميتها وهل أهميتها جدية ، وهل يتطلبها حقيقة أمن البلاد وسلامتها ، كل ذلك يمكن تقدره بعد الاطلاع على الأوراق .

وهنا يتدخل رئيس المحكمة مرة أخرى محاولا وضع العراقيل أمام المحامى وليؤكد له معنى لم يستطع المحامى أن يفصح عنه ولو أنه كان يسيطر على فكره فيقول

ــ هل افترضت أن المحكمة قررت فعلا أن تكون الجلسة سرية ؟ ...

ويتأكد المعنى فى رأس المحامى ويدرك أنه لا مجال للعدالة فى هذه المحكمة ، وأنه من العبث أن يستمر فى أداء واجبه ، ذلك لأنه أصبح من الواضح أن المحكمة مصرة على السير فى اتجاه يوصلها إلى التنكيل بابراهيم عبد الهادى ، ومع ذلك يحاول للمرة الأخيرة أن يواصل مهمته فيقول :

ــ أنا أقول مش مجرد إتهامه بالخيانة يتطلب أن تكون الجلسة سرية .

فيرد رئيس المحكمة فى استهتار

ــ هذه الاعتبارات متروكة لتقدير المحكمة

وبذلك ينقطع الأمل أمام المحامى فيقول فى حزن

ــ أنا آسف أن أقول أنه يظهر أننى مش حاقدر اؤدى واجبى ...

ولا يتركه رئيس المحكمة يكمل كلامه بل يسارع إلى القول :

ــ بين الأسباب التى من أجلها تطلب أن يكون نظر الادعاء فى جلسة علنية لا جلسة سرية ؟ ...

ويرى المحامى أسس العدالة تنهار أمام عينيه فيأبى أن يستمر فى الاشتراك فى مهزلة يقوم بها نفر من الضباط إستطاعوا بقوة الإرهاب السيطرة على مقاليد الأمور فى البلاد ، مهزلة أطلق عليها هؤلاء الضباط إسم محكمة الثورة فرأى المحامى أن خير السبل أن يعلن أن العدالة غير متوفرة ، وأن الظلم بأجلى صوره يرفرف على قاعة المكان فقال فى أسى وحزن :

ــ أنا مش مضطر إلى أن أبين وجهة نظرى ... أنتم كنتم كراماً لأنكم رأيتم أن تحققوا فى محكمة يرفرف عليها علم الثورة ... علم الأمان ... علم إسمكم ... ومقتضيات هذه الأسماء اللامعة ... أنا لا يمكننى أن أعبر عن رأيى بل وأصارحكم أننى عاجز تماما عن تأدية عملى وواجبى ، وأصارح هذا الرجل والأسى يمزق قلبى أننى عاجز عن تأدية واجبى نحوه وأستأذنكم فى أن أتنحى وكلى أسف عن الدفاع عنه .

وتلقف رئيس المحكمة طلب تنحى الأستاذ مرعى فلم تكد تمضى دقيقة واحدة قضاها فى الحديث مع زميليه حتى أعلن :

ــ المحكمة قررت قبول تنحى الأستاذ مصطفى مرعى ، وللمتهم أن يختار من يرى الدفاع عنه وله أن يتولى الدفاع عن نفسه والآن ترفع الجلسة ربع ساعة .

ورفعت الجلسة لمدة ربع ساعة ، نعم خمس عشرة دقيقة تكرم بها قاضى القضاة للمتهم ليختار خلالها محامياً جديداً يترافع عنه أو ليرتب هو دفاعه ، وأى دفاع هذا الذى سيرتبه ، إنه لم يُحقق معه ، ولا يعرف ما هى التهم ، ولا يدرى أسباب محاكمته ، تلك المحاكمة التى أصبح واضحاً انها ستجرى فى الاتهام الأول فى جلسة سرية ، جلسة بعيدة عن أعين وسمع الناس ....

وبعد ربع ساعة أعيدت الجلسة وكان كل ما يطمع فيه عبد الهادى أن يجعل جلسة المحكمة بالنسبة لاتهام الخيانة علنية حتى يبرىء ساحته أمام الشعب المصرى ، إنه لم يكن ليهتم بالعقوبة التى ستنزلها به المحكمة قدر اهتمامه بأن يعلم المصريون بأنه ليس بخائن لوطنه ، ولذلك فقد ركز كل كلامه فى محاولة إقناع المحكمة بأن تكون الجلسة علنية ولكن كل محاولاته تذهب أدراج الرياح ، لقد أصبح مقتنعاً أن المحكمة مصرة على أن تكون المحاكمة سرية ، ولذلك يقف بعد ثلاث دقائق من افتتاح الجلسة ليقول :

ــ أريد أن أقول لكم رأيي .....

ووجه السؤال التالي إلى المحكمة :

ــ أعمل إيه في الفترة البسيطة دي ؟ ...

ثم استطرد قائلاً :

ــ أعمل إيه ... أنا لا أستطيع إطلاقاً بهذا الوضع الذي أنا فيه أن أقدم أي مستندات ... ولا أستطيع أبداً أن أقدم دفاعي بحال من الأحوال ، أنتم لا تريدون أن اسير بقدمي لذلك أنا أترك أمري إلى الله ، إنني رجل لازلت مصرياً ولازلت منكم ومن حقي أن اطلب إلى رجال هذه الثورة وإلى المحكمة أن يعطوني حماية مصرية وأن يعطوني سبيلا للدفاع عن نفسي وأنتم غير مقيدين إلا بضمائركم .

وسكت لحظة ثم قال في حزن ولكن في صوت قوي :

ــ إفعلوا ما شئتم أنا أمامكم وبين أيديكم والله سبحانه وتعالى يتولانا ويتولاكم ... وأقول مرة أخرى أنا لا أحمل غلا ولا حقدا وأثق بالله ... ولازلت وسأبقى إلى آخر لحظة الشاب المصري الناشيء الذي عاش لبلده والله سبحانه وتعالى بيده التوفيق .

وجلس الرجل وظل ملتزما موقفه الذي أعلنه في صراحة . لقد سأله رئيس المحكمة

ــ إحنا عاوزين إجابة على سؤال المحكمة ؟ ...

قال : ــ تركت لكم الأمر ...

فسأله الرئيس : ــ هل وكلت عنك محامياً ؟ ...

فرد : ــ لا أستطيع

الرئيس : ــ حتى ولا أمر الدفاع عن نفسك ؟ ...

المتهم : ــ أنا لا أستطيع أن أعمل شيئاً

الرئيس : ــ يعني حتدافع عن نفسك

المتهم : ــ لم يعد عندي أي حاجة ... هذا خلاصة ما لدي

وعند ئذ أعلن رئيس المحكمة ما يلي :

قررت المحكمة ما يأتي :

اولا ــ فيما يختص بالدفاع عن المتهم قررت المحكمة الأكتفاء بدفاع المتهم نفسه
ثانيا ــ قررت المحكمة نظر الادعاء فى جلسة سرية وذلك بعد سماع الادعاءات المقامة عليه .

ونظر الادعاء فى جلسة سرية ثم صدر الحكم على ابراهيم عبد الهادى بالإعدام ، ومما هو جدير بالذكر أن هذا ليس أول حكم يصدر عليه بالإعدام فقد سبق للإنجليز أثناء احتلالهم مصر أن حكموا على ابراهيم عبد الهادى بالإعدام فى سنة ١٩١٩ عندما كان طالباً يجاهد مع الطلبة فى تخليص مصر من الاحتلال البريطانى وخففت السلطة البريطانية الحكم لصغر سنه .

ولقد تلقى ابراهيم عبد الهادى حكم الإعدام برباطة جأش نادرة ، وإذا كان الاتهام قد نظر فى جلسة سرية ، فإن أمره قد عرف ، إذ تسربت هذه الأسرار بواسطة بعض الضباط ، وإذا كان القارىء قد اشتاق لمعرفة أدلة تهمة الخيانة التى حكم بسببها على ابراهيم عبد الهادى وهو فى سن تجاوزت الستين بالإعدام فإنى أقدمها إليه .

وجه رئيس المحكمة إلى ابراهيم عبد الهادى تهمة الخيانة العظمى وبناها على واقعتين أو دليلين . أما الدليل الأول : فهو أن السفارة البريطانية قد اتصلت بمنزله بالمعادى ــ ضاحية من ضواحى القاهرة ــ مرتين .

أما الدليل الثانى : فهو أن سيارة القنصل البريطانى وجدت فى الشارع الذى يقع به منزله فى الإسكندرية ثلاث مرات .

وبنى الادعاء إتهام عبد الهادى بالتآمر مع الإنجليز على أساس هذين الدليلين .

وكان رد عبد الهادى على الدليل الأول أن السفارة قد اتصلت فعلا بمنزله بالمعادى مرتين ، ولكنه فى المرتين لم يكن بمنزله بالقاهرة ، وأن الخادم أخبر المتحدث أنه أى عبدالهادى ببلدته فلم يحاول المتحدث الاتصال به هناك ، وأضاف إلى ذلك قوله : « إنكم تراقبون تليفونى حيث تعلمون أن السفارة قد اتصلت بى مرتين ، ولا أنكم تراقبون أيضاً تليفون منزلى بالبلدة ، ولذلك تستطيعون التأكد من أن السفارة لم تتصل بى فى البلدة .
« ثم ختم رده على هذا الاتهام بقوله : » « وهل أنا مسئول عمن يطلبنى تليفونياً ؟ ؟ .

أما بالنسبة للإتهام الثانى فكان رده فى غاية البساطة إذ قال « إن الشارع الذى به منزلى بالإسكندرية يوجد به أيضا منزل الملك زوغو ملك ألبانيا السابق وهو على صلة وطيدة بالقنصل البريطانى بالإسكندرية ، وهو يتردد عليه لهذه الصداقة » ، ثم أضاف « وما دمتم تراقبون منزلى فإنكم ولا شك تعلمون ما إذا كان القنصل البريطانى قد حضر إلى الشارع لزيارتى أم لا . »

لقد كانت هذه هى أدلة الاتهام وكان هذا هو رد ابراهيم عبد الهادى عليها .

ومع ذلك فقد صدر الحكم بإعدام ابراهيم عبد الهادى شنقاً .

هذه هى محكمة الثورة وهذا هو نموذج من القضايا التى نظرتها ، والحقيقة أن هذه المحكمة تحتاج وحدها لكتاب كامل يشرح كيف يسخر الحاكم الديكتاتورى ما يسميه بمحاكم عسكرية أو محاكم الثورة أو مجالس عسكرية لخدمة مآربه فى محاربة كل من يوجس خيفة منه ، لقد سخر الحكم العسكرى فى مصر محكمة الثورة لتحطم كل شخصية سياسية . فقد حاكمت زعماء وقضت عليهم بأحكام قاسية ، حاكمت فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد واتهمته باستغلال النفوذ ، وقد استطاع سراج الدين أن يوضح الحقائق وأن يثبت أمام المحكمة نزاهته وقدرته السياسية بل إن خصومه السياسيين قد شهدوا له بالنزاهة والكفاءة ، فقد شهد زعيم حزب الأحرار الدستوريين الدكتور محمد حسين هيكل باشا وهو زعيم حزب يعارض الوفد منذ أكثر من ثلاثين عاماً بأن سراج الدين كان مفخرة للحياة النيابية ، ورغم كل الجهود التى بذلتها المحكمة لتشويه سمعة سراج الدين فإنها لم تفلح بل كانت المحاكمة بما أدلى به سراج الدين من بيانات وبشهادة خصومه مفخرة له ، مما اضطر معه رئيس المحكمة أن يقول أثناء الجلسة « لا نشك فى نزاهتك » .

وعلى الرغم من هذا التصريح الواضح من رئيس المحكمة فقد صدر حكم ضد فؤاد سراج الدين بالسجن مع النفاذ لمدة خمسة عشر عاما .

ومن متناقضات بل من أحكام محكمة الثورة المصرية التى أذهلت كل إنسان أنها كانت تصدر أحكامها على أشخاص لم يُقدموا لها كمتهمين ، فمثلاً أثناء الحكم فى قضية

سراج الدين شمل الحكم تجريد أحد إخوته من أملاكه ، مع أن هذا الأخ لم يقدم للمحاكمة ولم تسمع أقواله لا أمام سلطة التحقيق ولا أمام المحكمة .

لقد سعت حركة الجيش إلى تحطيم نفسية كل السياسيين القدامى بالاعتقالات ومصادرة الأموال وبالمحاكمات المجردة من كل أسس للعدالة فلم تفلح لأن زعماء العهد السابق على حركة الجيش كانوا رجالاً يحافظون على كرامتهم ويرفعون الرؤوس رغم كل اضطهاد وحرمان .

الفصل الثامن

الخلاف بين عبد الناصر ونجيب

فى شهر مارس سنة ١٩٥٣ كان جمال عبد الناصر قد استطاع تصفية الكثير من الحواجز التى اعترضت طريقة ، كان قد أصدر قانون تحديد الملكية وحطم المعارضة التى قامت فى وجه هذا القانون ، وكان قد ألغى الأحزاب السياسية واضطهد زعماءها بحيث أصبحت مقاومتهم له لا تشكل خطراً عليه ، وكان قد فصل من وظائف الحكومة والجيش كل من تخيل فى وجوده خطراً عليه ، وكان قد أحكم شبكة الجاسوسية على الشعب وعلى الأجانب وداخل صفوف الجيش ، وكان قد ابعد رشاد مهنا وأحكم حصاره على طلبة الجامعة ليضمن عدم قيام الطلبة بأى عمل يعبرون فيه عن معارضتهم لحكمه ، وكان قد أرهب العمال بمحاكمات كفر الدوار وسيطر على جميع مرافق الحكم عن طريق ضباط أرسلهم فى كل فرع من فروع الوزارة باسم مندوبى القيادة وأحكم الرقابة على الصحف .

كان عبد الناصر قد نجح فى تحقيق كل هذه الأهداف وفى تحطيم كل هذه الحواجز وبرغم ذلك فقد كانت هناك حواجز أخرى كثيرة ضخمة يجب عليه أن يحطمها حتى يستطيع الوصول إلى كرسى الرياسة ، كان أمام جمال عبد الناصر إنهاء الملكية ، وكان أمامه أيضا لجنة الدستور ، تلك اللجنة التى بدأت تعمل وتعد دستوراً لحكم مصر ، وكان أمامه جماعة الأخوان المسلمين ، وهى وإن كانت حتى ذلك الوقت تؤيده أو بتعبير أدق تؤيد حركة الجيش فإنه ما كان يطمئن إليها ويعتقد أن هذا التأييد إنما مصدره اعتقاد الأخوان المسلمين بأنهم سيسيطرون على الحركة ويحولوها إلى حركة تنفذ اغراضهم ومبادئهم السياسية . وكان أمام جمال عبد الناصر حاجزاً أقوى من كل هذه الحواجز وهو اللواء محمد نجيب وما يتمتع به من تأييد شعبى .

كانت كل هذه حواجز قوية تواجه عبد الناصر . وكان عليه أن يحطمها الحاجز تلو الآخر أو يعمل على تحطيمها معاً ، وكان تطور الأمور يوجب عليه أن يحطم الحواجز جميعها فى وقت واحد وكانت مشاعر الأخوان المسلمين نحو الحركة قد بدأت تتغير

تدريجياً عندما أحسوا أن جمال عبد الناصر يسعى إلى إقامة حكم ديكتاتورى لينفرد هو بالحكم .

وقد رفض الأخوان المسلمون الانضمام إلى هيئة التحرير فبدأ عبد الناصر يعد العدة للقضاء عليهم ، وأدركوا ذلك فبدأ تأييدهم للحركة ينصرف إلى تاييد شخصى لمحمد نجيب وقد أغضب هذا عبد الناصر وأخذ يكيد لهم ويحاول التفريق بين صفوفهم وكلما أمعن عبد الناصر فى مكائده إتضح تحول موقف الأخوان من التأييد لعبد الناصر إلى معاداته أو بلغة أصح إلى تأييد محمد نجيب .

ولقد تحدثت فى بعض الفصول السابقة عن شخصية اللواء محمد نجيب ولما كنت سأتحدث فى هذا الفصل عن الكفاح المرير الذى دارت رحاه بين جمال عبد الناصر وبينه فى بضع سطور فإنى أرى أن الخص حياته .

محمد نجيب من مواليد السودان . فقد ولد فى الخرطوم فى ١٩٠١/٢/٢٠ وهو سليل أسرة عسكرية عريقة وحاصل على ليسانس الحقوق ودبلوم الدراسات العليا للدكتوراه فى الاقتصاد السياسى والقانون الخاص وقد حصل على هذه الشهادات جميعها وهو ضابط صغير فقد كان يقضى معظم أوقات فراغه فى دراسة القانون .

وقد حصل أيضا على شهادات أركان الحرب من مدرسة أركان الحرب العسكرية بالقاهرة .

وقد اشترك فى حرب فلسطين ورغم رتبته العسكرية الكبيرة إذ كان فى ذلك الوقت برتبة أميرآلاى فإنه لم يكن يقنع برسم الخطط والبقاء خلف خطوط القتال بل كان يشترك فى المعارك إشتراكاً كاملاً ، وكانت أهم المعارك التى خاضها هى معركة « التبة ٨٦ فى دير البلح إذ أصيب برصاصة إخترقت صدره من أسفل القلب ونفذت من الظهر » .

وبعد حرب فلسطين أسس جمعية مشوهى الحرب وعمل على تحقيق فكرتها وانتخب رئيساً لها وكان يكرس الكثير من وقته لتنجح الجمعية فى عملها وتصل إلى تأدية رسالتها ، وكان يقوم بنفسه بجمع الأموال لمشوهى الحرب وبالدعاية لأغراض وأهداف الجمعية عن طريق الصحف ، وكان يوالى زيارة وتفقد أحوال مشوهى الحرب .

وكان محمد نجيب بعد حرب فلسطين مؤمنا بضرورة تغيير الأوضاع فى الجيش وطرق تسليحه ، وقد اتصل بى عن طريق أحد أصدقائى وكان يجتمع بى سرا فى عيادة أحد الأطباء ليشرح لى الحالة فى الجيش ويُفصّل لى الأخطاء ويطلب منى أن أقوم بفضح هذه الأخطاء والمطالبة بتحقيق قيام جيش قوى مزود بأحدث الأسلحة وقد نشرت عدة مواضيع بصفحات المصرى الأولى كل بياناتها كانت مستمدة منه .

وقد رأى جمال عبد الناصر قبل بدء الحركة ببضعة أشهر أنه لابد لنجاحها شعبياً أن يكون على رأسها أحد كبار الضباط ورشح البعض اللواء فؤاد صادق قائد حملة فلسطين فذهب إليه صلاح سالم ولما أخبره بما جاء من أجله إشترط عليه بعض شروط فلما أبلغها صلاح سالم لزملائه صرفوا النظر عنه .

واتفقوا بعد ذلك على اللواء محمد نجيب . وقد رشحه لهذا المنصب صلته بأكثر الضباط ، تلك الصلة التى قامت وتوثقت أثناء حرب فلسطين واضطهاد الملك له بسبب الصراع الذى قام بينه وبين اللواء حسين سرى عامر أثناء كان الأول مدير السلاح الحدود والثانى وكيلا للسلاح والذى انتهى بنقل الملك له من سلاح الحدود إلى سلاح المشاة ، ثم تزعمه جبهة الضباط التى أشهرت الحرب على قائمة مرشحى السراى لرئاسة النادى .

لقد وجد جمال عبد الناصر وزملاؤه فى محمد نجيب الرجل الذى يستطيع عن جدارة أن يرأس عملهم فاتصلوا به وشرحوا له أهدافهم ورغم الفرق فى السن بينه وبينهم ورغم ضخامة مسؤولياته العائلية ورغم ما يؤدى إليه الاشتراك معهم من مخاطر لاحد لها لم يتوان محمد نجيب لحظة عن إعلان انضمامه إليهم قائلا « مصيرى مصيركم والله يوفقنا » .

فلما قام الضباط بحركتهم أرسلوا بعد بدئها بثلاث ساعات سيارة أحضرت محمد نجيب من منزله لينضم إليهم وجاء الرجل ولم يتردد فى حمل مسؤولياته كاملة . وتم اذاعة أول بيان للحركة باسمه مع أن الملك كان لا يزال بمصر . وظل نجيب يعمل ثلاثة أيام متوالية دون أن يغادر مكتبه إلا إلى الاذاعة أو للطواف فى أنحاء المدينة أو لتوديع الملك

عند خروجه ، لقد حمل كل الأعباء المنوطة به ولم يهن أو يضعف أو يتردد أو تغره وسائل الأغراء التى حاول فاروق أن يغريه بها .

وخرج الملك وظل محمد نجيب حلقة الاتصال بين مجلس القيادة وعلى ماهر رئيس مجلس الوزراء ، وكان نجيب هو الذى يستقبل الناس ويتحدث إلى الصحفيين ولم تبدر منه طوال هذه الأيام الدقيقة أية بادرة للضعف أو التردد .

ومرت أيام وهو لا يطالب لنفسه بأى مركز فى مجلس القيادة فإنه كان يحضر اجتماعاته ولا يسمح له بالتصويت على ما يتخذه المجلس من قرارات فلم يتحدث أو يشكو من هذا الوضع الغريب مع أنه كان فى أذهان جميع الناس بل والعالم أجمع المسئول عما يقع فى مصر من تطورات .

وأخيراً قرر مجلس القيادة تعيين محمد نجيب رئيساً له وإعطاءه حق المناقشة والتصويت على ما يتخذ المجلس من قرارات .

فاشترك الرجل معهم كأى فرد منهم وكان يتحمل السهر المضنى والعمل الشاق دون شكوى أو برم .

وكان نجيب يرى بقاء حكومة على ماهر حتى يتم إجراء الانتخابات ولكن جمال عبد الناصر إستطاع أن يحصل من مجلس قيادة الحركة على قرار بإقالة وزارة على ماهر وتعيين محمد نجيب خلفا له ، وتم تنفيذ ذلك يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٢ وكان عبد الناصر قد أعد سراً ودون علم نجيب سلسلة قوانين واجراءات لتنفذ بمجرد تشكيل الوزارة الجديدة وكان فى مقدمة هذه القوانين القانون الذى سمى فى ذلك الحين بقانون تنظيم الأحزاب ، وفى مقدمة الأجراءات حركة اعتقالات واسعة النطاق . وكذلك تم إعلان قانون (الإصلاح الزراعى) يوم ٩ سبتمبر .

وعندما علم نجيب بالاعتقالات إحتج عليها احتجاجاً شديداً ولكن عبد الناصر كان يستطيع فى كل خلاف ينشب بينهما أن يحصل على تأييد الأغلبية له ، وكان الاتفاق فى مجلس القيادة أن أى خلاف ينشب داخل المجلس يجب أن يظل سراً ولا يعلم به أحد ، وأن أى قرار يتخذه المجلس يكون ملزماً لجميع الأعضاء .

وعلى الرغم من ذلك فقد تألم نجيب ألماً بالغاً للاعتقالات ، لا لشيء إلا لأنه كان يرى أن الحركة قد قامت لتحقيق الحريات لا لتقييدها ، وأن القوانين الطبيعية هى السلاح الذى يشهر فى وجه كل انسان يرتكب أية مخالفة لها ، وقد حاول عدة مرات إثارة أمر الأفراج عن المعتقلين ولكنه لم يفلح فى ذلك .

وفاجأ نجيب الجميع بزيارة المعتقلين فى المعتقل ومر عليهم جميعاً وصافحهم ومكث مع كل واحد منهم بعض الوقت وكان مهذباً ولطيفاً معهم ، إذ كان يخاطبهم بألقابهم السابقة رغم أن الألقاب كانت قد ألغيت ، وتحمل الكثير من بعض المعتقلين الذين أغلظوا له القول .

وقد أحدثت هذه الزيارة أزمة عنيفة بينه وبين عبد الناصر وأذكر أنه أخبرنى فى تلك الليلة ــ أى عبد الناصر ــ آثار زيارة نجيب للمعتقلين أنه عنّف نجيب فى حدة وقال له « إنك تريد أن تظهر بأنك برىء من هذه الاعتقالات وبذلك تثبت لهم أن هناك شقاقاً فى المجلس ونحن لا نسمح لك بذلك » .

ولعل هذه كانت أول أزمة عنيفة تنشب بينهما فى سلسلة الأزمات العنيفة التى توالت سراعاً .

وكانت عوامل الخلاف بين جمال عبد الناصر واللواء محمد نجيب ترجع إلى أمرين ، الأول : إختلاف الرجلين فى المبادىء السياسية ؛ فجمال عبد الناصر يريد أن يحوّل حركة الجيش إلى نظام ديكتاتورى يوصله إلى كرسى الرياسة ، أما اللواء محمد نجيب فقد كان يرى أن أفضل ما يمكن ان تؤديه حركة الجيش لخير البلاد هو إقامة حياة نيابية سليمة وإطلاق جميع الحريات ثم عودة الجيش بعد ذلك إلى ثكناته للتفرغ إلى عمله الأصيل ، ولذلك كان يعارض كل إجراء يرمى إلى التطرف أو إلى تقييد الحريات ، ولذلك أيضا كان يرى ضرورة بقاء النظام الملكى حتى يجتمع أول برلمان منتخب وعندئذ يقرر البرلمان شكل الحكم فى مصر .

اما السبب الثانى للخلاف بين عبد الناصر ونجيب : فمرجعه غيرة الأول من الثانى ذلك لأن نجيب إستطاع فى أسابيع قلائل أن يكسب شعبية كبيرة وأن يصبح زعيماً جديداً

لمصر فى الوقت الذى كان جمال عبد الناصر مجهولاً من الشعب الأمر الذى دفعه إلى تجنيد الدعاية له ولكن كل هذه الدعاية لم تفلح فى أن تجعل منه زعيما أو شخصية محبوبة ، وكانت هذه الغيرة ترهب عبد الناصر وتفزعه إذ كان يخشى ألا يستطيع إزاحة نجيب وأن يظل هكذا عقبة كأداء تحول دون تحقيق أهدافه .

وقد ساعدت أسباب وعوامل كثيرة اللواء محمد نجيب فى أن يكون زعيماً محبوباً لدى الشعب المصرى . فلقد اعتبره المصريون زعيم حركة الجيش بالإضافة إلى أنه كان دائم الابتسام بسيطاً مع كل إنسان ، يستقبل كل من يأتى لزيارته ويعامل كل إنسان بلطف وأدب جم ، كما أنه كان يمثل فى أذهان المصريين شخصية المدافع عن الحريات ، حتى صار الشعب يؤمن بأن كل تصرف شاذ أو جائر إنما قد صدر رغم إرادته وأنها جميعها من تدبير جمال عبد الناصر وزملائه أعضاء مجلس القيادة .

ومنذ الأسابيع الأولى من قيام الحركة بدأ نجم نجيب يرتفع رويداً رويداً حتى ملأ الدنيا وقد حاول عبد الناصر أن ينتزع الزعامة من نجيب فأباح للصحف أن تكتب عنه وعن زملائه . وكنت بحكم صداقتى له من أكبر الدعاة له ، كما أن الصحف الأخرى قد دعت له لمعرفتها بأنه الشخص القوى داخل مجلس القيادة . ولكن هذه الدعاية لم تؤت ثمارها ذلك لأنه كان فى كل زيارة له للجامعة أو لأقليم يقابل بالهتاف لمحمد نجيب زعيم الشعب والجيش .

وأثار هذا غيرة جمال عبد الناصر وتحركت الأحقاد فى نفسه ضد محمد نجيب ولكنه لم يشأ أن يسفر عنها لأنه كان يدرك أن الحركة لا تزال مقرونة فى اذهان الناس باسم محمد نجيب وأن أى انكماش لنجيب سيعود بالانكماش على الحركة بأسرها .

كان عبد الناصر يطمع فى أن ينجح فى احتلال المكانة التى يحتلها نجيب عند الناس ولكنه لم يستطع أبداً الوصول إلى ذلك بل إن الوقت كان فى غير صالحه لأن قصص الخلاف بين جمال عبد الناصر ومحمد نجيب وأسبابها كانت تتسرب إلى الناس ويتبين لهم أن عبد الناصر يمثل دائماً عنصر القسوة والغلظة والاتجاه نحو الحكم المطلق وأن نجيب يمثل دائماً عنصر الرحمة والشفقة والاتجاه نحو الحكم الديموقراطى .

واحتدم الصراع بعنف ومرارة حينما اعتقل مجلس قيادة الحركة أو بلغة أصح جمال عبد الناصر مئات من طلبة الجامعة ، فلقد حزن نجيب لهذا التصرف الذى تم دون علمه رغم كونه رئيساً لمجلس الوزراء ولمجلس قيادة الحركة ، وقد تسبب عن حزنه إصابته بضعف عام إضطر على أثره إلى الاعتكاف فى داره بضعة أيام .

ومنذ أن وقع هذا الاعتقال الجديد ظل محمد نجيب فى كل جلسة يعقدها مجلس القيادة يحاول أن يوضح لأعضاء المجلس خطأ هذا الأجراء وكثيراً ما قال لهم : « لقد كان الشعب كله معنا ، فلماذا نعمل على إثارته وتأليبه علينا ، إن وراء كل معتقل أسرة وأقارب وأصدقاء وجيران يتألمون ، فلماذا لا نفرج عنهم ؟ لقد قامت حركتنا هذه لإطلاق الحريات وقد أفرجنا عن المعتقلين ، بل والمحكوم عليهم سياسيا بمجرد قيامنا بحركتنا ، وقد صفق لنا الشعب بأسره فما بالنا نعود فنعتقل الناس بالجملة ؟ » .

وكثيراً ما كانت آراء نجيب هذه تثير عليه عبد الناصر فيعنفه هو وصلاح سالم بقسوة ولكنه كان يتحمل بهدوء ليواصل كلامه قائلا : « إن كل حاكم اضطهد الطلبة كان مصيره الفشل وسخط الشعب عليه ، فلا اقل من أن تبادروا بالافراج عن الطلبة » .

وقد ظل نجيب يواصل ليلة بعد أخرى محاولاته للافراج عن المعتقلين عامة والطلبة خاصة ، حتى اضطر جمال عبد الناصر تحت إلحاح نجيب إلى الافراج عن الطلبة ، وقد قام عبد الناصر بذلك ليس فقط تحت إلحاح نجيب ولكن كان يأمل من وراء ذلك إلى تحقيق أهداف بعيدة يقتضى تحقيقها إرضاء نجيب مؤقتا .

لقد أحس عبدَ الناصر أن الأمل فى أن يصير زعيما شعبيا محبوباً إن هو إلا خيال كاذب لا يمكن تحقيقه بأى حال من الأحوال ، وأنه لو انتظر حتى يصير زعيماً شعبياً ثم يتولى بعد ذلك مهام الحكم فإن انتظاره سيطول ولذلك رسم خطته فى تولى منصب الوزارة على أساس إلغاء النظام الملكى وإعلان النظام الجمهورى ، وبذلك يتولى نجيب رياسة الجمهورية ويتولى هو رياسة الوزارة .

وبعد أن رسم جمال عبد الناصر سياسته الجديدة أفرج عن الطلبة وبعد ذلك جمع

مجلس قيادة الحركة وأخذ فجأة يلاطف اللواء محمد نجيب ، وقد فرح نجيب لهذا التغيير في تصرفات عبد الناصر ، فأولاً كان الأفراج عن الطلبة وحده يكفى لإدخال السرور إلى نفسه ، فإذا ما زامل ذلك تغيراً كاملاً فى معاملة عبد الناصر له كان السرور على أشده .

وكان نجيب يحب عبد الناصر رغم كل الخلافات وكان دائماً يقول لأصدقائه المقربين أنه ـ أى عبد الناصر ـ شاب وللشباب رعونته وبذلك يحاول دائماً الدفاع عن تصرفاته القاسية .

وكانت فكرة إلغاء الملكية سبباً فى أزمة حادة إذ فاجأه عبد الناصر بالرأى الجديد وهو الذى يقضى بإنهاء الملكية وإعلان الجمهورية ، وظن نجيب أن ما عرضه عبد الناصر إن هى إلا فكرة طارئة يمكن مناقشتها ، فانبرى يبدى رأيه فى الموضوع وعارض الفكرة ، وسرعان ما تحول لطف عبد الناصر إلى شراسة وبدأت على وجهه علامات الشر والحقد الشديدين وأخذ يسفّه آراء نجيب فى قسوة ، ولكن نجيب ظل يقاوم محاولاً أن يوضح أن أهم ما يجب أن تنصرف إليه حركة الجيش هو إعادة الحياة النيابية أولاً وبعد ذلك يقرر البرلمان الجديد شكل الحكم .

وطالت المناقشات وكثر الجدل بل احتدم فلما أعاد نجيب على أسماع الحاضرين العهود التى قطعها الجيش على نفسه يوم قيام الحركة ، هاج عبد الناصر وقال له : « ماذا فعلت أنت للحركة حتى تصدع رؤوسنا بالحديث عن ارتباطات الجيش نحو الشعب ، نحن الذين صنعناك ، وأتينا بك من عرض الطريق وقبلنا تنصيبك رئيساً علينا وعلى البلد ، والآن نريد أن نعيّنك رئيساً للجمهورية ومع ذلك لا تقبل وتأتى كل ليلة لتحدثنا بل تصدّع رؤوسنا بالحديث السخيف عن مبادىء الحركة وما ارتبطنا به يوم إعلانها بالنسبة للشعب » .

وكان رد نجيب على ذلك قوله : « سواء كنت مشتركاً معكم أم غير مشترك فأنا أمام الشعب مسؤول عن كل ما تتخذونه من أفعال والرأى العام ينظر إلىّ باعتبارى القائم على هذه الحركة والله من فوق هؤلاء شهيد على ما قطعنا من عهود » .

فقال صلاح سالم : « إذا كان الحال لا يرضيك فلماذا لا تفارقنا وتستقيل » وعزّ على نجيب أن يتحمل كل هذه الاهانات فقال : « إذا كان يرضيكم أن أستقيل فأنا مستقيل » . فتناول قبعته وجمع أوراقه من فوق مائدة الاجتماع وهمّ بالانصراف ولكن أحداً لم يتدخل لتسوية الموقف .

وقد روى لى جمال هذه الواقعة ثم أضاف : « وبعد أن غادر نجيب قاعة الإجتماع مرت دقيقتان ثم فوجئنا به يدخل علينا القاعة ويعود إلى مقعده » .

وأعتقد أن نجيب قد عزّ عليه أن يتخلى عن مسئوليته قِبَلَ الشعب وأن يترك مقاليد الأمور لجمال عبد الناصر وزملائه يتحكمون فى رقاب الناس ويسومون الشعب الذل والهوان ففضّل أن يعود ويتحمل مضحياً براحته فى سبيل إنقاذ البلاد .

واستمرت الأزمة تشتد يوماً بعد يوم وظن عبد الناصر أن نجيب قد يكون معارضاً لأنه يخشى أن تضيع منه السلطة إذا ما تولى منصب رياسة الجمهورية وتولى هو رئاسة الوزارة وقال لزملائه : « أعتقد أن نجيب يخشى إذا ما تولى رئاسة الجمهورية أن نحد من سلطانه وأنه قد يتصور أننا سنعامله كما عاملنا رشاد مهنّا فلماذا لا نعرض عليه رئاسة الوزارة أيضاً » .

وعارض أنور السادات فى ذلك ولعل هذه هى المرة الأولى والأخيرة التى عارض فيها عبد الناصر فقال : « أنا لا أوافق على ذلك ومن حقك أنت أن تتولى جميع السلطات إن هذا الرجل طماع ويجب إيقافه عند حده وكان واجباً علينا أن نتمسك باستقالته يوم قال أنا مستقيل وأنا لا أقرك رأيك فى إسناد منصب رئاسة الوزارة بجانب رئاسة الجمهورية إلى هذا الرجل » .

ولما حل اجتماع المساء ابتسم عبد الناصر ابتسامة متكلفة فى وجه نجيب وأخذ يلاطفه وقال : « ياريس لقد رأيت أن تتولى رئاسة الوزارة إلى جوار رئاسة الجمهورية وبذلك نخلص البلاد من النظام الملكى الفاسد وتحتفظ فى نفس الوقت برئاسة الوزراء إلى جوار كونك أول رئيس جمهورية لمصر » .

وصمت عبد الناصر فى انتظار ترحيب نجيب بالعرض ، ولم يتكلم نجيب ، وظل الجميع فى انتظار الكلمة التى ستخرج من بين شفتى الرجل فقد كانوا جميعاً يعلمون أن قبول نجيب لهذا العرض سيفتح لهم باب تولى الوزارات ، ولما طال الصمت بدأ الضيق يستولى عليهم فقال صلاح سالم : « قل رأيك ، تكلم ، ساكت ليه » .

فقال نجيب : « يا إخوانى إن المسألة ليست مسألة مناصب والخلاف الذى نحن بصدده خلاف حول المبادىء التى قامت عليها الحركة ولا تظنوا أبداً أنى أريد التمسك بالنظام الملكى . فلقد عانيت من هذا النظام أشد المعاناة حتى أن البعض كان يحذرنى بأن السراى تريد اغتيالى ، ومع ذلك فإنى أريد أن نفى للشعب بما قطعناه من عهد ونعود إلى ثكناتنا لنشيد جيشاً قوياً يستطيع أن يذود عن البلد ويرفع عن مصر عار معركة فلسطين » .

وكان نجيب لا يميل لأنور السادات ويعلم أنه منحاز لجمال عبد الناصر فلم يعر كلامه التفاتا واستمر فى حديثه قائلا : « يا إخوانى إن الجيش الآن لم يعد جيشا ولقد ترك كثير من الضباط ثكناتهم وتدريباتهم وانصرفوا إلى اللهو والسياسة ، كما أن وجود صغار الضباط فى الوزارات وتحكمهم فى الموظفين قد أوجد موجة تذمر واسعة النطاق بين جميع موظفى الدولة وأنا أخشى إذا استمر الحال على هذا المنوال أن ينحّل الجيش ويتفكك وأمامنا اسرائيل تعمل على تقوية نفسها يوما بعد يوم ويشتد ساعدها وكلكم تعرفون أطماع اسرائيل » .

وضاق جمال عبد الناصر بحديث نجيب وقال « إننا سنعلن الجمهورية أردت أم لم ترد وسنسير فى خطتنا وافقت أم لم توافق وليكن فى علمك أن هؤلاء الضباط الذين تتحدث عنهم وتقول أنهم تركوا ثكناتهم هم الذين أوصلوك إلى المراكز التى تنعم بها الآن ومن حقهم علينا أن نمنحهم بعض السلطات إنك تريد أن تنفرد وحدك بكل ثمار الحركة » .

وأراد نجيب أن يتحدث مرة أخرى عن أهداف الحركة والوعود التى قطعوها للشعب فثار عبد الناصر وقال : « إننا لا نريد أن نسمع هذا الكلام مرة أخرى ... فهمت ... ، لا نريد أن نسمع هذا الكلام مرة أخرى » .

وانصرف نجيب إلى منزله حيث استدعت حرمه أحد الأطباء الذى سهر إلى جوار فراشه ردحا طويلا من الليل .

هذه المعلومات ومادار فى هذه الجلسة وغيرها كنت أحصل عليها من الرئيس نجيب وعبد الناصر وخصوصاً عبد الحكيم عامر .

وكان عبد الناصر قد رتب كل الأمور فقرر إعلان الجمهورية يوم ١٨ من يونيه سنة ١٩٥٣ وتعيين نجيب رئيساً للجمهوريةورئيساً للوزارة وتعيين نفسه وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الوزارة وتعيين صلاح سالم وزيرا للارشاد وجمال سالم وزيرا للمواصلات والبغدادى للحربية وتغيير بعض المناصب الوزارية وقال لزملائه إن هذه خطوة أولى سيتبعها قريباً جداً خطوة ثانية بإشراكهم جميعاً فى الوزارة وكان أن استاء البعض دون أن يظهروا استيائهم لأن البحث كان قائماً على أساس تغيير هيئة الوزارة من مدنية إلى عسكرية ولكنهم قبلوا رأى عبد الناصر لأنهم كانوا يعلمون أن أى واحد منهم يعارض جمال عبد الناصر سيكون مصيره مصير رشاد مهنا .

كمااقترح عبد الناصر أن يتولى عبد الحكيم عامر منصب القائد العام للقوات المسلحه وقد أثار هذا الاقتراح ضجة داخل مجلس القيادة إذ أن عبد الحكيم كانت رتبته فى الجيش (صاغ) فكيف يصبح قائداً ورئيساً على كل الرتب الأعلى منه .

عندئذ اقترح عبد الناصر أن تصبح رتبة عبد الحكيم (لواء) وبذلك يستطيع أن يرأس القوات المسلحة .

أى أن عبد الحكيم يقفز من صاغ إلى لواء متخطيا رتب البكباشى والقائمقام والأمير الاى ليصبح لواء .

ولكن هذه كانت خطة عبد الناصر إذ يصبح هو نائب رئيس الوزراء وعن طريق هذا المنصب يسلب من محمد نجيب تدريجياً سلطاته ويصبح عبد الحكيم عامر صديقه الصدوق فى ذلك الوقت القائد العام للقوات المسلحة وبهذا يضمن السيطرة على الجيش .

وبتعيينه صلاح سالم وجمال سالم وعبد اللطيف بغدادى وزراء يكون قد أرضى (المناكفين) الذين يثيرون نقاشا داخل مجلس القيادة .

وعندما قامت معارضة داخل المجلس حول تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاما برتبة لواء قال عبد الناصر « إننا لا نستطيع أن نترك الجيش دون رقابتنا وأن الخطر سيهددنا جميعا إذا لم نشرف إشرافاً فعالاً على الجيش . وأنكم تلاحظون أن تذمراً وراء تذمر قد بدأ يظهر وأنه لابد من إحكام الرقابة على الوحدات وأنا لا أستبعد أن يقوم فريق من الجيش ذات ليلة فيلقى علينا القبض ونصبح نحن جميعا فى السجون ، والجيش كله يحب عبد الحكيم ولذلك أصر على تعيينه قائداً عاماً للجيش » .

وقال عبد الحكيم أنه على استعداد للتفرغ لشئون الجيش وأنه سيعمل على توطيد علاقته بجميع الوحدات ومراقبتها دون حاجة إلى تولى هذا المنصب ، ولكن جمال أصر وعاد يهدد بالتخلى عن العمل وتكاثر الضباط على عبد الحكيم إذ كانوا قد اقتنعوا بما قاله جمال من ضرورة الاشراف على الجيش ومراقبة حركاته مراقبة دقيقة .

وجاء يوم ١٨ من يونيه وأعلنت هذه القرارات وصارت أمراً واقعاً . ومما هو جدير بالذكر أن أحداً من أعضاء مجلس القيادة لم يكن يقف إلى جوار نجيب سوى الصاغ خالد محيى الدين الذى كان يسعى إلى إعادة الحياة النيابية فى مصر أماباقى الأعضاء فكانوا جميعاً حيث يكون عبد الناصر يعارض كل ما يقترحه نجيب .

وعند إعلان ترقية عبد الحكيم عامر من رتبة صاغ إلى لواء وتوليه رئاسة القوات المسلحة قدم قائد سلاح الطيران اللواء حسن محمود استقالته ورفض كل المساعى لسحبها وتم تعيين اللواء محمد صدقى محمود مكانه

وقد أراد جمال أن يظهر انفصاله عن محمد نجيب فلم يذهب إلى مكتبه برئاسة مجلس الوزراء بل اتخذ له مكتباً فى قيادة قصر النيل ومع أنه كان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء ومن مقتضيات هذا المنصب أن يكون قريباً من رئيس الوزارة إلا أنه لم يكن يدخل مبنى رئاسة الوزارة أبداً .

وكان جمال يستدعى الوزراء إلى مكتبه ويبحث معهم الأمور دون أن يحيط نجيب علماً بها ويعد هو وزملاؤه كل أمر ثم يفاجىء نجيب فى مجلس الوزراء بما يريد وكانت خطة جمال تهدف إلى نزع السلطات تدريجياً من نجيب وإخضاع الوزراء لسيطرته وعزل

نجيب عن مجلس الوزراء بعد أن تم عزله داخل مجلس القيادة . وقد نجح جمال إلى حد كبير فى تحقيق هذه الأهداف ولكن بعض الوزراء كانوا أحيانا يتشيعون لنجيب ولا يقرون بعض الاعمال التى يريدها جمال لما يتضح لهم من عدم نضوجها أو مخالفتها للصالح العام أو مجافاتها للضمير ، ولكنه تغلب على ذلك عن طريق إقرار للتشريعات بواسطة مجلس مشترك يضم الوزراء وأعضاء القيادة .

وشعر نجيب بالمؤامرة التى يحيكها جمال لعزله وأدرك أن جمال إستطاع عن طريق المجلس المشترك أن ينفذ رغباته فراح يفكر فى : هل يترك الوزارة ورئاسة الجمهورية ؛ أيعتزل العمل ويقبع فى داره أم يستمر فى العمل ؟ لقد كان يدرك أن استمراره فى العمل يؤذى اسمه لدى الشعب فجميع الأعمال التى يقوم بها جمال تصدر باسمه هو والشعب لا يعلم بما يدور خلف الجدران ولا يدرى بالجهد والمشقة اللذين يتحملهما .

إنه أمام الشعب رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة المسئول عن كل الجرائم التى ترتكب فى حق الشعب ، ولاحظ أن كل إنسان يجتمع به يحدثه عن الأعمال الفظيعة التى تقوم بها الحكومة مما أشاع الذعر فى النفوس وأدى إلى انهيار الاقتصاد الوطنى وعن الأزمة التى بدأت تطل برأسها وأخذت التفاليس يتزايد عددها مما ساعد على انتشار التذمر بين الناس .

فكر لماذا لا يستقيل ويزيح عن كاهله هذا العبء الثقيل ؟ إنه أثناء النهار يسمع المر من كل من يقابله من المصريين الذين كانوا يفدون على مكتبه يبلغونه شكايات الناس وأسباب برمهم وتذمرهم بالحالة وأثناء الليل يجتمع بجمال ورفاقه فيظل يجادلهم فيشاحنونه ويعتدون عليه بالإهانات والسباب .

فكر فى الإستقالة عشرات المرات وقد نصحه المخلصون له بأن يُقدم عليها فيستريح ويحتفظ بحب الناس له وتتقدم صحته التى ساءت وتدهورت تدهوراً كبيراً حتى بات لا يقوى على مواجهة أعباء الحياة إلا بالأدوية وتعاطى الحقن والمقويات ، ولكنه فى كل مرة كان يعدل عن الاستقالة أملا فى أن يستطيع معالجة الأمور وكان دائماً يردد أن جمال شاب وللشباب طموح ورعونة .

ولكن اتضح له يوماً بعد آخر أن لا أمل يُرجى فى صرف جمال عما هو سادر فيه وبينما هو ضائق يكاد يختنق من الغيظ إذا بفكرة تعبر فى مخيلته فينشرح لها صدره ويستعيد أمله فى إنقاذ وطنه . وكانت الفكرة هى أن الحركة لم يتيسر لها النجاح إلا لأن الشعب قد أيدها ولو أن الشعب عارضها لما نجحت ولا خرج فاروق من البلاد فلماذا لا يلجأ إلى الشعب يتصل به ويقرّبه إليه ويحاول بالتدريج أن يحرضه على المطالبة بحقوقه والتمسك بها فى وجه الجبار الصغير .

كان نجيب منذ بدء الحركة يعمل على الاتصال بالناس وبالهيئات ولكن كانت زياراته فى ذلك الوقت غير مقصود منها إلا مجرد ربط الناس بالحركة فلماذا لا ينظم زيارات مستمرة متلاحقة يكون هدفها ربط الشعب بحقوقه .

على ضوء هذه الفكرة راح يعمل نجيب فكان يخرج فى الصباح من السابعة صباحاً ولا يعود أحيانا إلا فى منتصف الليل . ويحرص فى اليوم على زيارة خمس أو ست مناطق وفى كل منطقة يخطب فى الناس ويلاطفهم ويتحدث إليهم فتراه يفاجىء مدرسة ثم يزور أحد أسلحة الجيش ثم يذهب إلى أحد المستشفيات ويخرج من المستشفى إلى دار إحدى الجمعيات وإذا ما ذهب بعد ذلك إلى مكتبه ظل به يقابل كل من جاء لزيارته وكثيراً ما كان يبقى بالمكتب حتى الغروب دون تناول غداء .

وقد زرته فى مكتبه فوجدته منهكا أشد الانهاك وقد تصبب العرق من جبينه وعلق التراب بحذائه . فقد كان قبل وصوله إلى دار رئاسة مجلس الوزراء قد قام بخمس زيارات وأثناء زيارتى اتصلت به تلفونياً السيدة المحترمة قرينته تسأله عما إذا كان سيعود لتناول الغذاء فاعتذر لها فى اقتضاب وأخذ يلاطفنى رغم معالم الاجهاد البادية عليه وحدثنى حديثاً طويلاً عن الدستور وعن أمله فى أن تعود الحياة الطبيعية إلى مصر وكلما هممت بالانصراف ألح علىّ فى البقاء وأفضى لى بالصراع الذى يخوضه والمتاعب التى يواجهها وعن ضرورة خلق جبهة شعبية .

كان يعرفنى منذ زمن طويل ويعلم بصراعى مع عبد الناصر لإعادة الحياة الدستورية فاستراح إلى وجودى . وحدثنى فى صراحة تامة وقد شعرت بأنه سعيد بهذا

الحديث وأن أعصابه قد استراحت لهذه الزيارة .

لقد أوضحت لى تلك الزيارة مدى الصراع الذى يعتمل فى نفس الرجل ومدى ما يكابده فى سبيل تحقيق أمل الشعب ولم أذكر لانسان ما دار بيننا من أحاديث فى تلك الزيارة خشية أن تصل جمال عبد الناصر فيعمل على التنكيل بالرجل .

وساعد نجيب على تنفيذ خطته والاتصال الدائم بالناس إنشغال عبد الناصر فى مكتبه بل إن جمال كان فرحاً بما أحرز من سلطان سعيداً بأن ينصرف نجيب عن مشاركة المجلس قرارته وبحوثه فتركه لزياراته وخطبه .

ومرت شهور ونجيب لا يشترك فى أعمال المجلس إلا فيما ندر بل أكثر من ذلك أنه غير طريقة معاملته لجمال وبدأ يحرص على أن يظهر اللطف معه فإذا طلب جمال منه أن يخطب فى موضوع معين لا يعارضه بل يلبى طلبه .

وقد لاحظ كبير مصرى على نجيب فى هذه الفترة تناقضاً غريباً . فقد قابلته بعد مقابلة له مع نجيب فقال : « إنى خرجت من هذه المقابلة وأنا مؤمن بأن نجيب رجل طيب لا يحب الأذى ويبغض البطش ومع ذلك فإن بعض خطبه وأعمال وزارته تجمع على عكس ما لمسته فى الرجل » .

وكان الرجل صادقاً فإن نجيب فى هذه الفترة قد آثر أن يستجيب لرغبات جمال كى يتركه يعمل ما يريد حتى إذا ما تهيأ الشعب للعمل ضرب ضربته وكان يؤمن أن هذا هو السبيل الوحيد لتحطيم الديكتاتورية والقضاء عليها وأن بالقضاء عليها ستزول جميع آثار الظلم التى حاقت بالناس .

وزاد نجيب من نشاطه بعد بدء العام الدراسى لسنة ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ وأكثر من زيارة المدارس والمعاهد والأقاليم وأخذ بين حين وآخر يلمح إلى ما يصبو إليه من عودة الحياة النيابية واستقرار الأحوال وبدء جمال يدرك ما يقدم عليه نجيب فأخذ يمنع تدريجياً إذاعة خطبه ويحاول أن يضيق عليه الخناق .

وبدأت تدب فى نفس جمال الغيرة من كثرة زيارات نجيب للهيئات والمؤسسات

فأشار عليه بعض زملائه بأن يقوم هو أيضاً من آن لآخر بزيارات مماثلة ولكن اتضح لجمال بعد بضعة زيارات أنه يُقابل فى كل مكان يذهب إليه بالهتاف لنجيب وأن أحداً لا يهتف له وكان دائماً يرجع ذلك إلى أن الشيوعيين يحاربونه غير عالم أن الناس كانت قد ضاقت صدورها بحكمه وأنها بدأت تدرك أنه وراء كل إجراء شاذ وأن نجيب برىء من الجرائم التى ترتكب فى حق الناس .

وزاد حنق جمال حتى أنه كان يصرح لأصدقائه أن عدوه الأول هو محمد نجيب وأنه لا يكره إنسان قدر كراهيته له .

وكان نجيب يعمد إلى طريقة لكشف مشاعر الناس نحو جمال فإذا ما علم أنه ينوى زيارة أحد الأمكنة عمد إلى الذهاب إلى هذا المكان قبل وصول جمال بربع أو نصف ساعة ، فاذا ما وصل عبد الناصر وجد الناس قد التفت حول نجيب ولا يحفل أحد بوجوده فيضطر صاغرا إلى الانضمام إلى نجيب .

وأذكر أن نجيب كان قد زار جامعة إبراهيم (عين شمس) ثم زار فى اليوم التالى جامعة القاهرة ثم علم فى ذلك اليوم أن عبد الناصر وصلاح سيزوران جامعة القاهرة صبيحة اليوم التالى ، وما أن جاء الصباح حتى كان قد استقل سيارته وتوجه إلى جامعة القاهرة وفوجىء الطلبة بوصول نجيب بدلاً من عبد الناصر فالتفوا حوله وحملوه على الأعناق وأخذوا يهتفون بحياته وبحياة الدستور . وبعد دقائق وصل جمال وصلاح وآخرون فلم يحفل بهم أحد من الطلبة إلا عدد قليل من هيئة التحرير واشتد الهتاف بحياة نجيب وبحياة الدستور .

وكان جمال وصلاح فى ذلك اليوم سيتناولان طعام الغذاء فى منزلى وبعد الغداء إنفرد جمال بى وأخذ يحدثنى عن نجيب حديثاً كله حقد وكراهية .

فقلت له يجب أن تعرف السبب فى حب الناس لنجيب وتحاول أن تعمل على هديه .

فسألنى عن هذا السبب فقلت له أن الناس تعتقد أن نجيب رجل طيب لا يحب البطش أو العنف وأنه لا يوافق أبداً على الاجراءات الشاذة التى تتخذونها وتطبقونها

على الشعب . فالناس يقولون أن نجيب لم يوافق على إنشاء محكمة الثورة التى تعتبر أكبر مهزلة فى تاريخ المحاكم لا فى مصر فحسب بل فى العالم أجمع ، والناس تعلم أو تعتقد أن نجيب لا يوافق على الاعتقالات وضد تكبيل الحريات فلماذا لا تقوم أنت بإلغاء هذه الاجراءات الشاذة فيصفق لك الشعب ويستقبلك فى كل مكان بالفرح والبشر والإعزاز .

وبدل أن يقتنع عبد الناصر بذلك راح يحاول إقناعى بأن كل هذه الأعمال التى أشكو ويشكو الشعب منها ليست من وحيه بل هى من وحى نجيب وقال إن نجيب يعارضه لأنه يريد أن ينفرد بالسلطات وأن نجيب دكتاتور أقسى وأشد من فاروق ، وانفعل جمال عبد الناصر أثناء الحديث وقال كلاماً اذهلنى إذ قال « والله اقتله ... اقتله » فلما استنكرت قوله عاد يقول « إن رصاصة تنطلق تكفى لانهاء المشاكل » وماكنت أتصور أن يصل حقده على نجيب إلى مثل هذه الدرجة التى تخول له أن يفضى بمثل ما أفضى به من تصريحات خطيرة ، واعترضت عليها بقوة .

ويبدو أن عبد الناصر أحس بأنه قد فقد السيطرة على لسانه وأنه صرح بأمر أخطر من أن يصرح به فعاد مستدركا وقال : « إنى أخشى على حياة نجيب فإنه يذهب إلى أماكن مختلفة ودون حراسة ، بل دون أن يخطر وزارة الداخلية سلفاً بالمناطق التى ينوى زيارتها مما قد يعرضه لأخطار » فابتسمت ولم أنطق بحرف ، فعاد يقول : « أليس من الجائز أن يطلق عليه إنسان الرصاص أثناء زيارته لجهة من الجهات ، إن للحركة أعداءاً كثيرين ؟ ... » ولم أعلق على هذه العبارة ايضاً ...

ومنذ ذلك اليوم وكان فى اوائل يناير سنة ١٩٥٤ أخذ عبد الناصر يحارب اللواء نجيب علنا ، وكان يجتمع بالضباط من مختلف الوحدات ويحدثهم حديثاً مسهباً عن آرائه فى نجيب ، وعن الأخطار التى تهدد الحركة إذا استمر على النحو الذى يسير فيه .

وفى هذه الأثناء كانت الأحزاب جميعها قد اتحدت ضد عبد الناصر وقد وجد الشيوعون الفرصة سانحة لهم فكانوا يطبعون المنشورات السرية التى يتهمون فيها عبد الناصر بالانحراف عن المبادىء التى قامت بها الحركة ثم يتطرقون إلى معارضته

على أساس أنه عميل للأمريكان وللنقطة الرابعة ، ثم يتطرقون من ذلك إلى سب امريكا وشتمها والدعوة إلى معاداة الشعب لها .

وفى هذه الأثناء أيضاً كان الأخوان المسلمون قد تطوروا من تأييد كامل لجمال عبد الناصر إلى معاداة له ووقوف إلى جوارنجيب .

لقد كان الشيوعيون يعتقدون أنهم سيستطيعون عن طريق أحمد فؤاد الذى كان صديقاً مقرباً من جمال عبد الناصر والذى كان حتى قيام الحركة يشغل منصب السكرتير العام لمنظمة « حدتو » الشيوعية ، كان الشيوعون يعتقدون أنهم عن طريق أحمد فؤاد هذا وخالد محيى الدين وبعض الضباط الشيوعين سيستطيعون السيطرة على الحركة فلما اتضح لهم عكس ذلك نشطوا ضد عبد الناصر وضد حركته ، بل كانوا فى مقدمة من هاجموا الحركة فى منشورات سرية وقد بدأوا بالهجوم خلال شهر سبتمبر من سنة ١٩٥٣ إذ أصدروا أول منشور لهم ضد الحركة وضد زيارات محمد نجيب للأقاليم وكان عنوان المنشور : « رحلة البهلوان فى آخر الزمان » .

وبعد أن اتضح أن نجيب يخالف عبد الناصر فى اتجاهاته بدأ الشيوعيون يركزون حملتهم ضد عبد الناصر ويعارضونه معارضة شديدة ، وأخذوا يتجهون إلى نشر الخلافات بين نجيب وعبد الناصر على الناس فى منشوراتهم السرية .

وفى يوم من الأيام زارنى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى جريدة المصرى وأثناء الزيارة أخبرنى جمال أن أحمد فؤاد يطبع منشورات ضدهم فاستنكرت أن يكون ذلك صحيحاً وقلت أن أحمد فؤاد صديقكم ولا يمكن أن يقدم على هذا الأمر .

قال جمال إننا كنا فى عهد فاروق نكتب منشوراتنا على آلة كاتبة وبعد قيام الحركة تركنا الآلة عند أحمد فؤاد وكانت هذه الآلة بها عيب واضح وهو سقوط حرف من حروفها فكان لا يظهر فى الكتابة عند استعمال الآلة والمنشور الذى عندنا ساقط فيه نفس الحرف . وبعد انصراف جمال وعبد الحكيم إتصلت بأحد أصدقاء أحمد فؤاد ورويت له ما قاله جمال .

وفى مساء اليوم التالى جاء مرة أخرى عبد الناصر وبصحبته عبد الحكيم عامر إلى مبنى المصرى وأثناء الزيارة ضحك جمال وقال : هل بلغت ما قلناه لك لأحمد فؤاد ؟

فلما لم أجب قال لقد ذهبت أنا وعبد الحكيم وزرناه فى منزله وعاتبته على طبع منشورات ضدنا فأكد أنه لم يطبع أية منشورات وقال إن الآلة الكاتبة فى الصندرة منذ قامت الحركة وذهب وأحضرها وبدل أن يضعها بهدوء على الترابيزة ألقى بها على الأرض وتناثر منها التراب ثم فك الجرائد التى كانت ملفوفة فيها وقال إن تاريخها قديم منذ قامت الحركة وحتى الورق لونه أخذ فى الاصفراره وضحك عبد الناصر وعلق على الموضوع بقوله إنى المسئول عن هذه التمثيلية ولابد أنى بلغت أحمد فؤاد فلف الآلة بجرائد قديمة بعد أن بث فيها بعض الأتربة ثم وضعها فى الصندره .

ولم أعلق على الموضوع .

وهكذا كان الشيوعيون يقفون من حركة الجيش موقف العداء وكذلك الوفد وكل الأحزاب السياسية وكان القضاء قد بدأ يضيق ذرعا بالمحاكم التى يؤلفها الضباط .

أما الأخوان المسلمين فكانوا أيضا يعتقدون أنهم الذين سيسيطرون على حركة الجيش نظراً لوجود عدد من الضباط داخل صفوف الجيش من أعضاء جماعة الأخوان المسلمين ، فلما اتضح لهم أن عبد الناصر لن يخضع لسيطرتهم بدأوا يناصبونه العداء ، خصوصاً وأن عبد الناصر كان قد أخذ يُوقع الخلاف داخل صفوفهم ويحاول تحطيم الجماعة عن طريق إغراء بعض الأعضاء على التمرد على البعض الآخر .

وكان عبد الناصر قد تبين له أن الإخوان المسلمين يناصرون محمد نجيب ويعادون أطماعه فقبض على عدد ضخم منهم وعلى رأسهم المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبى . (وسنشرح علاقة عبد الناصر بالإخوان فى الفصل العاشر بإذن الله .)

وبذلك تجمعت كلمة الأحزاب على اختلاف مشاربها السياسية إلى الوقوف ضد عبد الناصر وزملائه ومساندة نجيب .

الأزمة تنفجر .

كان نشاط نجيب يتزايد يوماً بعد يوم وهو نشاط يعمد إلى الاتصال بالناس فهو تارة يزور الأقاليم وتارة يذهب إلى الجامعات وفى كل مكان يزوره يجتمع الناس حوله يحيونه بالهتافات والترحاب وقام فى نهاية شهر نوفمبر سنة ١٩٥٣ بزيارة لبلاد النوبة وسافر معه صلاح سالم وزير الأرشاد وكانت الأهالى تندفع ترحب بنجيب ولا تعير صلاح سالم أى اهتمام .

كان نجيب فى كل هذه الزيارات يلقى خطباً وتذيعها الإذاعة وتنشرها الصحف مع صور الترحيب الضخم به .

وفوجئت فى أوائل ديسمبر بجمال عبد الناصر يتصل بى ويطالبنى بعدم التوسع فى نشر خطب وصور زيارات نجيب وعلمت أنه اتصل بالأهرام وبالأخبار وأبلغهما بذلك . وسعياً من عبد الناصر إلى إبعاد محمد نجيب عن ممارسة أية سلطة بالنسبة للقرارات التى يتخذها مجلس القيادة اقترح أن يعقد الأعضاء اجتماعاً آخر فى منزله أو فى أى مكان آخر للبحث فى القرارات بشرط ألا يحضر نجيب هذه الاجتماعات وبذلك تتحول اجتماعات المجلس التى كانت تنعقد فى قيادة الجيش كل يوم أحد ويحضرها نجيب إلى اجتماعات صورية .

وفى النصف الأول من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣ كان كل مصرى يعرف أن الخلاف بين عبد الناصر ونجيب قد بلغ ذروته وأن عبد الناصر يريد أن يتخلص من خصمه .

وعلى الرغم من سيطرة عبد الناصر على زملائه إلا أن بعضهم كان يرى ان انفضاح أمر الخلاف ضار بمستقبل الحركة ويريد تصفية هذا الخلاف لأن نجيب هو المستفيد فالمصريون يؤيدونه رغم كل محاولات عبد الناصر وزملائه الظهور بمظهر المدافعين عن الديموقراطية .

كان عبد الناصر قد خطب فى اجتماع شعبى انعقد فى مدينةالأسكندرية ونشرت المصرى والجرائد خطابه فى إعداد يوم ٣٠ نوفمبر وهاجم الكثير من الإجراءات المقيدة لحريات الشعب وأراد بذلك أن يلقى بمسئوليتها على نجيب وأيده فى نفس الاتجاه الشيخ الباقورى عندما ألقى خطابه فى الاجتماع .

هذه المحاولات لتصوير نجيب بأنه هو الذى يعتقل ويقيد حريات المصريين لم تكن لتنطلى على أحد وكان البغدادى وزكريا وغيرهما يقدرون أنها لا تضر بنجيب بل تفيده ولذلك عندما جمع عبد الناصر المجلس يوم ١٨ ديسمبر فى استراحة بالهرم ليناقش الموقف بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين وهو اجتماع لم يتم إخطار نجيب به أثار بعض الأعضاء أمر الخلاف مع نجيب موضحين أنه ليس فى مصلحتهم، وأن المستفيد منه شعبياً هو نجيب .

وبعد يومين أى فى مساء يوم ٢٠ ديسمبر اجتمع المجلس بحضور محمد نجيب وشن جمال عبد الناصر هجوماً عنيفاً على تصرفات نجيب واتهمه بأنه يسعى إلى السلطة والانفراد بها وطلب منه أن يستبعد من مكتبه ضابطين هما محمد رياض ورياض سامى فرفض نجيب وثار عبد الناصر وهدد نجيب بعواقب موقفه .

وأخبرنى الصديق محمد رياض بتفاصيل الاجتماع الصاخب ولكن لم تكن الرقابة لتسمح بنشر أية أنباء عنه كما أخبرنى أن الاجتماع استمر حتى شروق الشمس أى حوالى تسع ساعات مما أنهك نجيب وألزمه الفراش .

أزمة حل الاخوان المسلمين .

كان موقف الإخوان المسلمين قد أصبح سافراً فى العداء لجمال عبد الناصر خصوصاً بعد تكوينه (هيئة التحرير) التى كان يرأسها ويولى عليها الضابطين طعيمة والطحاوى إذ أراد عبد الناصر أن ينضم الاخوان لها فرفضوا الانضمام بل اصطدموا فى خناقات مع المنتسبين إليها داخل مبنى الجامعة .

وجن جنون عبد الناصر إذ وصلته أنباء الجامعة بأن طلبة الإخوان قد ضربوا بقسوة الطلبة المنضمين لهيئة التحرير فأصدر يوم ١٢ يناير قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين واتخذ فى نفس اليوم سلسلة من الإجراءات منها الأمر باعتقال أعضاء الجماعة وعلى رأسهم المرشد العام وابنه ومئات آخرون وفصل طلبة وموظفون ، وضباط جيش وبوليس بتهمة اتصالهم بالجماعة .

وكان معروفاً أن عبد الناصر هو الذى قام باتخاذ كل هـذه الاجراءات ولكنـه بسذاجة أراد أن يروج ويشيع أن نجيب هو صاحب هذه القرارات .

إمعاناً من عبد الناصر فى محاولاته إلباس نجيب مسئولية هـذه القرارات ضـد الاخوان قرر أن يذهب إلى إجتماع كان سينعقد يوم ١٢ فبراير بمناسبة ذكرى مقتل الشيخ حسن البنا ولكنه علم أن نجيب سيذهب إلى الاحتفال بذكرى الأستاذ البنا المرشد مؤسس الجماعة . ثار عبد الناصر ثورة فى غاية العنف إذ كان عبد الناصر يتصور أن ذهابه بمفرده سيبرئه من مسئولية حل الجماعة والإجراءات التى تم اتخاذها وأعلن عبد الناصر أنه لا يمكن أن يتعاون مع محمد نجيب وأخذ يسبه بأقذع الألفاظ ويهدده بالانتقام كما يهدد بالعودة إلى الجيش متخلياً عن موقعه فى مجلس قيادة الحركة وكثرت الاجتماعات الليلية تارة فى منزل أحد الأعضاء وتارة فى مبنى مجلس القيادة وشهدت تمزقات فى الرأى بين أعضاء المجلس فمنهم من يرى ترك الأمور لمحمد نجيب كى يفشل فى إدارة شئون الدولة وبطبيعة الحال كان مثل هذا الاقتراح لا يريح أعصـاب عبد الناصر فهو رغم صراخة بأنه ينوى العودة لصفوف الجيش كان يقول ذلك من باب التهويش ولم شمل أعضاء المجلس حوله وزيادة عدائهم لنجيب .

ولم يذهب عبد الناصر إلى مكانه القديم فى الجيش بل تناسى صراخه وزاد من اهتمامه بامر هيئة التحرير التى كان يتصور انها ستكون حزبه الذى سيجمع الملايين لتسانده ضد نجيب ولكن الهيئة ظلت عاجزة عن تحقيق هذه الامنية ورفض المصريون عضويتها الاحتالة من المنتفعين عضويتها .

وتوالت الازمات :

وعاشت مصر طوال شهر فبراير ولاحديث للمصريين الا عن الازمات التى تمزق العلاقات بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر .

انتشرت الاشاعات انتشارا سريعا وكان تلهف الناس عـلى معرفـة ما تـروجه الاشاعات كبيرا .

اشاعة تقول بأن هناك نية إلى قتل محمد نجيب .

واشاعة تقول بأن جمال عبد الناصر يعد قوائم باسماء كل من يرى تصفيتهم قتلا .

واشاعة تقول إن كمال الدين حسين والبغدادى وحسين الشافعى يعارضون الاغتيالات وأن التمزق زاد داخل المجلس وتصارعت الاراء حول انسحاب المجلس وعودة الاعضاء إلى الجيش أم البقاء وعزل محمد نجيب أم إقامة شكل من أشكال الديموقراطية . ولم تكن الاجتماعات تنتهى إلى قرار .

وكل يوم تظهر اشاعات جديدة والناس تائهة لا تعرف ايها الحق وايها الباطل إلى أن جاء يوم الاحد ٢١ فبراير وهو اليوم المخصص لاجتماع مجلس القيادة .

حضر نجيب وذهب إلى مكتبه حيث من المقرر أن ينعقد الاجتماع وبعد حوالى الساعتين غادر نجيب مبنى مجلس القيادة متجها ولم يعرف الصحفيون عن الاجتماع شيئا .

هل انعقد الاجتماع أو لم ينعقد وككل امر بدأت الانباء تتسرب بأن الاجتماع لم ينعقد اذ ظل نجيب ينتظر ساعتين حضور الاعضاء الذين كانوا مجتمعين فى مكتب عبد الناصر فلما لم يحضروا ترك المبنى .

وقالت الانباء أن الاعضاء ظلوا مجتمعين فى مكتب عبد الناصر يناقشون الموقف .

وتسربت انباء بأن هذا الاجتماع كان يمثل أوضح صور الخلاف والارتباك داخل مجلس القيادة فالاراء متضاربة والنفوس بعضها ثائرة وبعضها تعانى القلق وبعضها تريد الاحتفاظ بالسلطة باى ثمن .

كما تسربت أنباء من رجال محمد نجيب أنه بينما اعتكف فى منزله يوم ٢٢ فبراير اذ فوجىء بزيارة جمال سالم والشافعى وكمال الدين حسين وأن جمال سالم اخبره بان المجلس يريد أن ينهى الخلافات ولذلك قرر أن يبقى نجيب رئيسا للجمهورية وأن يتولى عبد الناصر رئاسة الحكومة وأن نجيب سخر من الاقتراح مما اثار غضب جمال سالم وانسحابه هو وزملاءه .

كانت أمور مصر معطلة والوزراء من المدنيين فى حيرة والوزراء العسكريون لا يذهبون إلى مكاتبهم فى الوزارت .

وكان اهتمام الصحفيين مركزا حول ما يدور داخل مبنى القيادة وفى صباح يوم ٢ فبراير علم الصحفيون بأن اجتماعا سيتم عقده لاعضاء المجلس فتجمعوا ليراقبوا ما سيسفر عنه هذا الاجتماع المفاجيء .

اخذ الاعضاء يفدون على المجلس ورفض أى واحد منهم الادلاء باى تصريح وكان اشدهم غلظه ــ وتجهما جمال سالم ولم يحضر محمد نجيب وظل المجلس مجتمعا والصحفيون ينتظرون وأثناء ذلك حضر إلى المبنى اليوزباشى اسماعيل فريد الذى كان مكلفا بحراسة نجيب .

حاول الصحفيون عبثا أن يتبينوا سبب قدوم اسماعيل فريد فلم يجب على أسئلتهم وأسرع متبسما إلى داخل المبنى .

وطال الاجتماع وعند انصراف اسماعيل فريد من المبنى أصر على رفض ذكر أسباب حضوره .

قمة الأزمة : استقالة نجيب .

اثناء انعقاد اجتماع ضباط القيادة تسربت أنباء والمعروف انها تسربت بناء على رغبة محمد نجيب لتصل للمسئولين فى الصحف والأنباء أن الرئيس نجيب قد حمل الضابط اسماعيل فريد خطابا ليوصله لأعضاء مجلس القيادة والخطاب يحوى قرار الرئيس نجيب بالاستقالة من جميع مناصبه حرصا على مصالح مصر .

وكان وصول هذا النبأ إلى المسئولين عن الصحف اليومية بمثابة قنبلة شديدة الانفجار تفجرت لتدمر الحركة وقيادتها ذلك لأن إجماع المصريين كان منعقداً على الالتفاف حول نجيب .. واستقالته التى يقول فيها إن الدافع إلى تقديمها هو الحرص على مصالح مصر تقطع بأن الخلافات قد وصلت إلى درجة التفجير .

وأخذت الأنباء تتجمع حول أثر الخطاب والاستقالة على أعضاء المجلس المجتمع وعرف أن وقع الاستقالة على الجميع خصوصاً عبد الناصر الذى ثار ثورة شديدة كان كالصاعقة .

وقالت الأنباء أن عبد الناصر قد أخذ يسب محمد نجيب بأبشع الألفاظ وأن الهرج قد استولى على الاجتماع وأخذ كل واحد ينادى باقتراح ولكن الاقتراحات كلها كانت لا تلاقى اتفاقاً جماعياً .

لقد سبقهم نجيب بتقديم الاستقالة وقال انها لصالح مصر وسرب أنباءها للصحف وهو بذلك يضعهم ــ أى أعضاء القيادة ــ أمام المصريين بأنهم المسئولون عن الخلافات التى تمزق اتفاقهم وأنه ــ أى نجيب ــ يرى التضحية بكل مراكزه وسلطاته ليتخلص من تحمل التصرفات القبيحة التى ارتكبوها وكان آخرها حل جماعة الإخوان المسلمين وما تبع الحل من اعتقالات لا تتوقف وعمليات اضطهاد واسعة النطاق .

الاستقالة عنوان للرفض لكل ما ارتكبه المجلس ضد الحريات والتحول الدكتاتورى .

وكأن المفاجآت فى هذه الأيام لا نهاية لها إذ أفاد الصحفيون المعسكرون أمام منزل نجيب أن حسين الشافعى وجمال سالم قد حضرا إلى المنزل ثم خرجا وبصحبتهما محمد نجيب ثم جاءت أنباء للمسئولين عن الصحف أن المجلس المشترك بين الوزراء وأعضاء القيادة قد انعقد وحضره محمد نجيب وكل أعضاء القيادة ما عدا عبد الناصر ثم من منزل عبد الناصر وردت أنباء الصحفيين بأن أعضاء القيادة فيما عدا نجيب قد حضروا واستمر الاجتماع ساعات طويلة .

وكان يوم الأربعاء هو اليوم الذى يجتمع فيه مجلس الوزراء وانعقد الاجتماع فى ذلك اليوم أى فى يوم ٢٤ فبراير ولكن لم يحضر من العسكريين عبد الناصر وجمال سالم .

وجاءت الأنباء من مبنى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة وهو المبنى الذى كان معداً كاستراحة للملك فاروق أن عبد الناصر مجتمع ببعض زملائه وأن عشرات من الضباط قد أخذوا يتوافدون على المبنى ويتزايد عددهم باستمرار وأن المناقشات بينهم محتدمة .

●● وكانت هذه الأحداث المتوالية والمتضاربة هى بداية الأربعة وثلاثين يوماً الحاسمة التى أخصص لها الفصل التاسع .

الفصل التاسع

الأيام الأربعة والثلاثون الحاسمة

كانت الساعات الأولى من يوم ٢٥ من فبراير هي مطلع الأربعة والثلاثين يوماً الحاسمة فى تاريخ مصر ، إذ فى ذلك اليوم ، أو بلغة أصح اليوم السابق عليه ، كانت مصر كلها تعيش فى جو من الفزع ، إذ كانت التطورات السياسية قد أجمعت على أن حوادثاً جساماً ستقع بين ساعة وأخرى . وكان مجلس قيادة الحركة يواصل اجتماعاته منذ بضعة أيام بصفة مستمرة وكان عبد الناصر لا يغادر مركز قيادة الحركة الذى انتقل إلى قصر كان قد بناه فاروق فى منطقة الجزيرة . كان عبد الناصر لا يغادره إلا قليلاً جداً ، وكان الجيش هو أكثر طوائف مصر إدراكاً لقرب وقوع حوادث خطيرة .

وفى الساعات الأولى من يوم ٢٥ من فبراير خرج جمال عبد الناصر على عشرات الضباط من أنصاره الذين تجمعوا منذ ساعات فى انتظاره ، خرج ليقول لهم وقد بدا الأعياء على وجهه ، « لقد نويت الاستقالة من مجلس القيادة ، ومن الوزارة ومن كافة المناصب » .

ووقع التصريح على أنصاره من الضباط وقع الصاعقة وصاح أحدهم بعد فترة : « لا ، لا ... » وسرعان ما صاح باقى الضباط : « لا ... مستحيل » وتعالت الأصوات من حناجر الضباط تعارض ما أعلنه جمال عبد الناصر ، ثم خيم الصمت مرة أخرى على المكان .

« لا أستطيع البقاء ... لا أستطيع التعاون معه » لفظ عبد الناصر هذه العبارة بصوت متهدج . فصاح الضباط مرة أخرى : « مع من ... مع من ... ؟؟؟ ...

« مع نجيب ... نعم لا أستطيع التعاون مع نجيب بعد اليوم ... لابد أن أستقيل »

ــ وصاح الضباط : « فليستقل نجيب ... فليسقط نجيب ... الموت لنجيب ... » .

وغادر بعض الضباط مبنى قيادة الحركة وذهبوا إلى زملائهم من أنصار عبد الناصر يجمعونهم من منازلهم ، وسرعان ما تجمع أكثر من مائة ضابط فى إحدى صالات المبنى وأخذوا يهتفون « يسقط نجيب ... يسقط نجيب » .

وخرج عليهم عبد الناصر مرة أخرى وقال : « إن زملائى أعضاء المجلس قد قرروا الاستقالة من المجلس ومن الوزارة ومن جميع المناصب ... ومن ... »

ولم يترك الضباط عبد الناصر يكمل عبارته بل صاحوا : « ... مستحيل ... يسقط نجيب ... » .

لقد كانت فترة حاسمة بالنسبة لهؤلاء الضباط ، إنهم فى عز ونعيم . فقد تركوا صفوف الجيش وانتشروا فى مراكز الحكم المختلفة بالوزارات والشركات ، وأنهم يقبضون مرتبات خيالية وينعمون بحياة وسلطات لم تكن فى الحسبان ، فكيف يسمحون لعبد الناصر بأن يستقيل فيضيع منهم كل هذا ...

قال أحد الضباط « اننا سنقتلك يا جمال إذا استقلت ، وسنقتل كل واحد من أعضاء المجلس ينضم إليك ويستقيل » .

وصفق الضباط لهذا الضابط الذى واصل كلامه : « أما نجيب فعليه أن يستقيل ... وإلا فاننا نحن الذين سنقتله » وزاد حماس الضباط وتصفيقهم .

وترك جمال عبد الناصر ضباطه ودخل إلى قاعة اجتماع مجلس القيادة واجتمع بزملائه بعض الوقت ، ولم يكن اللواء محمد نجيب حاضراً هذا الاجتماع . وبعد ساعة أصدر مجلس قيادة الحركة بلاغاً يعلن فيه أن اللواء محمد نجيب قد قدم استقالته من جميع مناصبه وأن البكباشى جمال عبد الناصر نائب رئيس مجلس الوزراء تولى رئاسة مجلس الوزراء ، ورئاسة مجلس الثورة ورئاسة المجلس المشترك .

ولم تنم القاهرة تلك الليلة بل ظل الناس ساهرين إلى جوار جهاز الأذاعة ليسمعوا القرارات وأخبار ما يقع من أحداث .

وكانت أقسى فترة وليلة مرت على القاهرة منذ حريقها المشئوم . فلقد أدرك الناس جميعاً أن الأمل الوحيد فى انقاذ الحالة قد تداعى وأن خروج نجيب معناه القضاء المبرم على حقوق الناس وأن حريات الناس وحياتهم أصبحت فى خطر شديد .

وعلم ضباط الجيش العاملون بالأمر فذهب كثيرون منهم إلى وحداتهم وراحوا يتدارسون الأمر وثارت ثائرة الكثيرين منهم وراحوا يقترحون اقتراحات كثيرة .

واهتزت أسلاك التليفون نتيجة آلاف المكالمات التليفونية بين الناس . « نجيب أبعدوه .... نجيب أخرجوه ... نجيب قبضوا عليه ... » .

إنتشر الذعر وأطبق الخوف على القاهرة . وسرعان ما تسرب إلى باقى أنحاء القطر المصرى .

وصدرت صحف الصباح تحمل النبأ وعقد الناس حلقات فى الشوارع وفى المقاهى وفى كل مكان وأنزل جمال عبد الناصر السيارات المصفحة تجوب الطرقات ولبست القاهرة ثوباً إرهابياً مفجعاً ، وبات كل انسان يتوقع أن يقع انفجار يدمر الأرض وما عليها .

وذهب عبد الناصر يتلقى التهانى ويستعرض مواكب النفاق التى سار فى ركبها المنافقون الذين تعودوا أن يباركوا كل عمل له . وأعلن مجلس الثورة أن أوراق الاعتماد تقدم باسم المجلس وأن السفراء يقدمون أوراق اعتمادهم للمجلس وأنه أناب البكباشى جمال عبد الناصر ليستقبل أعضاء البعثات الدبلوماسية ، وأمر بإنزال صور نجيب من كافة الدور الحكومية ووضع صور جمال مكانها .

وأخذ جمال عبد الناصر يُعدّ العدة ليتولى كافة السلطات وليصبح ديكتاتور مصر الأوحد .

ومرت الساعات ثقيلة كئيبة ولا حديث للناس فى مصر والسودان إلا محمد نجيب وأمر إبعاده وتحديد محل إقامته . وقد خاف المصريون أن يُغتال نجيب . وشعر مجلس القيادة بانقلاب الرأى العام عليه فأطلق لصلاح سالم العنان فى الأذاعة وفى الصحافة لكى يسب نجيب ويكيل له التهم .

وقد زاد هذا العمل من استياء الناس فقد كان صلاح سالم مرؤوساً لنجيب فإذا به ينقلب شاتماً للرجل الذى يحبه الشعب .

وزاد ضيق الناس كلما ازداد صلاح إسفافا فى ذم محمد نجيب . ومرت الساعات ولم يسمع الناس خلالها ولا قرأوا إلا سباباً وشتائم يقذف بها أعضاء المجلس محمد نجيب .

ولم يكتف جمال بذلك بل أخذ يجمع ضباطه ويحرضهم ضد نجيب وانطلق أنور

السادات وصلاح سالم فى هذه الاجتماعات يتعرضان لحياة محمد نجيب ووصفاه بأسوأ النعوت .

ومر اليوم الأول على تولى جمال رئاسة الوزارة بل الرئاسات المثلثة والناس فى وجوم مذهولة مأخوذة . ولم ينم جمال تلك الليلة بل ظل مجتمعاً برفاقه طوال الليل وعقد الاجتماعات فى قيادة الجيش بكوبرى القبة ليكن على مقربة من ثكنات الجيش فقد بلغه نبأ تجمعات الضباط ، وأطلق أسراب جاسوسيته يجمعون الانباء وينقلونها له لحظة بعد أخرى .

واستمرت اجتماعات مجلس القيادة وكان جميع اعضاء المجلس فى مقر القيادة وفى الصباح أحس الأعضاء بحركة غير طبيعية وفوجئوا بأن ضباطاً من سلاح الفرسان يقتحمون عليهم مقر قيادتهم ويقدمون لهم إنذاراً ، يطلبون فيه عودة محمد نجيب إلى مركزه وعودة جميع الضباط بما فيهم أعضاء المجلس إلى ثكناتهم بالجيش وتأليف وزارة تجرى انتخابات لتعود الحياة الطبيعية الدستورية للبلاد .

وأسقط فى يد جمال وارتبك أعضاء المجلس وانهارت أعصاب أعضاء القيادة بعد أن علموا أن الانذار نهائى وأن سلاح الفرسان قد حرك الدبابات ووجه مدافعه صوب مجلس القيادة ، وأن السلاح ينوى نسف مبنى قيادة كوبرى القبة بمن فيه إذا لم يُجب المجلس السلاح لمطالبه التى حددها فى الأنذار .

وكان خالد محيى الدين عضو مجلس القيادة الذى يتمتع بأكبر نفوذ داخل سلاح الفرسان يجلس فى ذلك الوقت فى حجرة مجاورة فاستدعاه جمال عبد الناصر وعرض عليه إنذار سلاح الفرسان ، وقال خالد انه لا يعرف من أمره شيئاً .

وتلفت جمال فلم يجد إلى جواره من يسيطر على أعصابه إلا عبد الحكيم أما الباقون فقد انهارت أعصابهم واصفرت وجوههم وخارت قواهم فقال جمال : « ما دامت هذه هى رغبة السلاح الذى يقول أنها رغبة الشعب فعلينا أن ننفذها ويعود محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية وتتولى أنت ياخالد رئاسة وزارة وتنفذ باقى طلبات السلاح فتجرى الانتخابات وتلغى الأحكام العرفية » .

فقبل محيى الدين إقتراحات جمال عبد الناصر وأبلغها لزملائه أعضاء سلاح الفرسان الذين عادوا إلى ثكناتهم ينتظرون تنفيذ هذه القرارات .

وخرج جمال بعد ذلك إلى صالة المبنى حيث كان قد حضر بعض ضباط من أنصاره فأخبرهم بإنذار سلاح الفرسان وبما تم الاتفاق عليه ثم قال : « وانتهت المسألة وسيعود نجيب وسيتولى خالد رئاسة الوزارة وسنتخلى نحن جميعا عن أعمالنا » والقى جمال بهذه الكلمات فى صورة دراماتيكية مؤثرة فثار أنصار جمال وقالوا مستحيل .

وروج جمال بين الضباط أن حركة سلاح الفرسان لم يكن القصد منها مصلحة البلاد وإنما قصدوا منها تعيين خالد رئيساً للوزارة وحصر السلطات فى أيديهم وإقصاء باقى ممثلى الأسلحة . ونجح جمال فيما أراد فذهب بعض الضباط إلى سلاح المدفعية حيث حركوا المدافع الثقيلة ونصبوها أمام سلاح الفرسان . وقام بعض الطيارين واستقلوا طائراتهم وأخذوا يحلقون بها فوق سلاح الفرسان .

وفى نفس الوقت إتجه بعض ضباط جمال إلى منزل محمد نجيب وشهروا فى وجهه المسدسات وأرغموه على مصاحبتهم بملابس المنزل واختطفوه فى إحدى سيارات الجيش إلى جوف الصحراء بغية اغتياله إذا لزم الأمر .

وبات الأمر يهدد بنشوب حرب أهلية بين وحدات الجيش . وكان جمال قد كتب خطاباً وكلف خالد أن ينقله لنجيب ليوقعه ، وكان الخطاب يحوى عدول محمد نجيب عن الاستقالة وقبوله العودة للعمل كرئيس للجمهورية وخرج خالد بالخطاب متوجهاً إلى حيث اختطف محمد نجيب .

ولما شعر أعضاء المجلس بأن الموقف قد تحسن من وجهة نظرهم بعد تحليق الطائرات ونصب بعض مدافع سلاح المدفعية فى مواجهة سلاح الفرسان دبت فى اطرافهم الحرارة وبدأوا يتكلمون بعد أن كانوا قد فقدوا النطق وأخذوا يقترحون ان تدك المدفعية والطائرات سلاح الفرسان . وانطلق صلاح يحبذ الاقتراح وانضم اليه باقى أعضاء المجلس وتحمس بعض ضباط جمال الذين كانوا قد تجمعوا داخل المبنى للاقتراح ، ولكن عبد الحكيم عامر هب ثائراً فى وجه الاقتراح يعارضه بكل قواه

ويقول : « مستحيل أسمح بحرب أهلية بين أسلحة الجيش » وثار الضباط فى وجهه واتهموه بالخيانة والجبن .

وظل عبد الحكيم يعارض هذا الاقتراح ويتحمل الأذى وأقذع الألفاظ وكلما اشتد تهجمهم عليه إشتد هو إصراراً على رأيه واحتدم الجدل بينه وبين زملائه ، فاتصل برئاسة الجيش وأصدر لها أمراً بعزل هذا الضابط ووضعه تحت التحفظ الشديد ، فسبه هذا الضابط وأعاد عليه الاتهام بالجبن والتخاذل فامتدت يد عبد الحكيم إلى « الاسبليد » أى قطعة القماش التى على كتفه وتمثل رتبته العسكرية فانتزعها وقال « أنا مستقيل ، أنا لا يمكن أن أكون قائداً عاماً للجيش وتصدر أوامر أثناء توليتى هذا المنصب بقيام حرب بين وحدات الجيش » .

وكانت أنباء مبهمة قد وصلت للناس فى مدينة القاهرة تقول أن حركات قامت داخل صفوف الجيش وأن المرور ممنوع بين العباسية ومصر الجديدة وتجمع الأهالى يتبادلون الأحاديث وأخذت التجمعات تزداد رويداً رويداً وهمس أحد المارة بأن نجيب قد اختطف وسرت همسته بين الناس واضطربت القلوب ورجفت فصاح أحد الأفراد « أين نجيب » ؟ وسرعان ما تردد صياحه فى الجو وأخذ الجميع يتساءلون : « أين نجيب » ؟ .

وهتف شخص : « نريد نجيب » وكان هتافه كالجذوة التى اندلعت فسرعان ما كانت القاهرة كلها تردد فى هتافات مدوية : « نريد نجيب » . وخرج الناس جميعاً إلى الشوارع وانضم اليهم عساكر البوليس وبعض جنود الجيش والتجار وطافوا فى مظاهرات تهتف لمحمد نجيب حبيب الشعب وبطل الثورة ، ومنقذ مصر ، وعدو الديكتاتورية .

ووصلت أنباء لجمال فأخبر بها زملاءه الذين اصفرت وجوههم وارتجفت أوصالهم مرة أخرى وراحوا يخضعون صاغرين لرأى عبد الحكيم ، وفى هذه الأثناء إتصل اسماعيل الأزهرى تليفونياً من الخرطوم بجمال وأبلغه نبأ المظاهرات الصاخبة وقال أن مستقبل العلاقات بين مصر والسودان متوقف على عودة نجيب .

وصدرت الأوامر لسلاح المدفعية بإرجاع مدافعه إلى مقر السلاح ، وصدرت الأوامر بالمحافظة التامة على حياة محمد نجيب وإعادته سراً ومن طرق لا يطرقها الناس إلى منزله .

وكان الاعياء قد أنهك أعضاء المجلس فاقترح جمال أن يذهبوا إلى منازلهم ليستريحوا ثم يعودون بعد الظهر لاستئناف بحث الأمور .

وانصرف الاعضاء حزانى يملأ اليأس والرعب أفئدتهم .

واشتدت المظاهرات ساعة بعد أخرى وتحولت الهتافات من المطالبة بنجيب إلى سقوط جمال عبد الناصر عدو الشعب . ولم يستطع جمال أن ينتظر حتى يعود أعضاء المجلس فابلغ محطة الأذاعة أن تذيع أن الرئيس محمد نجيب قد عاد وأن تعمل الأذاعة على تكرار إذاعة هذا النبأ كل خمس دقائق وتطلب إلى الناس أن ينصرفوا إلى أعمالهم ويتركوا التظاهر .

وما كاد الشعب يعلم بنبأ عودة محمد نجيب حتى زادت حماسته واشتد هتافه لنجيب وبسقوط جمال وتجمعت الجماهير فى ميدان عابدين إذ قيل أن نجيب سيحضر إلى القصر . وانتظر الناس هناك حيث امتلأ الميدان بهم ولما لم يحضر إتجهوا فى مظاهرة ضخمة إلى حلمية الزيتون حيث يقيم محمد نجيب فى منزل بسيط من طابق واحد ، وأخذوا يحيون محمد نجيب وقد تدفق حماسهم ، وفى هذه الأثناء تحرك سلاح الهجانة المصرى وفيه الكثيرون من السودانيين ووصل إلى منزل محمد نجيب وأعلن أنه سيتولى حراسة محمد نجيب . كما توافد على داره كثير من الضباط وأصبح منزل نجيب قبلة يفد إليها الناس من كل مكان .

وظلت القاهرة فى فوضى طوال الليل واستمرت المظاهرات وأقيمت الأفراح وكانت سعادة ونشوة النصر فى كل مكان ، ولو أن فريقاً من الضباط أراد فى تلك الليلة أن يقضى على أعضاء المجلس لكان ذلك سهلاً ميسوراً ولكن المصريين بطبعهم لا يميلون إلى ارتكاب الحوادث الدموية . ولذلك انصرفت قوى الناس إلى المشاركة فى افراح الشعب .

ولم ينم جمال طوال الليل وطلبنى فى التليفون بعد منتصف الليل ثم استمر يصف لى كل ما حدث . وبعد الواحدة أنهى الحديث وكنت أظنه سينام حتى الصباح بعد أن أجهده إعياء السهر دون راحة أو نوم ثلاثة أيام متوالية ولكنى علمت بعد ذلك أنه كان فى الرابعة صباحاً يجوب مدينة القاهرة .

وأخبرنى عبد الناصر أن صلاح سالم لم ينم هو الآخر بل اختفى فى منزله بالثكنات حتى الثالثة صباحاً ثم أخرج السيدة حرمه وأنجاله ونقلهم تحت جنح الليل خفية إلى منزل أحد أقاربها .

ومن الصباح الباكر تجددت المظاهرات وأخذت تهتف لنجيب ثم اتجهت جميعها إلى ميدان عابدين تنتظر قدومه إلى القصر وخرج نجيب من منزله تحف به مظاهرات متصلة مستمرة من المنزل حتى وصل إلى قصر عابدين وكانت القاهرة قد خرجت جميعها تحيى نجيب وتهتف بحياته . ولما وصل إلى الميدان إشتد حماس الناس وتعالت هتافاتهم تشق أجواء الفضاء وبين جموع المتظاهرين وقف عبد القادر عودة وكيل جماعة الاخـوان المسلمين يخطب فى المتظاهرين الذين اشتد حماسهم وظل نجيب واقفاً فى شرفة القصر ساعات يحيى الناس وفى هذه الأثناء حدث اعتداء من قوات الأمن على المحتشدين فى الميدان فرفع عبد القادر عودة قميص أحد المعتدى عليهم وصاح الدم يانجيب فدعا نجيب عبد القادر عودة إلى الشرفة وصعد عبد القادر حيث خطب الناس وطلب منهم الانصراف .

وبدأت زيارات جمال لنجيب ثم زاره جمال وصلاح سالم وأصرا على أن يلتقط المصورون لهم صوراً وأمروا بنشرها فى الصحف وأخذ جمال وصلاح وكل أعضاء المجلس يعلنون أن ما حدث مع نجيب كان بمثابة سحابة صيف انقشعت وأن الود والصفاء عادا يسودان العلاقات بين أعضاء المجلس والرئيس محمد نجيب . علما بان جمال وصلاح سالم كانا قد بكيا عندما علما بعودة نجيب إلى الرئاسة اذا عتبرا العودة هزيمة لهما .

ويوم ٣ مارس أثناء اجتماع مجلس الوزراء الذى لم يحضره نجيب بدأت الانتقادات من الوزراء المدنيين اذ قال الدكتور عباس عمار أن اساتذة بالجامعات ضد مجلس القيادة

وأن طلبة الجامعات ايضا غاضبون وثائرون وأن القبض على اساتذة واعتقالهم يزيد من الغضب فى داخل الجامعات .

واعترض الدكتور عبد الجليل العمرى على اعتقال الناس دون محاكمات وكان الحزن يسود اجتماع مجلس الوزراء وتمنى الوزراء المدنيون أن يستقيلوا ويبتعدوا عن تحمل مسئوليات لم يشاركوا فى امرها .

وبدأ نجيب منذ عودته إلى رياسة الجمهورية يؤكد لمن يجتمع به ضرورة إجراء انتخابات حرة وعودة الضباط إلى ثكناتهم والمطالبة بالغاء الاحكام العرفية . وانتهز نجيب فرصة إقامة حفلة فى نادى ضباط الجيش تنقلها الاذاعة فوقف وأعلن فجأة أنه يرى ضرورة العودة بالبلاد إلى الاوضاع الطبيعية وذلك بإلغاء الاحكام العرفية وإجراء انتخابات حرة على ضوئها تتألف الوزارة التى تتسلم مقاليد الامور . وقد كان خطاب نجيب مفاجأة مذهلة جديدة لاعضاء المجلس ومنع جمال نشر الخطاب وكانت الاذاعة قد أوقفت نقل الخطاب عندما بدأ يتحدث عن الدستور ولكن أنباء الخطاب وصلت الناس فزاد حماسهم واشتد ساعدهم وفى هذه الأثناء تقدم سلاح الفرسان مرة أخرى بمطالبه التى سبق أن قدمها وهى إلغاء جميع الأوضاع الشاذة وإجراء انتخابات سريعة وعودة الضباط إلى ثكناتهم .

ومنذ الصباح الباكر ليوم الخميس ٤ من مارس تلاحقت الاجتماعات والمفاوضات والاتصالات بين العسكريين وعدد كبير من رجال السياسة المدنيين لبحث الموقف من جميع نواحيه والتخلص من الورطة التى أوقعهم فيها محمد نجيب وضباط سلاح الفرسان .

ولم يجد جمال مفراً من الرضوخ لمشيئة الشعب الذى تجمعت إرادته فى المطالبة بعودة الأوضاع الطبيعية وزوال الحكم الدكتاتورى بكافة أوضاعه وأساليبه الشاذة .

وأسفرت الاجتماعات والمشاورات المتتالية عن القرارات المعروفة بقرارات ٥ من مارس التى أعلنها جمال عبد الناصر بعد منتصف ليل ٥ من مارس فى هيئة بيان لمجلس الثورة هذا نصها : قرر مجلس الثورة إتخاذ الاجراءات فوراً لعقد جمعية تأسيسية منتخبة

بطريق الاقتراع العام المباشر على أن تجتمع خلال يوليه سنة ١٩٥٤ ويكون لها مهمتان :

أولا ــ مناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره .

ثانياً ــ القيام بمهمة البرلمان إلى الوقت الذى يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقاً لاحكام الدستور الذى تقرره الجمعية التأسيسية .

وحتى تجرى الانتخابات التأسيسية فى جو تسوده الحرية التامة قرر مجلس قيادة الثورة أن تُلغى الاحكام العرفية قبل إجراء الانتخابات للجمعية التأسيسية وقرر المجلس أيضاً إلغاء الرقابة على الصحف والنشر إعتباراً من يوم ٦ من مارس فيما عدا الشئون الخاصة بالدفاع الوطنى .

وكان قرار رفع الرقابة عن الصحف المنفذ الذى دخل منه الشعب ليبدى تذمره من الديكتاتورية وسخطه عليها وترحيبه بقرب عودة الحياة النيابية واستقرار الاوضاع الدستورية فى مصر وقد نشطت الهيئات والنقابات نشاطا كبيرا وتوالت الاجتماعات واستمرت تطالب وتلح فى أن تلغى الاحكام العرفية فوراً وتعود جميع حريات الشعب .

وكان يوم ٥ مارس عصيبا ومشحونا بالانفعالات فقد سبق اعلان القرارات نشاط واسع النطاق على اثر اقتراح لجمال عبد الناصر بأن يستقيلوا جميعا ويشكلوا حزبا سياسيا يرأسه محمد نجيب حفاظا للشكل .

وذهب عبد الناصر ونجيب إلى منزل على ماهر وحضر الاجتماع الدكتور السنهورى وبحث المجتمعون امر الاستقالة لمجلس القيادة وتكوين حزب .

والملاحظ فى هذه الايام أن عبد الناصر كان يبدى الرأى ثم يرجع عنه بعد وقت قصير وأنه كان شديد القلق غير ثابت الفكر .

احيانا يعلن عن رغبته فى الاستقالة ثم يعود ويعدل واحيانا يطالب بالشدة وكان صلاح سالم وغيره من اعضاء المجلس فى حالة ارتباك شديد وقد وصل الامر بصلاح سالم أن طالب باستقالته مسببا ذلك بأن الشعب قد اصبح يمقته إذ شن حملاته ضد نجيب .

وانهالت برقيات التأييد على نجيب وعلى الصحف وكان من أبرز القرارات التى اتخذت يوم ٧ من مارس القرار الذى أصدرته نقابة المحامين وجاء فيه :

« يرى مجلس نقابة المحامين أن مصلحة البلاد التى قضيتم على رأس الفساد فيها تقتضى زوال كل القيود التى وضعت للحد من الحريات العامة ، كما تقتضى عودة الحياة النيابية فى أقرب وقت ممكن لتتمكن الامة فى شخص ممثليها وقادة نهضتها وأصحاب الرأى فيها من أن تعالج أمورها موحدة الكلمة متراصة الصفوف أمام الغاصب الذى يفيد من تفرق الكلمة وبعثرة الجهود وأن مصلحة البلاد العليا يجب أن نضحى فى سبيلها بكل اعتبار » .

كما أصدر أساتذة جامعة الاسكندرية بياناً هذا نصه :

« السيد رئيس الجمهورية ،

إننا إذ نرحب بالتطور الدستورى المحمود الذى صاحب عودتكم ، من حيث الاتجاه نحو إقامة جمهورية برلمانية ، وتشكيل جمعية تأسيسية ؛ ولما كان من المسلم به أن أى نظام للحكم لا يمكن أن يكون ديموقراطيا إلا إذا قام على أساس انتخاب حر يعبر تعبيراً صادقاً عن إرادة الشعب لذلك :

نطالب باتخاذ الاجراءات التالية فورا :ـ

أولاً ــ إلغاء جميع التدابير والاجراءات الاستثنائية ، وإطلاق الحريات العامة وكفالة الضمانات الدستورية .

ثانيا ــ تشكيل جمعية تأسيسية بطريق الانتخاب العام المباشر من الشعب تتولى باسمه ممارسة حقوق السيادة كاملة . والله ولى التوفيق » .

والآن وقد أعلنت الحكومة عزمها على اتخاذ خطوات نحو تحقيق النظام الديموقراطى الذى هدفت اليه مطالبنا ، نرى من واجبنا ضرورة توضيح هذه المطالب على النحو الذى تقضى به المبادىء الدستورية السليمة :

وانهالت برقيات التأييد على نجيب وعلى الصحف وكان من أبرز القرارات التى اتخذت يوم ٧ من مارس القرار الذى أصدرته نقابة المحامين وجاء فيه :

أولا ــ ليس يكفى لضمان الحريات العامة مجرد رفع الرقابة عن الصحف وإنما يجب إطلاق باقى الحريات فوراً وفى مقدمتها الحرية الشخصية وحرية الاجتماع وحرمة

المسكن والمراسلات الخاصة ، بحيث يطمئن كل مواطن إلى أن الضمانات الدستورية الأساسية قد عادت إلى التنفيذ .

ثانيا ــ لا يتصور مع قيام هيئة تأسيسية منتخبة من الشعب إنتخابا حراً بطريق عام مباشر ، وجود أية هيئة أخرى تنازعها حقوق السيادة » .

وإذا كانت كل هذه الحريات ثابتة للفرد بوصفه إنسانا فى كل مجتمع وفى كل وقت ، فإن إطلاقها فوراً أوجب ما يكون والبلاد مقبلة على إجراء انتخابات أكدت الحكومة توفير الحرية لها .

ويوم ٨ مارس ابلغ نجيب مجلس القيادة أن له طلبات جديدة وهى :

أن يتولى من يتم انتخابه رئيسا للجمهورية سلطات رئيس الجمهورية البرلمانية أى يستطيع فى غياب المجلس النيابى اصدار مراسيم بقوانين

وأن يتم انتخاب رئيس الجمهورية بالانتخاب الحر المباشر وقبل اعلان الدستور كما يجب أن يحدث استفتاء للمصريين حول مشروع الدستور الجديد اما الطلب الاخير فهو عودة كل الضباط بما فيهم اعضاء القيادة إلى الثكنات

وفى يوم ٩ من مارس كان قد وصل إلى علم نجيب الحملات القاسية التى لا يزال يشنها صلاح سالم فى الصحف ضده وقد اكتشف نجيب ذلك عندما زاره فى مكتبه صحفى انجليزى أعتقد أنه مراسل جريدة « النيوز كرونيكل » ومـراسل امـريكى لإحدى محطات الاذاعة وأطلعاه على نص حديث كانا قد حصلا عليه منذ نصف ساعة من الصاغ صلاح سالم وكان الحديث كله تطاول على اللواء نجيب ذلك بقصد الحصول على تعليق نجيب على الحديث .

فلما إطلع نجيب على الحديث إحتقن وجهه وثارت ثائرته وطلب من الصحفيين أن ينتظراه فى حجرة ثانية ، واتصل تلفونيا بصلاح الذى ارتبك ونفى لنجيب كل ما جاء فى الحديث وخرج نجيب إلى الصحفيين وأخبرهما فى حدة بنفى صلاح وإنكاره له .

واضطرب الصحفى الانجليزى وخرج الامريكى عن شعوره وراح يخاطبه بلهجة حادة وأكد له أنهما حصلا منه على كل هذه التصريحات وأنه أجازلهما نشرها وانصرفا وهما

فى غاية الضيق والألم ونشرت الجريدة الانجليزية الحديث ثم روت تفاصيل القصة التى أرسلها المراسل لجريدته ؛ وكانت فضيحة كبرى .

وقد تألم نجيب أشد الالم لما حدث فذهب إلى منزله واعتكف به ورفض محادثة أو مقابلة أى إنسان .

وفى نفس الوقت علم نجيب أن الدكتور السنهورى كان قد اقترح فى اجتماع فى اليوم السابق حضره اعضاء مجلس القيادة أن الافضل إعادة دستور سنة ١٩٢٣ فورا إذ الموقف وحالة مصر لا تحتمل الانتـظار حتى تنتهى لجنة الـدستور من وضـع مشروعـه . وامتعض عبد الناصر أشد الامتعاض من القرار .

وكان مقرراً أن يجتمع مساء ذلك اليوم المجلس المشترك فى دار البرلمان ليبحث اختصاصات كل عضو ولكن نجيب رفض الذهاب إلى مكان الاجتماع واعتكف فى داره ومرت ساعة ولم يحضر نجيب ثم ساعة أخرى وبعد ذلك إتصل عبد الحكيم عامر بنجيب وسأله عن سبب تخلفه فأخبره أنه لا ينوى الذهاب إلى الاجتماع وحاول عبد الحكيم أن يقنعه ولكنه أصر .

وبعد أن استمر الحديث التليفونى أكثر من ثلاثة أرباع الساعة وكنت قد أرسلت إلى منزل الرئيس نجيب الصحفى أمين عبد المؤمن برسالة شفوية أطلب فيها أن يتشدد فى مطالبه الخاصة بالحريات أنهى عبد الحكيم المحادثة واستقل سيارة إتجه بها إلى منزل نجيب حيث اصطحبه وعاد به إلى مقر الاجتماع وهناك أصر نجيب أن تعود له جميع سلطاته السابقة كما أصر على وجوب التمهيد لاجراء انتخابات وتسليم مقاليد الامور لمن ينتخبهم الشعب كما أصر نجيب على عمل استفتاء شعبى يستفتى فيه الشعب فيما إذا كان يريده رئيسا للجمهورية أم لا ...

وقد وقعت شروط نجيب على عبد الناصر وقوع الصاعقة واضطرب الحاضرون وبدأت المحاولات باللين ثم بالعنف لا قناع نجيب بالتنازل عن طلباته ولكنه أصر . وانتهى الاجتماع بإعادة جميع سلطات نجيب إليه . وعاد جمال نائباً لرئيس الوزراء وجمال سالم إلى وزارة المواصلات بعد أن كان قد شغل منصب نائب رئيس الوزراء بضعة أيام .

وفى منتصف الليل أذاع الصاغ صلاح سالم هذا البيان :

« رأى المؤتمر المشترك أن التعديلات التى طرأت على منصب كل من رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء فى الأيام القليلة الماضية إنما كانت ثمرة للاحداث التى اجتازتها البلاد وخرجت منها سليمة الوحدة قوية العزم على المضى قدماً فى سبيل تحقيق أهداف الثورة . وبما أن صفحة هذه الأحداث قد طويت فقد صح العزم على أن يزول كل أثر لها وأن تعود الأوضاع إلى صورتها السابقة حتى يستقر فى يقين كل فرد من أفراد هذه الأمة الكريمة أن تلك السحابة العابرة قد انقشعت دون أن تخلف وراءها ظلا ينال من جلال الوحدة وقدسيتها » .

« ولهذه الاسباب تقدم رئيس مجلس الوزراء البكباشى جمال عبد الناصر إلى مجلس قيادة الثورة برغبته فى أن تعود الاوضاع إلى سابق عهدها . وعلى ذلك قرر مجلس قيادة الثورة إسناد قيادة الثورة ورياسة مجلس الوزراء إلى جانب منصب رئيس الجمهورية إلى الرئيس محمد نجيب . »

وكان الوزراء المدنيون قد إجتمعوا فى منزل الدكتور وليم حنا واستقر رأيهم على وجوب أن تتولى حكم مصر حكومة مدنية ذلك لأن انقسام الضباط وأطماعهم هى سبب حالة القلق التى تسيطر على مصر .

وفى هذه الاثناء نشطت حركة الدفاع عن الحريات وساعد على ذلك رفع الرقابة عن الصحف . فقد فتحت جريدة المصرى صدرها لكل من يريد أن يدافع عن الحرية كما كرست مجلة « روز اليوسف » ومجلة الجمهور المصرى كل جهودها لتمكين الشعب من الحصول على حقوقه . وبدأت النقابات والهيئات المختلفة تعقد سلسلة من الاجتماعات تطالب فيها بإلغاء الأحكام العرفية فوراً والإفراج عن جميع المعتقلين . وسنفصلّ كل ذلك فى الباب الخاص بعلاقتى بجمال عبد الناصر .

ورغم أن الجميع رحبوا بقرار الانتخابات وعودة البلاد إلى أوضاعها الدستورية السليمة إلا أن جريدة الجمهورية لم تطق الاشتراك مع الناس فى فرحهم وسعادتهم فإنه لم يكد يمضى يومان على صدور هذه القرارات حتى بدأت تتنكر لقرارات المجلس وتشن

حملات عنيفة على كل من دافع عن الحريات بأية صورة .

وكان المعتقلون لا يزالون فى السجون والمعتقلات وكان عـددهم يقدر بـالالآف فاشتدت حملة الكتاب والطوائف والنقابات مطالبة بسرعة الإفراج عنهم وكانت مصر كلها لا شغل لها إلا المطالبة والعمل المستمر على تحقيق حريات الشعب . وكان لما ينشره المصرى وروز اليوسف والجمهور المصرى وجريدة القاهرة أثره العظيم فى تذكير الناس بحقوقهم وإذكاء روح الوطنية فى نفوسهم .

وقد اشتدت حملة جريدة الجمهورية فى هذه الفترة على المطالبين بالحرية وكانت تسميهم بالرجعيين أذناب الاحزاب ، ولكن الشعب كان يرد بالإعراض عن قراءتها والاستبسال فى المطالبة بحقوقه

واستعاد الرئيس محمد نجيب نشاطه وأخذ يطوف فى كل مكان يدعـو للحريـة ويدافع ويكافح عنها ويبشر بقرب انتصار الشعب . وكذلك فعل الصاغ خـالد محيى الدين الذى كتب فى روز اليوسف ونشر فى المصرى أحاديث يدعم بها الديموقراطية والنهضة الشعبية القوية .

وفى يوم ١٤ من مارس إتصل بى شخص وقابلنى وفى دقيقة واحدة أخرج من جيبه ورقة سلمنى إياها وقال هذه من المرشد العام للاخوان المسلمين ، أرجو ألا تنشرها فى العدد الذى يصدر غدا بل انشرها فى العدد الذى يصدر بعد غد ١٦ من مارس . وانصرف الرجل قبل أن أوجه إليه أى سؤال ، تركنى حائراً فقد كان الهضيبى وجميـع أقطاب الاخوان فى السجون . (وكان هذا الذى سلمنى الرسالة هو الاستاذ رجائى العشماوى المحامى) .

وكان جمال عبد الناصر قد اصطدم بجماعة الإخوان المسلمين مما سيأتى شرحها تفصيلياً فى الفصل التالى .

هذه المصادمات بين عبد الناصر والإخوان انتهت إلى حملة اعتقالات واسعة النطاق شملت المرشد العام الأستاذ الهضيبى وأكثر من عشرة آلاف عضو من أعضاء الجماعة وبدأت عمليات القبض يوم ١ من يناير سنه ١٩٥٤ .

وقرأت الورقة فإذا بها نص خطاب وجهه الهضيبي لنجيب وقد طلب عدم نشره فى نفس اليوم كي يضمن وصوله لنجيب . وقد أرسل الخطاب من المعتقل الذى يقيم فيه الى اللواء محمد نجيب الذى صرح مراراً بعدم رضائه عن اعتقال المواطنين المصريين ، ورغبته الصادقة فى الافراج عنهم جميعا .

وقد أحدث نشر هذا الخطاب الخطير دوياً كبيرا ، وكانت طريقة وصوله من زنزانة الاستاذ الهضبى إلى جريدة المصرى قصة يتناقلها الناس لما فيها من بطولة ، ولما يتضمنه الخطاب من عبارات شديدة موجهة إلى جمال عبد الناصر .

قال الأستاذ الهضيبى فى خطابه إلى اللواء محمد نجيب :

« ... أما بعد ، فإن مجلس قيادة الثورة قد أصدر قراراً فى ١٢ من يناير سنة ١٩٥٤ بأن يجرى على جماعة الاخوان المسلمين قانون حل الاحزاب السياسية . ومع ما فى هذا القرار من مخالفة لمنطوق القانون ومفهومه فقد صدر بيان نسب الينا فيه أفحش الوقائع وأكثرها اجتراء على الحق . وقد حصل بيننا وبينه مناقشة هذا البيان والرد عليه . واعتقلنا ولم نخبر بأمر الاعتقال ولا بأسبابه ، وقيل يومئذ أن التحقيق فى الوقائع التى ذكرت به سيجرى علنا ... فاستبشرنا بهذا القول ، لأننا انتظرنا أن تتاح لنا فرصة الرد عليه لنبين أن ما اشتمل عليه كله ، على الصورة التى جاءت به ــ لا حقيقة له ــ فيعرف كل انسان قدره ويقف عند حده ، ولكن ذلك لم يحصل .

وإلى أن تتاح لنا الفرصة فإننا ندعوكم وندعو كل من اتهمنا وندعو إلى ما أمر الله تعالى به رسوله عليه الصلاة والسلام حين قال : « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

وقد استمرت حركة الاعتقالات طوال شهرين كاملين حتى امتلأت المعتقلات والسجون بطائفة من أطهر رجالات البلد وشبابها ، بلغوا عدة الآف ، لكثير منهم مواقف فى الدفاع عن البلاد وعن حرياتها ، شهد بها الاعداء قبل الاصدقاء وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، ولم يكتفوا بالكلام كما يفعل كثير من الناس . أما كيفية الاعتقال ومعاملة المعتقلين ، فلن نعرض لها هنا .

وقد بدت فى مصر بوادر حركة ــ إن صحت ــ فقد تغير من شئونها وأنظمتها . وقرار حل الأخوان ، وإن أنزل اللافتات عن دورهم ، فإنه لم يغير الحقيقة الواقعة ، وهى أن الأخوان المسلمين لا يمكن حلهم ، لأن الرابطة التى تربط بينهم هى الاعتصام بحبل الله المتين ، وهى أقوى من كل قوة . ولازالت هذه الرابطة قائمة ولن تزال كذلك بإذن الله . ومصر ليست ملكاً لفئة معينة ، ولاحق لأحد فى أن يفرض وصايته عليها ولا أن يتصرف فى شئونها دون الرجوع إليها والنزول على إرادتها . لذلك كان من أوجب الواجبات على الأخوان المسلمين أن يذكروكم بأنه لا يمكن أن يُبت فى شئون البلاد فى غيبتهم وكل ما يحصل من هذا القبيل لن يكون له أثر فى استقرار الأحوال ولا يفيد البلاد بشىء .

وإن ما دعوتم إليه من الاتحاد وجمع الصفوف لا يتفق وهذه الأحوال فإن البلاد لا يمكن أن تتحد وتجتمع صفوفها ، وهذه المظالم وأمثالها قائمة .

نسأل الله تعالى أن يقى البلاد كل سوء ، وأن يسلك بنا سبيل الصدق فى القول والعمل وأن يهدينا إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

حسن الهضيبى
المرشد العام للأخوان المسلمين

وفى يوم ١٥ من مارس زار مدير جامعة القاهرة وزير المعارف وطالبه بالعمل على الأفراج عن الطلبة الذين كان عبد الناصر قد اعتقلهم مرة أخرى .

واستمر النشاط بل أخذ يشتد وكان قد شاع بين الناس أن بعض المحامين قد اعتدى عليهم بالضرب عند اعتقالهم فاجتمع مجلس نقابة المحامين يوم ١٦ من مارس وعلى أثر الاجتماع وجه الاستاذ عمر عمر نقيب المحامين خطاباً للرئيس محمد نجيب بوصفه رئيساً للوزارة جاء فيه :

أفيد سيادتكم أنه قد وصل إلى علم مجلس النقابة أنه وقع اعتداء جسيم على الاساتذة أحمد حسين وعبد القادر عوده وعمر التلمساني المحامين بعد اعتقالهم ، وهو أمر لو صح يكون بالغ الخطورة ولا يرضى سيادتكم .

فأرجو أن تأمروا بتحقيق هذا الأمر حتى ينال المعتدى الجزاء الذى يتناسب مع ما وقع منه . وأكون شاكراً لو تفضلتم بتحديد موعد لاقابل سيادتكم فيه لأعرض عليكم أمر المحامين المعتقلين .

وفى نفس اليوم كانت محكمة القضاء الادارى قد وجهت صفعة قوية للعهد إذ أصدرت حكمها بالغاء قرار لجنة التطهير بفصل الاستاذ حسن كامل المستشار بوزارة الخارجية وجاءت حيثيات الحكم عنيفة كل العنف فى تحقير تشكيل واختصاص وطريقة تحقيق لجان التطهير .

وكانت كل هذه الأشياء تقوى من ساعد نجيب وتزيد من حقد عبد الناصر ورغبته الجامحة فى الانتقام منه . وقد أحال نجيب خطاب الاستاذ عمر عمر للنائب العام وفتح الأخير تحقيقاً بمعرفة أحد رجاله فثبت الاعتداء على المحامين .

وفى ١٧ من مارس عاد عبد الناصر إلى فرض أول قيد رجعى منذ خمسة من مارس وذلك بأن أعاد الرقابة على جريدة القاهرة وقد أهاج هذا القرار ثائرة الناس واجتمع مجلس الصحفيين وأصدر بياناً شديد اللهجة يعترض فيه على هذا القرار .

ملحوظة : (ونشرت فى جريدة المصرى مقالاً بعنوان (بلبلة) وسألخصه هو وغيره من المقالات التى تم نشرهافى هذه الفترة العصيبة فى الفصل الحادى عشر) .

واستهجن نجيب قرار إعادة الرقابة على جريدة القاهرة وأبدى استياءه الشديد لهذا القرار وتوالت الاحتجاجات على مكتب نجيب تعترض على هذا القرار .

وكانت جريدة الجمهورية سادرة فى مهاجمة كل انسان لأن كل مصرى فى هذه الفترة كان يعمل جاهداً لدعم أسس الحرية وكان كلما اشتد هجوم هذه الصحيفة ضد المدافعين عن الحرية أوجس الناس خيفة فزادوا من نشاطهم . ولاحظ المحامون عنف

هجوم الجريدة فطلبوا عقد جمعية عمومية للمحامين فأصدر النقيب عمر عمر وسكرتير النقابة الاستاذ فكرى أغا البيان التالى :

بناء على الطلب المقدم لمجلس النقابة من أكثر من مائة محام قرر المجلس دعوة الجمعية العامة للمحامين إلى اجتماع غير عادى يعقد بدار نقابة المحامين بالقاهرة فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الجمعة ١٦ من مارس سنة ١٩٥٤ للنظر فى الأمور الآتية :

أولاً ــ ما وقع على بعض المحامين المعتقلين من اعتداء أثناء اعتقالهم بالسجون الحربية وغيرها .

ثانياً ــ عودة الحياة النيابية وإلغاء الأحكام العرفية فوراً ، والإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين .

ثالثاً ــ الدعوة لوضع ميثاق وطنى يرتبط به قادة البلاد وزعماؤها يستهدف جمع الكلمة وإجلاء الغاصب والرجوع بالبلاد إلى الأوضاع الطبيعية .

ونزل الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ السابق إلى حلبة الميدان فنشر فى المصرى الصادر فى ٢٠ من مارس مقالاً عرض فيه لما كان صلاح سالم قد صرح به من التهديد بثورة حمراء .

وفى يوم ٢٠ مارس انفجرت ست قنابل فى وقت واحد قنبلتان فى جامعة القاهرة وقنبلة فى محطة السكة الحديد وقنبلة فى محل جروبى وقد اعترف عبد الناصر بعد ذلك بأنه هو الذى أمر بتفجير القنابل كى يشعر المصريون بأن ابتعاد الجيش عن الحكم يؤدى إلى اضطرابات واخطار وقلاقل وفى ذلك ما يرعب المصريين فيطالبون باستمرار حكم قيادة الجيش .

وفى ٢٣ من مارس أذاع الرئيس محمد نجيب تصريحات جديدة أكد فيها تمسكه القوى بإعادة الحياة النيابية وإقامة جمعية تأسيسية ، وأن الأحكام العرفية ستلغى ولن تبقى بعد ١٨ من يونيه ولن يبقى فى المعتقلات إلا من صدر ضده حكم قضائى من

المحاكم العادية . وقال أن الاعتداء على الأستاذين أحمد حسين وعبد القادر عودة محل تحقيق سريع وحازم ولابد من محاسبة مرتكبي هذا الاعتداء .

وكان الملك سعود قد وصل إلى مصر لزيارتها وانشغل نجيب باستقباله والتنقل معه والحفاوة به وكانت هذه فرصة شعبية ليخرج فيها الشعب إلى الشوارع بحجة تحية الضيف العربي وكان دائماً يردد الهتاف لمحمد نجيب حبيب الشعب . وفي الاسكندرية عندما كان سعود ونجيب في منزل الرئيس شكري القوتلي تجمعت المظاهرات وهتفت لنجيب والنحاس .

واستمرت هذه المظاهرات تتجدد كل يوم في كل مكان يوجد فيه الملك سعود وكان معروفاً أن نقابة المحامين ستعقد اجتماعها يوم ٢٦ من مارس ، وفي يوم ٢٤ من مارس علم عبد الناصر أن النقابة قد تلقت برقية قوية من المحامين المعتقلين هذا نصها :

« من خلف جدران السجون الحربية نحييكم وسائر الزملاء تحية الجهاد ولإقرار الحريات المهددة ونسجل ما نلاقيه وسائر المعتقلين من عنف واضطهاد ونؤيد مطالبتكم بالغاء الأحكام العرفية وإطلاق الحريات والعودة إلى الحياة الدستورية وإعلان ميثاق وطني يلتزم به قادة البلاد وزعماؤها لجمع الكلمة وتحقيق أهداف الوطن وفقكم الله وسدد خطاكم » .

علم عبد الناصر بكل هذه الأشياء ثم كانت التقارير تنقل إليه أنباء المظاهرات التي انتشرت في كل مكان فجمع المجلس يوم ٢٥ من مارس وفي منتصف الليل أصدر قرارات خطيرة تقضي بالسماح بقيام الأحزاب وعدم حرمان أحد من حقوقه السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على حرية الانتخابات وانتخاب جمعية تاسيسية انتخاباً مباشراً دون تعيين أحد من أعضائها وأن تكون لها السيادة الكاملة وسلطة البرلمان كاملة ثم حل مجلس قيادة الثورة في ٢٤ من يوليه باعتبار الثورة قد انتهت وتسليم البلاد لممثلي الأمة ثم تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها .

وصحب اتخاذ هذه القرارات الإفراج عن مئات الاعضاء من جماعة الأخوان المسلمين وعلى رأسهم المرشد العام الاستاذ حسن الهضيبي .

هذا وقد كان اجتماع نقابة المحامين صاخباً وعنيفاً جداً وطالب المحامون بتأليف حكومة مدنية تتولى إجراء الانتخابات وإلغاء الأحكام العرفية وإزالة جميع القيود فوراً . كما أصدرت الغرفة التجارية عدة قرارات قوية .

وفى الوقت الذى كان عبد الناصر يعلن فيه هذه القرارات بإعادة حرية الأحزاب والذى كان فيه نجيب مشغولاً فى مرافقة الملك سعود تقدم لجمال أحد أعوانه من الصحفيين بمشروع أكد أنه كفيل بالقضاء على نجيب وبعودة جمال إلى تولى زمام الأمور وتمكينه من التنكيل بكل من قال بالحرية .

ويقضى هذا المشروع بأن يتم تنظيم ثورة داخلية ضد قرارات ٥ من مارس وقرارات ٢٥ منه وتقوم مظاهرات تهتف ضد هذه القرارات وتطالب ببقاء مجلس القيادة وبعدم تخليه عن المسؤولية وبعد ذلك يعود مجلس الثورة إلى الغاء القرارات مستنداً إلى أن هذه المظاهرات هى دليل على أن الشعب لا يريد الحرية والدستور .

وكان هذا المشروع الأمل الذى انفتح أمام عبد الناصر الناقم لضياع السلطات من يده وصاحب الرغبة الجامحة فى الانتقام من نجيب ومن كل من أيد العودة إلى الحياة الدستورية وكان يوم الجمعة ٢٦ من مارس أول الأيام الخطيرة فى تغيير الأوضاع ونكستها فى مصر فقد كانت الحوادث مثيرة مناقضة تنذر بشر مستطير وظهر للناس جميعاً أن السلطات أصبحت موزعة بين فريقين من الحكام أحدهما يرأسة محمد نجيب الذى يريد تنفيذ القرارات الخاصة بالدستور وعودة الحياة النيابية والحريات والفريق الثانى برأسه جمال عبد الناصر الذى يريد حكم البلاد حكماً ديكتاتورياً .

وفى ذلك اليوم كانت مصر تعيش بلا حكومة فرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء هو محمد نجيب فقد سيطرته على الحكومة بعد أن حرض جمال جميع أعضاء مجلس القيادة برفض أية تعليمات لنجيب كما حرض الوزراء المدنيين على رفض التعاون مع نجيب وعلى الامتناع عن الذهاب إلى مكاتبهم وتصريف أمور الدولة .

وكان جو القاهرة فى ذلك اليوم مشحوناً بالشائعات والاجتماعات والمناورات حتى خيم عليها نوع من الرهبة والتوجس فاضطرب جميع الناس وتوجسوا شراً من مؤامرات عبد الناصر وفريقه المناصر له .

ومن أغرب ما حدث أن مجلس القيادة عندما اضطر لإصدار قرارته الدستورية تحت ضغط العناصر الحرة من الضباط ، رأى الرئيس نجيب أن يصحب ذلك الإفراج عن المعتقلين وإلغاء تحديد إقامة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا . ولكن الأوامر الرسمية التى صدرت فى هذا الشأن ، لم تنفذ ، لا فى ذلك اليوم ولا فى أى يوم آخر . وقد نشرت المصرى فى عدد الصباح خبراً بالحروف الكبيرة البارزة توضح فيه هذا العبث الذى لم يحدث له مثيل فكتبت تقول ان إقامة مصطفى النحاس لا تزال محددة بل عززت الحراسة على داره . وأن التعليمات التى صدرت بالافراج عن القائمقام رشاد مهنا عضو مجلس القيادة والوصى على العرش — فيما مضى لم تنفذ ولا يزال هذا الضابط الكبير سجينا بسجن الاستئناف . كما أن الرئيس نجيب اتصل بمنزل الاستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى ليهنئه بالافراج عنه فعلم من السيدة حرمه أن زوجها مازال نزيل معسكرات الاعتقال !!

أما الموقف الوزارى فكان عجباً فى عجب . أمر الضباط زملاءهم الوزراء المدنيين بالاستقالة ، فلما قدموا استقالاتهم إلى الرئيس نجيب . صرح أحد اعضاء مجلس القيادة بأن الفصل فى قبول الاستقالة أو رفضها ، هو لمجلس القيادة ، لا لمحمد نجيب . وهكذا ظلت البلاد بلا وزارة ، ودون أن يستطيع محمد نجيب تأليف وزارة جديدة . وفى نفس الوقت إجتمع المحامون من مختلف أنحاء البلاد ، ليتشاوروا فى الموقف ، وتحدث فريق كبير منهم حديثاً صريحاً فى وجوب عودة الضباط إلى ثكناتهم ، وإنهاء الحكم العسكرى ، وإطلاق الحريات ، وقرروا الأضراب يوم الأحد التالى إستنكاراً لحوادث الاعتداء على المعتقلين والمسجونين وتسجيل هذا الاحتجاج فى محاضر الجلسات بالمحاكم .

كما قرروا بالاجماع المطالبة بإلغاء الأحكام العرفية فوراً ، وتتشكيل وزارة مدنية لإجراء الانتخابات وإلغاء جميع الأحكام الاستثنائية ، كأحكام محكمة الثورة ، وما ترتب عليها من آثار .

وأصدر مجلس نقابة الصحفين بياناً يطالب فيه بإلغاء الاحكام العرفية فوراً حتى تزول الآثار المترتبة عليها من قيود للحريات ، وأن تلغى كذلك الأحكام التى صدرت

عن غير طريق القضاء العادى ، كما طالب المجلس بالافراج عن جميع المعتقلين ، ومن بينهم أعضاء نقابة الصحفيين وتأليف وزارة قومية لاجراء الانتخابات ؛ وجاء فى هذا البيان أيضاً :

« ويدعو المجلس الهيئات والنقابات إلى تأليف لجنة مشتركة تضع ميثاقاً وطنياً يهدف إلى تحقيق المثل العليا التى يصبو أليها الشعب ، وأن يقف الجميع صفاً واحداً حتى تتحرر البلاد من نير الاستعمار البغيض .

ويستنكر المجلس بكل قوة ألوان الاعتداءات التى يقوم بها الجيش البريطانى فى قطعة عزيزة من أرض الوطن ، وقد ألّف المجلس لجنة من بين أعضائه للاتصال بالصحافة العالمية لاطلاعها على هذه الحوادث الدامية التى لم تعرف فى تاريخ العصور الوسطى .» .

النقيب : حسين أبو الفتح
السكرتير العام : مصطفى القشاشى

وأصبح الصباح وانتشرت فرق من ضباط الحرس الوطنى الذى شكله عبد الناصر فى الطرقات يقودون مظاهرات متفرقة . وعقد ضباط من أنصار جمال اجتماعات رسموا فيها خطط الأخلال بالأمن وإحداث فتنة يتمكن عن طريقها جمال من إلغاء القرارات الدستورية وفرض نظام ديكتاتورى سافر وألقى ضباط الحرس الوطنى أربع قنابل انفجرت فى أنحاء القاهرة فأحدثت دوياً هائلاً أفزع الناس وأدخل الرعب فى النفوس .

والحرس الوطنى كان عبارة عن تجمع لإعداد من الشباب يرأسهم ويشرف على تكوينهم احد اعضاء مجلس القيادة

وخصصت الحكومة قطارات وسيارات من سيارات الجيش لنقل أعضاء الحرس الوطنى من الأقاليم وجمعهم فى القاهرة لتنفيذ المؤامرات .

وقد ظلت القاهرة دون حكومة وقد سيطر عليها الرعب وانتشر أعضاء الحرس الوطنى يعتدون على الأهالى ويفجرون القنابل ونجيب فى خطر الاغتيال .

وكانت تجمعات أفراد الحرس الوطنى قد وصلت إلى مدينة القاهرة . وفى تلك الليلة أى مساء يوم ٢٦ من مارس كانت فرق الحرس الوطنى تتلقى التعليمات بالأعمال التى يناط بكل فرقة من هذه الفرق أن تقوم بها .

ولم ينم جمال ورجاله طوال الليل بل كانوا يتصلون ببعض زعماء العمال ويصدرون إليهم تعليماتهم ويوزعون عليهم المال ببذخ شديد .

ونشط أعضاء هيئة التحرير .

ولم ينم الناس طوال الليل فقد بات كل إنسان يشعر أن حياته فى خطر وأنه مهدد بأن يهاجمه فى منزله بعض رجال الحرس الفاشتى أعوان عبد الناصر .

وتفاصيل ما حدث يوم السبت ٢٧ من مارس أن عمال الأوتوبيس والترام كانوا قد حددوا هذا اليوم للقيام بإضراب معلنين بذلك احتجاجهم على عدم إجابة الشركة لمطالبهم فانتهز جمال ذلك اليوم لتنفيذ مؤامراته وفى الصباح الباكر وزع أنصار جمال منشورات تقول أن أضراب عمال النقل قد قام احتجاجاً على إعادة الدستور وأن العمال قرروا :

١ ــ عدم السماح بقيام الأحزاب .

٢ ــ إستمرار مجلس قيادة الثورة فى مباشرة سلطاته .

٣ ــ تأليف جمعية وطنية استشارية .

٤ ــ عدم الدخول فى المعارك الانتخابية .

وانتشرت فى البلد سيارات الجيش تمنع سائقى الأجرة « التاكسيات » من العمل وتلزمهم بالأضراب .

ومن الصباح الباكر ذهبت قوات الجيش لمخازن الترام والأوتوبيس ومنعت خروج مركبات الترام وعربات النقل « الأوتوبيس » بعد أن تبين لعبد الناصر أن العمال قد عدلوا عن إضرابهم حتى لا يستغله عبد الناصر فى تحقيق أطماعه السياسية .

ومرت سيارات الجيش على المحال التجارية تأمرهم بغلق حوانيتهم وتنذرهم بأن الحكومة غير مسئولة عما سيقع للحوانيت التى تفتح أبوابها .

وهكذا أقبل الصبح على مدينة القاهرة وقد لفّها صمت رهيب لا صوت فيها ولا حركة والمحال مغلقة والحزن يخيم على المدينة . وأصبحت القاهرة بلداً هجره سكانه وفرد الموت جناحيه عليه .

وبعد فترة أخذت بعض المظاهرات تطوف أرجاء القاهرة . مظاهرات تنتقل بسيارات الجيش المصرى وفى كل سيارة عدد من شباب الحرس الوطنى وبعض الأهالى .

ومرت إحدى السيارات أمام فندق سميراميس فهب الناس إلى النوافذ والشرفات يسمعون ما تردد هذه المظاهرات من هتافات . ولم يصدق الناس ما يسمعون فأعادوا الانصات فإذا بها نفس الهتافات ، هتافات لم يهتف بها من قبل بشر : « تسقط الحرية ... تسقط الديمقراطية ... يسقط البرلمان .. يسقط المتعلمين »
كانت الهتافات تردد بحماية الضباط ورقابة الحرس الوطنى : « يسقط المتعلين ... تسقط الحرية ... » .

ومرت القوات الحربية على جميع محطات بيع البنزين فأغلقتها وعلى دواوين الحكومة ومنعت الموظفين الذين حضروا سيراًعلى الأقدام من دخولها وخلت الشوارع إلا من سيارات الجيش التى حملت المرتزقة من أعضاءهيئة التحرير ومنظمات الشباب والحرس الوطنى .

واتجهت المظاهرات إلى دار جريدة المصرى وأخذت تهتف قائلة « تسقط المصرى » . ثم هتفت : « يسقط أحمد أبو الفتح الخائن ... وأخذت تلقى الحجارة على مبنى الدار وهشمت بعض الألواح الزجاجية ثم تصدى لها الأهالى ففرت ثم عادت تقذف الناس بالحجارة وأخذت تهتف : بسقوط الدستور ... وسقوط المتعلمين ... وسقوط الحرية ...
وذهبت قوات أخرى من الجيش إلى محطة مصر وأوقفت القطارات عن السير وأمرت القطارات التى كانت قد بدأت سيرها بالوقوف وأمرت بأغلاق جميع المزلقانات كى تتعطل حركة القطارات .

وأخذت محطة الأذاعة التى يشرف عليها الصاغ صلاح سالم تردد من الصباح

الباكر أنباء مختلفة وبيانات كاذبة مضللة تدعي أن النقابات أرسلت إحتجاجاً على قرارات ٥ و٢٥ من مارس وتطالب فيها باستمرار مجلس الثورة فى الحكم وعدم إجراء انتخابات .

وقد أرسلت هذه النقابات برقيات إلى محطة الأذاعة وإلى جميع دور الصحف وإلى الرئيس نجيب تحتج فيها على البيانات المختلقة التى تنسبها لها محطة الأذاعة وتؤكد نصرتها للرئيس نجيب وتمسكها بقرارات ٥و٢٥ من مارس ، ولكن محطة الأذاعة لم تعر هذه البرقيات أى أهتمام بل راحت تكرس جهودها فى تشجيع الأضراب والترويج له وإذاعة البيانات الكاذبة المختلقة .

وفى هذا الجو العاصف ورغم كل هذه الاجراءات العنيفة إستطاع عشرة الآف طالب من طلبة الجامعة الوصول إلى مبنى الجامعة سيراً على الأقدام وعقدوا اجتماعاً خطيراً نددوا فيه بالمؤامرة الخبيثة التى يحيك أطرافها جمال عبد الناصر وتوالى الخطباء يندون بالديكتاتورية وأخيراً أصدروا قرارتهم بالتمسك بقرارات ٥ و٢٥ من مارس .

ولم يقف الأمر عند الطلبة بل إن هيئة التدريس بجامعة القاهرة عقدت مؤتمراً واتخذت نفس القرارات .

ولم تكن جامعة إبراهيم ولا جامعة الاسكندرية أقل تحمساً من جامعة القاهرة فقد عقد الطلبة وكذلك هيئة التدريس إجتماعات واتخذوا نفس القرارات .

وأعلن المحامون الأضراب احتجاجاً على استمرار إعتقال بعض المحامين وسجلوا فى محاضر الجلسات إمتناعهم عن العمل إحتجاجاً على ما يتعرض له زملاؤهم من الاعتداء على الحرية .

وكان صراعاً رهيباً بين الشعب وبين الحرس الوطنى وبعض المرتزقة من هيئة التحرير .

ولم يكن سوى المصرى بين الصحف اليومية هو الذى يناضل فاستمر يكافح فى سبيل نصرة الحق . وأصبح من المتوقع أن يعلن نبأ اغتيال نجيب فى أية لحظة .

واستمرت المظاهرات تجوب طوال النهار وجزءاً كبيراً من الليل أرجاء القاهرة فى سيارات الجيش تهتف بسقوط الحرية وسقوط الدستور وسقوط المتعلمين وسقوط ... وسقوط ...

وفى الساعة الثانية عشرة من مساء هذا اليوم المشؤوم ٢٨ من مارس أُبلغ نجيب بأن حياته باتت يخشى عليها وأن المؤامرة قد أُحكمت لاغتياله هذه الليلة فخرج من داره مسرعاً وذهب إلى قصر الطاهرة حيث لجأ للملك سعود . وفى ساعة متأخرة من الليل استدعى الملك سعود البكباشى جمال عبد الناصر وطلب منه تأمين حياة نجيب فأبدى جمال لطفاً وتودداً لنجيب وقال أنه لا يمكن أن يسمح بالاعتداء على حياته وأنه لا ينسى الأيام التى اشتركا فيها فى العمل سويا . وهكذا بحديث ناعم وكلام معسول راح جمال يسأل « لماذا تتمسك بإعادة الدستور » . وقال نجيب : « إن كل البلد تتمسك بالدستور » . فقال جمال : « أبداً إن البلد لا تريد الدستور » .

ثم واصل حديثه قائلا : « إننا نريد أن نصفى كل أسباب الخلاف معك ولن يكون ذلك إلا بعد أن يكشف كل واحد منا ورقة للأخر ويفتح قلبه ، وأنا أريد أن أعلم من الذى يحبذ عودة الدستور وانطلت الحيلة ، فقال : « كل رجال البلد الكبار عاوزين الدستور » فقال جمال : « مثل من ؟ » فقال نجيب « السنهورى ، وهو رجل عاقل » .

وفى صباح يوم ٢٩ من مارس انتشرت المظاهرات مرة أخرى تجوب القاهرة بواسطة سيارات الجيش تواصل هتافاتها المشينة ، وكان السنهورى فى مجلس الدولة ففوجىء بوصول ضابط شاب عليه فى مكتبه يقول له : « إن مظاهرة قادمة صوب مجلس الدولة وأرى أن تخرج إلى المتظاهرين تخطب فيهم لتهدئهم » . فقال الدكتور عبد الرزاق السنهورى : « أنا اخطب فى المتظاهرين ، ليس من المعقول ــ وأنت ضابط أن تلجأ إلىّ أنا لأهدىء المتظاهرين ــ وبإمكانك باستعمال التليفون أن تستحضر قوة تفرق المظاهرات وتحمى المجلس من أى مظاهرة » .

ولكن الضابط جادل السنهورى وكانت فى هذه اللحظة قد وصلت المظاهرة إلى فناء مجلس الدولة فدفع الضابط السنهورى دفعاً وطلب منه أن يخطب فى المتظاهرين وحاول

السنهورى الافلات من يد الضابط فما كان منه إلا أن أخرج مسدسه وأطلق طلقتين فى الهواء .

ويبدو أن هذه كانت الأشارة التى اتفق عليها لبدء الهجوم ولتحديد شخصية السنهورى للمتظاهرين الذين كانوا جميعاً من الدهماء الذين لا يعرفونه من قبل إذ هجم المتظاهرون فجأة على الرجل وانهالوا عليه ضرباً وتطاير دم السنهورى وعلق بحائط المبنى تسجيلاً للجرم الفظيع ، ورغم تألم الرجل وتوجعه لم يرحمه المتظاهرون بل جروه حتى نزلوا به إلى فناء المجلس .

وبعد هذا الاعتداء الوحشى على أكبر حصن للعدالة فى مصر وعلى أكبر شخصية قضائية وأعلم علماء القانون توجه الصاغ صلاح سالم إلى المجلس وادعى أنه ذهب ليحمى السنهورى وقال لولا حضوره لاجهز المتظاهرون عليه . والمفهوم أنه ذهب ليمتع نظره ويشفى حقده بما أصاب الرجل الذى تجرأ على تحريض محمد نجيب على المطالبة بالدستور .

وكان أحد الضباط قد اقترح على مجلس القيادة فى غيبة نجيب أن ينتهز المجلس فرصة الفوضى التى تعم القاهرة فى ذلك اليوم وفرصة انتشار الغوغاء ومظاهراتهم وعدم وجود حكومة تعمل على السيطرة على ما يدور أن تتجه فرق من المتظاهرين إلى منازل كل من تريد الحركة الخلاص منهم لقتلهم . وفعلاً كانت قد أعدت كشوفاً بأسماء المرشحين للقتل وكان بينهم مصطفى النحاس ولكن تم العدول عن التنفيذ بسبب تفشى خبر هذا التدبير .

وكان نجيب قد رجا الملك سعود أن يصحبه معه عند سفره فلما عرض الملك هذا الطلب على جمال رفضه بحجة أن سفر نجيب سيفسر بأنه ، أى جمال ، قد نفاه من مصر . وكان نجيب قد عانى الكثير خلال الأيام الماضية نتيجة المجهود الضخم الذى بذله ، وكان قد أعياه التعب وحطمت الهزيمة معنوياته وقتل الحزن على نكسة البلاد روحه . ثم زاد على ذلك التهديد المستمر باغتياله . ولذلك عندما ذهب إلى مطار القاهرة يودع الملك سعود كان بادى الشحوب منهوك القوى .

وصعد الملك سعود إلى الطائرة وصعد خلفه نجيب وأطال المكث داخل الطائرة ولم يشأ أن يغادرها . كان يعتقد أن الدقائق التى تمر عليه داخل الطائرة هى آخر دقائق من حياته وكان يتمنى لو أن الطائرة أقلعت به . ولكن الطائرة لم تقلع فنزل هو والسيد عبد الرحمن عزام ، كان ينزل درج الطائرة وكأنه فى كل خطوة يخطوها إنما يخطو نحو نهايته ، حتى إذا وصلت قدمه إلى الأرض مادت الدنيا به وسقط مغشياً عليه .

ونظر إليه جمال وصلاح وأنور وتركوه وانصرفوا دون أن يعنوا بنقله إلى منـزله وتكاثر الناس وحملوه إلى إحدى حجرات المطار وراحوا يرجون الدكتور نور الدين طراف أن يتولى الإشراف عليه .

وأفاق نجيب واستعاد أنفاسه فأخذ يقول : « الله يلعنك يا جمال ... الله يلعنك يا جمال ... » ثم علا الزبد منه وراح فى غيبوبة ، ونُقل بعد ذلك إلى منزله حيث ظل تحت العلاج عدة أسابيع .

وبينما كانت هذه الحوادث تتوالى صورها فى مطار القاهرة كان الاعتداء الوحشى يقع على الدكتور السنهورى رئيس مجلس الدولة فى صالة المجلس ، وفى نفس الوقت كان الضباط يشرفون على هجوم قام به المرتزقة ممن جمعوهم على دار جريدة المصرى ، إذ أخذوا يمطرون مبنى الدار بالحجارة ويهتفون بسقوطى .

وفى الساعة السادسة والنصف أصدر البكباشى جمال عبد الناصر قراراته التى أجل بها تنفيذ جميع قرارات ٥و٢٥ من مارس إلى ما بعد انتهاء فترة الانتقال التى كان حددها فى أوائل عام ١٩٥٣ بمدة ثلاث سنوات .

وكان منتصف السابعة من يوم ٢٩ من مارس هو ختام الأربعة وثلاثين يوماً الحاسمة فى تاريخ مصر ... ، فلقد صارت مصر منذ تلك اللحظة ملكاً لجمال عبد الناصر وحقق منذ ذلك التاريخ أحلامه التى ظل طويلاً يحلم بتحقيقها ...

كان منتصف السابعة من يوم ٢٩ من مارس سنة ١٩٥٤ هو الوقت الذى بدأ فيه ناقوس الحكم الديكتاتورى يدق ويعلن عبد الناصر دكتاتوراًعلى مصر .

ومنذ ذلك اليوم بدأ جمال عبد الناصر يحكم مصر حكماً ديكتاتورياً رهيباً ، ومنذ ذلك

اليوم يُسّخر كل وسائل الانتقام لتصفية كل من وقف فى وجهه فبدأ بإعادة الرقابة فوراً على الصحف وبصورة خاصة على جريدة المصرى ، وفتح أبواب السجون والمعتقلات مرة أخرى يسوق إليها المئات . يسوق كل من كتب عن الحرية ، كل من اشترك فى إصدار قرار يطالب بعودة الحياة النيابية ، كل من تحدث فى أى مكان عن الديمقراطية يسوقهم إلى المعتقلات ليلقوا أسوأ وأفظع وأحط ألوان التعذيب والبطش .

وتتابعت الأيام السوداء الواحدة تلو الأخرى وفى كل يوم كان لجمال عبد الناصر عشرات بل مئات الضحايا ينتقم منهم أبشع انتقام لا لشىء إلا أنهم كانوا من دعاة الحرية والدفاع عن الديمقراطية .

واختفى الرئيس محمد نجيب ولم يعد أحد يعرف أين يقيم وما هو مركزه الرسمى بعد هذه الأحداث إلى أن عرف أنه قد تم عزله وتحديد إقامته وظل محدداً إقامته إلى ما بعد وفاة عبد الناصر كما تم إعلان عزله رسمياً فى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٤ .

أعضاءها بمعارضتهم للنظام وبالحصول على مبالغ من المصاريف السرية .

الأول من مايو ــ هرب بعض ضباط الجيش المعارضين لديكتاتورية جمال عبد الناصر إلى ليبيا ، وسافر عضو من مجلس الثورة إلى هناك ليتسلمهم ، فرفض الملك السنوسى مقابلته ، كما رفض تسليمهم إليه .

ورغم كل ألوان البطش والأرهاب أصر الطلبة على الاضراب والهتاف بسقوط الديكتاتورية والمطالبة بعودة الحريات والدستور فصدر فى ٢ من أبريل قرار بتعطيل الدراسة يومى ٣و٤ من أبريل بجامعة القاهرة لمواصلة الطلاب والاساتذة إضرابهم .

وفى ٣ من أبريل ــ صدر قرار جديد بتعطيل الدراسة فى جميع كليات الجامعة والمعاهد التابعة لها مدة أسبوع . كما قررت جامعة أبراهيم تعطيل الدراسة فى كلياتها ومعاهدها حتى نهاية الأسبوع أيضاً .

واعتقل جمال عبد الناصر مئات الطلبة .

وفى ٦ من أبريل ــ وصل الصاغ خالد محيى الدين عضو مجلس القيادة المعروف باتجاهاته الدستورية ، إلى باريس ، بدعوى القيام بدراسات . وبعد ذلك شرد سلاح

الفرسان تشريداً فحكم بالسجن على ١٧ ضابطاً وأخرج أكثر من مائة وعشرين ضابطاً من الخدمة .

وفى ٧ من أبريل ــ قرر مجلس جامعة الاسكندرية تعطيل الدراسة فى جميع كليات الجامعة ومعاهدها ابتداء من ٨ من أبريل إلى ١٢ منه ، لإضراب الطلبة إحتجاجاً على النظام الديكتاتورى ، وفى هذه الفترة إعتقل جمال كل من حرّض على هذا الأضراب .

وفى ٧ من أبريل ــ بدأ صلاح سالم يمهد الجو لحل مجلس نقابة الصحفيين الذين طالبوا بإطلاق الحريات وتأليف وزارة مدنية لاجراء الانتخابات ، فأدلى وزير الارشاد بتصريحات عن نقابة الصحفيين يفهم منها أنه يدرس موضوع حلها أو إلغائها ويتهم أعضاءها بمعارضتهم للنظام وبالحصول على مبالغ من المصاريف السرية .

١٧ من أبريل ــ فى منتصف الليل أعلن الصاغ صلاح سالم أن مجلس القيادة قرر تعيين جمال عبد الناصر رئيساً للوزارة ، وقد شكلت الوزارة الجديدة بعد إخراج عدد من الوزراء المدنيين منها ، وتعيين ضابطين جديدين من أعضاء مجلس القيادة هما حسين الشافعى وحسن ابراهيم فى مناصب وزارية .

١٨ من أبريل ــ تقرر تقديم محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصرى وشقيقه حسين أبو الفتح إلى محكمة الثورة ، على أن تبدأ محاكمتهما يوم ٢٩ من أبريل .

٢٨ من أبريل ــ بدأت محاكمة محمود وحسين أبو الفتح أمام محكمة الثورة ، وتولى الدفاع عنهما الدكتور وحيد رأفت .

الأول من مايو ــ هرب بعض الضباط الجيش المعارضين لديكتاتورية جمال عبد الناصر إلى ليبيا ، وسافر عضو من مجلس الثورة إلى هناك ليتسلمهم فرفض الملك السنوسى مقابلته ، كما رفض تسليمهم إليه .

٣ من مايو ــ إنتهت محاكمة الاستاذين محمود أبو الفتح وحسين أبو الفتح أمام محكمة الثورة ، وقررت المحكمة النطق بالحكم صباح غد (٤ من مايو) .

٤ من مايو ــ صدر صباح اليوم آخر عدد من جريدة المصرى ، وهو يحمل دفاع الدكتور وحيد رأفت عن حسين أبو الفتح .

وفى الساعة العاشرة صباحاً إجتمعت المحكمة وأصدرت حكمها بسجن محمود أبو الفتح عشر سنوات وتغريمه ٣٥٦ ألف جنيه ، وسجن حسين أبو الفتح ١٥ سنة مع إيقاف التنفيذ .

الفصل العاشر

الحاجز الأول
هل حرق عبد الناصر القاهرة ؟
الحاجز الأخير
عبد الناصر والإخوان

كان جمال عبد الناصر من أوائل سنة ١٩٤٥ حائراً فقد وجد الأحزاب التى انخرط فى سلكها لا تحقق ما يعتمل فى نفسه من ثورية ورغبة فى التآمر فاستعرض الأحزاب المصرية فلم يجد إلا فى جماعة الأخوان المسلمين أمله المنشود ، ذلك لأن الجماعة كانت تضم إلى جوار جهازها العام جهازاً سرياً .

رأى عبد الناصر أنه لو استطاع السيطرة على الجهاز السرى للأخوان المسلمين لتحققت له قوة هائلة يتمكن عن طريقها أن يصل إلى تنفيذ ما كان يداعب خياله فى ذلك الوقت من آمال فى مؤامرات وثورات .

واتصل عبد الناصر بالشيخ حسن البنا المرشد العام للأخوان المسلمين فى ذلك الحين وأبدى استعداده للانخراط فى صفوف الجهاز السرى للجماعة ، وسرعان ما ارتقى عبد الناصر درجات هذا الجهاز حتى أصبح فى أواخر سنة ١٩٤٦ متصلاً اتصالاً مباشراً برئيسه فى ذلك الحين وكان يدعى عبد الرحمن السندى . وكانت مهمة عبد الناصر فى الجهاز هى تدريب المنضمين إليه تدريباً عسكرياً ، ورأس خلية كان اسمها خلية التدريب ، وكان التدريب على الأعمال العسكرية والأسلحة وأعمال النسف تتم تحت إشرافه فى مكان بالقرب من القاهرة يدعى « الرقة المشرقية » .

وكان عبد الناصر يحضر جلسات الجهاز السرية ويشترك فى وضع الخطط التى يرسم خطوطها رؤساء هذا الجهاز .

وقد لاحظ عبد الناصر أن هذه الجلسات تستغرق وقتاً أطول من اللازم ، كما لم يرق له الطريقة التى تسير عليها هذه الجلسات فى مناقشة الأمور ، ذلك لأن المتبع فى الاجتماعات كان يقضى على كل عضو أن يتحدث بكل ما لديه من معلومات وأسرار عن الموضوع محل البحث ثم بعد أن يفرغ المجتمعون من سرد ذلك تنصرف الجهود إلى تقرير ما يراه المجتمعون ضرورياً ، وكان عبد الناصر يضيق بهذا الأسلوب الذى

يفرض عليه أن يبوح بكل ما يعرف وهذا ضد طبيعته فهو يحب دائماً أن يحتفظ بالأسرار لنفسه ، يضاف إلى ذلك أنه كان لا يهضم وجود عبد الرحمن السندى رئيساً للجهاز السرى وله ، وكان يرى أن السندى لا يصلح لهذا المنصب وأنه هو أجدر منه .

لهذه الأسباب جميعها بدأت علاقة عبد الناصر بالأخوان تفتر تدريجيا وخاطب فى ذلك الصاغ محمود لبيب الذى كان من أكبر العوامل التى دفعت عبد الناصر إلى الانضمام إلى جماعة الأخوان المسلمين .

والصاغ لبيب وهو ضابط متقاعد كان قد عاش فى المانيا فى عهد هتلر سنوات وعاد إلى مصر قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة ثم انضم إلى جماعة الأخوان وكان من آماله إقامة حكم عسكرى دينى فى مصر .

قال عبد الناصر للصاغ لبيب أنه يعتقد أن الأسلوب الذى يسير عليه الجهاز السرى لجماعة الأخوان المسلمين أسلوب غير عملى ومعقد وأنه لا يعتقد أن هذا الجهاز سيستطيع أن يحقق الآمال ، وأضاف إلى ذلك أنه لكى تتكون فى مصر قوة سرية تستطيع فى وقت من الأوقات أن تسيطر على الأمور لا يمكن الاكتفاء بالضباط المدربين الذين يقبلون الانضمام إلى الجماعة بل إنه يرى أن تقوم المنظمة العسكرية السرية على أساس عدم تطلب أى شروط دينية فيمن يشترك فى المنظمة . واقتنع الصاغ لبيب بهذا الرأى وطمأنه إلى أنه فى اليوم الذى ستستطيع هذه المنظمة العسكرية السرية السيطرة على الأمور فى مصر فإن الحكم سيكون إسلامياً .

وفى اوائل سنة ١٩٤٨ كان عبد الناصر قد ضاق ذرعا برئاسة عبد الرحمن السندى وبالجلسات التى كان يعقدها لتخطيط الحوادث التى يقوم بتنفيذها الجهاز السرى ولذلك أخذ يبتعد تدريجياً عن هذا الجهاز دون أن يقطع الصلة به وكان قد نجح فى ذلك الوقت فى اقناع الضباط الذين كانوا قد انضموا للجهاز السرى بالأخوان إلى العمل معه مباشرة .

وقامت حرب فلسطين وظل عبد الناصر منذ منتصف عام ١٩٤٨ إلى منتصف عام ١٩٥١ ولا يربطه بالأخوان المسلمين إلا الضباط الذين كانوا يعملون معه وهم فى نفس الوقت أعضاء فى جماعة الأخوان المسلمين كالضابط الطيار عبد المنعم عبد الرؤوف .

فلما ألغى النحاس باشا المعاهدة المصرية البريطانية عاود عبد الناصر فى ذلك الوقت إتصاله بالأخوان المسلمين ، لا عن طريق الضباط الذين يعلمون معه والاعضاء فى جماعة الأخوان بل عن طريق أحد رؤساء المكتب السياسى للجماعة « مكتب الأرشاد العام » وهو الاستاذ عبد القادر عوده .

إتصل عبد الناصر بعوده وطلب منه إعادة تنظيم التعاون مع الأخوان المسلمين وعرّفه الأخير بالأستاذ حسن العشماوى أحد الشبان المحامين وكان من العناصر البارزة فى جماعة الأخوان المسلمين ومحل ثقة رئيسها .

وتوثقت الصلة بين عبد الناصر والعشماوى وأصبح الأول كثير التردد على الثانى وغدا بعد ذلك صلة الربط بين عبد الناصر وجماعة الأخوان المسلمين .

وتطورت العلاقة بين عبد الناصر والعشماوى حتى صار يفضى إليه بالكثير من الأسرار خصوصاً بعد أن لمس العشماوى إخلاصاً له ، وفى الأسبوع الثانى من شهر يناير سنة ١٩٥١ أثناء اشتداد مقاومة المصريين للانجليز فى منطقة السويس بدأ عبد الناصر يحدث العشماوى عن آماله فى إحداث انقلاب عسكرى فى مصر . وكان رأيه أنه لا فائدة من خوض معركة ضد القوات البريطانية فى مصر قبل التخلص من الأوضاع القائمة فى داخل مصر . ويقصد بذلك الملك فاروق والحكومة والأحزاب ، وكان العشماوى يخالف هذا الرأى إذ يرى أن الظروف مهيئة لتخليص البلاد من الاحتلال البريطانى وأن الواجب يحتم على كل مصرى أن يكرس كل جهوده للمساهمة فى الأعمال الفدائية ضد القوات البريطانية ولكن عبد الناصر كان فى نهاية كل مناقشة لا يبدى اقتناعاً برأى العشماوى وإن كان قد والى تقديم السلاح والذخيرة له ليرسلها للفدائيين الذين يقومون بأعمال التخريب فى المعسكرات البريطانية .

وفى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر عام ١٩٥١ زار جمال عبد الناصر حسن العشماوى ودارت مناقشة بين الأثنين أشاد خلالها الأخير بالأعمال الكبيرة التى قام بها الفدائيون ضد القوات البريطانية ولكن عبد الناصر قد تحول بالحديث إلى ضرورة تقديم المعركة الداخلية على المعركة ضد الانجليز أو قوات الاحتلال . وكان الملك فاروق فى ذلك الحين قد أحاط نفسه بحاشية عُرف أكثر أفرادها بميولهم نحو الانجليز وكان

الشعب ينتقد هذه التصرفات علانية وقام طلبة المدارس بمظاهرات عدائية لهذا السبب ضد فاروق ، وقد استند عبد الناصر على هذه العوامل وغيرها فى تبرير رأيه بضرورة خوض معركة داخلية ضد فاروق وضد الحكومة وضد رجال السياسة ثم أخذ يردد فجأة بأنه لابد من إيجاد سبيل يستطيع الجيش عن طريقة أن يسيطر على زمام الأمور فى القاهرة .

وقد دهش حسن العشماوى لهذا الحديث الغريب وراح يستفسر من عبد الناصر عن وجهة نظره والأسباب التى يريد من أجلها أن يسيطر الجيش على الأمن فى القاهرة . وكان رده عليه بأنه إذا ما سيطر الجيش على الأمن فى العاصمة فإنه يصبح من السهل كسب المعركة الداخلية إذ أن الانقلاب عندئذ سيكون قابل التحقيق .

وفى ٢٥ من يناير هاجمت قوات الاحتلال البريطانية قوة من البوليس المصرى فى منطقة الإسماعلية وكان الهجوم عنيفاً إذ استعملت فيه القوات البريطانية أسلحة أقوى بكثير من أسلحة عساكر البوليس التى لم تكن سوى بنادق قديمة واستمرت قوات البوليس المصرى تقاوم الهجوم البريطانى بضع ساعات حتى نفذت كل الذخيرة وسقط خلال المعركة عدد كبير من القتلى من العساكر المصريين .

وقد هزت أنباء هذه المعركة الشعب المصرى وكانت مصر تعيش فى موجة من الغضب والثورة ضد الانجليز .

وفى صبيحة ٢٦ من يناير خرجت المظاهرات من كل أنحاء العاصمة حتى عساكر البوليس إشتركت فى المظاهرات وامتنعت باقى قوات البوليس من التدخل لفض المظاهرات وفى ذلك اليوم إشتعلت الحرائق فى قلب العاصمة ، وظلت النار تلتهم أهم مبانى ومتاجر وأندية القاهرة ولا تجد من يخمدها . وقبل غروب الشمس نزلت قوات الجيش شوارع القاهرة وفضت المظاهرات .

وفى ذلك اليوم ، يوم ٢٦ من يناير إنتقل زمام المحافظة على الأمن من أيدى قوات البوليس إلى أيدى قوات الجيش ...

ومنذ ذلك اليوم ظل الجيش يسيطر على الأمن بالعاصمة إذ فرضت الأحكام

العرفية وفرض نظام حظر التجول فى يوم ٢٧ وكان يطبق نظام حظر التجول فى القاهرة قوات الجيش . ومنذ ذلك اليوم أجبر الشعب المصرى على الامتناع عن خوض المعركة ضد قوات الاحتلال البريطانية . ومنذ ذلك اليوم تم التمهيد للتخلص من حكومة الغالبية الشعبية إذ أن فاروق قد أقال الوزارة فى الساعات الأولى من يوم ٢٧ من يناير وأسند رئاسة الحكومة لعلى ماهر باشا .

ولم يسفر التحقيق عن معرفة الجناة الذين حرقوا القاهرة وتبادل القصر والوفد الاتهامات كما حامت الشبهات حول أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكى .

وإن كان التحقيق قد فشل فى تحديد الاتهام فإنه قد نجح فى إثبات حقائق تقرر أن حرق القاهرة قد جاء نتيجة خطة منظمة وأنه لم يتم ارتجالا ، فالقاهرة لم تشتعل فيها النيران نتيجة هياج الشعب أو تخريب الدهماء بل إنه قد تم بناء على خطة موضوعة وأنه قد تم استعمال مواد حارقة وناسفة وأدوات لتحطيم الأبواب الحديدية لبعض المخازن التجارية ، وأن كل هذه الأدوات لم يكن بالامكان أن تتوفر لدى المتظاهرين الذين خرجوا ليعلنوا سخطهم وغضبهم على الأعمال الرهيبة التى قامت بها قوات الاحتلال البريطانية ضد قوات البوليس المصرى .

وكان حسن العشماوى فى صبيحة يوم ٢٦ من يناير قد سافر إلى أحدى مدن الصعيد ليترافع فى احدى القضايا فلما عاد بعد ظهر اليوم التالى أخبرته زوجته أن بعض الضباط قد أحضروا صناديق وضعوها بجراج منزله ، وتوجه العشماوى إلى الجراج فوجد به عدة صناديق مليئة بمادة « ت .ن .ت . » و « الجلجينيت » وأسلحة مختلفة .

واتصل حسن العشماوى بعبد الناصر فأخبره بأن هذه هى بقية المواد التى كان فى النية إرسالها إلى منطقة المعسكرات البريطانية ليستعملها الفدائيون ضد الجيش البريطانى ، وأنهم أى الضباط رأوا نقلها إلى منزله لأنه بعيد عن الشبهات وأنهم يخشون لو بقيت فى منازلهم ان تضبط .

وكانت عقوبة إحراز أسلحة أو مواد مفرقعة فى ذلك الحين هى الاشغال الشاقة .

وعلم حسن العشماوى أن مواد حارقة وناسفة أخرى قد أودعها عبد الناصر

وبعض زملائه الضباط منازل آخرين من أعضاء جماعة الأخوان المسلمين ، فـ
العشماوى بعبد الناصر وأخبره أنه وان كانت الشبهات لا تدور حول الأخ
المسلمين ، فانه يوجد خطر نتيجة وجود هذه المواد الحارقة والناسفة فى منازل ؛
أفراد الأخوان ، واقتنع عبد الناصر بذلك وبعد أيام عاد وقد وضع تصميما لبناء :
تخزن فيه هذه المواد . وتم الاتفاق بين عبد الناصر والعشماوى على أن يتم بناء المخز
بلدة الأخير بعزبة والده محمد العشماوى باشا .

لم يكن أمراً هيناً أن ينقل حسن العشماوى الأسلحة والذخائر إلى عزبة العشماو
باشا ذلك لأن مصر فى هذه الأيام كان يسودها جو غريب فالقاهرة منتشر فى كل أرجائ
جنود وضباط يفتشون خصوصاً السيارات التى تحاول الخروج فى اتجاه الدلت
أو الأسماعيلية خشية أن يكون بها فدائيون أو أسلحة للقيام بعمليات فدائية ضد
المعسكرات البريطانية .

إهتدى فكر حسن العشماوى إلى عملية بادر بتنفيذها إذ أن وجود هذه الذخائر فى
جراج منزله فيه خطر انفجارها وكذلك خطر أن يبلغ أى عميل للحكومة عن وجودها
لديه .

استأجر سيارة نصف نقل ووضع الصناديق التى تحوى الأسلحة والذخيرة فى
السيارة ثم غطى الصناديق ببعض قطع أثاث قديمة ثم بلفات بها ملابس قديمة ولبس
جلابية بلدى وشبشب وألبس ابنه محمد وابنتيه أمانى وفاطمة جلاليب رخيصة وأجلسهم
فوق لفات الملابس أى فوق صناديق الأسلحة والمفرقعات وقاد السيارة وقد جلست إلى
جواره زوجته الحاجة قدرية وقد ارتدت جلابية سوداء .

كان المظهر هو مظهر أسرة ريفية تهاجر من القاهرة إلى القرية واستطاع بتلك
المخاطرة المخيفة أن يصل إلى عزبة والده .

ولحق به بعض ضباط من سلاح المهندسين وحفروا فى السر بئرا وضعوا فيه
الصناديق ثم ردموه .

وبعد انصراف الضباط احتفلت أسرة حسن العشماوى بنجاح الخطة التى كان من

الممكن أن تؤدى بحياة كل من فى السيارة أو كانت قد تسفر عن ضبط عملية تهريب الأسلحة والذخائر والقبض على حسن العشماوى وتقديمه للمحاكمة .

وكان هناك خطر اخر هو أن يررى أحد أولاده بما قاموا به ذلك لأن لبسهم الملابس الفقيرة وجلوسهم فوق ظهر السيارة وتخفى والدهم ووالدتهم بارتداء ملابس الفلاحين الفقراء كان يمثل بالنسبة لهم مغامرة لم يسبق لهم أن قاموا بمثلها ولكن السيدة زوجة حسن كانت بارعة فى تربية أولادها فهى تحرص منذ صغرهم على أن تتحدث معهم وتشرح لهم الكثير من الأمور وتعودهم على الطاعة والصدق إذا وعدوا بشىء .

وعندما انتهت عملية إخفاء الصناديق قالت الحاجة قدرية لابنها وابنتيها إن كل ما يتعلق بالرحلة من القاهرة إلى العزبة هى سر يجب ألا يبوحوا به لأحد وألا يخبروا به أحد ووعد الثلاثة بتنفيذ طلب أمهم .

وفى الخامس من شهر فبراير اتصل عبد الناصر بحسن العشماوى وعرض عليه فكرة القيام بانقلاب عسكرى وهى الفكرة التى زارنى من أجلها وتحدثت عنها فى أول الكتاب ويبدو أن رأى العشماوى كان مطابقاً لرأيى . وعاود الاتصال بالعشماوى فى مساء يوم ٢٢ من يونيه وأخبره بعزمه على القيام بانقلاب وطلب منه تأييد جماعة الأخوان المسلمين .

وأصدرت جماعة الأخوان المسلمين تعليمات مكتوبة صبيحة يوم الانقلاب إلى جميع شعب الأخوان بالمحافظة على الهدوء وتأييد الوضع الجديد وتقديم كل مساعدة ممكنة لحركة الجيش .

ولم يكن المرشد العام للأخوان المسلمين الأستاذ حسن الهضيبى حتى ذلك التاريخ قد قابل عبد الناصر . وتمت أول مقابلة بينهما فى صبيحة يوم الأحد ٢٧ يولية أى بعد خروج فاروق من مصر وتنازله عن العرش ، وكانت المقابلة بناءاً على طلب عبد الناصر وقد حضرها اللواء محمد نجيب .

وجدير بنا هنا أن نطرح السؤال التالى على بساط البحث : من الذى حرق مدينة القاهرة يوم السبت ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ ؟ .

وللأجابة على هذا السؤال نقول : إن التحقيقات القضائية التى تمت فى عهد وزارة على ماهر باشا التى تولت الحكم يوم ٢٧ من يناير سنة ١٩٥٢ وفى عهد الوزارات المتوالية التى سبقت قيام حركة الجيش لم تنجح فى التوصل لمعرفة الجانى أو الجناة وانتهى الأمر باتهام الاستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة بتدبير هذا الحريق وبأن أفراد الحزب هم الذين قاموا بإشعال النار فى أنحاء القاهرة .

ولكن بالاطلاع على محاضر التحقيق اتضح أن اتهام أحمد حسين لم يكن يقم على أدلة ثابتة بل كان قائماً على الشبهات ، وعلى الرغم من ضعف هذه الشبهات فقد أحالت النيابة العمومية أحمد حسين إلى محكمة الجنايات بتهمة تدبير وتنفيذ حريق القاهرة .

وظل حريق القاهرة مجهول الفاعل ولا يلقى من المسئولين أى اهتمام حتى جاء جمال عبد الناصر فى سنة ١٩٦٠ ليفتتح مجلس الأمة فألقى خطاباً تضمن العبارة التالية .

« لقد كان حريق القاهرة أول بادرة للثورة الاجتماعية على الأوضاع الفاسدة ، وحريق القاهرة هو تعبير شعبى عن سخط الشعب المصرى على ما كانت ترزح فيه مصر من إقطاع واحتكار واستبداد رأس المال » .

لقد أذهل هذا المقطع من خطاب عبد الناصر الشعب المصرى ، ذلك لأن المصريين كانوا ولا يزالون يعتبرون حرق القاهرة جريمة من أبشع الجرائم التى ارتكبت ضد مصر فى عهدها الحديث ، فلقد شوه الحريق الإجرامى عاصمة مصر وألحق بها خراباً هائلاً فظيعاً ، وفضلاً عن ذلك فإن هذا الحريق قد أتاح للملك فاروق فرصة التخلص من حكومة الوفد التى كانت تمثل الغالبية العظمى من الشعب المصرى ، وأهم من ذلك وأخطر ، فإن حريق القاهرة قد أسدل الستار على الكفاح الهائل الجبار الذى كان الشعب المصرى قد خاضه بكل قوة وبسالة وشجاعة ضد الاحتلال البريطانى لقنال السويس ، ذلك الكفاح الذى كان يحتل الصدارة فى أحاديث الصحف والإذاعات فى مختلف دول العالم .

كان الشعب المصرى يتطلع فى صبيحة يوم ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ إلى مزيد من

الكفاح الباسل ضد القوات البريطانية فإذا بأيد تحرق القاهرة فتضع الحواجز الحديدية في وجه مواصلة هذا الكفاح الجبار .

ومن الواضح أن عبد الناصر قد أدرك أن الشعب المصرى يعتبر حرق القاهرة جريمة من أبشع الجرائم التى ارتكبت ضد الوطن ولذلك فقد آثر الصمت طوال هذه السنين حتى إذا ما فرض سلطانه كاملاً على الشعب المصرى ، سلطاناً قوامه البطش والقتل والتعذيب والأرهاب إعتقد أن الفرصة قد واتته ليواجه الشعب ويعلن له أنه يبارك حريق القاهرة ويعتبره « أول بادرة للثورة الاجتماعية على الأوضاع الفاسدة ... !! » .

وحتى يومنا هذا لا يزال حريق القاهرة يمثل علامة استفهام كبرى ... من الذى قام بالحريق ؟ .

حريق القاهرة لم يكن بالقطع نتيجة غضب المصريين الذين خرجوا يوم ٢٦ من يناير فى حالة غضب جارف وهياج عنيف ضد مذبحة عساكر بلوك النظام التى ارتكبتها قوات الاحتلال بالأمس فى الاسكندرية .

والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١ ــ أن إشعال الحرائق لم يكن يتم بطريقة عشوائية بل كان يستهدف أماكن معينة مما يوحى بأنه تم نتيجة خطة مدروسة .

٢ ــ أن الحرائق قدتم لإشعالها إستخدام مواد ناسفة وحارقة لم يكن من الممكن أن تتوفر بهذه الكميات لأفراد الشعب فهى إما كانت من مخازن الجيش المصرى أو أن قوات الاحتلال قد سلمتها لعملائها .

٣ ــ كان مع بعض المتظاهرين الآت حادة إستعملت لكسر الأبواب الحديدية التى كانت تغطى مداخل بعض المجال التجارية ومن المستبعد أن يخرج المصريون الغاضبون حاملين مثل هذه الآلات أى أن الذين حملوها كانوا يعرفون بنية اشعال الحرائق وأنهم سيحتاجونها لتحطيم الأبواب الحديدية .

وإذا أضفنا إلى هذه الأمور الأحاديث التى سبقت الحريق بين جمال عبد الناصر

وحسن العشماوى عن ضرورة تحويل المعركة ضد الانجليز إلى معركة داخلية ضد فاروق ورجال الأحزاب وعن ضرورة القيام بعمل يحقق سيطرة الجيش على القاهرة تكون الشكوك بأن بعض الضباط الأحرار قد اشتركوا بطريق مباشر أو غير مباشر فى اشعال الحرائق لها ما قد يبررها وإن كان لا يقطع بأنهم فعلاً اشتركوا .

بالإضافة إلى زيارته لى بعد أيام قليلة من حرق القاهرة هو ثروت عكاشة وحديثه عن الخطة التى يمكن باستخدامها للاستيلاء على السلطة والقبض على الملك والسياسيين .

ووّسع عبد الناصر إتصالاته بالأخوان المسلمين فصار يتصل بأعضاء مختلفين من هذه الجماعة وإن ظل حسن العشماوى هو حلقة الاتصال بينه وبين الكثيرين من الأخوان .

أما الاجتماعات الرسمية بين عبد الناصر وجماعة الأخوان المسلمين فكانت تجرى بينه وبين الأستاذ عبد القادر عوده .

وكانت جماعة الأخوان المسلمين خلال هذه السنوات قد اجتازت مراحل عنيفة وصعبة ذلك أنها خلال حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ أرسلت قوات من المتطوعين من أعضائها اشتركت فى الحرب ضد اليهود وأبلت بلاءاً حسناً ومشرفاً . فلما قبلت حكومة مصر التى كان يرأسها النقراشى باشا توقيع الهدنة الثانية مع اليهود ثارت الجماعة وقام جهازها السرى بتدبير حوادث نسف عنيفة ضد المؤسسات التى يملكها اليهود فى مصر ، وحاولت الحكومة الحد من هذا النشاط فاصطدمت فى صدام صريح مع الجماعة وأخذ الصراع صورته العنيفة عندما استطاع أحد اعضاء الجهاز السرى من التربص لرئيس الحكومة داخل مبنى وزارة الداخلية وقد استعان فى الوصول إلى داخل المبنى عن طريق ارتداء حلة ضابط بوليس وعندما وصل النقراشى إلى مبنى الوزارة أطلق عليه الرصاص وسقط رئيس الوزارة قتيلاً .

وكان النقراشى هو ثانى رئيس وزارة يقتله أعضاء جماعة الأخوان المسلمين وكانا الأثنان من حزب واحد وهو الحزب السعدى .

وخلف النقراشى فى رئاسة الحكومة إبراهيم عبد الهادى باشا الرئيس الجديد للحزب السعدى وشن حرباً لا هوادة فيها ضد جماعة الأخوان المسلمين .

وبعد تولى عبد الهادى رئاسة الحكومة ببضعة أيام وقع حادث اغتيال جديد كان ضحيته فى هذه المرة الشيخ حسن البنا المرشد العام للأخوان المسلمين .

وكانت الجماعة قد تم حلها واعتقال المئات من أفرادها .

فلما تمت الانتخابات سنة ١٩٥٠ فى مصر وتولى حزب الغالبية وهو الوفد الحكم أعيد تكوين جماعة الاخوان المسلمين وصرحت الحكومة بوجودها وإلغاء قرار الحل .

وبعد مقتل الشيخ البنا وقعت خلافات كثيرة بين أعضاء الجماعة على من يخلف المرشد السابق . وكان هناك أكثر من واحد يريد أن يتولى هذا المنصب ولكن بعد انقسامات وخلافات تم اختيار الأستاذ حسن الهضيبى ليكون المرشد العام للاخوان وهو مستشار سابق فى محكمة النقض والابرام ، وقد تم اختياره لما عرف عنه من رجاحة فكر وتمسك قوى بمبادىء الإسلام .

لم يكن المرشد الجديد كسابقة خطيباً ، ولم يكن سياسياً ، ولكنه كان يتمتع بأعصاب هادئة وبإيمان عميق ولا يمكن أن يحيد عن الصدق مهما كلفه ذلك من متاعب ولا أن يرضى بمخالفة قواعد الإسلام مهما كان فى ذلك من مغريات .

وكان الاستاذ حسن الهضيبى يرى إنهاء حكم فاروق لما كان يرتكبه من الحماقات عن طريق ثورة شعبية وقد صارح حسن العشماوى بذلك الرأى عندما ذهب إليه فى مساء يوم ٢٢ من يوليه ليخبره بأن الجيش سيقوم بانقلاب . وقد ناقشه العشماوى رأيه ، فقال الاستاذ الهضيبى أن تنفيذ الانقلاب على يد الجيش معناه السير إلى حكم عسكرى ديكتاتورى وهذا ليس مما يتمشى مع رغبات الشعب المصرى ولا مع أصول الإسلام لأن الحرية الفردية هى أساس من أسس الاسلام . فلماأخبره العشماوى بأن الجيش سيقوم حتما بالانقلاب ، قال المرشد العام أنه لن يمنع الأخوان من تأييد حركة الجيش وأنه سيأمرهم بمعاونة الجيش إذا ما حاولت قوات الانجليز المرابطة فى منطقة القناة التدخل لعرقلة حركة الجيش المصرى ، ثم أنهى حديثه بأنه سيظل يؤيد حركة الجيش طالما تسعى إلى تحقيق أمال الشعب .

واعتبر العشماوى ذلك تأييدا من المرشد للحركة فاتصل بزملائه الذين أصدروا التعليمات لجميع الشعب بتأييد حركة الجيش .

وتمت المقابلة الأولى بين المرشد وبين عبد الناصر فى مركز القيادة بحضور اللواء محمد نجيب .

ولم تقنع المقابلة الهضيبي بأن الانقلاب سيكون فى صالح الشعب المصرى وإن كان قد لزم الصمت فى ذلك الحين حتى تتبين الأمور وتتضح معالمها .

وظلت علاقة عبد الناصر بالأخوان قوية حتى توهم كثيرون من أعضاء الجماعة بأن الحركة قد تمت لحساب جماعتهم .

ومرت الشهور الأولى التالية للانقلاب وجماعة الأخوان المسلمين تبدى حماسا وتأييدا كاملاً للقائمين بحركة الجيش ولم يقع إلا حادث واحد كان من الممكن أن يعكر صفو العلاقات بين الجماعة والجيش ولكنه مر فى هدوء ، ذلك أن جمال عبد الناصر عرض على الأخوان المسلمين الأشتراك فى وزارة محمد نجيب التى تألفت يوم ٧ من سبتمبر عقب إقالة وزارة على ماهر ورأى الأخوان أن يشتركوا بثلاثة وزراء تختارهم الجماعة ولكن عبد الناصر رفض هذا الشرط واتفق مع الشيخ أحمد حسن الباقورى عضو جماعة الأخوان على تولى منصب وزارة الأوقاف .

ودارت مناقشات فى هذا الصدد بين عبد الناصر وجماعة الأخوان ولكن سرعان ما سوى الأمر بعد أن تم الاتفاق على أن يقدم الباقوري استقالته من جماعة الأخوان المسلمين ويؤرخ الاستقالة بتاريخ اليوم السابق عن اشتراكه فى الحكومة ، وذلك لكى تكون جماعة الأخوان غير مشتركة أو ممثلة فى الحكومة .

وكان المرشد العاملة للإخوان المسلمين قد استدعى الباقورى وناقشه فى أمر اشتراكه فى الحكومة دون موافقة الجماعة فأخبره الباقورى أنه كان يأمل منذ زمن بعيد أن يصبح وزيراً ، وأنه عندما عرض عليه عبد الناصر المنصب وجد فى ذلك فرصته التى انتظرها منذ أمد بعيد فقبل الاشتراك فى الحكومة . وقال الباقورى للمرشد أنه يرجو أن لا تصدر الجماعة قراراً بفصلة لأن ذلك سيسىء إليه .

وخاض عبد الناصر المعركة مع الأحزاب وكانت المعركة ضد الوفد شديدة وخشى أن تسفر عن اضطرابات ولذلك فقد حرص على أن تكون علاقته بجماعة الأخوان المسلمين على أحسن حال . لهذا كان يبادر باجابة كل ما تطلبه الجماعـة وأفرج عن الأخوان الذين سبق للمحاكم الجنائية أن ادانتهم فى حوادث نسف وقتل .

وعندما اشتد الخلاف بين الجيش والوفد وباتت الأمور تنذر بحدوث اضطرابات قرر عبد الناصر أن يقوم اللواء محمد نجيب برحلة يزور خلالها عواصم المديريات التى كانت تعتبر أكبر مناطق الوفد ، كما قرر أن تشمل الزيارة مدينـة سمنود وهى بلدة النحاس باشا رئيس الوفد .

لقد أراد عبد الناصر أن يُثبت بهذه الزيارة أن الجيش أقوى من الوفد ، وكان يعلق أهمية كبرى على هذه الزيارة ويعتبرها الحد الفاصل للمعركة التى يخوضها ضد الوفد ، لذلك اتصل بالأخوان المسلمين وطلب منهم العون الكامل ، وبذلت الجماعة كـلَّ ما تستطيع من جهود لنجاح الزيارة .

ونجحت زيارة محمد نجيب واستقبل فى المدن التى زارها بحماسة شديدة ولكن كان طابع الإستقبالات كلها من صنع الأخوان المسلمين ، كانت كل الهتافات التى قابل بها الناس محمد نجيب وزمـلاءه وبينهم عبد النـاصر هى الهتـافات التقليـدية لـلأخوان المسلمين : « الله أكبر ولله الحمد » .
وكانت جميع اللافتات التى علقت ترحيباً بزيارة نجيب تحمل إلى جوار الهتاف لحركة الجيش شعارات الأخوان المسلمين .

لقد أراد عبد الناصر أن يشعر مصر أن حركة الجيش أقوى من الوفد ، فأثبت الأخوان المسلمون أنهم أقوى من حركة الجيش .

لقد كسب عبد الناصر الجولة ضد الوفد ولكن الكسب الحقيقى كان من نصيب الأخوان المسلمين ، ولذلك لم يكن فرح عبد الناصر بنجاح الزيارة كاملاً .

وتم انتصار الجيش على الوفد واستعد عبد الناصر لرحلة جديدة يقوم بها اللواء محمد نجيب إلى مدن الوجه القبلى ، وكان عبد الناصر قد حاكم الضابط رشاد مهنا بتهمة

تدبير انقلاب وأودعه السجن وكان مهنا من الضباط الذين تعلق جماعة الأخوان المسلمين عليهم آمالا كثيرة .

أعلن عبد الناصر عن الرحلة الجديدة وأعد العدة لأن يكون الاستقبال حماسياً وحرص على أن تكون الهتافات كلها للجيش وألا تظهر أية شعارات لجماعات الأخوان المسلمين ؛ وأرسل تعليمات صريحة لمديرى المديريات وقوات الأمن فى المناطق التى تقرر زيارتها بمنع الأخوان المسلمين من الاحتشاد أثناء الاستقبالات .

وقام نجيب ورفاقة بالرحلة وبالرغم من الجهود التى بذلت لاظهار الاستقبالات بأنها تأييد صرف للجيش وحركته فقد استطاع الأخوان المسلمون أن يتسربوا داخل الناس وأن يرفعوا لافتات تحمل شعارات الأخوان المسلمين ، كما علت هتافات الأخوان : « الله أكبر ولله الحمد » على كل هتافات .

وضاق عبد الناصر ذرعاً بذلك ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً لأنه خشى إن تدخلت قوات البوليس ضد تجمعات الأخوان أن يؤدى إلى اضطرابات تفشل بسببها الرحلة .

وعلم الأخوان المسلمون بأوامر عبد الناصر فأرادوا أن ينتقموا لأنفسهم منه فى مدينة الحوامدية فتجمع حوالى ست مائة من أعضاء الجماعة واحتشدوا فى هدوء أمام المنصة التى وقف عبد الناصر يلقى خطابه من عليها ، وعندما ظهر لاحظ الذين حضروا لسماع الخطاب أن عددا كبيرا من الناس الذين احتلوا مقدمة المكان لم يصفقوا ولم يهتفوا لعبد الناصر .

وعلم عبد الناصر أن هؤلاء الذين امتنعوا عن الهتاف والتصفيق له هم من الأخوان المسلمين فزاد حنقه على الجماعة ، وكان كما قلنا قد خاض المعركة ضد الوفد ولم يعد فى حاجة لمساعدة الإخوان المسلمين ، ولذلك بدأ يتحين الفرص للفتك بهم .

وأعلن عبد الناصر عن تكوين حزب هيئة التحرير الذى تولى هو منصب سكرتيره العام وطالب الأخوان بالاندماج فى هذا الحزب فرفضوا .

وفى يناير من عام ١٩٥٣ طلب مستشار السفارة البريطانية « لمستر ايفانز » مقابلة

اثنين من الأعضاء البارزين بالأخوان المسلمين فأخطر حسن العشماوى عبد الناصر بهذا الطلب ووافق الأخير على أن يتم الاجتماع .

وتم اجتماعان بين « ايفانز » وممثلى الأخوان ، وفى الاجتماع الثانى طلب مستشار السفارة مقابلة المرشد العام للأخوان ، وأخطر العشماوى عبد الناصر بالطلب الجديد ووافق عبد الناصر على الاجتماع أيضا .

كانت جماعة الأخوان تصر على إخطار عبد الناصر بالإجتماعات قبل ميعادها حتى لا يتهمهم بالاتصال بالانجليز :

وبعد أن تم الاجتماع بين « ايفانز » والهضيبى تحدد يوم ٢٥ من فبراير سنة ١٩٥٣ لاجتماع يتم بين عبد الناصر والهضيبى فى منزل أحد أعضاء الجماعة ، واجتمع الاثنان وشرح الهضيبى كل ما دار بينه وبين « إيفانز » لعبد الناصر وكان الحديث يتناول مسألة جلاء القوات البريطانية عن منطقة السويس .

وعندما كون عبد الناصر حزبه الجديد « هيئة التحرير » تبلور الصراع بين الأخوان وبينه وأصبح بعد أن كان فى الخفاء بدأ يأخذ مظاهر سافرة . ففى كل مكان أخذ الأخوان يناهضون هيئة التحرير ويحثون الناس على عدم الاشتراك فى عضويتها وحدثت عدة حوادث فى مناطق مختلفة بالقطر وضح فيها الخلاف بينهما .

وفى أواخر أبريل عام ١٩٥٣ ، لمس عبد الناصر من الانجليز مماطلة فى قبول الجلاء عن مصر فاتصل مرة أخرى بالاستاذ عبد القادر عودة وطلب منه أن تقدم له جماعة الأخوان المسلمين متطوعين من الشبان الفدائيين ليرسلهم بعد تسليحهم إلى منطقة السويس لاحداث متاعب للقوات البريطانية . وقررت الجماعة عدم الاستجابة لهذا الطلب لأنهم كانوا يشكون فى صدق نوايا عبد الناصر ، واعتقدوا أنه يريد أن يعرف أسماء البارزين فى الجهاز السرى ليبطش بهم إذا ما تعقدت الأمور .

وفى مايو سنة ١٩٥٣ بدأ عبد الناصر يقول لحسن العشماوى إن العلاقات بين الجيش وجماعة الأخوان المسلمين سيئة للغاية وأن هناك حساباً يجب أن يصفى .

وكرر عبد الناصر نفس اللهجة مع العشماوى فى عدة مرات قابله فيها ثم أضاف إلى ذلك قوله بأنه مستعد لحل الهيئة ولو اقتضى الأمر القضاء على كافة اعضائها .

وفى آخر اجتماع تم بينهما أخبره أنه يعلم بأن للأخوان المسلمين تنظمات داخل قوات الجيش وقوات البوليس وأن الجماعة تواصل إعلان عطفها على الضابط رشاد مهنا وأنها أصدرت تعليمات مكتوبة لجميع فروعها تطالب الاعضاء بمقاطعة كل زيارة يقوم بها ضباط الحركة وتحريض الناس ضد الاشتراك فى هيئة التحرير . وأضاف إلى ذلك قوله أن يعلم أن جماعة الأخوان تريد بكل هذه الوسائل أن تصل إلى الحكم أو على الأقل أن تفرض سيطرتها على حركة الجيش .

وكان عبد الناصر يعلم أن هناك تيارات داخل صفوف جماعة الأخوان المسلمين نشأت بعد قتل رئيسها الأول الشيخ البنا واختيار الرئيس الاستاذ الهضيبى فأخذ يستغل الفريق الذى لم يكن موافقاً على اختيار الهضيبى ويحرضه لينفصل عن الجماعة . ولكن هذا الفريق كان قد أبدى تردداً كثيراً فى الأقدام على هذا العمل ، فأبدى عبد الناصر له استعداده لمد كل عون له إذا ما أقدم على الانفصال عن جماعة الأخوان المسلمين وأعلن أنه سيعتبر هذا الفريق هو وحده الذى ينطق باسم الأخوان .

وكنت بمكتبى بجريدة المصرى فاتصل بى عبد الناصر تليفونياً حوالى الساعة التاسعة مساء وطلب منى أن أوافيه إلى منزله ، فلما وصلت كان معه البكباشى أنور السادات ، ودارت بيننا أحاديث عامة ثم فجأة انتقل عبد الناصر إلى الكلام عن جماعة الأخوان المسلمين وكان يعلم بأن مرارة تسيطر على نفسى بالنسبة لهذه الجماعة ذلك لأنها كانت قد دعمت زيارة عبد الناصر واللواء محمد نجيب لسمنود مدينة النحاس باشا بعد أن تقرر حل الأحزاب .

أخذ عبد الناصر يحدثنى حديثاً طويلاً مفصلاً عن الأخوان المسلمين وتشكيلات الجماعة والخلاف الذى أوجده اختيار الهضيبى رئيساً لها وعن الخلافات التى توجد داخل الجهاز السرى . ولقد كان حديث عبد الناصر يحمل فى طياته الحقد على الجماعة والتهكم على أعضائها البارزين ، وحرص طوال الحديث الذى استمر حوالى الساعة على أن يظهر الجماعة بمظهر الضعف والتفكك .

وقد كنت أعلم أن عبد الناصر قد بدأ يضيق بالأخوان المسلمين ولكنى حتى تلك الليلة لم أكن أعرف أنه قد وصل به الضيق إلى هذه الدرجة .

وأثناء الحديث دق جرس التلفون ولاحظت أن المحادثة قد نقلت إليه أخبار سارة أشاعت السرور والفرح فى نفسه .

وأنهى عبد الناصر المحادثة ثم قال إن الفريق المعارض للهضيبى قد احتل دار المركز العام للأخوان المسلمين وطرد من الدار انصار الهضيبى وأعلن ذلك الفريق أنه وحده الذى يمثل الأخوان المسلمين ، كما أن بعض أنصار هذا الفريق قد استطاع أن يجبر الهضيبى على الاستقالة من منصبه كمرشد عام للجماعة .

لقد كان عبد الناصر سعيداً كل السعادة بهذه الانباء وسمح لى بنشر تفاصيلها . ولكن سرعان ما تبددت سعادته إذ علم فى اليوم التالى بأن أنصار الهضيبى قد استطاعوا طرد المتمردين من دار المركز للجماعة وإعلان تجديد الثقة الجماعية برئاسته .

إن هذه الحادثة فى اعتقادى كان لها أسوأ الأثر على نفس عبد الناصر ذلك لأنه ما كان يحب أن يصطدم إصطداماً سافراً بالأخوان المسلمين لعلمه بوجود جهاز سرى للجماعة وبأن ذلك الجهاز يملك أسلحة وعتاداً وفدائيين وينخرط فى عضويته عدد غير قليل من ضباط الجيش والبوليس .

كان عبد الناصر يتمنى لو أن المتمردين قد استطاعوا الغلبة على الجماعة أو على الأقل أن تظل المعركة منحصرة بين الفريقين دون أن يظهر فيها سافراً ، ولكن حركة التمرد لم تستطع أن تعيش أكثر من يوم واحد ، وأدرك عبد الناصر أن لا مفر من خوض المعركة بنفسه ضد جماعة الأخوان المسلمين فراح يعد لها العدة .

واتخذ عشرات من الأساليب والاحتياطات لخوض هذه المعركة ، ففصل عشرات من ضباط البوليس المشتبة بعلاقتهم بالأخوان المسلمين ونقل عشرات الضباط من الجيش إلى أماكن نائية لنفس السبب ، وارسل يطالب جميع نظار المدارس الثانوية بإعداد كشوف باسماء الطلاب المنتمين للأخوان ليحول دون الحاقهم بالجامعات ، وطلب من رجال البوليس موافاته بأسماء كل من ينتمى للجماعة فى مناطق عملهم ، كما أصدر

تعليمات مشددة بمراقبة نشاط فروع وأعضاء الجماعة في كل مدينة أو قرية من قرى القطر المصرى .

وأدرك الأخوان المسلمون أن عبد الناصر يبيت لهم أمراً ولكن ثقتهم فى قوتهم وفى متانة تشكيلاتهم جعلتهم يستخفون به بدل أن ينصرفوا إلى دراسة الوضع دراسة حكيمة وتركوا للطلبة فى جامعة القاهرة أمر تحقير عبد الناصر ، وظنوا أن إظهار قوتهم داخل الجامعة سترهبه وتجعله يخشى اتخاذ أى قرار أو إجراء ضدهم .

وفى أوائل يناير من سنة ١٩٥٤ قام بعض الطلبة من أنصار عبد الناصر والمشتركين فى حزبه هيئة التحرير بمظاهرة داخل مبنى جامعة القاهرة هتفوا فيها لعبد الناصر . فانبرى لهم الطلبة من الأخوان المسلمين واصطدموا بهم واستطاعوا أن يفرقوهم وأن يدفعوهم إلى الهرب من المبنى ، وعلت الهتافات العدائية ضد عبد الناصر والحكم العسكرى .

وكانت هذه الحادثة المحك الأخير ، ذلك لأنه لم يكد يمر عليها بضعة أيام إلا وكانت قوات الجيش قد اعتقلت المرشد العام للأخوان وجميع أعضاء الجماعة البارزين ومئات من أعضاء الجماعة وأودعتهم السجون ، وبدأت عمليات الاعتقال يوم ١٣ من يناير سنة ١٩٥٤ واستمرت بضعة أيام حتى صار عدد المعتقلين يقدر بالآلاف .

وفى ٥ من يناير أصدر عبد الناصر قراراً بحل جماعة الأخوان المسلمين وأرخ قرار الحل بتاريخ ١٢ من يناير أى اليوم السابق على تاريخ بدء حركة الاعتقالات .

لقد كان المصريون يعتقدون أن النهاية الحقيقية لحكم عبد الناصر لن تأتى إلا إذا اصطدم بالأخوان المسلمين لذلك ترقبوا وقوع حوادث خطيرة . ولكن مر الأسبوع تلو الأسبوع دون أن يقع أى حادث ، وامتنع عبد الناصر خلال هذه الفترة عن الخروج من منزله إلى مكتبه إلا بحراسة قوية يبث فيها رجال الجيش على طول الطريق الذى يسلكه ثم يحيط سيارته بحراسة من راكبى الموتوسيكلات والسيارات المسلحة بالأسلحة السريعة الطلقات ، وكف عن زيارة أصدقائه تماماً وعن الظهور فى أى اجتماع علنى .

وقد كان عبد الناصر سعيداً كل السعادة بهذا النصر الكبير فى المعركة التى خاضها

ضد الأخوان المسلمين وأذكر أنه بعد أن مرت بضعة أسابيع على اعتقال الأخوان إتصل بي تليفونياً وطلب منى أن أكتب بضع مقالات أهاجم فيها الجماعة . فلما اعتذرت عن ذلك معللا اعتذارى بأسباب مختلفة ضحك فى سخرية وقال : « يجب أن تعلم أنه لا يوجد فى مصر رجل واحد » وأخذ يردد هذه العبارة : « لا يوجد فى مصر رجل واحد » . وبطبيعة الحال كان يقصد بذلك أن الشعب المصرى ليس به أى رجل لديه الشجاعة ليقاوم رغباته وقد آلمنى أن يستخف عبد الناصر بالشعب المصرى كل هذا الاستخفاف ولكن لم يكن فى طاقتى أن أجادله هذا الرأى . فقد بطش بالوفد وحله وصادر املاكه واعتقل سكرتيره العام وأبرز رجاله ولم يقم الشعب بأى عمل يدل على معارضته لذلك ، وحطم جميع الأحزاب ولم يقع أى حادث يشتم منه رائحة التمرد ضده . وها هو يبطش بالأخوان المسلمين ويحل جماعتهم ويصادر أملاكها ولا يقع أى حادث نتيجة ذلك فكيف أناقش عبد الناصر عندما يعلن فى صلف وغرور أنه لا يوجد فى مصر رجل واحد يستطيع الوقوف فى وجهه .

لقد امتنعت عن مناقشة عبد الناصر وإن كنت قد حاولت أن أنهى المحادثة بقولى بأنى لن أكتب ضد الأخوان المسلمين لسبب واحد وهو أنهم الآن فى السجون ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ، ولكن عبد الناصر المنتصر قد رفض أن ينهى المحادثة بل استمر فى صلفه يتحدث عن المحاكمات التى سيقيمها للأخوان والاتهامات التى سيقدمها ضد الهضيبى وغيره من أعضاء الجماعة .

ولعل أغرب اتهام هو الاتهام الذى أعلنه عبد الناصر ضد صديقه القديم حسن العشماوى الذى كان قد اعتقله بالسجن الحربى ، لقد كنت بمكتبى بجريدة المصرى عندما جاءنى المحرر المختص بالجرائم وطلب منى الأذن بالسفر وبصحبته أحد المصورين إلى أحد قرى مديرية الشرقية لعمل هام ، فلما سألته عن نوع العمل الهام ، قال إنه لا يعرف من أمره شيئاً وكل ما يعلم أن قيادة الحركة قد اتصلت به وبزملائه فى الصحف الأخرى للتأهب للسفر .

وسافر المحرر وبصحبته المصور وعادا بعد بضع ساعات بصور وتقرير عن ضبط

مواد ناسفة فى عزبة محمد العشماوى باشا والد حسن العشماوى تكفى لنسف مدينة القاهرة مخبأة فى مخزن بُنى تحت الأرض .

ولما سألت المحرر كيف توصل الجيش إلى معرفة مكان المواد الناسفة ، أجاب بأنه لم يستطع معرفة ذلك رغم أنه سأل الضباط عدة مرات ثم أضاف إلى ذلك أنهم قد طلبوا إلى مندوبى الصحف إبراز أنباء مصادرة هذه المواد الناسفة ونشرها فى الصفحة الأولى من كل جريدة . وصدرت التعليمات للرقباء العسكريين على الصحف بضرورة نشرها فى صدر الصفحات الأولى .

صدرت الصحف فى اليوم التالى باتهام حسن العشماوى بأنه قد خزن فى عزبته مواد حارقة وناسفة تكفى لحرق مدينة القاهرة .

وبطبيعة الحال كانت هذه المواد هى التى أخفاها عبد الناصر فى عزبة العشماوى وهو الذى بنى له المخزون الذى أودعت فيه بواسطة ضباط من سلاح المهندسين بالجيش .

وبالرغم من أن حسن العشماوى كان قد قبل نقل المواد الناسفة فى آخر يناير سنة ١٩٥٢ ، أى بعد حرق القاهرة ، من منازل الضباط إلى منزله ، ثم إلى عزبة والده معرضاً نفسه لأقصى العقوبات لو ضبطت لديه فى ذلك الحين ، ورغم أنه قد تحايل على نقل المواد الناسفة من منزله إلى عزبته بأن وضعها فى سيارة نقل واصطحب فيها زوجته وأطفاله الصغار لينفى كل شبهة قد تحوم حوله معرضاً حياته وأسرته لخطر إنفجار المواد الناسفة ورغم أن حسن العشماوى قد قام بكل ذلك لينقذ الضباط ، وعلى رأسهم جمال عبد الناصر من الخطر فان الأخير لم يتورع يوم أن أختلف مع الأخوان المسلمين أن يلقى صديقه العشماوى فى السجن وأن يتهمه بأنه قد خبأ بقصد إجرامى مواد حارقة وناسفة تكفى لتدمير مدينة القاهرة .

ولذلك عندما سأل العشماوى فى محضر التحقيق السرى الذى أجرى معه عن هذه المواد كانت أجابته بأنه لن يفضى بأى كلام بالنسبة لها إلا بعد أن يوافق عبد الناصر شخصياً عن الأذن له بالحديث عنها .

ومنذ أن أدلى العشماوى بهذه العبارة لم يستـأنف معه التحقيق مـرة أخرى ... واستمر زعماء الأخوان فى السجون والمعتقلات حتى ٢٥ من مارس سنة ١٩٥٤ وكان ضباط سلاح الفرسان قد قاموا بتمردهم خلال نهاية فبراير مما اضطر عبد الناصر إلى اعادة اللواء نجيب إلى رئاسة الجمهورية . وكانت جميع طوائف الشعب تنادى بالحرية والحكم الديموقراطى ، وأرسل المرشد العام للأخوان المسلمين خطاباً من سجنـه إلى اللواء محمد نجيب يؤكد فيه تمسك الأخوان المسلمين بحق الشعب فى أن يحكم نفسه وبضرورة إنهاء الحكم العسكرى . وهو الذى نشرته جريدة المصرى فى شهر مارس .

وأحس عبد الناصر فى خلال شهر مارس بأنه قد أصبح معزولاً إنعزالا تاما عن الشعب فعدل عن تقديم زعماء الأخوان المسلمين إلى المحاكمات العسكرية ودخل فى مباحثات سرية بقصد الوصول إلى تسوية معهم أملا منه فى أن يحصل على تأييدهم فى صراعه ضد نجيب وضد الشعب لتجقيق آماله فى حكم ديكتاتورى .

وفى ٢٥ من مارس أفرج عنهم وذهب إلى منزل الهضيبى يزوره ويتودد إليه بينما كان يعد العدة لانقلابه الجديد ضد نجيب وضد الاتجاه إلى الحكم الديموقراطى . لقد أراد ألا يتصدى جمهور الأخوان للمظاهرات التى سيرتبها يوم ٢٨ من مارس تلك المظاهرات التى نادى فيها عملاؤه بسقوط الحرية وسقوط المتعلمين فأفرج عن معتقلين الأخوان وزار مرشدهم ليشغلهم عما كان يدبره للأمة .

وعلى كل حال فإن استيلاء عبد الناصر على السلطات وإعادة سيطرته الكاملة على مصر كانت تغنيه إلى حد كبير عن الحاجة إلى صداقة الأخوان المسلمين .

وظلت العلاقة بين الأخوان وبين عبد الناصر مضطربة حتى الصيف ولكنه سمح للهضيبى بالسفر إلى المملكة العربية السعودية وزار الهضيبى البلاد العـربية ، لبنـان وسورية والأردن استقبلته فروع الأخوان المسلمين فى هذه الدول استقبالات حافلة ، وكان معروفاً عن الهضيبى الصراحة والصدق فى القول فاغضبت أحاديثه عبد الناصر لصراحتها فى وصف الحال فى مصر . وتلقى عبد الناصر التقارير الكثيرة من جهـاز مخابراته عن نشاط الهضيبى وتصريحاته .

وفى ٢٧ من يوليه وقع عبد الناصر إتفاقية عسكرية مع وزير حربية انجلترا تنظم جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس والعلاقات العسكرية مع بريطانيا وكانت المعاهدة تشتمل على شروط سبق لصدقى باشا والنحاس باشا رفضها . وأهمها قبول مصر عودة القوات البريطانية إذا حدث تهديد بشن حرب ضد تركيا وكانت مصر فى عهد النقراشى وعبد الهادى وصدقى والنحاس قد رفضت أى ارتباط عسكرى كما رفضت أن يرتبط الجلاء بالدفاع المشترك بين مصر وبريطانيا .

كان الأستاذ حسن الهضيبى فى هذا الوقت فى دمشق وكنت أنا فى بيروت فذهبت برفقة الأخ العزيز الأستاذ زهير عسيران صاحب جريدة الهدف اللبنانية ومدير مكتب المصرى ببيروت إلى دمشق وزرنا الاستاذ الهضيبى وكان يقيم فى منزل رئيس جماعة الأخوان المسلمين فى سوريا .

وطلبنا منه إذا كان يوافق أن يصدر تصريحاً يعلق به على الاتفاقية العسكرية فأدلى بتصريح فند فيه الاتفاقية وانتقدها وبعد ذلك قال إنه يستودعنا الله إذ سيسافر إلى القاهرة قريباً .

لم أكن أعلم بأنه سيعود إلى القاهرة ولذلك فوجئت عندما أخبرنى بنيته أن يعود فقلت إذن لا داعى أن ننشر التصريح فأصر فقلت له أنه من غير المعقول أن تعود فى الوقت الذى يذاع على لسانك هذا النقد الشديد للاتفاقية فإما أن تعيش فى الخارج أو لا ننشر التصريح ولكنه رفض أن يأخذ بكلامى وطالبنى بوعد صريح بنشر تصريحه .

وتم نشر التصريح فى جريدة الهدف ونقلته عنها وكالات الانباء وقد سبب نشر التصريح ضيقا شديداً لدى عبد الناصر إذ أن النشر جاء فى الوقت الذى كان يقيم فيه الاحتفالات فى مصر بدعوى الابتهاج بتوقيع الاتفاق .

وكان الأستاذ الهضيبى قد طلب فى التصريح الذى أدلى به للأستاذ زهير عسيران ولى ــ بضرورة المبادرة بإجراء انتخابات حرة ونزيهة لينظر نواب مصر الاتفاقية ويقررون ما إذا كانوا يقرونها أم لا .

هذا الطلب قد ضايق عبد الناصر مضايقة شديدة إذ كل طلب بإجراء انتخابات لتمثيل الشعب كان يثير غضبه وحفيظته .

ومما هو جدير بالذكر أن اتفاقية الجلاء قد نصت على أن يتم فى سنة ١٩٥٦ وهى السنة التى كانت معاهدة ١٩٣٦ قد نصت على أنها تنتهى بعد عشرين عاما أى سنة ١٩٥٦ وأن النحاس باشا قد ألغى هذه المعاهدة ساعياً إلى إتمام الجلاء الفورى .

وكان المريشال سليم قائد القوات البريطانية قد أدلى فى ١٢ من ينـاير ١٩٥٠ بتصريح أثناء زيارته للهند قال فيه :

القوات البربطانية موجودة فى مصر بحكم المعاهدة بين بريطانيا ومصر وأن هذه المعاهدة ستظل سارية المفعول حتى سنة ١٩٥٦ .

الأمر الذى يدل على أن الاتفاقية التى وقعها عبد الناصر لا تأتى بجديد فقد نصت على بقاء القوات على أرض مصر حتى سنة ١٩٥٦ كما جاء فى المعاهدة التى كان النحاس باشا قد الغاها .

وكان الكثيرون يتوقعون ألا يعـود الأستاذ الهضيبى إلى مصـر بعد إدلائـه بهذا التصريح الخطير والذى الحقه بتصريحات أخرى أشد نقدا ولكنه لاحظ أن الأحوال قد اضطربت فى مصر نتيجة محاولة أعضاء مجلس أدارة الأخوان نشر التصريح الذى أدلى به ونقد فيه الاتفاقية البريطانية المصريـة فعقد العـزم على العـودة إلى مصر . وحـاول الكثيرون من زعماء الاخوان فى البلاد العربية أن يثنوه عن عزمه ويبصروه بمخاطر العودة ولكنه اصر وسافر إلى مصر فى منتصف شهر سبتمبر تقريب .

وكانت عودته عاصفة ذلك لأن الأخوان المسلمين قد أرادوا أن يجعلوا من استقباله مظاهرة سياسية كبرى يظهرون خلالها مدى قوتهم .

وعندما هبطت الطائرة أرض مصر كان عشرات الألوف من الأخوان المسلمين قد احتشدوا خارج المطار وعلى طول الطريق حتى مسكنه لاستقباله .

وتوقع الناس أن يأمر عبد الناصر الجيش بتفريق المحتشدين ولكنه لم يفعل ذلك وترك الاستقبال يأخذ مجراه الطبيعى . وكانت مظاهـرة كبرى علت فيهـا هتافـات الأخوان المسلمين فى جميع أرجاء العاصمة .

ولم تمض بضعة أيام إلا وكان عبد الناصر قد أعد عدته فأصدر الأوامر باعتقال المرشد ومئات من زعماء الأخوان ، واستطاع الهضيبي أن يفلت من الاعتقال وأن يختفي في الاسكندرية ولكن الاعتقالات كانت تتم اليوم بعد الآخر .

وجاء يوم ٢٦ من أكتوبر من نفس السنة أى سنة ١٩٥٤ وكان معروفاً أن عبد الناصر سيلقى خطاباً سياسياً فى أكبر ميادين الاسكندرية . وفى مساء ذلك اليوم وأثناء القائه خطاب فوجىء الناس برصاص ينطلق ، وساد الهرج والمرج . وبعد لحظات كان قد ألقى القبض على أحد الشبان عرف بعدئذ أنه يدعى محمود عبد اللطيف وأنه ينتمى لجماعة الأخوان المسلمين وقيل أنه كان يجلس فى الصف الأول أمام المنصة التى كان يلقى من عليها عبد الناصر خطابه .

ولم تصب الرصاصات عبد الناصر كما لم تصب أى واحد ممن كانوا معه فوق المنصة وكانت هذه الرصاصات الطائشة هى بمثابة اللعنة التى حلت على جماعة الأخوان المسلمين بل وكل من اتصل بهذه الجماعة فى أى وقت من الأوقات ، إذ أن عبد الناصر قد اتخذ منها الذريعة لأفظع وأبشع عمليات البطش والانتقام التى عرفها تاريخ مصر الحديث .

وقبل أن أتكلم عن بطش عبد الناصر الرهيب بآلاف من أعضاء الجماعة أ ى من المناسب أن أنقل للقراء ما تناقلته الألسنة عن حادث إطلاق الرصاص وكيف وقع .

لقد حاولت طوال سنوات أن أتبين حقيقة هذا الحادث وتحدثت مع الكثيرين من المصريين خصوصاً من كان منهم من الأخوان المسلمين . وقد أجمعت الروايات التى سمعتها على أنه لم يكن وراء هذا الاعتداء تدبير جماعى .

وسمعت عدة آراء بالنسبة للحادث منها ما يقول أن محمود عبد اللطيف كان قد ضاق ذرعاً باضطهاد عبد الناصر لجماعة الأخوان المسلمين فأقدم على الشروع فى القتل دون أن يستشير أحداً من زملائه .

ورواية أخرى تقول أنه إذا كان هناك نوع من التآمر فإن إحتمال قيامه يكون بين محمود عبد اللطيف وزميل له فى الجماعة هو هنداوى دوير . وتقول هذه الرواية أن عبد

اللطيف كان قد ضاق بتصرفات عبد الناصر فأخذ يشكو لدوير ويحدثه عن رغبته فى قتل عبد الناصر فانتهى الأمر بالأخير بأن أحضر مسدساً لعبد اللطيف دون أن يستشير أو يطلع أى عضو آخر بالجماعة . ولكن عندما عرضت هذه الرواية على كبار المسئولين فى الجماعة الذين استطاعوا بوسائل مختلفة مغادرة مصر أكدوا أن هذا الاحتمال ضعيف ، ذلك لأن محمود عبد اللطيف كان فى شعبة فى الجهاز السرى منفصلة تماماً عن الشعبة السرية التى يرأسها دوير وأنه لو كان عبد اللطيف فى حاجة إلى سلاح يرتكب به الحادث لما لجأ إلى دوير وإنما كان يلجأ إلى رئيس الشعبة التى ينتمى إليها . فضلاً عن أن تدبير سلاح ليس من الأمور الشاقة عليه لأنه كان من أبرر أعضاء الجهاز السرى .

أما الرواية التى يؤكدها الأخوان المسلمون أنفسهم فتقول أن الحادث مفتعل وأن الذى دبره هو احد الضباط المسئولين فى قلم الجاسوسية التابع للمخابرات ، وأنه قد تم تدبيره عن طريق استغلال كراهية محمود عبد اللطيف لحكم جمال عبد الناصر فأوهمه أنه متفق معه على كراهية هذا النظام ثم اتفق معه على ارتكاب الحادث ووعده بالمساعدة فقدم له السلاح ومكنه من الجلوس فى الصفوف الأمامية أى فى مواجهة عبد الناصر ، ولما ناقشت أصحاب هذا الرأى فيما يقولون خصوصاً وأن عبد الناصر لم تصبه أية رصاصة من الرصاصات الست التى أطلقها محمود عبد اللطيف فى الوقت الذى اشتهر فيه بإحكام الرماية ، قالوا إنه من الجائز أن يكون السلاح الذى استعمله غير مضبوط ، وأنهم لا يؤيدون هذه الرواية بالاسانيد التالية ، أولا — كان من المعروف ان عبد الناصر يتلمس أى سبب للبطش بالجامعة بطشاً عنيفاً ، وقد حقق له الحادث ما أراد ، ثانياً — أن محمود عبد اللطيف كان مراقباً من وزارة الداخلية فكيف استطاع أن يفلت من الرقابة وأن يدخل مكان الاجتماع رغم الرقابة الشديدة التى كانت مفروضة على كل من حضر إلى مكان الاجتماع خصوصاً والنزاع كان على أشده بين عبد الناصر والأخوان المسلمين . لقد أفلت محمود عبد اللطيف من رقابة وزارة الداخلية والرقابة التى كانت مفروضة علي مكان الاجتماع وإحتل مكاناً مخصصاً لكبار الشخصيات ولمن عرفوا بالولاء الكامل لعبد الناصر إذ جلس فى الصف الأول فى مقابل المنصة تماماً ثالثاً — أن عبد اللطيف مشهور بين الأخوان بدقة الرماية فكيف يطلق على عبد الناصر ست

رصاصات لم تصبه واحدة منها ويضيفون إلى ذلك أن السلاح الذى استعمل فى الحادث لم يضبط مع عبد اللطيف عند القاء القبض عليه مباشرة ولم يهتم القائمون على التحقيق بالبحث عنه وضبطه ولم يظهر إلا فى اليوم التالى فى مسرحية غريبة تقول أن رجلاً قدم إلى القاهرة وطلب مقابلة عبد الناصر ليسلمه السلاح الذى استعمله عبد اللطيف فى الحادث .

ان محمود عبد اللطيف هو أخطر أعضاء الجهاز السرى لجماعة الأخوان المسلمين ولا يمكن أن يقدم على عمل كبير كهذا مكتفياً باطلاق الرصاص . لقد اشترك فى كثير من الأعمال السرية ضد قوات الانجليز ويعرف أن مثل هذا الحادث يحتاج إلى استعداد أكبر فيصطحب معه من يحمل قنابل يدوية يلقيها على المنصة فى حالة الفشل .

فلما سألت أصحاب هذا الرأى من الاعترافات التى قيل أن عبد اللطيف قد أدلى بها نظروا إلىّ بدهشة واستنكروا إثارة مسألة الاعترافات إذ ان كل مصرى كان يعرف الوسائل التى كان البوليس يلجأ إليها ليحصل على الاعترافات التى يريدها .

على كل حال سواء صحت هذه الرواية أو صحت غيرها فإنه من المؤكد أنه لم تكن هناك مؤامرة مدبرة لاغتيال عبد الناصر وأنه لا يمكن أن تكون جماعة الأخوان المسلمين مسئولة عن الحادث ذلك لأن أوامر الاعتقال كانت قد صدرت ضد الكثيرين منهم وكان بعضهم فى الاعتقال والبعض الآخر مختفياً أثناء وقوع الحادث .

لقد حقق الحادث لعبد الناصر ما أراد . واستغله اسوأ استغلال فى البطش بكل أعضاء جماعة الأخوان المسلمين ، وفى اعتقادى أن مصر لم تر فى تاريخها الحديث ألواناً من البطش والانتقام بالجملة أبشع مما شهدته على يد عبد الناصر فى الاسابيع والسنين التى تلت الحادث .

ووصل عدد المعتقلين إلى عشرات الآلاف فى بضعة أسابيع . وقد روى لى الكثيرون من المصريين عن حوادث التعذيب القاسية الوحشية التى اتبعت مع المعتقلين وقابلت أكثر من واحد منهم بعد أن تم الأفراج عنهم وسمعت منهم عن ألوان التعذيب التى اتبعت معهم ومع زملائهم وكان أبسط هذه الصور هو الجلد بضع مرات كل يوم ويقول أحد

الأخوان المسلمين أنه ترك فى غرفة ضيقة مظلمة دون أكل أو ماء ودون السماح له مدة ثمان وأربعين ساعة بالذهاب إلى دورة المياة . وكان عندما ينتصف الليل يفتح عليه حارسان وضابط باب الحجرة ويخرجونه إلى ساحة السجن ويتركونه هناك مدة ساعة ونصف وأنه طوال تلك الساعة كان يسمع صراخاً عنيفاً من عدة جوانب ، وظل هكذا وحده يسمع صرخات للتعذيب ثم يأتيه الضابط ليسأله : « هل سمعت الصراخ ... إنه صراخ المجرمين من زملائك ، فإما أن تعترف أو تعذب مثلهم . « ثم يقتاده الحراس إلى غرفة جلس فيها المحقق الذى كان يبادره بقوله : « اعترف .. تكلم .. قل كل ما تعرف » .

واستمر محدثى يقول : لم أكن أعرف ماذا أقول ... وما هى الاعترافات التى يطلبونها منى .. فلم اتكلم ... فتهوى على وجهى يد غليظة فاسقط من شدة اللطمة وقسوتها وكانت يد أحد الحارسين ... ويصيح المحقق بعد ذلك : اعترف ، وإلا ستنال جزءاك ... وكنت أحاول أن أتكلم فلا تسعفنى الكلمات ... فهوى الحارس بلطمة ثانية ... ولما استمر صمتى ... اقتادونى إلى مكان مظلم وظل الحارسان يضربانى دون رحمة حتى سقطت على الأرض . وفى اليوم التالى استيقظت على أرض الغرفة الضيقة العفنة لأجد وجهى وقد تجمد الدم حول انفى وفمى ... والروماتزم يسرى فى مفاصلى ... » .

وقد حدثنى هذا الذى أمضى ثلاث سنوات ونصف داخل السجون عن وسائل التعذيب الوحشية التى اتبعت معه ومع إخوانه فذكر أموراً رهيبة كإلقاء الكحول المشتعلة على البدن العارى ، وإحكام اطواق حديدية حول الرأس حتى يكاد عظم الجمجمة يتحطم وحمامات الثلج التى كان يوضع فيها المعتقلون حتى يقاربوا التجمد ، والجلد المستمر ، والتعليق من الأرجل ، ويقول أنه كان ملحقاً بالسجن الذى كان به أطباء مهمتهم إسعاف من يكاد التعذيب يقضى عليه .

ومما رواه أن بعض الجنود المكلفين بالتعذيب كانوا فى بعض الأحيان يتمردون على تنفيذ أوامر التعذيب فكان الضابط يأمر بالقبض على المتمرد وينفذ فيه التعذيب الذى

رفض هو تنفيذه فى السجين . وكان هذا أقوى سلاح لإجبار الجنود على القيام بتعذيب المعتقلين .

ولقد قابلت أحد الأطباء الذين كانوا ملحقين بالسجون وحدثنى هذا الطبيب عن أمور لا يكاد يتصور الانسان إمكان حدوثها .

والمعروف أن عبد الناصر كان قد استخدم فى جهاز مخابراته بعض ضباط النازى القدامى ليشرفوا على تدريب ضباط السجون .

وقد نشرت فروع وأعضاء جماعة الأخوان المسلمين فى بعض الدول العربية مذكرات ونشرات عن حوادث التعذيب الوحشية وذكروا فيها تفاصيل مرعبة عن الوسائل التى اتبعت لتعذيب الأخوان المسلمين فى السجون والمعتقلات سواء صحت تهم التعذيب أو لم تصح ، فإن الأمر المؤكد أن الحكم القائم فى مصر قد وصل فى حربه ضد جماعة الأخوان المسلمين فشملت الزوجات والأطفال والآباء والأمهات ، ذلك لأن الغالبية الكبرى من أعضاء هذه الجماعة من سواد الشعب الذى لا يملك إلا مرتبة أو دخلا محدوداً جداً فانقطعت هذه ، إنقطع مورد الرزق عن الأسر فقام بعض الشبان ممن لا صلة لهم بالجماعة يجمعون تبرعات ويوصلونها إلى الاسر المنكوبة وعرفت الحكومة بذلك فراقبت منازل الأخوان المسلمين المعتقلين وقبضت بعد ذلك على جامعى التبرعات وقدمتهم للمحاكم العسكرية وأصدرت هذه أحكامها على أكثر من مائة وثلاثين شابا مدداً بلغ أقصاها خمسة عشر عاماً أشغالا شاقة مع مصادرة الجنيهات القليلة التى جمعها الشاب إلى اسرة المعتقل وجاء فى الأحكام أن المصادرة قد تمت « لصالح الشعب » .

ملحوظة : هذه هى المعلومات التى وصلتنى حتى سنة ١٩٦٠ وقد نشرتها فى كتاب جمال عبد الناصر الذى صدر سنة ١٩٦٠ .

أما محاكمات الأخوان المسلمين المعتقلين فقد تمت امام محكمة أطلق عليها عبد الناصر اسم : « محكمة الشعب » وتكونت من ثلاثة « قضاة » من زملائه أعضاء مجلس القيادة ، وبطبيعة الحال لم تكن هذه المحاكمات إلا تمثيليات مخزية . ففى عشرات

المحاكمات جيء بالمتهمين وقد ظهرت على أبدانهم ووجوهم أثار التعذيب الوحشى ولم يثر « القضاة » ولو مرة واحدة أمر التعذيب فى « المحكمة » .

وقد كان مفهوماً أن هذه « المحكمة » قد قامت لا لشىء إلا لتقديم الأعضاء البارزين فى الجماعة إلى المشانق والباقين إلى السجون ، وفعلا قامت بمهتها حسب مخطط عبد الناصر فأصدرت سبعة أحكام بالاعدام على المرشد العام الاستاذ حسن الهضيبى وعلى أكبر أعضاء الجماعة نفوذاً منهم وكيل الجماعة العالم الإسلامى الأستاذ عبد القادر عودة المحامى ومحمود عبد اللطيف والشيخ محمد فرغلى ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوى دوير المحامى .

وكانت المحاكمات تحمل طابع القسوة والانتقام والاجتراء على الحق وإهدار كل أصول العدالة فنفر المصريون والعرب من ذلك وخرجت صيحاتهم تستنكر ذلك الظلم الفظيع الذى أحاق بالجماعة وكان عطف العالمين الإسلامى والعربى شديداً على المرشد العام ويوسف طلعت لما أظهراه من شجاعة كبيرة أثناء « المحاكمة » برغم إعيائهما .

لقد أثارت المحاكمات والأحكام فى ذلك الحين استياء شديداً فى البلاد العربية فخرجت المظاهرات فى جميع بلدان سوريا ولبنان وليبيا والأردن والعراق تهتف بسقوط عبد الناصر والديكتاتورية العسكرية فى مصر ، كما تدخل جميع رؤساء الدول العربية ورؤساء الحكومات الإسلامية لدى عبد الناصر فطلبوا منه بكافة الطرق أن يمنع تلك المجزرة وأن يتوقف عن تنفيذ أحكام الاعدام . وصدرت الصحف فى كل الدول العربية تحمل حملة عنيفة على الأحكام والمحاكمات والحكم العسكرى ، ولكن عبد الناصر سارع إلى تنفيذ أحكام الاعدام مستثنياً المرشد العام متحدياً بذلك الشعور العام فى العالمين العربى والإسلامى .

وقد شهدت الصحف العالمية عن طريق مندوبيها الذين حضروا تنفيذ أحكام الاعدام شنقا بالشجاعة الفائقة التى تحلى بها المحكوم عليهم عند تنفيذ الأحكام . فوصف « جان لاكوتير » مندوب جريدة فرانس سوار أوسع الجرائد الفرنسية انتشاراً ــ وصف تنفيذ تلك الأحكام تحت عنوان : « درس فى الشجاعة من الذاهبين إلى حبل المشنقة » .

ثم نشرت الجريدة وصف تنفيذ الاعدام بما يلى :

القاهرة فى ٧ ـــ جان لاكوتير :

فى سجن القاهرة حيث يخفق علم اسود تم تنفيذ حكم الاعدام شنقاً فى ستة من الأخوان المسلمين وهم يشكرون الله الذى أتاح لهم الاستشهاد :

« لقد تقدموا إلى العذاب بجرأة فائقة . وفى الساعة الثامنة رفع العلم الأسود على سجن محكمة الاستئناف حيث كان الستة المحكومون قد نقلوا إليه قبل البارحة . كان الهواء البارد يهب فى الخارج كالمعتاد على الناس الذين يعيشون خارج قضبان السجن ، وفى ردهة السجن المركزية الكبيرة وقف جلادان ضخمان لهما شوارب يلبسان الأسود ينتظران بالقرب من باب صغير شبة مفتوح ، إنه باب غرفة التنفيذ .

وفى الساعة الثامنة وخمس دقائق كان عبد اللطيف أول من أُقتيد إلى حبل المشنقة ؛ وكان يلبس على رأسه طاقية حمراء وعليه قميص أسود وسروال أحمر ، حافى القدمين يتمتم بالادعية وكان يحتفظ بسروره الذى لاحظناه عليه طوال المحاكمة .

وبعد تلاوة قرار الاتهام ، الذى يوبخهم لاعتدائهم على حياة الكولونيل ناصر ومحاولتهم قلب نظام الحكم بالقوة ، تلا الواعظان اللذان يحيطان بالمحكوم عليه القرآن وخطب ثالث وهو كفيف ويدعى الشيخ الصاوى خطبة أكد فيها أن عبد اللطيف كاد أن يقتل ٢٢ مليوناً فى شخص واحد ، إلا أن الله حفظه للمصريين . ثم طلبوا من المحكوم عليه أن يردد « لا إله إلا الله » ولكن فضل أن يرتل : « أشكر الله الذى منحنى الشهادة » التى هى أمنية الأخوان المسلمين ، ولم يرد أن يأخذ شيئاً وانقلب إلى الخلف تاركا حراسه يجرونه نحو الغرفة السوداء ، وسمعنا ضجة صماء ، وكانت الخشبة قد فتحت من تحته ، واستمر نبضه ثلاث دقائق ونصف .

لابسو الأحمر والأسود .

يجب أن ننتظر نصف ساعة بعد تنفيذ كل حكم لأن القانون المصرى يلزم أن يبقى الجسم معلقاً كل هذا الزمن ليتحقق من الموت .

وجيء بيوسف طلعت رئيس النظام السرى الأعلى . كان لابساً مثل سابقه الأحمر والأسود ويبدو صغيراً جداً بين جلاديه الضخام ، مر أمامنا أدكن ، مورم الوجه ، يحرك عينين زرقاوين ، وأبدى تذمره إلى حراسه من أن سرواله المصنوع من النسيج الأحمر الخشن إذ كاد يسقط . وطلب أن يصلى فأجيب : « صل فى قلبك » : « اللهم اغفر لى ولجميع من أساءوا إلى » : وضرب نبضه دقيقتين .

درس فى الجرأة .

إن أى شاهد لا يستطيع أن ينسى درس الشجاعة الذى أعطاه المحكوم عليه الثالث المحامى ابراهيم الطيب رئيس النظام السرى فى منطقة القاهرة ، ابتسامة احتقار خفيفة على شفتيه وهو يمشى وحده تقريباً ، كان ينظر بجرأة إلى الحاضرين ويقول بصوت واضح : « أشكر الله لأننى أموت شهيداً ... إنهم اعداؤنا الذين كانوا قضاتنا « ثم توجه إلى جلاده قائلا : « لا تشد كثيراً فالحبال كسرت ذراعى » .

ثم دخل الباب الأخير بنفس الابتسامة الخفيفة الغامضة .

ورابع المحكومين عليه كان محامياً آخر هو هنداوى دوير الذى اتهم بأنه أعطى السلاح إلى القاتل وكان المحرض على الاعتداء ، وعندما سئل إذا كانت له رغبة يريد أن يعبر عنها صرح :

« كنت انتظر العفو عنى من جمال عبد الناصر » فأجاب رئيس السجن : « نقلنا رغبتك إليه » !!

بعد ذلك جاء محمد فرغلى وهو شيخ ، أى واعظ دينى ، تقدم ببسمة عذبة وهو يرتل : « أنا سعيد بلقاء الله » وأسر شيئاً فى أذن أقرب واعظ إليه قبل أن يترك الجلادين يربطونه ويشدونه ، ...

بسمة أمام الموت .

وكان آخر محكوم عليه يهبط الدرج ويمشى نحو المشنقة هو المحامى عبد القادر عودة ، عالم الحركة النظرى ، الذى كان صلة الوصل بين نجيب والجماعة والذى ناقش بعلمه تأليف محكمة الشعب وأحكامها ، استقبل الحكم ضاحكاً وهو يقول : « شكراً » . وتقدم صامداً مرتفع الوجه ، ضاحك النظرات وهو يلقى بصوت قوى آيات القرآن وخصوصاً ما معناه :

الموت لا يصنع لى شيئاً طالما أموت مسلماً صادقاً ، ثم زعق رافعاً رأسه أكثر « إن دمى سيكون لعنة على هذا النظام ، ولم يرض أن يقبل شيئاً ، ومشى نحو المشنقة متقدماً جلاديه » .

كل أولئك الذين كانوا مثلنا شهوداً للدعوى ثم للتنفيذ لا يفهمون جيداً كيف يقتحم هؤلاء الرجال الذين رأيناهم ضعفاء هاربين من مجابهة قضاتهم كيف اقتحموا الموت المخيف بهذه البطولة العجيبة جدا .

هذا ما نشرته جريدة فرانس سوار لمراسلها فى القاهرة « جان لاكوتير » والواقع أنه لو كان لعبد القادر عودة أو ابراهيم الطيب أو يوسف طلعت أو الشيخ فرغلى أى دخل فى حادث إطلاق الرصاص لما أمكن أن يحتفظوا بمثل هذه الاعصاب الهادئة فى هذه اللحظة الرهيبة ، وجدير بالذكر أن يعرف القارىء أن الإسلام يبشر كل من يُقتل مظلوماً بالجنة . ومن هنا كان إقبالهم على الموت بأقدام ثابتة ووجوه باسمة .

وإذا كانوا هؤلاء هم الستة الذين نفذ فيهم عبد الناصر حكم الأعدام فإن هناك الكثيرين الذين ماتوا داخل السجون فى صمت ودون أن يعرف أحد بوفاتهم . وفى حادثة واحدة وهى الحادثة المعروفة بمذبحة سجن طرة تم قتل واحد وعشرين شخصاً عندما أطلق الحراس عليهم النار داخل السجن لإضرابهم عن العمل نتيجة قرار صدر بحرمانهم من زيارات أهلهم وذلك فى الأول من يونية سنة ١٩٥٧ .

إن الحديث عن مأساة أكثر من خمسين ألف مصرى اعتقلهم عبد الناصر وعاملهم بأقسى ألوان المعاملة ، والحديث عما تعرضت له أسر هذا العدد الضخم من المقبوض

عليهم لا ينتهى وهو حديث مؤلم وفظيع ... مرة أخرى أقول إن هذه هى المعلومات كما جاءت فى الكتاب الذى صدر أثناء وجودى خارج مصر ولم أضف إليها ما حدث بعد ذلك لسببين :

أولا : لأنى أعيد نشر الكتاب الذى صدر فى الخارج باللغتين العربية والفرنسية وأنى حرصت على ألا أدخل عليه من التعديلات إلا القليل الذى يعيد ترتيب بعض الأمور والتى لم يكن بإمكانى توفير الدقة الكاملة لترتيبها نظراً لأنى لم تكن تحت يدى أية مراجع .

ثانيا : لأن كتبا كثيرة قد تناولت علاقة الأخوان المسلمين بعبد الناصر وهى لكتاب من جماعة الأخوان وهم لا شك أعلم بدقائق التفاصيل وبأسرار عاشوها وهى كتب تسجل ألواناً من الوحشية لم تشهد مصر مثلها فى أسود عصور الاحتلال الأجنبى .

الرجل الذى تحدى عبد الناصر .

لا أستطيع أن أختم هذا الفصل دون أن أخبركم بقصة الرجل الذى تحدى عبد الناصر وكل أجهزة التجسس التى أقامها داخل وخارج مصر وانتصر عليها أكثر من انتصار .

الرجل هو الأستاذ حسن العشماوى الذى انقذ عبد الناصر من القبض عليه بتهم إحراز مفرقعات وأسلحة والذى عرض أطفاله الصغار وزوجته ونفسه إذ سافر الجميع متخفين فى ملابس أهل الريف لينقل الأسلحة إلى عزبة والده حيث أرسل عبد الناصر مهندسين من ضباط الجيش لحفر بير تدفن فيه الأسلحة فكان جزاؤه أن أرسل عبد الناصر بعد أن تولى زمام الأمور قوات إلى حيث توجد الأسلحة وأعلنت أجهزته أنهم عثروا فى عزبة حسن العشماوى العضو البارز فى مكتب الإخـوان المسلمين أسلحـة وذخائر تكفى لنسف مدينة القاهرة .

كان انتصار حسن العشماوى مرتين .

الانتصار الأول بعد أن صدر الحكم عليه بالسجن عشر سنوات أثناء المحاكمات للاخوان المسلمين بعد حادث المنشية .

كان حسن العشماوى يقلب الجرائد وهو جالس فى قطار الصعيد فوجد صورته ومكتوب تحتها الهارب حسن العشماوى عضو جماعة الإخوان المسلمين وقد صدر ضده حكم بالسجن لمدة عشر سنين ومطلوب القبض عليه .

أدرك العشماوى الخطر الذى هو معرض له فقرر أن ينتصر على عبد الناصر وكل أجهزته وأن يستعين بالله ليمكنه من تحقيق ذلك الانتصار .

نزل فى أول محطة وذهب إلى محل يبيع ملابس الفلاحين واشترى جلبابين وملابس داخلية وتوجه إلى دورة مياه المحطة وخلع ملابسه وارتدى بعض ما اشتراه من ملابس وخرج وفى يده لفتان ، الأولى بها ملابسه السابقة والثانية بها بقية ما اشترى .

وسار فى الشوارع وكلما وجد مكاناً خالياً من المارة ألقى بجزء من ملابسه الأولى إلى جوار الحائط واستمر هكذا حتى تخلص من لفة الملابس الأولى .

اتجه إلى المحطة وقطع تذكرة سفر درجة ثالثة لإحدى مدن الصعيد القريبة من إدفو .

كان يلبس الطاقية وجلبابه الذى حرص على أن يكون مظهره ليس مكوياً ولا جديداً .

نزل من القطار يحمل لفة الملابس الباقية وسار إلى أحد القرى حيث يوجد الشيخ أحمد الذى ترافع عن أولاده محامى من زملاء حسن فى الجماعة وكان هذا الزميل قد روى لحسن الكثير عن الشيخ أحمد وشهامته .

كى اختصر القصة قبل الشيخ أحمد لجوء حسن لديه ولكنه فى يوم من الأيام خشى أحد أولاده ، فنصح حسن بأن يذهب إلى الجبل يختفى فيه وتعهد بإرسال الماء والطعام له بصفة مستمرة مع أحد أبنائه الذى يثق فيه كل الثقة .

وعاش حسن فى الجبل حيث لا يرى أحداً واستمر الشيخ أحمد يرسل الماء والأكل وبعد بضعة أيام كان يقرأ ورقة من جريدة الأهرام التى كان الأكل ملفوفاً فيها وكانت حديثة التاريخ فوجد أن صديقاً حمياً لوالده العشماوى باشا وهو أى الصديق من الشخصيات السعودية الثرية قد وصل إلى القاهرة ونزل فى أحد فنادقها لقضاء اسبوعين .

وجد حسن أن صديق والده لا يزال أمامه أسبوعاً يمضيه فى القاهرة .

عاد مسرعاً إلى القرية وشكر للشيخ أحمد كرم ضيافته وأخبره أنه سيسافر إلى أسوان وبدل أن يسافر إلى أسوان وصل إلى القاهرة واتصل بصديق يعتز كل الاعتزاز بصداقته تليفونياً وعرف الصديق صوته واتفقا على أن يتقابلا .

طلب حسن من الصديق أن يذهب للشخصية السعودية يسأله هل يستطيع اصطحاب حسن معه عند خروجه ورحب الرجل فوراً وطلب من الصديق أن يحضر له صوراً لحسن وهو يلبس جلباباً أبيض وعقالاً وأحضر الصديق الصور للرجل السعودى .

وفى اليوم المحدد للسفر كان حسن العشماوى يسير مع آخرين من اتباع الرجل السعودى الذى قدم جواز السفر السعودى لبوليس الجوازات قبل الصعود إلى المركب التى ستسافر إلى جدة وبين هذه الجوازات السعودية جواز سعودى يحمل إسم حسن الإمام وصورة حسن العشماوى بالملابس السعودية .

وعلى ظهر المركب فوجىء حسن بضابط جيش مصرى ينظر إليه فلما التقى البصر بينهما لمدة قاربت الدقيقة ابتسم الضابط وأدار ظهره .

هذا الضابط المصرى كان يعرف حسن العشماوى ولم ينخدع فى ملابسه ولكنه عز عليه أن يحرمه نعمة الحرية والفرار من الطغيان .

هكذا انتصر حسن العشماوى النصر الأول على عبد الناصر وأجهزته أما الانتصار الثانى فقد تم بعد بضع سنوات .

كان حسن العشماوى قد انتقل بإقامته إلى جنيف مستعملاً جواز السفر السعودى الذى يحمل إسم حسن الإمام وكنت أقضى معظم الوقت معه .

وفى يوم من الأيام فوجئت بعدها عند منتصف الليل به يطلبنى تليفونياً ويبلغنى أن زوجته موجودة معه فى سويسرا ومتألمة ألماً شديداً من تقلصات فى المعدة وأنه يريد أن ينقلها إلى المستشفى .

وفى المستشفى تبين أن المصران الأعور يجب إزالته فوراًوعلمت أن ابن وبنات حسن موجودون أيضاً فى سويسرا وسألته كيف خرجوا من مصر فابتسم ابتسامته المحببة وقال ببساطة : سافرت إلى مصر وأحضرتهم .

لو أن أى إنسان غير حسن هو الذى روى لى هذا الكلام لبادرت إلى إعلان عدم تصديقه .

أخرج جواز سفره السعودى وعليه ختم دخول مصر وختم الخروج منها وهذا الأخير كان بتاريخ اليوم .

قال كان لابد أن أسعى إلى إخراج أسرتى ولم يكن من الممكن أن تخرج إلا بالهرب وكيف يتم ذلك وبدأت أدرس ماذا أفعل .

تصادفت مع طباخ السفير رئيس البعثة المصرية لدى هيئة الأمم فرع جنيف وكنت كثيراً بعد أن أتركك أسهر معه وأدعوه لتناول بعض المرطبات فى أحد المقاهى وتوثقت الصلات بيننا حتى أصبحنا نتقابل تقريباً كل ليلة فى نفس المقهى ونسهر معاً .

وفى أحد السهرات حدثته عن رغبتى فى زيارة مصر التى يحكمها عبد الناصر الزعيم الكبير فشجعنى على أن أقوم بالزيارة فلما أخبرته بأنى فى حاجة إلى تأشيرة دخول لمصر (فيزا) أبدى استعداداً حاراً بأن يحصل لى على الفيزا إذ أن علاقته بالقنصل ممتازة فهو يقوم بالطهى له عندما يقيم عزومة .

وفعلاً حصلت على الفيزا ورفض القنصل تناول الرسوم وكتب عنها تأشيرة مجاملة .

ولبست الملابس السعودية وسافرت إلى مصر وطبعاً كنت قد أطلقت لحيتى على طريقة السعوديين ونزلت فى فندق متواضع وطلبت نفس الصديق القديم بالتليفون من خارج الفندق وتقابلنا وكنت قد قطعت تذكرتين لحفلة فى إحدى دور السينما وطلبت منه أن يعطى تذكرة لزوجتى ويطلب منها الحضور إلى السينما .

وفى السينما كنا فى ركن منعزل وأثناء العرض شرحت لها ما يجب أن تقوم به .

تلبس ملابس طويلة وتتحجب ويلبسّ محمد إبنى وإخوته أمانى وفاطمة وآمال ملابس رخيصة ويتم التنبيه على الأولاد ألا يتكلموا أبداً حتى لا يفتضح الأمر بكلامهم المصرى وحددت اليوم والساعة والمكان الذى نتقابل فيه فى سيدنا الحسين لنذهب إلى المطار .

وقال أن الجوازات السعودية لم تكن تسمح بوضع صور السيدات ولا الأطفال وكنت قد أضفت كل الأسماء للجواز وحضرت زوجتى وقد نفذت كل التعليمات بكل دقة وكان صعباً على الأولاد ألا يبدو فرحتهم بلقائى ...

وذهبنا إلى المطار وسارت الأمور دون أى مشاكل وركبنا الطائرة وهانحن فى جنيف والحاجة قدرية عملت العملية والحمد لله ومن المؤكد أن الكبت العصبى الذى عاشته منذ فوجئت بالجلوس إلى جوارى فى السينما إلى أن ابتعدت بنا الطائرة عن أجواء مصر هو الذى أثر فى تحريك التهاب المصران الأعور.

والعملية انتهت والحمد لله ويد الله فوق أيديهم.

الفصل الحادى عشر

أنا وعبد الناصر والمصرى

لم تكن صداقتى بعبد الناصر صداقة طفولة أو زمالة مدارس أو علاقات عائلية .

كان أخى ثروت عكاشة قد حدثنى بأن بعض زملائه فى الجيش يريدون التعرف بى ذلك لأنهم معجبون بدفاعى ودفاع جريدة المصرى التى كنت أرأس تحريرها عن الحريات والديموقراطية وعن حق مصر فى إنهاء الاحتلال البريطانى والهجوم العنيف ضد الاستعمار وأن المصرى كجريدة وفدية لا تتزمت فى وفديتها .

بعد أيام حضر إلى مكتبى جمال عبد الناصر بصحبة ثروت ودارت بيننا أحاديث طويلة عن الوضع السياسى وعن حكم اسماعيل صدقى باشا الذى لا يستند إلى قاعدة شعبية وعن الآمال التى نتطلع إليها بالنسبة لمصر .

وبدأت الصداقة على الأقل من جانبى وهى ترتكز على اتفاق فكرى بالنسبة لمصر فأثناء الزيارة الأولى وما تبعها من زيارات كانت كل الأحاديث تدور حول الحرية والديمقراطية والاستقلال .

لم نتقابل قبل حركة الجيش إلا فى جريدة المصرى .

لم نتزاور ولم أدعه إلى منزلى ولم أزره فى منزله .

صداقة كنت أعتبرها تقوم على وحدة الفكر ووحدة التطلعات نحو حاضر ومستقبل مصر .

وعلى كل حال كانت زيارات عبد الناصر لى قليلة جداً ومتباعدة وكان أغربها قبل قيام حركة الجيش زيارة حدثت فى ساعة متأخرة أى حوالى الواحدة والنصف صباحا واستمر الحديث بيننا أكثر من ساعة وبعدئذ انصرفنا وكنت فى ذلك الوقت أسكن فى حى الزمالك ولم يستغرق وصولى إلى المنزل بالسيارة أكثر من سبع دقائق وعند دخولى سمعت صوت انفجار عنيف وبعدها اتصل بى تليفونيا عم محمد عطية رئيس قسم جمع المواد وتوضيب الصفحات وقال أنه سمع أثناء تناوله الشاى فى حى سيدنا الحسين صوت

انفجار شديد والناس بتقول انه عند منزل النحاس باشا وأنه سيعود مع من معه من العمال لإصدار طبعات جديدة عن الحادث .وسبق أن تحدثت عن هذه الزيارة فى فصل سابق

هل كان حضور عبد الناصر لزيارتى فى تلك الليلة وهذا الوقت المتأخر مقصود منه أن يثبت بشهادتى أنه كان معى إلى ما قبل الانفجار بوقت قليل إذا ما حامت الشبهات حوله ؟!

هل كان أنور السادات هو الذى فجر السيارة بما فيها من شحنة من المواد المتفجرة وهو الانفجار الذى من شدة عنفه تسبب فى تطاير قطعة من موتور السيارة ووقوعها فوق ناموسية السرير الذى كان ينام عليه النحاس باشا ؟!

وهل إذا كان أنور السادات هو الذى فجر السيارة فهل قام بها لحساب الحرس الحديدى الذى كان السادات عضواً فيه وهو جهاز كان يعمل لحساب الملك فاروق أم لحساب حركة بين ضباط الجيش كان عبد الناصر زعيمها ؟

كل هذه اسئلة لا أستطيع أن أجيب عنها ومما هو جدير بالتسجيل أن أذكر أنى فى ذلك اليوم بل وحتى بعد قيام حركة الجيش لم يخالجنى أى شك بالنسبة لزيارة جمال لى إذ لم أربط بينها وبين محاولة قتل النحاس باشا .

لم يدر بخلدى أبدا أن عبد الناصر يمكن أن يفكر فى قتل زعيم الحزب المؤيد من غالبية الشعب المصرى والذى يدافع بصلابة عن حريات المصريين وعن حق مصر فى الاستقلال ووحدتها مع السودان .

حتى فى ذلك اليوم الذى زارنى فيه لأول مرة فى منزلى مع ثروت عكاشة بعد حريق القاهرة وإعلان الاحكام العرفية وفرض نظام حظر التجول ليستطلع رأيى فى أمر الاستيلاء على القاهرة ثم بعد ذلك سؤاله عما إذا كنت أوافق على أن ينفذ الضباط اغتيال بعض المحيطين بالملك .. حتى فى ذلك اليوم رغم حديثه عن التفكير فى تنفيذ عدة اغتيالات لم يدر بخلدى أن أربط بين زيارة جمال ومحاولة قتل النحاس باشا .

الذى حرك الشكوك هى أحداث وقعت فى أوائل سنة ١٩٥٤ فى الوقت الذى كان

صبر عبد الناصر الذى كان يدفعه إلى الانتظار حتى تحين الفرصة ليتولى زمام كل السلطات .. هذا الصبر كان قد أخذ فى النفاد .

فى هذه المرحلة من مطلع سنة ١٩٥٤ كانت قيادة الحركة قد فكرت فى تكليف عملاء لها بالقيام بحركات اغتيال واسعة تتم كلها فى يوم واحد وهذه الاغتيالات لم تكن لتقتصر على من كانوا محيطين بفاروق بل كانت تشمل عدداً من رجال السياسة خصوصا من حزب الوفد باعتباره الحزب الذى له قاعدة شعبية كبيرة . وكان الضباط قد أعدوا قائمة بمن يتم اغتيالهم ولكنهم عدلوا عن التنفيذ إذ تسربت أنباء القائمة ونية القيام باغتيالات إلى خارج نطاق ضباط قيادة حركة الجيش .

المهم أن زيارات جمال لى لم تكن كثيرة وأن علاقتى به كانت قائمة على أسس سياسية وأنه كان من وقت لآخر يتصل به تليفونيا ليبدى إعجابه بموقف وقفته جريدة المصرى أو بمقال نشرته .

ولذلك كنت حريصا على تأييد حركة الجيش منذ الساعات الأولى وتشهد أعداد المصرى الصادرة يوم ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ من يولية عام ١٩٥٢ على ذلك وهى الأيام التى توالت بعد بدء الحركة وقبل اعتزال الملك فاروق وتنازله عن العرش .

ولذلك أيضا عندما حذرنى أخى محمد أبو الفتح من ألا أبالغ فى الاطمئنان إلى قادة الانقلاب وقال ان كل انقلاب عسكرى قد انتهى إلى حكم دكتاتورى وعندما قال إحسان عبد القدوس بنفس التحذير لم آخذ التحذير مأخذ الجد .

ست سنوات مضت على مقابلتى لعبد الناصر وكان فى كل زيارة خلال هذه المدة يحدثنى عن تطلعه إلى الحريات وإقامة حكم نيابى سليم ونظام ديمقراطى وكان من بين المبادىء الستة التى أعلنتها الحركة يوم قيامها مبدأ إقامة حياة ديموقراطية سليمة لهذه الأسباب لم آخذ التحذيرات مأخذ الجد .

ومن الأسباب أيضاً التى جعلتنى لا أهتم بالتحذيرات أن الغالبية العظمى من المصريين فرحت وأيدت حركة الجيش فمثلا أساتذة جامعة الاسكندرية عقدوا اجتماعا يوم ٢٤ وأصدروا بياناً يؤيدون فيه الحركة تأييدا قويا رغم أن الملك كان يقيم فى

الاسكندرية وكانت فرق الجيش فيها لم تعلن الانضمام للحركة كما أن عشرات النقابات والطوائف أيدتها فى ذلك اليوم .

صدمة الحقيقــة :

يوم ٢٨ من يوليه عام ١٩٥٢ أى بعد مغادرة الملك لمصر بيومين وصلنى كتاب كنت قد طلبته من أمريكا وهو كتاب عن جريدة كانت تصدر فى الارجنتين اسمها (لابرنزا) وكانت تدافع باستمرار عن حقوق الشعب الأرجنتينى فى ممارسة كافة الحريات وتطالب بالحاح بتغيير النظام الـدكتاتـورى الذى كـان يفرضـه الدكتـاتور بيـرون إلى نظام ديموقراطى مما أدى إلى ضيق الدكتاتور بالجريدة ورئيس تحريرها فقام بعملية انتقـام رهيبة إذ قبض على عدد من المشتغلين بتحرير الجريدة ومنعها من الصدور .

عندما وصلنى الكتاب كنت مشغولاً بالأحداث ولم يكن الوقت يسمح بالتفرغ للقراءة .

بعد منتصف أغسطس عام ١٩٥٢ بدأت أطالع بين الحين والآخر بضع صفحات من كتاب لابرنزا وهى صفحات فخار لجريدة تقف فى وجه دكتاتور جبار خصوصا وأن زوجة بيرون (إيفابيرون) كانت تتبنى حركة ضخمة للدفاع عن حقوق العمال والطبقات الفقيرة واكتسبت بدفاعها هذا شعبية كبيرة جعلت دفاع لابرنزا عن الحريات يجد عدم التقدير الكافى عند العمال والطبقات الفقيرة وهى تمثل غالبية الشعب وبالعكس من ذلك كانت لابرنزا تجد إقبالا كبيرا من الطبقات المثقفة التى كانت تدرك أن الدكتاتورية تعتقل وتعذب وتمتهن الكرامات وتجعل الحاكم هو سيد البلاد فى حين أن المفروض أن الشعب هو السيد فهو الذى يعمل ويشقى ويدفع الضرائب التى منها يقبض الدكتاتور مرتباته وجميع مخصصات القصور التى يسكنها والنعيم الذى يعيش فيه هو واسرته .

لا برنزا كانت تخاطب العقول وإيفا بيرون تخاطب المصالح المؤقتة ذلك لأن هذه المصالح تأثرت بعد ذلك بعد بضع سنين من الحكم الدكتاتورى إذ بـدأت الارجنتين تتعرض لأزمات مادية خطيرة نتيجة ضعف الحكومات واستغلال النفوذ .

كانت لابرنزا رغم قسوة الدكتاتورية تحاول بأية وسيلة أن تبث معارضتها للحكم

الدكتاتـورى وتسعى إلى تنبيه الشعب إلى مـا سيؤدى إليه هـذا النظام من مصـائب وأزمات .

هذه القراءة فى الكتاب الذى يحكى قصة الجريدة التى أغلقها بيـرون واعتقل الكثير من محرريها قد أفاقتنى وجعلتنى أتذكر أن كل الدول فى أمريكا اللاتينية تقوم على حكمها أنظمة دكتاتورية مع أن هذه الدول تقع جميعها فى منطقة نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية التى تدعى حماية الديموقراطية والدفاع عن حرية الانسان والتى كان الرئيس ولسن قد بشر بهذه المبادىء العظيمة وكنت قد تربت لدى الكراهية لسياسة الحكومات الأمريكية منذ أعلن الرئيس الأمريكى ترومان تأييده لقيام دولة اسرائيل على الأرض الفلسطينية وكرئيس تحرير وجهت سياسة المصرى إلى عداء للسياسة الأمريكية مع أنى أومن كل الايمان بالنظام الديموقراطى وهو النظام الذى ـ كما قلت ـ تدعى الولايات المتحدة الدفاع عنه .

وجعلتنى أتذكر أن المصالح الأمريكية هى التى ساعدت على إقامة أنظمة دكتاتورية فى دول امريكا اللاتينية وهى نظرية كنت أعرفها منذ عدة سنوات .

الولايات المتحدة تريد أن تربط هذه الدول بها سياسيا واقتصاديا وأن أفضل سبيل لتحقيق ذلك هو إقامة حكم الفرد فى كل دولة منها وكان المنطق الأمريكى ذلك يقول بأن الدولة التى يحكمها فرد يمكن السيطرة السياسية والاقتصاديـة عليها إذا استـطاعت واشنطون أن تشترى أو تسيطر على هذا الفرد الذى يتسلط على كل شئون دولته أما إذا كان النظام فى هذه الدول ديموقراطيا فحتى لو استـطاعت واشنطون السيـطرة على الاحزاب الحاكمة فإنها ستجد مقاومة من أحزاب المعارضة .

بمعنى أصح أن واشنطون تجد من الاسهل أن تسيطر على دكتاتور ينفرد بالسلطة على أن تسيطر على دولة فيها أحزاب كثيرة تتنافس على ثقة المـواطنين لتصـل إلى السلطة .

لهذا كانت مصالح واشنطون وراء إقامة الدكتاتوريات العسكرية فى دول امريكا اللاتينية .

وبرنزا قاومت الدكتاتورية وحاربتها فاستحقت ليس فقط غضب الدكتاتور بل وأيضا غضب واشنطون وبصفة أخص غضب جهاز المخابرات المركزية وعملاء هذا الجهاز سواء من الأمريكيين أو من الذين يشتريهم الجهاز من أبناء هذه الدول لينفذوا رغباته وأوامره حتى وإن كانت ضد مصالح أوطانهم ولهذا كان من المحتم أن ينتهى الصراع إما بتعطيل صدور هذه الجريدة أو بسقوط دكتاتورية بيرون وكانت لابرنزا هى التى دفعت الثمن أولاً .

كانت قراءة كفاح الجريدة الارجنتينية من أمتع ما يمكن وفى أحد الأيام من أواخر اغسطس عام ١٩٥٢ استهوتنى القراءة عن الذهاب فى الوقت المعتاد إلى الجريدة وإذا بجمال يطلبنى تليفونيا ويقول إنه سأل عنى فى مكتبى فلم يجدنى واندهش لتأخرى وقال : ماذا تفعل فأخبرته بأنى أقرأ عن لابرنزا وأخبرته بأنها الجريدة التى عطل صدورها بيرون دكتاتور الأرجنتين لأنها كانت تدافع عن الديموقراطية وقلت مازحاً : اوعى تعملوا فى المصرى زى ما عمل بيرون .

ولم يمض على هذا الحديث إلا بضعة أيام حتى بدأت روائح الانحراف عن الوعد بإقامة نظام ديموقراطى تظهر فى الجو وبدأت المخاوف تشاورنى وكانت هذه المخاوف مبكرة جدا .

يوم ٧ من سبتمبر عام ١٩٥٢ كتبت أول مقال فى سلسلة من ثلاث مقالات نشرها المصرى تحت عنوان (إلى أين) وقد تحدثت عنها فى جزء سابق من هذا الكتاب وسألت إلى أين تذهب مصر على يد الضباط أهى ذاهبة الى الديموقراطية أم بدأ ينحرف بها الطريق ؟

رغم هذه الشكوك والمخاوف كنت لا أزال أعتبر عبد الناصر صادقا فى وعوده بالنسبة للديموقراطية ولذلك كانت تميل مقالاتى فى هذه الفترة إلى تأييده بالاضافة إلى اعتقادى بأن تأييده فى هذه الفترة قد يقوّى عنده الأخذ بالاتجاه الديموقراطى .

ولكن أخذت الأحداث تتوالى لتثبت خيبة أملى فى أن يعمل عبد الناصر على إقامة الحكم الديموقراطى وبدأت مقالاتى تتجنب مدحه وتهاجم الزحف نحو الدكتاتورية .

وأصبت فى هذه الأثناء بصدمة قوية إذ كنت لا أريد أن أصدق بأن عبد الناصر قد

خان ما كان بيننا من قواعد للصداقة وهى اعتقادى بأن يشاركنى الرغبة فى انقاذ مصر من دكتاتورية الملك إلى نظام تتوافر فيه الحريات للمصريين ولكن كان اتجاهه نحو الدكتاتورية يزداد وضوحا يوما بعد يوم .

وقد حاولت مرات ومرات أن أثنى عبد الناصر عن السير نحو الدكتاتورية ولكنه كان يستمع لى ولا يعلق وبعدئذ يتضح لى أنهُ مُصرٌ على الوصول بمصر إلى الحكم الدكتاتورى المطلق الذى يتولاه .

كنت أقول له أن أعظم ما يمكن أن تتوج به اسمك هو أن تحقق للمصريين حرياتهم وأن يسود الشعب على وطنه وبذلك تكون أنت الذى بوأت مصر مكانتها بين الدول الديموقراطية .

كنت أقول له أن أية حكومة ستأتى عن طريق الانتخابات الحرة ستواجهها كل قوى المعارضة بصحفها إلى جوار عامل جديد سيجعلها تخشى أن تنحرف عن طريق الصواب وهو شعورها بأن الجيش الذى طرد فاروق لتلاعبه بالحريات لن يسكت على انحراف أية حكومة .

وعندما تبينت أن كل محاولاتى مع جمال قد باءت بالفشل عرضت عليه أكثر من مرة أن يستقيل من الجيش هو ومن يثق فيهم من الضباط ويكوّن حزبا وعندئذ سينضم لحزبه الشباب الوطنى الثائر وان هذا الحزب سيفوز فى الانتخابات ولكنه طبعا رفض هذا الرأى فى كل مرة عرضته عليه فهو لم يكن يريد أن يخوض انتخابات يتعرض خلالها للمنافسة مع أحزاب أخرى ولم يكن يريد أن يعارضه معارضون أو صحف .

وفى يوم من أيام نهاية شهر ديسمبر عام ١٩٥٢ كان أخى حسين قد دعا عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ودعانى إلى مأدبة غداء فى منزله لتصفية خلافات بيننا كانت قد قامت على إثر اعتقال عدد كبير من الطلبة الأمر الذى أثار غضبى .

فى ذلك اليوم قلت لعبد الحكيم أثناء توجهه لغسل يديه قبل الغداء لقد أصبحتم ألعن من فاروق وسمعنى جمال فعندما جلسنا حول المائدة قال : بقى يا أحمد إحنا بقينا ألعن من فاروق . فقلت : فيه إيه عمله فاروق إنتم ماعملتهوش ... أحكام عرفية ..

رقابة ... (اعتقالات . فقال : تعرف أنا عاوز إيه عاوز يبقى عندى زر زى زر النور أضغط عليه كل المصريين يناموا وأضغط عليه كل المصريين يصحوا وأعتقد أن هذا الكلام هو قمة التعبير عن الرغبة فى السيطرة والدكتاتورية .

وكما كنت أحاول إقناع عبد الناصر بالديموقراطية كان هو يحاول إقناعى بألا أعارضه وكان فى الشهور الأولى يحرص كل الحرص على التردد على مكتبى بالجريدة هو وعبد الحكيم وأحيانا كان يصحبهما جمال سالم .

وكان يمدنى بالاخبار الهامة فينفرد المصرى بنشرها فمثلا هو الذى كلف أنور السادات أن يمر على المصرى ويعطينى أول نبأ عن نية مجلس القيادة عزل رشاد مهنا من منصب الوصى على العرش .

وعندما تم التوقيع على الاتفاقية الخاصة بمستقبل السودان زارنى جمال وصلاح سالم ولم تكن نصوص الاتفاقية معهما كلف جمال صلاح سالم بإحضارها فذهب إلى مركز القيادة وأحضر نسخة من الاتفاقية وقال جمال لا تنشرها كما هى بل انشرها كأخبار .

وعندما عرضت الصفحات التى بها أخبار الاتفاقية على الضابط الرقيب رفض التصريح بالنشر وقال إن التعليمات صريحة بعدم نشر أية أنباء تتعلق بها وحاولت أن أقنعه بالموافقة فلم يقبل وعندئذ طلبت جمال وأخبرته برفض الرقيب فتحدث معه وأمره بأن يوافق على النشر وطبعا وافق .

وطلبنى يوما عبد الناصر وقال : إنت فين ... أنا مش لاقيك لا فى الجرنال ولا فى البيت .

ووعد أن يمر علىّ مساء فى المكتب وعندما حضر كرر سؤاله : إنت فين ؟

قلت إنى أبحث عن سكن لان مسكننا فى الزمالك كثرت فيه العيوب والمشكلة أنى أريد أن أجد فى أية عمارة شقتين واحدة لأمى وواحدة لى .

قال : تعالى أجر بيت من بيوت الامراء واحنا عندنا بيوت كثيرة فاضية .

قلت : لا أبدا .. هل تريد أن يقول الناس أنى استفدت من علاقتى بك .. ؟ وكمان

أنا ما أحبش اسكن مكان ناس خرجتوهم من بيوتهم بالشكل ده ... .

فقال : يا أخى إيه الكلام ده .. هو انت حالتنك كده .

والأمثلة على المعاملة المتميزة التى كان يعاملنى بها جمال كثيرة، وقد يظن القارىء كما كنت أنا أظن وقتها أنه كان يعاملنى هكذا بسبب الصداقة التى بدأت منذ أكثر من ثمانى سنوات أو بسبب تأييدى لحركة الجيش فى أيامها الأولى .

وهذا ما كنت أعتقده ولكنه اعتقاد ساذج فجمال كان يريد أن يصبح المصرى وهو أوسع الصحف المصرية انتشاراً وأكثرها شعبية سندا لدفاعه عن كل القضايا الوطنية وهو فى نفس الوقت منتشر توزيعه فى البلاد العربية ذلك لأن كل الصحافة العربية حتى اللبنانية كانت صحافة بدائية لا توزع أكثر من بضعة الآف ، وكانت الصحافة المصرية وعلى رأسها المصرى هى المقروءة فى الدول العربية .

لهذا عندما اتضح له أن المصرى لن يكون المدافع عن سياسته استخرج رخصة باسمه لجريدة هى جريدة الجمهورية .

وفى يوم من الأيام فأجانى جمال بقوله : لقد أخبرنى الوزير فتحى رضوان أن تحت يده دوسيه عن محمود أبو الفتح جاء فيه أنه استطاع بمساعدة صحفى مصرى يقيم فى ألمانيا أن يحصل على توكيل شركة ألمانية لصناعة الأدوية .... فقلت له : لفتحى رضوان أن يحقق فى الموضوع .

ولم أعلق على كلام جمال لأنه تصور أنى سأرتجف من أن يفتح فتحى رضوان تحقيقا بسبب حصول أخى على توكيل شركة أدوية .

وابتسمت لهذا (التهديد) إذ هل هى جريمة أن يحصل أى إنسان أو حتى أخى على توكيل لشركة من الشركات ؟ إن أخى لم يكن يحتل أى منصب رسمى حتى يمكن أن يتهم بأنه استغل منصبه للحصول على التوكيل .

والأمر العجيب أن أخى محمود حضر بعد ذلك إلى القاهـرة وتقابـل مع جمـال وعبد الحكيم فى دار المصرى ودعا ضباط مجلس القيادة على الغداء فى مسكنه وحضر

الجميع وفى أثناء وجودهم طلب صلاح سالم خمسة أطنان ورق يتبرع بها أخى ليفرقها صلاح على جرائد السودان فقبل الطلب ونفذه .

ولا شك أن هذه الدعوة كانت خطأ إذ أن مسكن أخى كان به تحفا من أجمل التحف ولعل هذا هو الذى جعلهم عندما صدر (الحكم) من (محكمة الثورة) بادروا بالاستيلاء على المسكن وكل محتوياته .

الصدام العنيف :

سبق أن قلت أن البكباشى يوسف صديق كان قد أصدر مجلة أسبوعية اسمها (مجلة التحرير) وجعلها منبرا للدفاع عن الديموقراطية والحريات وغضب عبد الناصر من يوسف وأبعده عن رئاستها والاشراف على تحريرها بعد العدد الثالث وأسند رئاستها للصاغ ثروت عكاشة الذى كان قد حصل على درجة الماجستير من كلية الآداب قسم الصحافة .

إستمر ثروت يواصل الدفاع عن الحريات والديموقراطية فى المجلة وأدى هـذا الدفاع القوى مع الاهتمام بتبويب المجلة وتحريرها إلى انتشارها .

وإذا كان عبد الناصر قد أبعد يوسف صديق عن المجلة مدعيا فى تبرير ذلك بأنه يسارى متطرف فإنه لم يكن يستطيع أن يوجه هذا الاتهام لثروت إذ لم يعرف عنه فى يوم من الأيام أى لون حزبى فهو رجل وطنى شارك فى حرب فلسطين وفى تسليح الفدائيين بعد إلغاء المعاهدة وبوطنيته شارك فى جماعة الضباط الأحرار وأثبت أنه ليس صاحب أطماع يتطلع إلى تحقيقها بعد نجاح الحركة إذ عندما عرض عليه عبد الناصر أن يصبح عضواً فى مجلس قيادة الحركة أى فى الهيئة الحاكمة اعتذر ورشح لهذه العضوية البكباشى حسين الشافعى قائلا لعبد الناصر أن وجوده فى سلاح الفرسان أهم لحركة الجيش من وجوده فى مجلس القيادة لأن ضباط السلاح على علاقة طيبة معه وأن استمراره معهم فيه ضمان لولاء السلاح للحركة .

وفى يوم من الأيام فى الربع الأول من سنة ١٩٥٣ طلب منى ثروت أن أكتب مقالا لينشره فى مجلة التحرير التى يصدرها ويرأس تحريرها .

كتبت مقالا عن الدستور وطالبت فيه على ماهر باشا رئيس اللجنة المختصة بوضع الدستور أن يعجّل فى إصداره وأن يعقد أسبوعا للدستور تنتهى فيه اللجنة من وضعه .

كان عبد الناصر فى تلك الفترة لا يضع قيودا على مقالاتى إذ أصدر للرقيب أوامر بألا يتعرض لما أكتب وأن يجيز نشر مقالاتى دون أن يراجعها وزير الارشاد الدكتور فؤاد جلال الذى كان يتولى منصب الرقيب العام .

وجدت مقال الدستور بين يدى فقررت فى منتصف شهر مايو أن أنشره مادامت مجلة التحرير لم تنشره .

عندما تم عرض الصفحة الأولى وفيها جزء من المقال على الضابط الرقيب توقف عن مراجعة الأخبار التى بالصفحة واتصل تليفونيا بوزير الارشاد (الرقيب العام) وأخبره بأمر المقال وبعد إنهاء المكالمة التليفونية قال لى الضابط أن هذا المقال ممنوع وأنه لا يوافق على نشره .

وتعجبت لهذا القرار فقد كان أول مقال تمنع الرقابة نشره منذ قامت حركة الجيش .

صممت أن أنشر المقال وأصر الضابط على الرفض وكان يوالى الاتصال بوزير الارشاد ويبلغه بإصرارى على النشر وأنى لن أطبع المصرى إلا إذا كان المقال منشورا على صفحاته .

وتأخر الوقت وكل منا متمسك برأيه حتى وصلت الساعة إلى الثانية والنصف صباحا .

دق جرس التليفون فى مكتبى وكان المتحدث هو الأستاذ محمد سعد رئيس مطبعة المصرى ببولاق وأخبرنى أن قوة من البوليس والجيش قد حضرت إلى المطبعة ومنعت الدخول أو الخروج وحاصرت المبنى .

ولم يمر على المحادثة أكثر من ربع ساعة حتى أخبرنى أحد المحررين أنه رأى قوة عسكرية تحيط بمبنى المصرى وبعد ذلك علمت أن وزير الارشاد بنفسه قد حضر على رأس هذه القوة وأنه بسببه لوضع الأختام الرسمية بالشمع الأحمر على بوابة الجريدة لمنع الدخول أو الخروج منها .

عندئذ ألح عليّ أخي حسين أن أتصل بعبد الناصر وأروى له ما يحدث فرفضت رفضا قاطعا .

قرر الأستاذ محمود عبد المنعم مراد أن يتصل هو بعبد الناصر فطلبه تليفونيا من حجرة مكتبي ولاحظت أنه رد على الطلب عقب أول رنة بجرس التليفون مما يقطع بأنه كان إلى جوار التليفون وأنه لم ينم بعد .

وتحدث معه محمود مراد فوجده عصبي جدا فأخبره أنه سيحضر مع أخي حسين لشرح الأمر له فقبل الزيارة .

فى هذه الأثناء كانت سيارات الجيش ومنصوب عليها المدافع قد حاصرت مبنى المصرى ومبنى مطبعة بولاق ومطبعة دير النحاس وكان وزير الارشاد قد وضع الأختام على بابى المطبعتين .

ذهب أخي ومراد ووجدا جمال فى غاية الغضب إذ قال لهما أن أحمد يريد الدستور إذن فلينتظر حتى يكون هناك دستور ليعيد له فتح المصرى وإصداره .

وقال أخي وساعده مراد أن منظر الجريدة وقد حاصرتها السيارات المصفحة وعليها المدافع وعساكر وضباط الجيش سيكون محل إشاعات كثيرة عندما يأتى الصباح ويرى الناس هذا الحصار كما أن عدم صدور الجريدة سيزيد من حجم الشائعات وأن هذا ليس من المصلحة الوطنية .

وبعد نقاش وافق عبد الناصر على صدور المصرى مع نشر المقال فطلب منه أخي أن يتصل بوزير الارشاد ليرفع الأختام عن المطابع فاتصل بالوزير فى مكتبه بالوزارة ونزل مرة أخرى وذهب إلى المطبعتين ورفع الأختام ثم حضر إلى جريدة المصرى وأبلغ القوة بانتهاء الحصار بناء على أوامر جمال عبد الناصر .

وهذا بعض ما جاء فى المقال الذى كتبته تحت عنوان (الدستور يا رئيس اللجنة) وتم نشره فى عدد ١٩ من مايو عام ١٩٥٣ :

سيدى الرئيس السابق على ماهر اسمح لى أن أكتب إليك هذا الخطاب على صفحات المصرى باعتبارك رئيس اللجنة التى شكلت لوضع الدستور ، وأرجو أن تغفر

لى إذا قلت لك أن رأيى فى وضع الدستور يختلف مع تكوين هذه اللجنة إذ أن الدستور حسب ما أفهم هو للشعب وأن الطريق الوحيد الصحيح لوضعه هو طريق لجنة ينتخبها هذا الشعب ، ولعل إيمانى بأن هذا هو الطريق الصحيح أو الطريق الوحيد لوضع دستور

هذه اجزاء من المقال وقد اثار نشره غضب عبد الناصر وقد علمت بعد ذلك أنه مما زاد من غضبه أنه كان قد أبدى لثروت عكاشة رغبته ألا ينشر هذا المقال فى مجلة التحرير وأن ثروت حرصاً على عدم تعكير العلاقات بينى وبين عبد الناصر لم يخبرنى بالأمر .

وعقب صدور المصرى بالمقال أعطى الصاغ صلاح سالم لجريدة الأهرام حديثا حمل فيه حملة شديدة على من أسماهم (الباكين والمتباكين على الدستور) وكان مفهوما أن الهجوم موجه إلىّ وقد نشر الأهرام الحديث فى عدد ٢٠ من مايو عام ١٩٥٣ .

وكان معروفا عن صلاح سالم أنه عندما يهاجم لا يناقش الأمور بالمنطق بل بالانفعال وإلقاء الاتهامات بالجملة على من يهاجمه .

أصبح نشر الحديث بمثابة التحدى لى وكان لابد من الرد عليه فكتبت مقالا لأنشره فى عدد الغد أى فى عدد يوم ٢١ من مايو .

لم يوافق الضباط الرقيب على النشر وعرض الأمر على وزير الارشاد فأصر على عدم التصريح بنشر المقال وقررت عدم إصدار المصرى إلا إذا سمحت الرقابة بنشره .

إستمر الجدل حتى ساعة متأخرة من الليل والرقابة مصرة على موقفها وأنا مُصّر على منع المصرى من الصدور والاتصالات مستمرة بين الضابط الرقيب وبين الدكتور فؤاد جلال وزير الارشاد المشرف على رقابةالنشر .

إستمر الجدل حتى ساعة متأخرة من الليل والرقابة مصرة على موقفها وأنا مُصّر على منع المصرى من الصدور والاتصالات مستمرة بين الضابط الرقيب وبين الدكتور فؤاد جلال وزير الارشاد المشرف على رقابة النشر .

أخيرا اقترحوا على أن أصدر المصرى على أن أعطى صورة من المقال للرقابة ليرد عليه الصاغ صلاح سالم ويتم نشر المقالين فى عدد يوم ٢٢ من مايو .

وقبلت الاقتراح وصدر المصرى يوم ٢١ من مايو بدون المقال .

أرسل صلاح سالم رده على مقالى وعلمت أنه أرسل ما كتب لجريدتى الأخبار والأهرام فاتصلت بالجريدتين وعرضت عليهما نشر مقالى فقبلتا وصدرت الجرائد الثلاثة صباح ٢٢ من مايو وبها مقالى وعنوانه (نعم الدستور) ورد الصاغ صلاح سالم وعنوانه (الباكون والمتباكون) .

وتم نشر المقالين فى الصفحة الأولى من جريدة المصرى . جاء فى مقالى ما يلى :

« لقد أحسن حضرة الصاغ صلاح سالم صنعا إذ فتح باب المناقشة فى موضوع الدستور فإنه والله موضوع جدير بالبحث والمناقشة وليس أدعى إلى ظهور الحق وتبلور الأمور من مناقشتها وقرع الحجة بالحجة ... وإنى إذ أشكر لحضرة الصاغ صلاح سالم إشتراكه فى مناقشة موضوع الدستور كنت أرجو أن يتجنب حضرته ذكر الألفاظ التى استعملها كلفظ (التباكى) فإنى لا أتباكى ولا أبكى إذ لا يتباكى إلا الجبان أما الذى يكتب اليوم فى صراحة ووضوح ويعلن على الناس كتابته دون أن يخشى الاعتقال والأحكام العرفية والمصادرة وغير ذلك من الوسائل التى يستطاع استعمالها معه لإسكاته لا يمكن أن يكون جبانا فيتباكى ـ ـ ـ وأعتقد أن الحرية يا سيدى العزيز هى أغلى شىء يذود عنه الانسان ولذلك أرى واجبا علىّ أن ألفت نظرك إلى الأشياء الآتية :

١ ــ أن مصر الآن وقد انقضى على الحركة قرابة عشرة أشهر لاتزال دون دستور .

٢ ــ أن الأحكام العرفية التى فرضت فى عهد فاروق لاتزال مفروضة حتى اليوم .

٣ ــ أن المعتقلات التى كانت مفتوحة منذ ٢٦ من يناير لاتزال مفتوحة حتى الآن .

٤ – أن الرقابة على الصحف مفروضة عليها .

وإنى لأعجب يا سيدى لماذا تغضب حين أطلب للشعب دستوراً وأطلب للشعب توفير الحقوق ... ألم تكن هذه أهدافكم ؟ ... ألم تعلنوا عنها أكثر من مرة ؟ إنى أريد الدستور لتسجل للناس جميعا وللعالم أجمع أن حركة الجيش قد حققت للشعب ما ارتبطت به » .

أما رد الصاغ صلاح سالم فقد جاء به ما يلى :

« إنى لم أتعود مطلقا أن أستتر خلف واحد فعندما استعملت لفظى الباكين والمتباكين

ـــ وهما الكلمتان اللتان ذكرهما مندوب الأهرام ـــ لم استعملها إلا بعد أن وجدت أنهما يعبران تعبيرا صادقا عن مقصدى . لقد دهشت حينما قرأت مقال الأستاذ أحمد أبو الفتح بجريدة المصرى إذ أنه زج بنفسه زجا فى حديثى واعتبر نفسه هو المقصود بمقالى الأخير فى جريدة الأهرام وحمّل نفسه طاقة فوق ما تحتمل وإنى إذ أقرر أن مقالى لم يقصد به فرد معين ولم تكن حملتى موجهة ضد إنسان بالذات حتى ولو كان هذا الشخص هو الأستاذ أحمد أبو الفتح رئيس تحرير جريدة المصرى ، إذ أنه إذا كانت كل المخازى والأوزار التى ذكرتها فى حديثى ممثلة فى الأستاذ أحمد أبو الفتح لهان الأمر ، ولما سمحت له الثورة أن يستمر فى عمله ولكان مصيره مصير فاروق مثلا . لم أقم ولم أقعد لإتهام فرد وما كانت الثورة لتقوم وتعقد لتهاجم فردا ... لمصلحة من وفى هذا الوقت بالذات الذى وقف فيه رجال العهد الحاضر وقفة رائعة لنيل مطالب البلاد دون أدنى قيد ... لمصلحة من نترك هذه المصلحة الكبرى ونتجه الى معارك أخرى منها أن عهدنا استمرار لعهد فاروق ؛ فالدستور ملغى والأحكام العرفية التى فرضت فى عهد فاروق باقية والمعتقلات مفتوحة والرقابة على الصحف مفروضة ... إنى أتساءل هل يلح الأستاذ أحمد أبو الفتح فى عودة الدكتاتورية البرلمانية التى تمثلت بأجلى معانيها فى العهود الماضية وكلنا نعلم كيف كانت تباع كراسى مجلس النواب بدفع الواجبات وكان أغلب أعضاء البرلمان التابعين لحزب الأغلبية ليسوا إلا أفرادا يؤمرون فيطيعون . ينادى الأستاذ بالدستور ونحن نادينا ونادى بالدستور ولكن إذا كان يقصد من وراء ذلك أن تجرى الانتخابات فورا لو تم إعداد الدستور فى أسبوع مثلا فهذا ما لانوافق عليه مطلقا وأظن أن الأستاذ يوافقنى على أن المريض إذا ما أعطى غذاءً كاملاً قبل أن يتم نقاهته فلن تكون النتيجة إلا النكسة .... وربما القضاء المبرم على المريض ... لم أعقب يا أستاذ لأنك قلت لعلى ماهر أن يخصص أسبوعا للدستور مثل أسبوع الدواجن ... وماله أسبوع الدواجن يا أستاذ ؟ ألم تسمع أن البلاد تخسر سنويا ما قيمته ملايين الجنيهات من إهمال الدواجن ؟

ماذا أفاد الفلاح من سياستكم الماضية ومن برلمانات الماضى ودساتير الماضى إلا الوعود من تجار ومحترفى السياسة .

وكان اقتناعى بعد هذه الأزمة أن أسافر إلى جنيف حيث كان أخى محمود ابو الفتح لأعرض عليه تفاصيلها وأعرض عليه أن يعين أحدا غيرى كرئيس لتحرير المصرى لأن استمرار رئاستى سوف تنتهى إلى ازمات جديدة قد تؤثر على مستقبل الجريدة .

نشرت فى نفس العدد من المصرى أى ذلك الذى به المقالين خبراً فى صفحة الانباء المحلية تحت عنوان (الاستاذ أحمد أبو الفتح) وهذا نصه : يسافر الاستاذ أحمد ابو الفتح رئيس تحرير المصرى إلى الاسكندرية خلال الايام القليلة المقبلة لقضاء أجازته التى بدأت أمس .

والأمر الذى يقطع بأن كتاباتى عن الدستور قد سببت انزعاجا شديداً لدى ضباط القيادة أن تتلقى المصرى البيان الرسمى التالى :

بيان رسمى

حول اجازة رئيس التحرير :

تلقيا من وزارة الارشاد القومى البيان التالى :

نشرت جريدة المصرى فى عددها الصادر صباح أمس خبرا عن قيام رئيس تحريرها باجازة وقد اختارت لنشر هذا الخبر وقتا يوحى بأن هذه الاجازة باتفاق أو وحى من المسئولين . وواقع الأمر أن أحدا من المسئولين لم يطلب من أصحاب الصحيفة المذكورة طلبا ما يتعلق برئيس تحريرها أو بأى موظف من موظفيها ـ بل على العكس لقد تقدم أحد أصحاب الصحيفة باقتراح ظن أنه يرضى المسئولين وهو أن يقوم الأستاذ أحمد ابو الفتح بأجازة فرفض هذا الطلب رفضا قاطعا .

●

وقابلت أخى محمود فى جنيف وشـرحت له المـوقف فاستبقـانى بضعة أيـام ثم اصطحبنى إلى باريس حيث فوجئنا بوصول أخى حسين الذى طلب من أخى ضرورة عودتى .

وقال أخى محمود : أرجو أن تكون أعصابك قد استراحت لكى تعود إلى عملك ويجب أن تفهم أن السياسة التى تسير عليها هى السياسة التى يجب أن نسير عليها حسين

وانا كما سار عليها ايضا قبل وفاته أخونا محمد ولا يمكن أن يكون بيننا خلاف على ذلك فنحن لم نكن أثرياء وقد وثق بنا المصريون وأصحبنا بفضل الله وتأييد القراء فى نعمة كبيرة ومن غير المعقول أن نخون الامانة ولا ندافع عن حريات الشعب وقد دافعنا عنها فى كافة المراحل التى مرت منذ أصدرنا المصرى وهذا هو سبب ثقة المصريين .

فعدت وكررت له أن دفاعى عن الحريات قد يؤدي إلى تعطيل صدور المصرى فأصر على أن أعود وأباشر عملى بما يرضى ضميرى .

عندما اشترى أخى محمود شركة الاعلانات الشرقية ونقل ملكيتها من (عائلة فنى) الانجليزية وعين مصريين كرؤساء تحرير للجرائد التى تصدرها وبذلك تحولت هذه الصحف من يد الانجليز واليهود إلى أيدى مصرية صميمة ذهبت وأخبرت عبد الناصر بالامر وكنت أظن أنه سيرحب بالشراء ولكنه وجم ولم يقل حتى ولو من باب المجاملة مبروك .

وقرر حسين عنان باشا الذى رأس مجلس ادارة الشركة والدكتور السيد ابو النجا المدير العام للمصرى وللشركة توجيه الدعوة لحفلة تقام فى مقر الشركة احتفالا بتمصيرها وبطبيعة الحال تم توجيه الدعوة لكل اعضاء مجلس قيادة الحركة فلم يحضر لا جمال عبد الناصر ولا أي ضباط من ضباط المجلس والوحيد الذى حضر كان اللواء محمد نجيب .

زيارة عزام باشا :

بعدما ألقى عبد الناصر القبض للمرة الاولى على ألآف من أعضاء جماعة الاخوان المسلمين وعلى رأسهم المرشد العام للاخوان المسلمين الاستاذ حسن الهضيبى أخذ يقلل من خروجه ليلا إلا للذهاب إلى مكتبه .

وفى إحدى الليالى إتصل بى تليفونيا فى المصرى وسألنى عمن يستطيع أن يفسر له تطورات الامور فى سوريا وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩٥٤ إذ كان الوضع فى القطر الشقيق يؤكد أن دكتاتورية أديب الشيشكلى بدأت تهتز اهتزازا عنيفا .

أخبرته إنه لا يوجد أعلم بهذه الامور من عزام باشا .

طلب منى أن اصطحب عزام باشا ونزوره فى منزله فقلت له إنى لا أستطيع ذلك فاقترح أن نجتمع نحن الثلاثة فى منزلى فأخبرته أنى لا أستطيع أن أطلب من عزام باشا أن يخرج ليلا ليحضر اجتماعنا فى منزلى وقلت : إذا كنت تريد أن تقابله فلنذهب معا إلى منزل عزام باشا ؛ وبعد قليل من الصمت قبل الفكرة وقال إنه سيمر علىّ ثم نتوجه معا إلى منزله .

وقد قصدت بذهاب جمال إلى منزل عزام باشا أن يرى الرجل الذى كافح طوال حياته فى سبيل القضايا الوطنيـة العربيـة ، وأن الذين سعـوا إلى إبعاده عن منصب السكرتير العام للجامعة العربية يسعى زعيمهم إليه فى منزله .

وتمت المقابلة واستمرت حتى بعد الثانية صباحا وفى هذه الاثناء وعلى ضوء الشرح الذى أوضحه عزام باشا قال لى جمال أنه يريد منى أن أسافر إلى دمشق فى نفس الصباح وأدرس الموقف هناك ثم أعود لأنقله له .

قلت إنى لا أذهب إلى دمشق لأنى أكره الحكم الدكتاتورى الذى يفرضه الشيشكلى على سوريا ؛ فاقترح أن أذهب إلى بيروت وقبلت الاقتراح فكتب على ورقة صغيرة كلمة لسفير مصر فى لبنان وطلب منه وضع السفارة فى خدمتى طوال النهار والليل ... وعندئذ أخبرته أنى محتاج لإذن خروج لمغادرة مصر وأن الطائرة تقوم صباحا والوقت لا يتسع للحصول على إذن فكتب على ورقة أخرى أمراً وجهه للمسئولين فى المطار بأن يسمحوا لى بالسفر ثم على نفس الورقة كتب أمرًا للمسئولين عن إعطاء تأشيرات خروج أن يعطونى التأشيرة بمجرد طلبها .

لم أتصل بالسفارة المصرية فلم أكن بحاجة إلى خدماتها وكنت أرسل الاخبار إلى عبد الناصر فى رسائل مع من أعرفهم من المسافرين إلى مصر . وكنت قد وجدت فى بيروت جماعة من السوريين الذين كانوا يحاربون الحكم الدكتاتورى ويؤازرهم الكثير من رجال السياسة اللبنانية الذين كانوا قد كافحوا مع شكرى بك القوتلى الرئيس السورى السابق لتحقيق استقلال سوريا من الاستعمار الفرنسى .

كانت خطاباتى تفيد أن وضع الشيشكلى يزداد تحرجا يوما بعد يوم وكنت أعلم أن

عبد الناصر لن يفرح بهذه الخطابات ولكن كما قلت كنت أرى ان سقوط قلعة الدكتاتورية فى سوريا سيكون لها تأثير على الأوضاع فى مصر .

وحوالى يوم ٢٠ من فبراير عام ١٩٥٤ تلقيت برقية من عبد الناصر يطلب فيها أن أعود بسرعة ولكنى كنت موقناً أن سقوط الشيشكلى وانتصار جبهة الديمقراطية ... والحرية كانت وشيكة فلم أعد .

ومن غريب المصادفات أن يسقط الشيشكلى فى سوريا فى اليوم الذى يعزل فيه عبد الناصر محمد نجيب فى مصر وفى هذا اليوم عدت إلى مصر ولم أتصل بعد الناصر لأن الأمور كانت تتطور بسرعة وقدرت أنه كان مشغولا .

عندما قابلته بعد ذلك سألنى لماذا لم أحضر فقلت له أن الاحوال فى سوريا كانت تتطور بسرعة كبيرة فقال أنه أرسل لى لأحضر وكان يريد أن يتحدث معى فى أمر محمد نجيب .

●

عندما غضب القراء من المصرى :

كنا فى الجريدة قد أنهينا اعداد المصرى للعدد الذى يصدر صباح يوم ٦ من مارس عام ١٩٥٣ حوالى الساعة الواحدة وكانت تراودنى طوال اليوم فكرة خلاصتها أن الاعتماد على محمد نجيب لتحقيق الديمقراطية هو اعتماد ضعيف وأنه لو أمكن إقناع عبد الناصر بأن يحتضن هو أمر تحقيقها عندئذ سيكون الأمل قويا .

قررت أن أعرض عليه الفكره فاصطحبت زميلى وصديقى المرحوم الاستاذ حسنى سلمان ووصلنا إلى منزل عبد الناصر حوالى الواحدة والنصف وأخبرنى الحارس أنه نائم فطلبت منه أن يخبره بوجودى فاستقبلنى وكان فى حالة من الهم واضحة .

عرضت عليه فكرتى وقلت له إنى مستعد أن أوقف طبع الجريدة وأعود لأصدر طبعة أخرى أنشر فى صدر صفحتها الأولى وبعناوين ضخمة حديثا اجريه معه واقترحت أن يتضمن الحديث إصراره على إقامة حكم ديمقراطى وعندئذ قاطعنى وقال ولكن الناس

ستتصور أنى أقول هذا الكلام بعد أن نادى به نجيب فقلت إن حشد التأكيدات بعد ذلك وانصرافك فعلا لاقامة نظام ديمقراطى سيجعل الناس تصدقك واقترحت أن يعلن عن الافراج عن كل المعتقلين فقال والاخوان المسلمين فقلت نعم والاخوان المسلمين قال والمحكوم عليهم من الضباط قلت والمحكوم عليهم والمعتقلين وننشر بين تصريحاتك تصريحا بإلغاء حكام محكمة الثورة وكل الاحكام التى صدرت من محاكم عسكرية .

وظل عبد الناصر يناقشنى وهو متردد فى الأمر وكنت أو الى إقناعه بالفكرة وأؤكد له أنى سأؤيده بعد ذلك تأييدا قويا وأنى سأدعو كل من أعرف من الوطنيين الصادقين لينضموا إلى الحزب الذى يكوّنه .

وانصرفت وهو لم يقطع برأى فى الموضوع .

وعدت إلى جريدة المصرى وأعددت مع الزميل حسنى سلمان صفحة أولى جديدة وقلت فى صدرها : طبعة الساعة الثالثة صباحاً .. عبد الناصر يقول :

« سنلغى الاحكام العرفية وأحكام محكمة الثورة ونطلق حرية الأحزاب ونجرى انتخابات حرة » .

وعلمت فى الصباح أن هذا العنوان وما نشرته على أنه حديث من عبد الناصر قد أثار غضب بعض القراء إذ كانوا ينتظرون أن يقف المصرى إلى جوار محمد نجيب وليس إلى جوار عبد الناصر .

●

القطيعة :

وبعد ظهر ذلك اليوم جاءنى المحرر الذى كان مكلفا بنقل أخبار القيادة ليقول لى أن عبد الناصر كان فى منزله عندما توافد عليه الكثير من الضباط وكان بينهم السيد عبد اللطيف البغدادى وكذلك أحد الصحفيين الذى يسعى للتقرب من عبد الناصر .

وأخبرنى المحرر أن عبد اللطيف البغدادى كان ثائرا وغاضبا من حديث عبد الناصر للمصرى الذى تم نشره صباح اليوم وأنه احتج وقال : هل تصدرنا للحكم على الناس وبعدين تقول أنك ستلغى أحكام محكمة الثورة ... هو احنا ....

كما أخبرنى أن الصحفى إياه انتهز الفرصة وأخذ يشعل النار قائلا : الناس غضبانه جداً من الحديث ومن الاتجاه إلى اجراء انتخابات وإعادة الاحزاب ؛ وقال المحرر ان عبد الناصر أمام غضب البغدادى وما قاله الصحفى عن غضب الناس من الحديث قال : أصل أحمد كان خفيف عندما نشر المقال .

عندئذ شعرت بغضب جامح فلقد أردت أن أخدم عبد الناصر وأدت محاولتى إلى رفض من بعض القراء وبعد ذلك يتهمنى بالخفة .

كتبت له خطابا مقتضبا قلت فيه ما معناه أنى قد فشلت فى أن أقنعك بأن تحقق لمصر الحرية وللمصريين حرياتهم ولذلك لا أجد أى داع لاستمرار علاقتنا ...

الدفاع المتواصل :

ومنذ ذلك اليوم انفتحت كل صفحات المصرى للدفاع عن الحرية والوقوف إلى جوار محمد نجيب وعدت إلى ما كان نجيب قد أعلن التمسك به يوم ٥ من مارس فنشر المصرى العناوين التالية : أسس جديدة لحكم مصر ، إجراء الانتخابات لانتخاب جمعية تأسيسية مؤقتة تمهد لعودة الحياة النيابية فى مدى ٤ شهور ، الحكومة المنتخبة تتولى السلطة بدلا من مجلس الثورة ، إلغاء الرقابة على الصحف وإلغاء الاحكام العرفية قبل ٢٧ من مارس ، ومجلس نقابة الصحفيين يطلب إلغاء الحكم العرفى فورا وتشكيل وزارة قومية ؛ الوزارة الجديدة تشكل غدا ؛ واستقالة الوزراء المدنيين تنفيذا لقرار المؤتمر

المشترك ؛ المحامون يضربون غدا ؛ النحاس لا تزال اقامته محددة ؛ رشاد مهنا وأحمد حسنين لم يغادرا السجن .

وخلال هذا الشهر كان كل من يتطلع إلى الحرية ينشر المصرى له آراءه .

كتب الدكتور محمد حسين هيكل باشا مؤيدا بكل قوة العودة إلى الديمقراطية ودافع دفاعا مجيداً عن حق المصريين فى الحرية .

وتحدث النحاس باشا رغم تحديد اقامته مطالباً بانتخاب جمعية تأسيسية وعودة الجيش إلى ثكناته .

وكتب الدكتور توفيق الشاوى الذى كان استاذا للقانون الجنائى بكلية الحقوق عن حقوق المعتقل عدة مقالات تحدث فيها عن إهدار هذه الحقوق عندما اعتقله عبد الناصر .

وكتب الدكتور وحيد رأفت عدة أبحاث دستورية كلها تقرر حق المصريين فى الحرية وتفرغ الجيش لمهامه الاصلية .

وكتب الدكتور محمد محفوظ مقالا تحت عنوان : الوطن ملك للجميع تحدث فيه عن حق المصريين فى تكوين الاحزاب ؛ وكتب الاستاذ اسماعيل مظهر أكثر من مقال يدافع عن الحرية .

كما كتب الاستاذ احسان عبد القدوس يوم ١٦ من مارس مقالاً بعنوان برلمان لا جمعية تأسيسية . وجاء فى المقال : أن الجهود كلها تنحصر هذه الايام فى تكوين جمعية تأسيسية منتخبة ... لماذا ؟ لماذا ننتخب جمعية تأسيسية ولا ننتخب برلمانا كاملا ؟ ...وإذا قيل ان البرلمان لا يقوم إلا بعد وضع الدستور فإننا فى ظروف شاذة ولن يضيرنا بعد كل هذا الشذوذ الذى نعيش فيه أن ننتخب برلمانا قبل وضع الدستور .

وكل كتاب المصرى كانوا يكتبون مقالات قوية تدافع عن الحريات وكذلك كنت أكتب مقالات تهدف إلى نفس الهدف وكان منها مقال أرسلته من بيروت بعد أن راجعه أخى محمود كان عنوانه : « صيحة لص » . وذلك لأن جريدة الجمهورية صدرت بمقال تتهم فيه أصحاب المصرى بالاتجار فى الورق فى السوق السوداء وقلت فى المقال : لنكن

نحن لصوصاً وتجار ورق فى السوق السوداء ولكن هل هذا يبرر عدم تمتع المصريين بالحرية والحياة الديمقراطية ... وقلت فيها : حطموا المعتقلات أيها الحكام فما أفادت المعتقلات أبداً فى تقدم أمة ... أسرعوا أيها الحكام وأرجو أن تتقبلوا منا هذا الكلام نحن اللصوص وتجار السوق السوداء وخدام الرجعية ... أطلقوا الحريات ... ألغوا الاحكام الظالمة ...

وخلال شهر مارس كانت صفحات جريدة المصرى حافلة بالمقالات والتصريحات والبيانات التى تدعو للديمقراطية وكانت جريدة الجمهورية تتولى الرد على ما تنشره جريدة المصرى بل كانت البادئة الى استفزاز المدافعين عن الحرية الى الكتابة .

ففى يوم ٩ مارس نشرت الجمهورية مقالا هاجمت فيه المطالبات الشعبية والتى اعلنتها كل الهيئات والنقابات والجامعات مطالبة بالحرية والديمقراطية واحترام حريات المصريين اذ قالت :

« كان الشعب كله عبيداً لملك طائش ماجن وقد طردت الثورة الملك وحررت الشعب الذى كان اكثره عبيدا لسادة الاقطاع وصناع المظالم » .

واستمرت الجمهورية تحقر الشعب وتتعالى عليه بان حركة الجيش هى التى حررته وتركته حرا من كل قيد .

استفز المقال الاستاذ محمود عبد المنعم مراد فكتب مقالا يدافع عن الشعب كان عنوانه : « دفاع عن الشعب » قال فيه :

« هل كان الشعب كله عبيداً لملك طائش ماجن ؟ ام كان هذا الشعب يكافح ضد طغيان الملك ... » .

« هل كان الشعب كله عبيدا وهو الذى هتف بسقوط الملك وهو جالس على عرشه يحميه الحرس والبنادق والمدافع السريعة الطلقات ؟ » .

الى ان قال :

« إن التاريخ القريب لا يمكن ان ينسى ؛ ودماء الضحايا من افراد الشعب لا يمكن ان تجف ، ونضال الشعب فى سبيل التحرير لا يمكن أن ينكر ... » .

الى أن قال :

« لم يكن الشعب المصرى عبيدا قط بل كان الشعب فى تاريخه الطويل شعبا ابيا مكافحا مناضلا يحارب الاستعمار الخارجى والاستغلال الداخلى بكل ما يملك من قوة ... » .

وكانت جريدة المصرى قد نشرت فى اليوم السابق مقالا هو درس قيم فى الوطنية والعلم والاخلاص الصافى لمصر وكان عنوان المقال هو : « العهد الجديد » بقلم الدكتور وحيد رأفت وهذا هو بعض ما جاء فى المقال :

« اليوم اعود الى القلم لأنفض عنه التراب والى الفكر أجلو عنه الصدأ . فالرقابة على الصحف لا تحطم الاقلام فحسب بل تقضى على ملكة التفكير ، فلم يجهد الكاتب نفسه ويكدح المفكر ذهنه اذا كان ما تجود به قريحة هذا وذاك لا يصل الى جمهور القراء ابدا أو لا يصلهم الا مبتورا مشوها بفعل الرقيب » .

« وما ويل أمه لا يمارس كتابها إلا المديح والثناء ولا يسمع حكامها الا تلك النغمة المرذولة متتابعة متكررة » .

« فالنقد السياسى كالنقد عامة ضرورة من ضروريات الحياة والتقدم ورمز على الحيوية ، بغيره تفتر الهمم وتتقاعس النفوس ، ويخبو الذهن والاصلاح » . » .

الى أن يقول :

« ولو جرت الامور منذ البداية فى مجراها الطبيعى لكانت دعوة جمعية تأسيسية منتخبة لوضع الدستور الجديد هى الخطوة التالية مباشرة لنجاح ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ » .

ويقول فى ختام المقال :

« وغنى عن البيان انه بمجرد اجتماع الجمعية التأسيسية تنتهى مهمة مجلس قيادة الثورة ويتعين نقل السلطات التى يمارسها الى تلك الجمعية . اذ لا يصح فى الاذهان أن تدعى جمعية تأسيسية منتخبة كهذه تمثل الشعب صاحب السيادة والسلطان ثم يظل الى جانبها ممثل اخر يشاطر ممثلى الشعب هذه السيادة أو يناقشها » .

« وعندما تنعقد الجمعية التأسيسية المذكورة فى يوليه القادم سيشهد العالم ويشهد أهل الوادى ميلاد عهد جديد » .

●

● وعن الجمعية التأسيسية كتبت مقالا كان عنوانه :

سيادة الشعب بقلم احمد أبو الفتح وتم تشر المقال بجريدة المصرى فى عدد يوم ١٥ مارس سنة ١٩٥٤ .

وكان الدافع لكتابة المقال هو خطاب القاه صلاح سالم وهدد فيه (بثورة حمراء) اذ قال :

« ولا يظن ظان أنه لا قدر الله لو عاد الفساد مرة أخرى وعاد الطغيان مرة أخرى ان الجيش سيحمى هذا الطغيان .... ستكون ثورة من نوع جديد نحن نعرفها ولا نتحدث عنها ... لن تكون ثورة بيضاء بل ستكون ثورة حمراء » .

وجاء فى مقالى سيادة الشعب ما يلى :

« منذ بات معروفا أن الجمعية التأسيسية على وشك التكوين عن طريق الانتخابات الحرة المباشرة وهناك نوع من (الواغش) من الكتاب يحاول التشكيك فى مقدرة الشعب على حكم نفسه تارة يشككون باسم الرجعية ، وتارة باسم سماسرة الاستعمار ، وتارة باسم الاقطاعيين .... انطلق (الواغش) يبكى على البلد الذى سيسلم زمامه الى الشعب الذى يحتمل تضليله والضحك عليه .... وقد كان هذا (الواغش) بعينه فى خدمة وركاب كل حكم للفرد ... وانى أؤمن أن مناقشة هذه الاراء إن هى الا عبث لا طائل من ورائه خصوصا وإن المسئولين قد اعلنوا أن الجمعية التأسيسية ستجتمع فى ٢٣ يوليه القادم بإذن الله نتيجة انتخابات حرة مباشرة » .

ثم قلت :

« وفى اعتقادى أن حركة الجيش لن تؤتى ثمارها ولن تكون قد افادت الشعب الفائدة المرجوة الايوم أن تجرى انتخابات حرة نزيهة مكفولة للشعب فيها كل حقوقه دون أن يكون عليه اى رقيب أو شبه قيد »

« وفى اعتقادى أن حركة الجيش ستكون قد اصابها التوفيق يوم يعلن رجالها أن مهمتهم كضباط وفق رغبته الحرة المطلقة وأن الجيش لن يتدخل بعد ذلك فى السياسة »

إلى أن قلت :

« أن وجود برلمان بمؤيدين ومعارضين ووجود صحافة حرة تعلن رأيها فى كل صغيرة وكبيرة ووجود حق الاجتماع والخطابة سيوضح للرأى العام دائما أين الخطأ واين الصواب والشعب بذلك يعرف من المخطىء فيسلبه ثقته ومن المصيب فيمنحه هذه الثقة »

ثم قلت :

« وليسمح لى الصاغ صلاح سالم إن اقول لحضرته أن الثورة الحمراء التى تحدث عنها أمر يجب أن تتجنبه مصر تجنبا مطلقا وانه يجب أن يرشح فى اذهان المصريين جميعا انه لن يقوم بعد اليوم انقلاب فى مصر . اما التلويح بالثورة الحمراء فهذا ما نرجو الا يرسخ فى ذهنه أو ذهن اخوانه من رجال الجيش » .

الى ان قلت :

« ان الحكم اذا ما صار للشعب يجب أن نعمل جميعا على أن يظل للشعب وهذا هو حال الديمقراطية فى كافة الدول التى تدين بها » .

والى ان قلت :

« ان كل حاكم معرض للخطأ فمن الذى يحمل مسئولية الحكم اذا كان يعلم بان الجيش سيقوم بثورة حمراء اذا اخطأ . ثم ما هو فيصل الصواب من الخطأ ومن الذى يحكم اليس هو الشعب الذى يحكم ؟ » .

●

ونشرت جريدة الجمهورية مقالا اتهمت فيه اصحاب جريدة المصرى بالاتجار فى الورق فى السوق السوداء فكتبت مقالا تم نشره يوم ٢١ مارس جاء فيه :

« حرامية ... لصوص ... تجار سوداء ... ليقولوا عنا ما يشاءون ... ولكن لن يقعدنا هذا عن استمرار المطالبة بالدستور وبالحريات واعلاء كلمة الشعب وسيادته وتمكين سلطة القوانين الطبيعية وحقوق الانسان .

الى أن قلت :

« ان الاحكام العرفية هى العار الـذى يجب أن تمتد أيـاديكم لتزيله عن جبـين مصر ... والحكم العرفى لا يمكن بحال من الاحوال أن يفرضه حكام على شعب الا اذا كانوا يخشون هذا الشعب ، لذلك يلجأون الى هذه السلطات الشاذة ليحكموا الشعب بالحديد والنار لحماية حكمهم » .

ثم قلت :

« انا لا أفهم لماذا يظل رجال فى المعتقلات حتى اليوم مع أن وراء اعتقال كل انسان مآسى كثيرة . مأساة حرمانه من حقه الطبيعى فى أن يتمتع بحريته . ومأساة المجتمع الذى تم تجريد واحد منه من حريته . ومأساة امه التى اقعدها المرض فهو نور عينيها وبلسم آلامها . ومأساة والده الذى حرم من ابنه وهو فلذة كبده ومحط أمل . ومأساة زوجة هو رجلها والمسئول عنها . ومأساة اطفال هو ملاذهم وراعيهم . ثم مأساة للعمل الذى كان يقوم به ... ان الاعتقال عمل تشمئز منه الضمائر وتهتز له لسماء » .

ثم قلت :

« لقد كان لبعضكم فينا رأى فاذا عدلوا عنه واعتبرونا تجار سوق سوداء ... وحتى لصوصا فانى ارجو الا يطير منهم رأيهم الجديد فينا عن حق الشعب فى الحرية لعل هذا يهدينا فنقلع عن السرقة والاتجار فى السوق السوداء ... » .

●

وترد الجمهورية على مقالى فتقول بعد مقدمة عن أثر المقال لدى الكاتب الذى وقع مقاله بكلمه (مكافح) بقولها :

« وبعد أن فرغت من مقال أحمد أبو الفتح وهدأت اشجانى قليلا بدأت أفكر فيما قرأت واستعرض الاحداث التى صورها لنا أحمد أبو الفتح بقلم من نار فعجبت ... » .

الى أن قال :

« عجبت أولا حين ذكرت أن المقال النارى الذى يطالب برفع الأحكام العرفية فورا فورا فورا قد جاء فى اليوم التالى لسلسلة من الانفجارات التى هزت الجامعة وهزت جروبى وهزت باب الحديد وهزت المعادى ... » .

وضحكت عند قراءة هذا الرد للسيد المكافح لانه كان قد شاع وعرف ان جمال عبد الناصر هو الذى دبر أمر تفجير القنابل واعترف لزملائه بذلك وأنه طلب تفجيرها جميعا فى وقت واحد كى يسيطر الرعب على الناس ويطالبون ببقاء حكم حركة الجيش .

●

وكانت جريدة المصرى خلال شهر مارس تنشر تحذيرات للشعب فى صفحاتها المختلفة مثل ذلك الذى نشرته يوم ٢٧ مارس اذ قالت :

من المصرى الى الشعب المصرى : احذر ايها الشعب العظيم ما قد يدبر لك فى هذه الايام من مؤامرات لدفعك الى القيام باعمال شغب » .

وكان اخر مقال نشرته جريدة المصرى كان عنوانه (بلبلة) وذلك لأن صلاح سالم اعلن يوم ١٧ مارس اعادة فرض الرقابة على جريدة (القاهرة) وهى جريدة كانت حديثة العهد وكانت تدافع عن الحرية والديمقراطية اذ قال صلاح سالم :

« ان الرقابة الصحفية سوف تفرض على جريدة القاهرة لان هذه الجريدة تعمدت نشر انباء كاذبة من شأنها بلبلة الافكار »

وهدد فى بيانه الصحف باعادة الرقابة إذا أشاعت البلبلة .

وفى يوم ٢٢ مارس صدر المقال (بلبلة !!)

ولما كانت هذه هى اخر مقال لى فى جريدة المصرى التى رأست تحريرها ثمانى سنوات فانى لأرجو أن يتسع صدركم لنشره كاملا وها هو نص المقال :

« أطبق منذ أيام قيد من القيود الغليظة على عنق الحرية ، أطبق القيد مرة أخرى ليخنق الحرية تحت ستار البلبلة . أطبق القيد عندما أعلن أن الرقابة قد عادت مرة أخرى على إحدى الصحف المصرية ورحنا نستفسر عن سبب عودة الرقابة فقيل لنا إن هذه الجريدة التى كبلت بالقيود قد درجت على (بلبلة) ... الا فحق عليها الغضب واستوجب الغضب تأديبها . وقضى التأديب بفرض الرقابة عليها » .

« ورحنا نتلمس (البلبلة) التى احدثتها هذه الزميلة وقلبنا صفحاتها فلم نجد الا اخبارا كلها تبشر بعودة الحياة الطبيعية الى مصر ، حقيقة ان هذه الاخبار لم تحقق ولكن

هل كان أمر تحقيقها فى يدها ... حقيقة أن الزميلة كانت متفائلة أكثر مما يجب فراحت تنشر على الناس ان فلانا سيفرج عنه ... استمرت تنشر انباء عن حريات تتحقق فقيل لها لقد بلبلت الافكار وحق عليك أن تدفعى حريتك ثمنا لما كنت تدعينه .

« وأنا لا أفهم من الذى بلبل الافكار ومن الذى تبلبلت أفكاره ..

« وأنا لا أفهم ما الذى يدخل تحت بند بلبلة افكـار وكيف يمكن للصحافـة أن تتجنبه » .

« وأنا لا أدرى أمن اطلاق الحريات ما يطمئن الخواطر أم أن عدم اطلاقها هو الذى يبلبل الخواطر ؟ » .

« لقد صرح السيد وزير الارشاد (صلاح سالم) بأن الرقابة لن تعود مهما تكن الظروف وأنها ذهبت الى حيث لا رجعة » .

« وبعـد أيام قليلة تعـود الرقـابة ويقـال بأنها رجعت حـرصا عـلى عـدم بلبلة الافكار !! » .

« يا ناس اين (البلبلة) وما هى (البلبلة) وكيف تنتفى (البلبلة) » .

« وأنى أود أن أسأل : أيها اقرب الى استقرار الخواطر : أنباء الافراجات أم أنباء عدم الافراجات ... هل الحرية تطمئن الخواطر أم لا تطمئنها ؟ » .

« وإنى أود أن أسأل : هل يفزع الناس لأن أهلهم وذويهم سيخرجون من المعتقلات أم يفزعون ويخرجون لأن أهلهم سيظلون فى المعتقلات ؟ » .

« لقد أعلن رجال الحركة عن قرب عودة الحرية التى افتقدها الشعب شهـورا طويلة واعلن رجال الحركة أن الشعب سيستطيع أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء حيث لا رقابة ولا معتقلات ... أعلن ذلك رجال الحركة فكيف يعقل عقلا ومنطقا أن يضيقوا بصحيفة من الصحف نشرت عن افراجات ؟ » .

« أن للقائمين بالحكم صحيفة ومجلة ولديهم محطة الاذاعة يستطيعون عن طريقها أن يعلنوا عن تكذيبهم لاى خبر ... أما أن يلجأوا مع وجود كل هذه الوسائل الى اعادة

الرقابة على صحيفة لأنها نشرت خبرا أو أخبارا غير صحيحة فإن هذا غير مقبول ولا معقول » .

« اعلن رجال الحركة أنهم سيؤلفون حزبا ويخوضون الانتخابات فكيف سيتحملون معركة انتخابية يقول فيها كل انسان ما يريد وأن يعاملهم الناس كرجال عاديين من الشعب لا يمتازون على غيرهم بسيادة أو بنوع من القدسية ... إني اتصور المنافس لرجال الحركة وقد أعلن رأيه صراحة فى التطهير وقواعده وأن يعلن رأيه فى الاعتقالات .. انى اتصور كل هذا وغير هذا مما سيثار اثناء المعركة الانتخابية وأعجب كيف يضيق رجال الحركة بصحيفة وهم مقبلون على كل هذا وغير هذا » .

« ومع ذلك أليس لرجال الحكم جريدة تنطق بلسانهم ويشرف عليها أحد رجالهم وأن الجريدة التى اعيدت عليها الرقابة لا تلجأ للمهاترة ولا إلى السباب وغيره من وسائل النقاش غير المقبولة ... أليس فى جريدتهم وفى اقلام كتابها وفى أسلوب كتاباتهم وطريقة مناقشتهم ما يكفى فتترك الصحف الاخرى تكتب ما تريد أم أن هذه الصحيفة لا تملأ العين ؟ » .

« ومع ذلك لنفرض أن صحيفة من الصحف ناقشت كل هذا وغير هذا لا بأسلوب الصحيفة التى يصدرونها لأنه من العسير بل من المستحيل على كثير من الكتاب أن يلجأوا إلى مثل هذا الاسلوب فهوا اسلوب انقضى واختفى منذ عهد بعيد . اقول لوناقش كاتب فى صحيفة رجال الحكم فيما قاموا به باسلوب المناقشة الموضوعية ماذا يكون مصيره ومصير صحيفته » .

« لقد راودتنى نفسى أكثر من مرة أن اوجه خطابا مفتوحا لاعضاء مجلس القيادة اسألهم عن مدى ما يتعرض له الانسان لو ناقش تصرفاتهم كبشر يحكمون شعبا ... ما هى الضمانات له وهل ستعرضه هذه المناقشة التى ستكون فى اضيق الحدود وأكثرها أدبا للاعتقال وما وراء الاعتقال كما تعرضه لو وضع صحيفته تحت المراقبة أو أكثر من ذلك من العقوبات » .

« لقد راودتنى نفسى ان أوجه لهم خطابا مفتوحا اقول لهم فيه هل تسمحون لى أن أناقشكم لا كما تناقش جريدتكم الامور ولا كما تكيل جريدتكم التهم بل مناقشة هادئة

لا تخرج ابداعن حدود الصالح العام . اسألكم ماذا سيكون مصير (المصرى) وماذا سيكون مصيرى وماذا سيكون مصير من يعملون معى اذ خضت هذه المناقشة . ولكن نصحنى الكثيرون ألا أفعل وبينما أقلب الأمر اذا بقرار الرقابة على زميلتنا (القاهرة) يصدر ... » .

●

بقى أن أضيف أن الدكتور صليب بطرس مدير المصرى الذى كان أحد العمد الرئيسية التى ارتكز عليها المصرى فى نجاحه ووصوله الى أن يصبح أوسع جرائد مصر انتشارا فوجىء ذات يوم باحد عمال ورشة الجمع بالجريدة يدخل عليه مكتبه ويخرج من جيبه ورقة بمائة جنيه ثم ينفرط فى البكاء .

يقول العامل أن بعض الضباط قابلوه بعد انصرافه من عمله واركبوه سيارة جيش ثم راودوه أن يحرق مبنى المصرى واعطوه هذه الورقة ذات المائة جنيه كمكافأة ابتدائية وأنه خاف أن يرفض فيعتقلوه .

طلب من الدكتور صليب أن يأخذ المائة جنيه وأن يسمح له بأجازة ليختفى عن الأعين وأخذ منه الورقة وكتب عليها التاريخ ووضعها فى خزينة الجريدة ثم اخرج منها مائة جنيه اخرى واعطاها للعامل مكافأة له ومنحه اجازة مفتوحة .

وهذه الواقعة حدثت خلال شهر مارس سنة ١٩٥٤ .

- مؤامرات ضد الشعب :

صباح يوم ٢٨ من مارس صدر المصرى وعنوان صفحته الأولى هو : « مؤامرات ضد الشعب » .

وقام محمود عبد المنعم مراد بمهمة جمع المواد وصياغتها وقد جاء بين ما تم نشره تحت هذا العنوان ما يلى :

حاولت بعض عناصر الشغب أن تندس بين صفوف العمال أمس لتشوه جلال إضرابهم عن العمل من أجل المطالبة بحقوقهم العادلة ولتحول الغرض من هذا الاضراب إلى لون مغرض آخر لا يفيد العمال فى شىء . بل لعلنا لا نتعدى الحقيقة إذا قلنا انه لون يفيد فئة معينة من الناس لها مطامع خاصة تريد أن تضر بالشعب وبالبلاد ضررا كبيرا ولهذا تتآمر ضده .

ثم عنوان يقول : الطلبة جميعا يؤيدون مطالب الشعب واستعادته لسيادته .

وكتب الاستاذ مراد : أعلن طلبة جامعة القاهرة فى مؤتمر وطنى رائع عقدوه بالامس فى الحرم الجامعى عن تأليف (جبهة الاتحاد الوطنى) تضم كل طلبة الجامعة لا فرق بين وفديين واشتراكيين واخوان مسلمين وشيوعيين يكون الجميع فيها مصريين يعملون لصالح مصر واتخذ الطلبة فى جبهتهم الاتحادية الوطنية القرارات التالية :

أولا : إلغاء الاحكام العرفية فورا .

ثانيا : الافراج عن جميع المعتقلين فورا .

ثالثا : تأليف وزارة إئتلافية لاجراء الانتخابات .

رابعا : إلغاء مجلس قيادة الثورة فورا دون انتظار الجمعية التأسيسية .

ثم نشر بعد ذلك عن قرارات طلبة المدارس الثانوية الذين عقدوا اجتماعاً فى مدرسة التوفيقية الثانوية وهى نفس القرارات السابقة بالاضافة إلى طلب الافراج عن جميع الطلبة المعتقلين .

جامعة الاسكندرية :

وفى الاسكندرية توجه طلبة جامعة الاسكندريـة إلى سراى السيـد شكرى القوتلى لاستقبال جلالة الملك سعود والرئيس نجيب وعند وصولهما هتف الطلبة منادين بإلغاء الاحكام العرفية وإطلاق الحريات وإلغاء تحديد إقامة الرئيس السابق مصطفى النحاس والإفراج عن الاستاذين فؤاد سراج الدين وإبراهيم فرج .

والمؤامرة :

ويوم ٢٩ من مارس نشر المصرى : التطورات الاخيرة فى الموقف ... مظاهرات فى القاهرة ـ تعطيل المواصلات بها ؛ إصابة أربعة من البـوليس الحربى أثناء فض مظاهرة حاولت الاعتداء على حرية المصرى وتصدى لها العمال .

وفى هذا اليوم عادت الرقابة بأفظع صورها على المصرى .

وفى يوم ٥ من مايو حاصرت القوات مبنى المصرى واستولت على كل ممتلكات محمود ابو الفتح .

وكنت أنا فى الخارج منذ ١٥ من مارس عام ١٩٥٤ ولم أعد إلى مصر إلا فى ٢٤ من أبريل سنة ١٩٧٤ .

وكان السؤال عن مصير المصرى ومصيرى ومصير زملائى قد سألته يوم ٢٢ مارس ويوم ٥ مايو كان المصير قد تحدد اذ تم اغلاق المصرى ومصادرة كل ما نملك وتشردنا فى الخارج حيث انتقل صاحب المصرى الى رحاب الله واستمر تشردنا أكثر من عشرين عاما وتم اعتقال محمود عبد المنعم مراد وكثيرين من المحررين .

ولم يكن كل ذلك يكفى لاشباع انتقام عبد الناصر اذ اعتقل كل افراد اسرتى وماتت اختى حزنا على اعتقال ابنها عبد الرحمن فهمى ولم يكتف بالاعتقالات والتعذيب الوحشى الذى قاسوا منه الاهوال بل أمر باحضار أمى وهى فى الخامسة والسبعين من العمر من الاسكندرية ليحدد اقامتها ويضع الحراسة على الشقة التى تعيش فيها ويمنع عنها الزيارات حتى طفلى ابنها المرحوم محمد أبو الفتح لم يكن ليسمح لهما بزيارتها وكانا يقفان فى الشارع لتطل عليهما بنظرها الذى اضناه السن والبكاء ... وبعد كل ذلك قطع عنها التليفون .

الجزء الثانى

الفصل الأول

عبد الناصر

يجب قتل جميع زعماء مصر ويجب أن تبدأ سلسلة الاغتيال باغتيال مصطفى النحاس زعيم الوفد وزعيم الأغلبية الكبرى من سواد الشعب المصرى ، كانت هذه هى الفكرة التى سيطرت على عقول بعض ضباط الجيش ، عقب انتهاء الحرب بسنين قليلة ، وكان المنادون بهذه الفكرة يفسرون اعتناقهم لها بأن هؤلاء الزعماء قد أصبحوا عقبة فى سبيل تقدم مصر وتحررها من الاستعمار البريطانى .

ولم أكن خلال إقامتى فى مصر أظن أن جمال عبد الناصر يؤمن بأن الاغتيالات السياسية هى إحدى الوسائل المشروعة ؟ وكانت علاقتى بعبد الناصر وحبى وتقديرى له قبل قيام الجيش بالانقلاب تمنعنى من أن أتصور بأنه ممن يؤيدون الاغتيالات السياسية ، ولكنى وقد اطلعت على ما نشره بد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة عن محاولته اغتيال اللواء حسين سرى عامر ، تلك المحاولة التى قام بها عبد الناصر فى النصف الأول من سنة ١٩٥٢ ، أى قبل قيام الجيش بالانقلاب ببضعة شهور قلائل ، فقد اقتنعت بأنه يتخذ من الاغتيالات وسيلته للوصول إلى أى شىء يريده .

أما الواقعة الثانية التى تذكرتها بعد أن غادرت مصر فترجع إلى سنة ١٩٤٨ أى قبل حرب فلسطين مباشرة . وكانت تحكم مصر وقتئذ حكومة يرأسها النقراشى باشا . وكانت الحوادث فى فلسطين تنبىء عن قرب نشوب حرب بين العرب والاسرائيليين فقرر بعض ضباط الجيش المصرى التطوع لمحاربة الاسرائيليين إلى جوار عرب فلسطين وسافروا فعلاً إلى فلسطين واشتركوا فى القتال . وفى ليلة من ليالى أواخر أبريل أو أوائل مايو من تلك السنة كنت بمكتبى بجريدة المصرى وكان العمل قد انتهى ولم يبق معى بدار الجريدة سوى سكرتير التحرير ، وإذا بعبد الناصر يدخل علينا ، وكانت الزيارة مفاجأة لى وزاد من دهشتى أن يحضر فى ذلك الوقت من الليل ، فقد كانت الساعة قد جاوزت الواحدة صباحا . وقد أشرت بتفصيل إلى هذه الزيارة فى الفصل السابق .

وجلسنا نحن الثلاثة نتحدث عن الأحوال فى فلسطين ثم سألته عن سر هذه

الزيارة المتأخرة ، فقال انه حضر ليشكو إلىّ أمر رئيس الحكومة الذى امتنع عن تقديم الأسلحة والذخيرة للضباط الذين تطوعوا للقتال فى فلسطين مع أنه كان قد سبق ان وعد هؤلاء الضباط بتسليحهم إذا ما أقدموا على التطوع .

واستمر الحديث أكثر من ساعة ونصف ثم انصرفنا جميعاً ولم أكد أصل بالسيارة إلى منزلى الذى لم يكن بعيداً عن دار الجريدة حتى سمعت انفجاراً هائلاً .

وعدت فوراً إلى دار الجريدة وهناك علمت بأن الانفجار قد حدث نتيجة محاولة نسف دار مصطفى النحاس زعيم الوفد . فتوجهت فوراً إلى هناك فعلمت أن المعتدين تركوا سيارة مليئة بالديناميت إلى جوار المنزل فأحدثت انفجاراً مروعاً وأصابت المنزل بعطب شديد وتطايرت أجزاء السيارة وسقط جزء منها فى غرفة النوم إلى جوار فراش النحاس . ولعل من الغريب أن نضيف أن النحاس وزوجته سكان المنزل خرجوا سالمين من الحادث رغم فداحته .

تذكرت وأنا فى منفاى هذه الحادثة بعد أن قرأت اعترافات عبد الناصر عن محاولته اغتيال اللواء حسين سرى عامر ، ورحت أسأل نفسى هل اشترك عبد الناصر فى ارتكاب هذا الحادث أيضاً وقصد من زيارتى أن يثبت وجوده فى دار المصرى كدليل على عدم اشتراكه فى تدبير الاعتداء ، أم أن وجوده كان مجرد مصادفة . وإذا كنت حتى الآن لا أستطيع أن أقطع فى الأمر برأى يستند إلى أدلة قاطعة ، فإنه لا شك فيه أن زميله الضابط أنور السادات كان قد اتهم فى محاولة اعتداء آخر على مصطفى النحاس بالقاء قنبلة على سيارته ، كما أنه اتهم فى تنفيذ جريمة قتل أمين عثمان باشا الذى كان وزيراً للمالية فى إحدى وزارات الوفد .

تذكرت كل ذلك وتذكرت أن محاولات أخرى كثيرة قد تمت وقصد بها اغتيال مصطفى النحاس وأن كل هذه المحاولات ــ وان كان التحقيق لم يسفر فى اية واحدة منها عن معرفة الجناة إلا أن الاعتقاد السائد وقتئذ أن الذين قاموا بها كانوا من ضباط الجيش .

تذكرت كل هذه الوقائع وأنا أفكر فى تحليل شخصية جمال عبد الناصر ، ولعل من

العجيب أن نعرف أنه من مواليد بلدة بنى مر مركز أبنوب بمديرية أسيوط ، وقد لا تعطى هذه البيانات عن بلده صورة ما للقارىء ، ولكن ، لكى يستطيع فهم الأمور ، نذكر أن إحصائية عالمية كانت قد أجريت منذ بضع سنين عن البلاد التى تكثر فيها الحوادث الأجرامية فاتضح من ذلك الأحصاء أن أكبر نسبة للاجرام فى مدينة ما من مدن العالم هى فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة ، أما التى تليها فهى مركز أبنوب الذى تكون بلدة بنى مر ، أى بلدة عبد الناصر ، جزءاً منه .

ولعل من الطريف أن يعرف القارىء أن بلدة بنى مر قد ساهمت بنصيب وافر فى المركز الدولى الممتاز من حيث انتشار الجرائم الذى يتمت به مـركز ابنـوب ، ولكن الجرائم المشهورة عن بنى مر ليست جرائم القتل كما يخطر بالبال وإنما هى جرائم سرقة الحمير .

فجمال عبد الناصر من بنى مر ومن أسرة متوسطة ، وقد ولد فى يناير سنة ١٩١٨ وتخرج من الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ ودرس دراسة عسكرية عليا فى مصر حيث نال شهادة كلية أركان حرب وهو متزوج من أسرة محافظة .

وإذا أردنا أن نتفهم شخصية جمال عبد الناصر نجدها شخصية غريبة حقاً . فإذا راجعنا تاريخ حياته السياسى وجدنا أنه قد تقلب على جميع الأحزاب . فقد كان فى وقت من الأوقات وخصوصاً أثناء دراسته الثانوية وفدياً ، بل كان وفدياً متحمساً إذ انخرط فى هذه الاثناء بمنظمات القمصان الزرقاء . وهى فكرة سخيفة كانت قد جالت فى رؤوس بعض الشبان الذين كانت تفتنهم قوة هتلر وموسولينى العسكرية فقرروا إنشاء فرق فاشستية على نمط القمصان السود بايطاليا ولم تنجح الفكرة وانحلت الفرق بعد تكوينها ببضعة اشهر .

وانضم عبد الناصر بعد ذلك لجماعة الأخوان المسلمين واتصل بالكثير من أعضائها وعرف الكثير عن تنظيماتها ، وظل يعمل فى صفوف الأخوان بضع سنين وقد تعرف فى

هذه الأثناء إلى كثير من الضباط ممن زاملوه فى حركة الجيش بعد ذلك ، منهم كمال الدين حسين .

* * *

عبد الناصر والشيوعية

وعندمابدأجمال عبد الناصر ينظم حركة داخل صفوف الضباط تشمل شيع الشبان من الضباط المتذمرين كان فى مقدمة من انضم إليه الصاغ خالد محيى الدين ، وخالد محيى الدين هو الذى كان يعرفه العالم وقتئذ باسم الصاغ الأحمر ، وهو من الشبان الأذكياء الذين يؤمنون بالشيوعية .

وبعد أن بدأت حركة الضباط الأحرار تتبلور وتأخذ شكلها على أنقاض حركات الضباط المختلفة المتفرقة ، وبعد أن أصبحت حركة الضباط الأحرار حركة قائمة محددة المعالم تعمل سراً وتحت الأرض بدأ خالد محيى الدين يقنع جمال عبد الناصر بأن الحركة يجب أن تستفيد من إمكانيات الشيوعيين فى طبع المنشورات التى كان عبد الناصر يشرف على طبعها وتوزيعها .

واقتنع جمال عبد الناصر بوجهة نظر خالد محيى الدين فعرفه بأحمد فؤاد ، وأحمد فؤاد هذا كان فى ذلك الحين وكيلاً للنائب العام ، وقد ساعدته وظيفته فى إخفاء نشاطه السياسى السرى ، فقد كان سكرتير عام أكبر منظمة شيوعية فى مصر وهى منظمة « حدتو » وهذا الاسم عبارة عن حروف ترمز لاسم المنظمة .

تعرف جمال عبد الناصر إلى أحمد ، ورحب كل منهما بالآخر . فقد فرح عبد الناصر لأن أحمد فؤاد قد وعده بتحرير وطبع المنشورات ، وفرح أحمد فؤاد إذ أن انضمام الضباط الأحرار لمنظمته الشيوعية قد يبشر ويفتح للشيوعية فى مصر آفاقاً واسعة النطاق .

ومنذ ذلك الوقت أى أوائل سنة ١٩٥٠ وأحمد فؤاد يتولى كتابة وطبع وتوزيع النشرات السرية لحركة الضباط الأحرار فى مصر حتى قيام الحركة فى ٢٣ من يوليه سنة ١٩٥٢ .

وبطبيعة الحال كانت الاجتماعات تعقد بصفة مستمرة بين أحمد فؤاد وخالد محيى الدين وغيره من ضباط الجيش المعتنقين للشيوعية من جهة وبين جمال عبد النـاصر وبعض رفاقه من الضباط الأحرار من جهة أخرى . وكان الاتصال وثيقاً بين عبد الناصر فى ذلك الحين ومنظمة « حدتو » الشيوعية .

وقد علمت بعد ذلك أن جمال عبد الناصر قد اندمج فى المنظمة بحيث أصبح أحد أعضائها وأن اسمه السرى أو الحركى فى المنظمة كان « موريس » وأنه كان يحمل رقم «١١٧» .

كما علمت أن بعض هذه الاجتماعات كانت تأخذ صورة اجتماعات لتحضير الأرواح وأذكر أنى دعيت مرة لحضور إحدى تلك الجلسات ، واجتمعنا فى منزل أحد الضباط فى حجرة مظلمة أطفئت جميع أنوارها وادعى أحد الضباط أنه يردد بعض حشرجات ثم أصواتاوكلاماً ، ولم ترق الفكرة لى فامتنعت بعد ذلك عن حضور مثل تلك الجلسات ، وقد سمعت بعد ذلك أن جمال عبد النـاصر كـان ينتهز الـظلام وانشغال الموجودين بتتبع الوسيط للتباحث مع من يريد فيما يريد التباحث معهم فيه .

وأنا لا أستطيع الجزم فيما إذا كانت الأقوال الخاصة بأن عبد الناصر كان يؤمن فعلاً بالشيوعية صادقة أو غير صادقة ، ولكن أغلب ظنى أنه أراد أن ينتفع بوسائل وامكانات الشيوعية فى كتابة وطبع وتوزيع منشورات حركة الضباط الأحرار .

ويؤكد هذا الاتجاه عندى أن عبد الناصر أثناء اتصاله وتعاونه الوثيق مع الشيوعين وكان على اتصال دائم ووثيق مع الضباط الذين يؤمنون بمبادىء الأخوان المسلمسن ، بل أكثر من ذلك مع ضباط يؤمنون بصداقة الغرب كعبد المنعم امين وجمال سالم وعبد اللطيف البغدادى .

بل أيضا كان جمال عبد الناصر طوال هذه المدة على اتصال وثيق بالشباب المتطرف فى مختلف الأحزاب على تضارب اتجاهاتها السياسية .

والمعروف أيضاً أن حياة عبد الناصر السياسية لم تقتصر على التنقل من الوفد إلى الاخوان فالشيوعية بل إنه فى فترة من الفترات انضم إلى الحزب الوطنى وهو حزب لم يكن له نفوذ كبير فى مصر وكانت دعوته تقوم على عدم الدخول فى مفـاوضات مـع

بريطانيا إلا بعد جلاء الإنجليز عن البلاد ، وانضم فترة قصيرة إلى جماعة عرفت فى مصر بأنصار الحرية وهى جماعة كانت تعمل لحساب الإنجليز ، وإلى جماعة مصر الفتاة

فجمال عبد الناصر يكون قد انضم فى فترات متوالية إلى جميع الأحزاب السياسية الهامة فى مصر قبل قيام الحركة وفى كثير من الأحيان لأكثر من حزب واحد فى نفس الوقت .

والسؤال الذى يحيرنى هو : هل كان جمال عبد الناصر منذ شبابه الأول يرسم لنفسه برنامجاً ليصل إلى هذا المركز ، وأنه نتيجة لهذا البرنامج إنضم على التوالى إلى جميع الأحزاب والمنظمات السياسية ، أم أنه قد انضم إليها نتيجة تطور الظروف السياسية فى مصر ؟ ..

لقد حرت فى الأجابة على هذا السؤال . وكثيراً ما قلبت أوجه الرأى دون أن أصل إلى نتيجة حاسمة .

والأقرب إلى المنطق أن جمال عبد الناصر قد انضم أولاً للوفد باعتباره فى ذلك الوقت أكبر حزب شعبى فى مصر وأشدها تطرفاً ضد الاستعمار البريطانى .

ثم أنضم بعد ذلك إلى جماعة الأخوان المسلمين التى كانت فى ذلك الحين جماعة ثورية تقوم على تربية الأفراد تربية دينية وتذكى فى نفوسهم الروح الفدائية .

وقد تعامل بعد تكوينه جماعة الضباط الأحرار مع الشيوعيين ليستفيد من إمكانياتهم السرية فى طبع وتوزيع النشرات .

وقد يكون ذلك طبيعياً ولكن غير الطبيعى أن يحتفظ جمال عبد الناصر حتى قيام حركة الجيش بصداقات قوية ومتينة مع أفراد ينتمون لكافة الأحزاب السياسية المختلفة .

إن السياسة فى مصر أقرب إلى الديانة منها إلى أى شىء آخر . وكم من أسر تفتتت نتيجة اندماج رجل فى حزب سياسى وأخيه فى حزب سياسى آخر ، وكم من مآسى وقعت بين الأسر والأهل نتيجة الاختلافات الحزبية . فكيف أمكن احتفاظ جمال عبد الناصر بصداقة شبان فى كل حزب ؟ وكيف أمكن أن يحمل جمال عبد الناصر كل شاب على

الاعتقاد بأنه يدين بمبادئه وأنه يعتقد أنها أفضل المبادىء ؟ وكيف أمكن أن يشعر كل صديق من هؤلاء الاصدقاء أنه هو الصديق الوحيد له دون أن ننتهى إلى نتيجة واضحة وهى أن عبد الناصر إذ كان يربط نفسه بكل هؤلاء الأفراد المختلفى المشارب السياسية إنما كان يعد العدة للاستفادة منهم فى وقت معين !!

والحقيقة أن عبد الناصر قد استفاد من أصدقائه فوائد كبرى بعد قيام حركة الجيش فقد استفاد من صداقتى باعتبارى رئيس تحرير أكبر وأقوى صحيفة فى الشرق الأوسط وباعتبارى من الشبان المعروفين فى الوفد ، كما استفاد من صداقاته فى جميع الأحزاب الأخرى إذ حققت له تلك الصداقات أمر تخدير أعصاب الأحزاب ، فكان كل صديق مقتنعاً تمام الاقتناع بأن عبد الناصر يعمل بمبادىء حزبه فكان داعيته داخل الحزب يدعو لتأييده ومساندته .

ونعود إلى السؤال مرة أخرى فنقول فى دهشة ، هل من المعقول أن يبدأ عبد الناصر منذ عشرين عاماً بالتطلع إلى هذا المنصب الذى وصل إليه ، وانه كان منذ ذلك الحين يعد العدة له بدراسة كافة الأحزاب السياسية ؟ إنه لا يمكن أن يجول بخاطر أى انسان ، وهو شاب فى السادسة عشرة من العمر ، أنه سيصبح رئيس جمهورية لدولة ملكية فيعد العدة للوصول إلى هذا المنصب !!

وقد يكون أسهل الاجابات وأقربها إلى القبول أن جمال عبد الناصر قد تدرج فى الاحزاب كما يجوز أن يحدث لأى إنسان ، وأنه عندما بدأت تتبلور فى ذهنه جماعة الضباط الأحرار بدأ يوثق علاقاته بالشبان فى مختلف الأحزاب ليستفيد منهم فى الأوقات المناسبة .

وإنى لأميل إلى هذه الفكرة وإلى الأخذ بها ، ولكن الشىء الجدير بالتسجيل هو أنه طوال علاقتى بجمال عبد الناصر التى بدأت عقب أن توليت رئاسة تحرير المصرى ببضعة أشهر ، أى فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، حتى إلى ما بعد قيام الجيش ، لم يحدثنى جمال عبد الناصر فى أية مناسبة من المناسبات عن علاقته بشبان آخرين من أحزاب مختلفة ، وأنه على الرغم مما كان يبديه من ثقة شديدة فىّ ، فإنه لم يذكر لى أنه على اتصال بأى حزب آخر أو أعضاء فى حزب آخر .

ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن نقول أنه كان دائماً يحاول أن يشعرنى بأنى أقرب شخصية مدنية إليه فى الوقت الذى كان يحاول أن يقنع شبانا آخرين فى أحزاب أخرى بنفس الشىء وبرغم أنه كان دائم الترديد بأنى اتمتع لديه بمكانه ممتازة . وكان دائماً يقدمنى إلى هؤلاء الشبان ويدعونى « بأخى أحمد » .

ولم يكن عبد الناصر يوحى فقط إلى كل شاب بأنه يؤمن بالمبادىء ويدين بالسياسة التى يؤمن بها ذلك الشاب ، بل كان يوحى أيضاً إلى كل ضابط من الضباط المنتمين لجماعة الضباط الأحرار بأنه يشاركه مبادئه ويؤمن بها . وهذه ولا شك تدل على مهارة ودهاء نادرين ، وخصوصاً إذا ما عرفنا أن حركة الضباط الأحرار كانت تجمع ضباطاً من مختلفى المبادىء والأحزاب والاتجاهات . ويمكن أن نضيف إلى كل ذلك أن جمال عبد الناصر قد استطاع أن يحمل بعض الضباط الأحرار على الانضمام إلى الحرس الحديدى ، وهى التسمية التى أطلقها الناس على فريق من الضباط كان معروفاً أن الملك فاروق أو بعض اعوانه قد أعدوهم ليكونوا فى خدمة ما يريد الملك تحقيقه بطرق غير مشروعة ضد بعض رجال السياسة الذين يعارضونه ، وأن أنور السادات كان مندوب جماعة الضباط الأحرار فى ذلك الحرس الحديدى الذى كان ينفق عليه فاروق من ماله الخاص .

مكاتب جميع قواد الجيش فى مختلف الأسلحة ، وقد تم كل ذلك فى وقت بسيط وبمهارة

* * *

أعصاب نادرة وقسوة نادرة

والأمر الذى لا شك فيه أن جمال عبد الناصر كان إلى آن غادرت مصر يتمتع بأعصاب قوية بل نادرة فى قوتها . وأذكر أنى فى خلال المدة التى تلت قيام الحركة حتى مغادرتى مصر فى مارس سنة ١٩٥٤ كنت كثيراً ما أوجه إليه لوما عنيفاً ، ومع ذلك كان يتلقى ذلك اللوم والتعنيف فى صبر وفى هدوء أعصاب عجيب ، ولم يكن هناك ما يلزمه بأن يسكت عن تلك الحملات التى كنت أوجهها اليه . ولا أذكر أنه انفعل مرة أو انفعلت أعصابه ، إلا يوم زار الجامعة ووجد اللواء نجيب قد سبقه إليها ، لقد فقد أعصابه فى ذلك اليوم وانفلت لسانه بكلمات رهيبة عن رأيه فيما يجب أن يفعله بنجيب . إذ قال فى اثناء زيارته بمنزلى (هل أقتله ؟ ..) .

ومن صفاته أن حديثه كان يبدو فى كثير من الحالات حاملا طابع الصراحة فيشعر من يتحدث إليه بأنه لا يخفى سرا ، الأمر الذى اكسبه ثقة وصداقة من اجتمع به وتحدث اليه .

وقد تجلت هذه الموهبة فيه قبل قيام الحركة اثناء حرب فلسطين عندما حاصرت القوات الاسرائيلية فرقة من الجيش المصرى بمدينة الفالوجا بضعة أسابيع ، إذ حدث أن انتدبته الفرقة المصرية المحاصرة ليكون ضابط الاتصال بالقوات الاسرائيلية ، فكان يجتمع بين آن واخر بضابط الاتصال الاسرائيلى فى المنطقة الحرام ، استطاع عبد الناصر عقب بضع مقابلات أن يوحي إلى الضابط الاسرائيلى بصداقة متينة ، وساعد ذلك القوات المصرية المحاصرة مساعدات كبيرة ، فكان كلما أنهك الحصار القوة ذهب جمال عبد الناصر لمقابلة الضابط الاسرائيلى فيتوقف الجانب الاسرائيلى عن تضيق الحصار وكثيراً ما كانت تمتد هذه المقابلات لبضع ساعات يحظى أثناءها اعضاء القوة بالنوم العميق . وراح الضابط الاسرائيلى يحمل إلى عبد الناصر هدايا كثيرة من البرتقال والموالح وهذا ينقلها إلى زملائه .

ويندر أن يقابل الانسان رجلا لا يتاثر لآلام الناس والمصائب التى تحل بهم مثل عبد الناصر . وأذكر أنه كان يزورنى ذات يوم وتطرق الحديث عن الحكم الذى أصدرته

محكمة الثورة ضد فؤاد سراج سكرتير الوفد فقال لى : « هل تعلم ماذا تم بعد الحكم ؟ .. لقد طاف أخوة سراج الدين بكل أعضاء مجلس القيادة يطلبون منهم وقف تنفيذ الحكم عليه ... فكان كل واحد من أعضاء المجلس يتأثر لحال إخوته ويخبرهم بأنه سيعمل كل ما فى وسعه لوقف تنفيذ الحكم « ثم استطرد قائلاً » حتى عبد اللطيف البغدادى رئيس محكمة الثورة التى أصدرت الحكم تأثر عندما زاره إخوة سراج الدين وقال لهم إنه سيكون محاميهم فى مجلس القيادة لوقف تنفيذ الحكم « وسكت قليلاً وقال : « أتعرف ماذا قلت لهم عندما جاءونى ... لقد كنت صريحاً معهم فقلت لهم لا فائدة من مسعاكم فإن المجلس سيصدق على الحكم وسينفذه ... فلما ألحوا أفهمتهم أنه لا داعى للإلحاح » ثم أضاف إلى ذلك : « وقد حاول أحد أشقائه أن يستعطفنى بكل الوسائل ، فقلت له لا تتعب نفسك فالحكم سينفذ ... فلما أيقن هذا الأخ ألا فائدة راح يستعطفنى أن نضع أخاه فى مستشفى ، فقلت له عندما يمرض ويقرر الأطباء ذلك سننقله إلى المستشفى » .

وقد أدهشنى أن تكون هذه قسوته . وزاد من دهشتى أن يفخر بأنه يتمتع بمثل تلك القسوة خصوصاً وأنه كان مفهوماً أن المحاكمة لا تستند إلى أى اساس وأن التهم قد ثبت بشهادة جميع الشهود من خصوم سراج الدين السياسيين أنها جميعها باطلة ، بل أكثر من باطلةفإن عبد اللطيف البغدادى نفسه رئيس المحكمةقال أثناء المحاكمةلسراج الدين : « إننا لا نشك فى نزاهتك » ..

فقلت لعبد الناصر « ألم تتأثر لألم هؤلاء الأخوة ؟ .. ألم تشفق لحالهم ؟ ... فابتسم فى هدوء وقال : « إذا أفسحناالمجال للتأثر وللشفقة فإننا لن نسير أبدا » .

وقد يكون من الطبيعى والمفهوم أن يتصف الديكتاتور بانعدام العواطف ولكن ، نحن فى بلاد الشرق ، نرتبط بالناس بعواطف قوية ، بل معروفاً عن الشرقيين ، أن عاطفتهم قوية جداً ولذلك فإن انعدام العواطف وعوامل الشفقة لدى إنسان يعتبر أمراً غير مفهوم ولا مقبول .

وفى كثير من الأزمات التى كان يبطش فيها جمال عبد الناصر بقسوة رهيبة وكنت أحدّثه عن تلك القسوة والبطش فكان يقول فى هدوء وكأنه يمزح « إننا دولة يزداد سكانها بسرعة مخيفة ، فماذا لو أنقصنا تعدادها مائة ألف من الملايين الأربعة والعشرين ؟ ... » .

ومن صفات عبد الناصر أنه يستطيع أن يستمع لانسان يبدى له اراء معينة فى أحد الأمور دون أن تظهر عليه أية انطباعات مما يترك فى نفس المتحدث أنه ــ أى عبد الناصر ـ يوافق على هذه الأراء. فطالما كنت أحدثه عن آمال الشعب فى الحرية والديموقراطية فلا يعارض ولا يجادل بل كان فى بعض الأحيان يبدو مؤيداً رأيى ثم تجىء تصرفاته عكس ما كنت أبدى من آراء، فلما أعود أليه لأناقشه يعطى أعذاراً مختلفة لتصرفه.

وقد كان فى الفترة الأولى عقب قيام الحركة كثير الاستماع ولا يتحدث إلا نادراً؛ وقد طلب منى عدة مرات أن أجمعه بأشخاص مختلفين ليستمع إلى معلوماتهم فى المواضيع التى تخصصوا فيها والتى يجهلها وقد كانت هذه وسيلة لزيادة معلوماته وثقافته التى حرم منها لعدم توفر الوقت للمطالعة والدراسة.

الغرور وتحقير الزملاء

وأصبح بعد مرور حوالى عام من قيام الحركة يؤمن بأنه أذكى الناس وأكفؤهم، وهو ككل ديكتاتور يستريح إلى الناس الذين يعظمونه ويمتدحون ذكاءه، وقد تطورت عبادته لشخصه إلى احتقار وتصغير زملائه. وكان عبد الناصر يجد لذة كبرى عندما يجلس معى ليحدثنى عن زملائه أعضاء مجلس القيادة فى سخرية لاذعة. وكان يطلق أحيانا صفات قاسية على بعضهم. ومن أطرف تسمياته التسمية التى أطلقها على أنور السادات الذى كان، لأمر لا أفهمه، يسميه الساداتى، أما التسمية التى أطلقها عليه: «البكباشى صح».

وأذكر أنه كان يزورنى فى منزلى ومعه أنور السادات وصلاح سالم وقد انتحى بى ركنا فى المنزل وراح يتحدث حديثاً طويلاً عن أحد اجتماعات مجلس القيادة ولاحظت أنه يردد أكثر من مرة قوله: «وقال البكباشى صح» ... «ثم صاح البكباشى صح ... ولم أفهم من يقصد بهذه التسمية، فقلت له: «البكباشى صح ... البكباشى صح ... من هو هذا البكباشى صح؟ ...».

فضحك عبد الناصر ضحكاً طويلاً ولا أذكر أنه ضحك مثل ذلك اليوم ، ثم قال : « البكباشي صح .. ألا تعرف من هو ؟؟ ... ثم أغرق فى الضحك مرة أخرى : » ألم تلاحظ أن الساداتى يردد دائماً صح .. صح ياافندم ... ثم استطرد قائلا : « أن الساداتى لا يترك فرصة إلا ويعلق على كلامى بقوله صح ... صح ياافندم » وشاركته فى الضحك ذلك أن أنور السادات يستعمل كلمة « صح » فى كثير من المناسبات خصوصاً إذا ما تكلم عبد الناصر ثم قلت : « ولكن أليس ذلك مريحاً لك ؟ ... إنه بدل أن يجادلك ويناقشك كل رأى يؤمن على كلامك كل مرة وباختصار بكلمة « صح » فقال عبد الناصر : « إنه مريح ... مريح أكثر من اللازم ، ولكن مثل هذه التصرفات عندما تتكرر عشرات المرات تضايق الانسان ؛ فلو أنه غير مثلاً الكلمة لكان ذلك أكثر إراحة للاعصاب » .

ومنذ ذلك اليوم كنت كلما انفردت بعبد الناصر وجاء ذكر أنور السادات قال : « البكباشى صح » ويضحك .

وكان جمال عبد الناصر فى الشهور الأولى للحركة يصر على أن يروى قصة أنور السادات ليلة قيام الحركة ، فيقول : « لقد أعددنا كل أمر ووضعنا كل الخطط وأسندنا إلى كل ضابط مهمته التى سيقوم بها ، ورحنا نبحث عن الساداتى فلم نجده فذهبت إليه فى منزله فلم أجده هناك ، وعلمت أنه ذهب إلى أحدى دور السينما فتركت له خبراً بأن يحضر بمجرد وصوله إلى المنزل » .

وكان عبد الناصر يروى هذه القصة فى كثير من المناسبات . وقد رواها لى بحضور أنور السادات فادهشنى أن يضحك السادات للقصة ويؤمن على قول عبد الناصر بعبارته التقليدية « صح ... صح يا افندم» . وقد كانت دهشتى لضحك انور السادات مرجعها إلى أن غرض عبد الناصر من ذكر هذه القصة كان التقليل من دور السادات الذى اكتسب بعض الشهرة بعد الانقلاب فقد كان انور السادات اثناء تولى على ماهر باشا الحكم مندوب مجلس القيادة لدى رئيس الوزراء وقد أدت هذه المهمة إلى نشر صور كثيرة للسادات فى الصحف مما حمل الناس على الاعتقاد بأنه من أهم الشخصيات فى الحركة ، وقد أراد عبد الناصر أن يكذب هذا الاعتقاد فراح يروى القصة فى كل مكان . وكنت أعتقد أن السادات كان يجب أن يكون آخرمن يضحك لـروايتها ولكنـه كان

يضحك ويؤمن على قول عبد الناصر بعبارة « صح ... صح » كلما رويت القصة .

وفى إحدى الجلسات أخذ يحدثنى بصراحة عن رأيه فى صلاح سالم ، وكنت رغم خصومتى المستمرة لصلاح سالم أعتبر أنه يتمتع بقدرة على العمل ، وأنه لولا رعونته لكان من أكثر أعضاء المجلس انتاجاً ، ولكن عبد الناصر كان يرى غير ذلك . كان يصفه بالغرور ، ويقول أنه يمكن استغلاله فى شتم وسب أى انسان ، وأن صلاح سالم يفرح بهذه المهمة أشد الفرح إعتقاداً منه بأن سب الشخصيات السياسية يعطيه أهمية ترضى غروره وكان يضيف إلى ذلك قوله : « إن صلاح كالبالونة تنفخها فتنتفخ ... ثم تنفخ حتى إذا ما حان الوقت وشككتها بدبوس صغير هبطت وأصبحت لا قيمة لها » .

ولقد استغل عبد الناصر صلاح سالم فى سب وشتم كل من أراد سبه وشتمه ، وكان صلاح للأسف يندفع فى هذا التيار إندفاعاً أعمى . وزاد جمال عبد الناصر من استغلال صلاح فى هذا المضمار بعد مفاوضات السودان ، تلك المفاوضات التى ساهم فيها بنصيب الأسد . فى اعتقادى أن عبد الناصر قد خشى من طغيان شخصية صلاح عليه بسبب الدعاية الواسعة التى رافقت إشتراكة فى مفاوضات السودان وللشهرة التى نالها على أثر زيارته لجنوب السودان حيث رقص عارياً مع سكان الجنوب تلك الرقصة التى كانت موضع تهكم الإنجليز عليه فأطلقوا عليه إسم الصاغ الراقص . أجل يبدو أن عبدالناصر قد خشى نتائج ظهور صلاح سالم فى المفاوضات فكلفه بمهاجمة الشخصيات السياسية المصرية والعربية إمعاناً فى إشباع غروره وكى يرضى غروره أطلق عليه المتحدث بإسم مجلس القيادة .

ولقد أساء صلاح سالم لنفسه بحملات السباب والشتائم التى قام بها ، وزال إعجاب الناس به وبدأوا يشمئزون من حملاته البذيئة على الشخصيات المصرية وخصوصاً حملاته على اللواء نجيب والشخصيات العربية .

ولكن عبد الناصر كان يؤكد لصلاح سالم غير هذا . كان يؤكد له نجاحه فى مهمته حتى إذا ما حانت الفرصة للخلاص منه لم يأسف أحد لإبعاد صلاح من مجلس القيادة ومن منصب الوزارة وتحديد محل اقامته ، لقد قابل الرأى العام كل هذا بارتياح ورضى تامين .

ومن الشخصيات التى يلذ لعبد الناصر التهوين من قدرتها كانت شخصية زكريا محيى الدين وزير الداخلية ، ومع أن زكريا نجح منذ بدء الحركة فى إحكام شبكة الجاسوسية ضد الشعب والسياسيين وبالرغم من نجاحه الكبير فى السيطرة على زمام الأمن ، فإن عبد الناصر كان يصر على أن زكريا محيى الدين ليس بالذى يتوهمه الناس ، ويتحدث عن غفلة وزير الداخلية بلذة عجيبة . وعندما كنت اسأله عن الشخصية الحقيقية التى استطاعت السيطرة على الشعب كان لا يجيب إجابة صريحة ويكتفى بأن يبتسم ابتسامة ذات مغزى توحى دون أى شك إلى أنه الذى نظم سلسلة الاجراءات التى أدت إلى سيطرة قيادة الجيش على الشعب .

وكنت أزور عبد الناصر ليلة أن انقسم الأخوان المسلمون على أنفسهم وذهب فريق المتمردين واحتل المركز العام للأخوان ، واتصل به أحد الضباط من معاونيه وأخبره بتطورات الخلاف ، وبعد عشر دقائق اتصل بى سكرتير تحرير المصرى وأبلغنى أيضاً تفاصيل ما حدث . وعندئذ نظر إلى عبد الناصر وقال : « ها هى حادثة خطيرة تقع وتصلنى تفاصيلها بالكامل بعد حدوثها ببضع دقائق ويعلم بها مكتب المصرى ووزير الداخلية لا يعلم عنها شيئاً . وأخاف أن وزير الداخلية هو آخر من يعلم ... » .

وفى مناسبة أخرى كان يحدثنى عن عجز زكريا محيى الدين ويشرح لى أن حوادث خطيرة قد وقعت وأنه قد علم بها بمجرد وقوعها واتخذ التدابير الكاملة لمواجهتها بينما كان زكريا محيى الدين يقوم بزيارة لبلدته .

وكنت إذا حدثت عبد الناصر عن علامات الإرهاق البادية على وجهه كان فى أغلب الأوقات يلقى اللوم على تقصير زملائه ، وخصوصاً زكريا محيى الدين وزير الداخلية .

وأنا أعرف زكريا منذ الطفولة فقد كنا معا فى المدرسة الابتدائية والثانوية . ولم يكن يعرف فى ذلك الحين بالغفلة . وقد كانت مصر بعد قيام الحركة تدرك أنه يبذل كل جهده لتكميم الأفواه ومراقبة كل انسان وأنه قد نجح فى ذلك نجاحاً كبيراً . ومع ذلك فإن جمال عبد الناصر لم يكن أبداً يعترف له بأى فضل ، بل على العكس كان دائم الاتهام له بالتقصير وبالغفلة .

وحدث أن تطرق الحديث مرة فتناول حسين الشافعى . فضحك جمال عبد الناصر ضحكة تهكمية عندما سألته عن رأيه فيه ، ثم قال : « رأيى فى من ؟ .. هل يمكن لانسان أن يكوّن رأيا فى حسين لشافعى ... إن وجوده كعدمه ... لا يضر ولا ينفع ... كل ما يهتم به هو شاربه ... وطريقة لبسه للبريه وألا تلتقط له صور فى أوضاع لا تظهر اناقته وترتيب شاربه إن حسين الشافعى ... هو أريحهم جميعاً ... وجوده كعدمه » . وجادلته فى ذلك وقلت أنه من افضل اعضاء المجلس ويخشى الله ويكره العنف .

اتصل بى جمال عبد الناصر تليفونياً وطلب مقابلتى فذهبت إلى منزله حيث وجدت أمامه نسخة من جريدة المصرى التى صدرت صباح اليوم وكان بها حديث أجراه أحد المحررين مع حسين الشافعى . وبمجرد جلوسى ، قال عبد الناصر بغضب : « هل قرأت هذا الحديث ؟ فلما أجبته بأننى قرأته وأجزت نشره ، بدا الغضب عليه . ولكن سرعان ما سيطر على اعصابه وقال : « ولكن العيب ليس على المحرر الذى أخذ الحديث ، ولا عيب عليك إذا نشرته ، وإنما العار على هذا ... الشافعى » .

فلما سألته عن سبب غضبه خصوصاً وأن الكلمة التى وصف بها زميله قاسية ، قال « اسمع ياسيدى ... إن المحرر يسأل حسين الشافعى فيقول له : لقد كنا نشكو عهد فاروق لأنه كان يفرض الأحكام العرفية على البلد والرقابة على الصحف ويعتقل الناس ويتلاعب بالحياة البرلمانية ، إذا بكم تفرضون الأحكام العرفية والرقابة على الصحف وتعتقلون الناس ولا تكتفون بمجرد تعطيل الحياة النيابية بل تلغون الدستور ... » واستطرد عبد الناصر يقول : « سمعت ياسيدى السؤال ... فبدل أن يرفض حسين الشافعى الأجابة على مثل هذا السؤال الذى يضعنا فى مركز اشد سوءاً مما كان عليه فاروق إذا به يحاول أن يبرر اتخاذ هذه الاجراءات مما يؤكد أننا فعلاً اسوأ من فاروق ... هذا هو ... الشافعى الذى كنت اعتقد وجوده كعدمه ... لقد ضحك عليه محرركم وفرحت انت بالحديث الذى يسجل علينا باعتراف واحدمنا أننا نفرض الأحكام العرفية والرقابة ونعتقل الناس وأننا لم نكتف بما كان يفعله من التلاعب بالحياة النيابية بل زدنا عليه فألغينا الدستور ... » .

وابتسمت وقلت إن حسين الشافعى رجل طيب ... فقال : « إنه ... » فعدت أؤكد إنه من أفضل الضباط وطبعاً لم يرقه كلامى .

وعندما قابلنى بعد حوادث عزل نجيب والمظاهرات وإنذار سلاح الفرسان وانتهاء الأمر بعودة نجيب ، أخذ عبد الناصر يحدثنى عن عبد اللطيف البغدادى فقال : « هل تعرف ماذا فعل البغدادى إنه نقل أسرته ولجأ إلى منزل أحد أقارب زوجته ، وظل لا يغادر المنزل ، وكلما اتصلت به تلفونياً يوم المظاهرات وطلبت منه الحضور قال لى : ولكن كيف أصل إن المظاهرات فى الشوارع .. تصور البغدادى كان يبكى فى المنزل » فلما اعترضت وقلت : إنه ليس من المعقول أن يبكى البغدادى عاد فأكد لى صحة ما يقول .

وأضاف إلى ذلك : « أما زكريا فإنه ترك القاهرة وسافر إلى بلدته ... هل من المعقول أن يغادر وزير الداخلية مقر عمله فى مثل هذا الوقت ... أما صلاح سالم ... يا سلام ... لقد ارتعد عندما كانت سيارته تمر على كوبرى قصر النيل وهتف الناس بحياة نجيب ... وذهب إلى منزله وبقى فيه . وفى الثالثة صباحاً نقل زوجته وأطفاله إلى منزل أحد أقاربه ... » .

* * *

التجسس على الزملاء

وعلى الرغم من أن إدارة المخابرات كانت تخضع لوزير الداخلية وأنه هو الذى كان يشرف على عملها ، فإن عبد الناصر قد كون لنفسه إدارة مخابرات أخرى تخضع له شخصياً وكانت المهمة لهذه المخابرات أن تجمع التقارير عن اعضاء القيادة وترفعها له . ولم تكن فى بادىء الأمر ادارة بالمعنى الصحيح بل كانت عبارة من عدد من الضباط يعمل كل واحد منهم فى مكتب عضو من أعضاء مجلس القيادة وتكون مهمة هذا الضابط مراقبة جميع تصرفات وأفعال عضو مجلس القيادة الذى يعمل معه ، ثم توسعت شبكة الجاسوسية على أعضاء مجلس القيادة فضم إليها عبد الناصر جواسيس آخرين يراقبون حياة زملائه الخاصة .

ولما كان كل اعضاء مجلس القيادة فيما عدا اللواء محمد نجيب من الشبان الذين لم يتجاوزوا الأربعين من العمر ، وكان التغير الذى حدث فى مركزهم الاجتماعى بعد الحركة كبيراً بل كبيراً جداً إذ تحولوا من مجرد ضباط برتب صغيرة إلى حكام يحكمون البلد ويتصرفون فى مقاليدها ، فقد انفتحت أمامهم الأبواب وتدخلوا فى حياة المجتمع وأصبح كل صاحب حاجة يلجأ إلى عضو من أعضاء مجلس القيادة يحاول صداقته والتودد اليه لقضاء حاجته ، وفجأة وجد هؤلاء الشبان القصور ترحب بهم وأجمل السيدات تحتفى بهم ، فتورط الكثيرون منهم فى مغامرات وفى حياة خاصة مليئة بالمآخذ .

وقد تجمع لدى عبد الناصر فى السنة الأولى مئات التقارير عن جميع حركات وتصرفات الكثير من زملائه . وقد أفاد منها فائدة كبرى فى إخضاع هؤلاء الزملاء لسلطانه فكان يشهر ما تحويه تلك التقارير من تصرفات غير كريمة فى وجه العضو الذى تبدو منه أية بادرة لمعارضته وساعده فى ذلك أن حياته الخاصة كانت خالية من الفضائح والمغامرات لتحفظه فى حياته الاجتماعية الخاصة .

وقد حوت تقارير شبكة الجاسوسية التى فرضها عبد الناصر على زملائه عشرات الفضائح وكانت كل واحدة منها تكفى للاطاحة بأى حكم فى الماضى . ولكن عبد الناصر ما كان أبداً يعلن عن هذه الفضائح بل يحتفظ بها لنفسه ليستعملها ضد الاعضاء الذين يتمردون على نفوذه .

وكنت كثيراً ما أسمع من عبد الناصر بين حين وآخر أنه اكتشف أن اثنين من أعضاء مجلس القيادة يتنافسان فى حب إحدى الأميرات . كان يروى ذلك على سبيل التسلية والتهكم على زملائه . ولكنه لم يكن يحدثنى أبدا عن وسائله للحصول على تلك المعلومات ، كان يروى ما يحدث بين العضوين المتنافسين على قلب تلك الأميرة ويذكر تفاصيل دقيقة كأنه كان حاضراً داخل قصر الأميرة مع عضوى المجلس اللذين كانت تحرص الأميرة على دعوتهما فى وقت واحد مع بعض الأصدقاء لقضاء السهرة عندها .

ومن القصص التى رواها لى وتأكدت من صحتها قصة عن أحد أعضاء مجلس القيادة الذى زار أحد الباشوات فى مدينة الاسكندرية ، وكان قد أشيع عن هذا الباشا

أنه سيقدم إلى إحدى محاكم الغدر بتهمة التلاعب فى الماضى بسوق القطن ، وذكر عبدالناصر القصة مستهجناً زيارة عضو مجلس القيادة لشخص قد يتهم . وذكر لى التفاصيل لما حدث فى تلك السهرة ، حتى الكلمات التى تبادلها زميله مع إحدى السيدات بعد أن لعبت برأسه الخمر تلك الكلمات التى ضايقت السيدة فدفعتها إلى قذف الويسكى الذى كان فى كأسها فى وجهه .

وقد تحريت هذه الواقعة فعلمت أن هذه السهرة لم يحضرها من الضباط سوى عضو مجلس القيادة سالف الذكر ، الأمر الذى جعلنى أفهم أن عبد الناصر لا يقتصر فى تجسسه على زملائه من أعضاء مجلس القيادة على الضباط فقط بل يستعمل فى ذلك المدنيين أيضا وخصوصاً السيدات .

فرق تسد

وجمال عبد الناصر يؤمن فى إدارته لشئون الحكم بوجوب تسليط زميل على الآخر . فهو لا يطلق السلطة لشخص واحد بل يحرص دائماً على إيجاد منافس لمن يشغل هذا المنصب ليستغل هذا المنافس فى جمع المعلومات ومعرفة الأخطاء التى يرتكبها صاحب المنصب .

ففى كل وزارة مثلا يوجد الوزير وشخص أو أكثر من المقربين لعبد الناصر ويوحى عبد الناصر إلى هذه الشخصية أنها أجدر بمنصب الوزير من الوزير ، ويمده بنوع من العون الأدبى فيستغله دون الوزير ويهىء لهذا الموظف فرصة إثبات وجوده ونفوذه بين الموظفين الذين يعلمون أن السلطة الفعلية فى يد عبد الناصر ومن يرضى عنهم .

وقد تبدو هذه النظرية لأول وهلة معقولة ومفيدة إذ أن شعور الوزير بأن هناك من يترقب ويترصد خطواته سيجعله يحرص على الصالح العام ، ولكن التجارب أثبتت عكس ذلك ، إذ ينصرف جهد الوزير ومنافسه إلى تدبير المؤامرات كل منهما ضد الآخر ، وكثيراً ما ينقسم الموظفون تأييدا لهذا أو ذاك ، وتكون النتيجة أن تضطرب الأمور وتسود الفوضى داخل الوزارة ، وتضيع الجهود فى المؤامرات .

شخص واحد هو الذى يستفيد من هذه المنافسة عبدالناصر ، ذلك لأن كل من

الوزير ومنافسه يحرص كل الحرص على استرضاء عبد الناصر ، الوزير ليبقيه في الوزارة والثاني ليخلفه . وكلاهما يحرصان على ألا يخالفا لعبد الناصر أمراً .

ويؤمن جمال عبد الناصر إيماناً راسخاً بقاعدة الاستعانة بجبهة ضد أخرى وقد سار على هذه القاعدة منذ نجاح انقلابه .

إن هذه القاعدة يلتزمها عبد الناصر فى كل معركة يخوضها وهو مؤمن بأنه لا يجوز أن يخوض أية معركة بمفرده سواء كانت معركة داخلية أو خارجية ، وإذا استعرضنا حياة عبد الناصر نجد أنه لم يتخل عن هذا الأسلوب فى أية مغامرة قام بها وكان كلما أراد استبعاد أحد اعضاء مجلس القيادة يجمع باقى الأعضاء إلى جانبه ويطلب من أحد مناصريه أن يتحرش بالعضو الذى يريد استبعاده ولا يعمل فى وضح النهار وإنما خلف الكواليس ولا يظهر فى النزاع بين العضوين وكان صلاح سالم من أكبر الشخصيات التى اعتمد عليها عبد الناصر فى استبعاد الكثيرين من أعضاء المجلس ، فقد حرضه ضد ثروت عكاشة عندما أراد إبعاده عن رئاسة مجلة التحرير ثم من مصر وضد نجيب وضد خالد محيى الدين وضد شقيقه جمال سالم ، حتى إذا ما حان الوقت للتخلص من صلاح سالم أطلق ضده أنور السادات .

وكان عبد الناصر يستفيد من هذه القاعدة فيخضع لسلطانه كل من ذهب من أعضاء المجلس يشكو له تحرش زميله . كأن يأمر بوقف ذلك التحرش فيكسب تأييد المتحرش به بكل سهولة .

وعندما أراد عبد الناصر مثلا تحطيم الأخوان المسلمين استغل وجود هيئتين داخل جماعة الأخوان ، إحداهما قوية والأخرى ضعيفة ، وأخذ يوهم كل فريق أنه يناصره ضد الآخر بينما كان فى واقع الأمر يعمل على توسيع شقة الخلاف بينهما .

وقد بلغ إيمان عبد الناصر بهذا الأسلوب ، « فرق تسد » إلى حد أن عممه فى جميع الجهات .. ففى كل نقابة أو مصنع أو إدارة صحفية أو مبنى حكومى أو حتى ناد رياضى نجد فريقين يضاد الواحد منهما الآخر ، وفى كل هذه الأمكنة نجد كل فريق من الفريقين يستمد قوته من تأييد عبد الناصر أو أحد أعوان عبد الناصر له ، وكان عبدالناصر

يحرص دائماً على توزيع التأييد بين المنافسين والمتخاصمين .

وفى مظاهرات ٢٨ من مارس سنة ١٩٥٤ ، تلك المظاهرات التى مكنت عبد الناصر من استعادة قوته الديكتاتورية والقضاء على كل من نادى بالديموقراطية والحرية والحياة النيابية ، استعان عبد الناصر ببعض زعماء العمال . فلما انتهت المظاهرات واستولى على السلطات بدأ يشعر أن العمال قد أصبحوا حاقدين على زعمائهم لمظاهر الثراء الكبير الذى أصابهم نتيجة تدفق الأموال عليهم فساعد عبد الناصر العمال على إقالة زعمائهم كسباً لتأييدهم .

حتى جرائد عبد الناصر التى يصدرها تجد فيها دائماً فريقين، ففى جريدة الجمهورية مثلاً كنت فى وقت من الأوقات تجد فريق أنور السادات وفريق ضابط آخر هو أمين شاكر وكان يتغلب الواحد على الآخر بالمناوبة .

وجمال عبد الناصر لا يكتفى بتطبيق هذه القواعد على الأمور الداخلية بل إنه ليستغل الحياة الخاصة لأعضاء البعثات الدبلوماسية فى تحقيق أغراضه إلى أقصى حد . وبعض الدول لا تدقق تدقيقاً واجباً فى اختيار أعضاء بعثاتها خصوصاً رؤساء هذه البعثات فقد حدث أن كان على رأس بعثتين دبلوماسيتين لدولتين من أكبر دول الغرب سفيران مصابان بالشذوذ الجنسى . وقد حدث بالنسبة لأحد السفيرين الذى لم يكن كزميله مشهوراً بهذا الداء ، حدث أن أكتشفت إدارة المخابرات أن هذا السفير يستأجر شقة خاصة لممارسة الشذوذ فيها .

وبينما كان السفير يمارس شذوذه فى هذه الشقة إذا ببوليس الآداب يداهم الشقة ويقبض على من فيها ، وقد حرص البوليس على ألا يشعر السفير بأنه قد اكتشف شخصيته بل قاده إلى مركز البوليس هو ومن معه على بادىء الأمر أن يخفى شخصيته . ولكن بعد أن فتح ضابط البوليس المحضر للتحقيق أحس السفير بأنه لا مفر من الفضيحة وزعم ضابط البوليس المحقق بادىء الأمر شكه فى إدعائه بأنه سفير لدولة كبرى .. مما اضطره إلى أن أثبت السفير صدق ما قرره ، بادرالضابط إلى الاعتذار وقفل محضر التحقيق وأطلق سراح السفير .

وفى اليوم التالى وصل إلى السفير محضر التحقيق مع اعتذار الحكومة عما قام به البوليس . وبطبيعة الحال أخذت الحكومة صورا لهذه المحضر قبل ارساله للسفير . وكان من نتائج ذلك أن تقارير هذا السفير وزميله الآخر المشهور بشذوذه الجنسى كانت تحمل إلى حكومتيهما كل ما يماشى رغبات جمال عبد الناصر .

وحدث بعد مدة أن أحالت الدولة سفيرها الذى كان معروفاً ومشهوراً بشذوذه الجنسى إلى المعاش وأرسلت مكانه سفيرا جديدا عرف بالنشاط والذكاء والخبره بأحوال المنطقة وقد حرص السفير بمجرد وصوله إلى القاهرة على أن يظهر عدأءه لنظام الحكم فيها . ولكن بعد بضعة شهور كان هذا السفير يزور عبد الناصر فى مكتبه وعند مغادرته مكان الاجتماع لاحظ الصحفيون إضطراب السفير وتجنبه الأجابة على اسئلتهم وإسراعه إلى سيارته ومنذ ذلك اليوم صارت جميع تقارير هذا السفير عبارة عن دعاية واسعة النطاق وتبريراً كاملاً لكل ما يتخذه عبد الناصر من قرارات وتصرفات .

فقد حدث أن استدعى عبد الناصر السفير سالف الذكر إلى مكتبة وبعد دقائق قال له : « أن لدى معلومات أرى من المناسب أن اخبرك بها » وانتظر السفير ليسمع ما سيقوله عبد الناصر ولكن الأخير سكت لحظة ثم عاد يقول : « ولكن ليس من المستحسن أن اخبرك بها .. ؟؟ » وسكت مرة أخرى فأبدى السفير رغبته فى أن يستمع إليها ولكن عبد الناصر أصر على قوله : « ... لا داعى لذلك » .

فقال السفير : « ولماذا ؟ ... » فرد عبد الناصر : « لا داعى فانها على كل حال ليست مما يتعلق بالسياسة « وزادت دهشة السفير وسأل « إذا بماذا تتعلق ؟؟ ... » فرد عبد الناصر باقتضاب : « بك » وسرعان ما زادت دهشة الرجل فقال : « بى ... » فاومأ عبد الناصر بالايجاب وبادر السفير مرة أخرى يستحث عبد الناصر الحديث ولكن هذا أصر على الرفض قائلاً : « انى لا أريد أن أضايقك ... » وبطبيعة الحال زاد فضول السفير وأصر على معرفة الأمر . وعندئذ أخرج عبد الناصر من أحد أدراج مكتبه بعض صور للسفير مع فتاة مصرية متزوجة وتنتسب إلى أسرة مصرية كبيرة ، وكانت بعض الصور تظهر السفير فى أوضاع غير لائقة والسيدة متزوجة والسفير متزوج ورب أسرة ،

وبطبيعة الحال كانت هذه الصور قد التقطت لها فى أماكن سرية كان يرتادها السفير مع صديقته ؛ وأسقط فى يد السفير واضطرب اظطراباً شديداً .

وتحدث عبد الناصر عن أوضاع الأسر فى مصر وعن الفضائح التى يمكن أن تتسبب عن تسرب هذه الصور وقال إنه رأى من واجبه أن يستدعى السفير لينبهه للأمر وليضع هذه الصور التى ضبطتها الحكومة لدى أحد الناس تحت تصرف السفير حرصاً على سمعته ومستقبله السياسى .

وقد تعمد عبد الناصر اذاعة ما دار بينه وبين السفير لأنه كان سفير دولة عظمى واراد أن يوضح باذاعتها مدى قدراته .

وهكذا سيطر عبد الناصر على هذا الرجل وعلى تقارير سفارته حتى قررت حكومته نقله نتيجة اقتناعها بأن تقاريره تخالف واقع ما يحدث .

وهذه الحادثة انهت حياة هذا السفير الشاب .

وهناك عشرات من الأمثلة للوسائل التى يتبعها عبد الناصر للسيطرة على ممثلى البعثات الديبلوماسية . فهناك مثلا قصة قنصل بلجيكا الذى ضبط اثناء الثورة التى قامت فى لبنان ضد ــ كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان وهو يهرب فى سيارته أسلحة وذخائر للثوار وكيف كان هذا القنصل يعيش فى دمشق عيشة بذخ وثراء وكان عبد الناصر قد سيطر عليه عن طريقه السفارة نتيجة الشذوذ الجنسى المصاب به القنصل واستعمله فى نقل اسلحة للثوار ضد شمعون .

وإذا ما انتقلنا من محيط الوسائل التى يتبعها عبد الناصر مع رؤساء واعضاء البعثات الديبلوماسية إلى محيط السياسة التى يتبعها مع الدول نجد أن عبد الناصر كلما حاول تحقيق ما يريد من دولة إلا وكان قد أعد عدته ليستعين بدولة أخرى ضد الدولة التى يدخل فى مغامرة معها . فبينما كان عبد الناصر يفاوض الانجليز لقعد اتفاقية السودان كان يحرص اشد الحرص على صداقة أمريكا ويمنى الأمريكان بكل ما يريدون مقابل معاونتهم له فى الضغط على الأنكليز . وقد كان من آن لآخر يطلعنى على سير

المفاوضات ويطلب مني أن أهاجم الإنجليز دفاعاً عن وجهة نظر مصر فى المباحثات وكان يشدد عليّ ألا أهاجم أمريكا . كان دائماً يقول لى : بأن الواجب أن نكسب تأييد أمريكا فى هذه الآونة .

وحتى فى معاركه مع قادة الدول العربية كان يسعى دائماً لضرب دولة بأخرى ويوقع بين السوريين والملك حسين أو الملك سعود ، وكان يؤلب طوائف ضد أخرى فى لبنان ويثير فريقاً على آخر . كان يؤيد صالح بن يوسف ضد الحبيب بورقيبة وعبد السلام عارف ضد قاسم فى العراق .

إن قاعدة « فرق تسد » هى قاعدة أساسية من القواعد التى ارتكز عليها حكم جمال عبد الناصر

* * *

« لا يوجد بمصر رجال »

وعبد الناصر يؤمن بأن الشعوب تعبد القوة وتسير وراء القوى ، وأنها دائمة التمرد على من كانت يده لينة ناعمة . أما من كانت قبضته شديدة على رقاب الشعب فإن الشعب يهابه ويسير خلفه كقطيع المواشى . وكثيراً ما كان يردد عقب كل عملية بطش... أنه لا يوجد فى مصر رجال ؛ ويقصد بهذا القول أنه لا يوجد من يتحداه ويتمرد عليه .

وكان يكثر من استعمال هذه الكلمة فى النصف الثانى من سنة ١٩٥٣ والجزء الأول من سنة ١٩٥٤ . وعندما ألقى القبض على المرشد العام للأخوان المسلمين وجميع زعماء هذا الحزب ولم تحدث أية حوادث داخلية قال لى : « ألم أقل لك أنه لا يوجد فى مصر رجال" ونظرته إلى الشعب تنطوى على احتقار شديد وكثيراً ما كان يردد فى مجالسه الخاصة أن المصريين يخافون ولا يستحون ، فإن أرهبتهم انكمشوا ، أما إذا أنست إليهم تمردوا .

وبعد حادث اطلاق الرصاص عليه فى المنشية أخذت شائعات تعذيب الأخوان المسلمين تنتشر بسرعة وفى كل مكان . وانشأ جهازا عرف باسم (فرقة الهمس) .

وصدرت أحدى الصحف ذات الصلة الوثيقة بعبد الناصر تشير إلى تلك الشائعات وتذكر الوان جديدة من التعذيب التى لم يكن قد سمع بها الناس ، الواناً رهيبة كحمامات الثلج والحرق بالنار والنفخ من الخلف بمنافيخ وتسليط الكهرباء على المخ ثم قالت أن المعتقلين لا يتعرضون لهذه الوسائل .

وقد وكل عبد الناصر إلى فرقة الهمس مهمة إشاعة الوان التعذيب الوحشية التى كانت تتبع ضد المعتقلين والمسجونين من الأخوان المسلمين وضد كل من يعمل على مساعدة أسر الأخوان لأثارة الذعر فى نفوس الناس فلا يتآمرون عليه ولا يعارضونه ، كما وكل إليها إشاعة ما يريده عن زملائه المعارضين لرأيه .

وقد استعمل عبد الناصر فرق الهمس للتنديد بعبد الحكيم عامر على أثر الهجوم الثلاثى ذلك لأن خلافاً خطيراً نشب بين الاثنين ، فقد كان عبد الحكيم عامر يرى ، باعتباره قائداً عاماً للجيش المصرى ، أن يخوض الجيش المصرى معركة كاملة ضد قوات اسرائيل فى سيناء . ولكن عبد الناصر خالفه فى الرأى ورأى ضرورة سحب الجيش من سيناء ، واحتدمت المناقشة والخلاف بين عبد الحكيم عامر وعبدالناصر إلى درجة أن الأول هدد بالاستقالة عندما أصدر عبد الناصر أوامره للجيش بالانسحاب متخطياً سلطة القائد العام وكان عبد الحكيم عامر يردد دائماً « أنه خير لمصر أن يقال أن جيشها قد خاض معركة الدفاع عن أرض الوطن وهزم عن أن يقال أنه انسحب دون قتال وهرب من مواجهة العدو » .

وذهب عبد الناصر إلى أبعد الحدود فى نشر الاشاعات عن عبد الحكيم عامر عندما شعر الضباط بأن الانسحاب كان عملا مشينا أدى إلى خسائر الرجال والأسلحة وتسليم غزة للاسرائيليين دون قتال . فأشاع بأن عبد الحكيم كان المسؤول عن كل ذلك مستعينا بفرق الهمس .

ولكن فرق الهمس فشلت فى تشويه سمعة عبد الحكيم كما سبق لها أن فشلت فى تشويه سمعة محمد نجيب ذلك لأن قصة الخلاف بين عامر وعبد الناصر كانت قد تسربت أنباؤها إلى الشعب عن طريق الضباط الذين يحبون عامر . كما تسربت أنباء تقديم قائد

الطيران محمود صدقى استقالته لعبد الناصر احتجاجاً على عدم تمكين سلاح الطيران من الاشتراك فى الحرب تلك الاستقالة التى قبلها عبد الناصر أولاً ثم عاد ورفضها .

ولم تقتصر مهمة الرقابة والجاسوسية على المصريين المقيمين فى مصر بل امتدت آثارها إلى كل مكان يوجد به مصريون ، حتى أصبح من المصريين من يخشون الحديث عن عبد الناصر أينما كانوا وكان كل مصرى يسافر إلى الخارج يتصور نتيجة لشائعات فرقة

الهمس أنه محاط بشبكة من الجاسوسية ، وكم من المصريين الذين قابلتهم فى الخارج خافوا مصافحتى فى الطريق العام خشية أن يراهم أحد الجواسيس فيبلغ أمرهم إلى وزارة الداخلية فى مصر ، ومن تشجع وقابلنى كان فى اللحظات الأولى متحفظاً أشد التحفظ فى حديثه ، وكثيراً ما يتحدث بصوت خافت ويقلب البصر فى كل مكان خشية أن يكون حوله جواسيس ، وهكذا تمضى اللحظات الأولى من المقابلة دائماً فى همس وخوف وحذر حتى إذا ما اطمأن الإنسان وتذكر أنه فى أوروبا وأن المكان خال من الجواسيس انطلق يتحدث بالساعات دون توقف ، وكثيراً ما يختم الشخص حديثه بقوله : ياسلام ... والله الواحد ما اتكلمش بحرية من زمان ... وكثيراً ما ترى فى أعين المتحدث علامات الراحة لا لشىء إلا لأنه نعم بحديث صريح .

نشر الفزع

إن إشاعة الخوف هى من أهم الوسائل التى يعتمد عليها عبد الناصر فى حكمه للشعب المصرى ،وكان يؤمن بأنه لابد من آن لآخر من إجراء عنيف يتخذه داخل مصر حتى يظل المصريون يذكرون أن عين الحكومة يقظة ، والمتتبع لحكم عبد الناصر يجد أنه ما مرت فترة إلا وأعلن خلالها عن اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم ، وتدور المحاكمات الخاصة بهؤلاء المتهمين بالتآمر فى جو رهيب ، وتنتشر أثناء المحاكمات فرق الهمس لتروى قصصاً عن تعذيب المقبوض عليهم تنشر الرعب والذعر فى النفوس ، ثم تصدر أحكام قاسية على المتهمين . إن من سياسة عبد الناصر التقليدية إعلان الكشف

عن مؤامرات بين حين وآخر لأنه يؤمن أن الشعب لو ترك فترة طويلة دون أن يسمع عن أجراءات عنيفة فإن ذلك قد يحفزه على التفكير فى ان يد المحاكم قد تراخت وأن قبضته على رقاب الشعب قد وهنت ولعل ما ذكرناه عن محاكمة ابراهيم عبد الهادى باشا أمام محكمة الثورة واتهامه بانه كان يدبر انقلابا بالتعاون مع السلطات البريطانية بدليل أن سيارة أحد الموظفين الانجليز قد شوهدت ثلاث مرات فى الشارع الذى يوجد به مسكنه فى الاسكندرية يثبت مدى افتعال عبد الناصر فى خلق ما يسميه مؤامرات ، وكم من مؤامرات اتهم بها عبد الناصر زعماء وضباطاً لا تخرج عن افتراءات مهلهلة مضحكة ، ولعل من الأمثلة الصارخة على سخافة هذه الاتهامات وتزويرها الاتهام الذى قدم به عبد الناصر وزملاؤه وزيراً وفديا سابقا لمحكمة الثورة وهو ابراهيم فرج باشا ، فقد اتهموه بأنه تآمر مع الانجليز على إحداث انقلاب فى مصر وكان ضمن أدلة الاتهام أن ابراهيم فرج قد خطب فى قداس بأحد الكنائس البروتستانت ونادى بوجوب تعاون المسيحين مع الانجليز ، وقد رد المتهم على هذه التهمة ببساطة بقوله إن كنائس البروتستانت لا تقام فيها حفلات قداس يخطب فيها الناس ، ومع ذلك فقد أصدرت محكمة الثورة حكمها ضده بالاشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما .

وقد اقتضى إشاعة الفزع ومراقبة المصريين فى الخارج أن أرسل عبد الناصر ملحقين عسكرين فى كافة الدول الأجنبية وأهم ما يناط من أعمال بهؤلاء الملحقين العسكريين هو مراقبة المصريين الموجودين فى الخارج ، ويتمتعون مقابل ذلك بامتيازات واسعة النطاق إذ يعاملون تقريباً معاملة السفرا وفى أكثر الأحوال تدفع الحكومة لهم أجور السكن والخدم وتضع أكثر من سيارة تحت تصرف كل ملحق عسكرى وينال أجراً يوازى تقريباً أجر السفير ، فضلاً عن المصاريف السرية وتبلغ فى كثير من الدول أضعاف ما تنفقه السفارة ، والملحقون العسكريون نادراً ما يكون ضمن عملهم الناحية العسكرية بل إن مهمتهم الرئيسية هى التجسس لحساب عبد الناصر ، والتجسس يشمل نواحى مختلفة أولاها التجسس على الموظفين المصريين فى السفارات والقنصليات فى الدولة التى يوجد فيها ، ثم التجسس على جميع المصريين خاصة والعرب عامة الموجودين فى الدولة ، ثم تنفيذ كل ما يريد عبد الناصر تنفيذه ولا يثق فى السفير

أو باقى الموظفين فى القيام به . وقلة نادرة من الملحقين العسكريين هى التى تعففت عن هذه المهمة القذرة .

ومن أبرز صفات عبد الناصر الحقد والرغبة فى الانتقام والتلذذ فى تحقير الناس ، وقد لاحظت رغبته فى تحقير الناس فى الشهور الأولى لقيام الحركة فقد كان يزورنى فى مكتبى ويبادرنى بقوله « هل علمت ماذا فعلت بالسادات أول أمس ؟ » وقبل أن أجيبه بأنى لا أعلم يغرق فى الضحك ثم يقول : « لقد زارنى أول أمس مراسل جريدة أمريكية وقدم لى بضعة أسئلة طلب منى الإجابة عليها ، فلما أجبته منى صور أعضاء مجلس القيادة لينشرها جوار الحديث فأعطيت له الصور باستثناء صورة يوسف صديق لأننا أبعدناه عن المجلس وكذلك باستثناء صورة الساداتى ، وطلبت من الصحفى الأمريكى أن يمر على الساداتى ويعرض عليه الصور ليكتب على ظهر كل صورة اسم صاحبها ونبذة عنه » وسكت عبد الناصر لحظة ليواصل ضحكة بصوت مرتفع ثم يقول : « وبعد لحظات جاءنى الساداتى مهرولاً وقد امتقع لون وجهه وبدا الاضطراب عليه واضحاً وسألنى ... فيه حاجة يا جمال ... أنا عملت حاجة ... وعاد عبد الناصر يقطع حديثه ليواصل ضحكه ثم يستأنف الحديث قائلاً : « فادعيت أنى لم أفهم سؤالـه ... فازداد اضطرا به وتساؤله ... فيه حاجة ... أنا عملت حاجة ... ثم قلت له ... ماذا تعنى بقولك فيه حاجة ... لا ... ليس هناك أى شىء ... فقال الساداتى فى اضطراب ... الصور ... الصور ياجمال ... وادعيت أيضاً أنى لم أفهم ما يريد ... فقلت أى صور ... فقال الصور التى أعطيتها للصحفى الأمريكى ليس بها صورة يوسف صديق ... فقاطعته وقلت طبعاً لأننا فصلناه من المجلس ... فزاد امتقاع وجه الساداتى وصاح وصورتى ... صورتى لماذا لم تعطها للصحفى ... أنا عملت شيئاً ؟ ... « وأغـرق عبد النـاصر فى الضحـك مرة أخرى ثم قال وادعيت أننى لم أفهم ثم أخذت أبحث عن صورة الساداتى حتى أخرجتها من جيبى ... وناولتها له ...انك يا أحمد لا تستطيع أن تتصور مدى الأضطراب والخوف الذى تملكه فى هذه اللحظات ولا مدى الضحك الذى ضحكته بعد انصرافه ...

إن هذه القصة لم تكن لتعير انتباهى فى أول الأمر إذ أخذتها على أنها فرصة أراد أن يداعب بها أنور السادات ، إلا أن الحوادث بعد ذلك قد أكدت لى أنها لم تكن مزحة بل

هى إرضاء لمزاج غريب شاذ يهوى إذلال الناس والتمتع بآلامهم .

وقد حدثت بعد ذلك حوادث كثيرة أثبتت هذا الشذوذ لدى عبد الناصر فقد حدث فى فترة شهر مارس من سنة ١٩٥٤ أن اشترك اثنان من المحامين فى المطالبة بالحريات وكان أولهما المغفور له عبد القادر عوده الذى انضم للمتظاهرين ترحيباً بعودة اللواء نجيب بعد إبعاده وخطب فى الجماهير ، والثانى هو أحمد حسين المحامى وكان قد أرسل برقية شديدة اللهجة إلى عبد الناصر يطالب بتحقيق الحريات فأمر عبد الناصر باعتقالهما . وفى اليوم التالى للاعتقال طلبنى عبد الناصر تليفونياً وقال : أحمد ... تعرف العساكر عملوا إيه بعبد القادر عودة وأحمد حسين فى السجن ؟؟ . » فلما سألته عما فعلوا بهما ، قال : ضربوهما بالأحذية حتى كان صراخهما يسمعه جميع من فى السجن » .

لقد كان جمال عبد الناصر يروى لى القصة وصوته يحمل كل معانى الفرح والنشوة والسرور .

وفى مقابلة لى معه بعد ذلك عاد إلى ذكر المغفور له عبد القادر عوده ، فقال إنه لن يستريح حتى يسفك دمه « يسيح دمه » وفعلاً عقب حادث المنشية اعتقله عبد الناصر ضمن من اعتقل من الأخوان المسلمين وقدمه للمحكمة العسكرية التى شكلها من أعضاء مجلس قيادته وسماها « محكمة الشعب » وأصدرت المحكمة حكمها بإعدامه ، ورغم تدخل جميع رؤساء الدول العربية لمنع تنفيذ أحكام الأعدام أصر جمال عبد الناصر على التنفيذ . ونفذ حكم الأعدام فى عبد القادر عوده .

والذى يراجع الفترة التى استطاع المصريون فيها أن يعبروا عن رغباتهم فى إطلاق الحريات والمطالبة بحياة ديمقراطية ، وهى فترة شهر مارس سنة ١٩٥٤ ، يجد أن عبد الناصر لم يترك إنساناً كتب فى صحيفة المصرى أو نادى بالحرية فى نقابة من النقابات أو أستاذا جامعياً طالب بهذه المطالب إلا وسجنه وعذبه وطارده فى رزقه ، لقد اعتقل الكثيرين عندما استعاد سلطاته . ومن بقى منهم بعد ذلك تصيدهم الواحد تلو الآخر ، إما باتهامهم بتدبير مؤامرات أو باعتقالهم دون إبداء الأسباب .

ولعل المثل الصارخ على حب جمال عبد الناصر فى الانتقام وشذوذ مزاجه فى

التنكيل بخصومه هو الأجراء الشاذ الذى اتبعه مع أسر المعتقلين من الأخوان المسلمين ، ذلك أنه حرّم على أى أنسان أن يمد يد العون إلى هذه الأسر . ولما كان الأخوان المسلمون من الطبقات الشعبية التى لا تملك رأس مال مدخر فقد أحدث اعتقالهم وانقطاع المال عن أسرهم مصائب لا حصر لها فأخذت الشفقة بعض المصريين الذين راحوا يتبرعون ببضع دراهم لهذه الآلاف من الأسر التى نكبت إما باعدام أو سجن أو اعتقال عائليها ونكبت بأنقطاع المال عنها ، فلم يرق هذا التبرع لعبد الناصر فأمر بتصيد كل من تسول له نفسه مساعدة أية أسرة من أسر المعتقلين من الأخوان ، وفعلا استطاع أعوانه من رجال المخابرات إلقاء القبض عليهم ، وقد لا يصدق القارىء أن هؤلاء الناس قد قدموا لمحاكمات عسكرية سرية دون حضور محامين أو شهود أو ممثلى الصحافة وصدرت ضدهم جميعاً أحكام تتفاوت بين الأشغال الشاقة المؤبدة والسجن مع الشغل خمس سنوات والأعجب من ذلك أن تصدر هذه المحاكم أحكامها بمصادرة المبالغ المضبوطة مع هؤلاء وينص الحكم على أن المصادرة : « لصالح الشعب » .

فإذا تصورنا أن الأخوان المسلمين من سواد الشعب ، وأن العادة بينهم هو الزواج المبكر منعاً من انزلاق الشاب إلى مفاسد الحياة ، وأنهم عادة لا يعملون على تحديد النسل لاعتقادهم أن هذا يخالف إرادة الله لاستطعنا أن نتصور مدى النكبات التى حلت بهذه الأسر ، ومع ذلك فإذا ما تحركت عوامل الشفقة فى نفوس بعض المصريين وراحوا يتبرعون للأسر المنكوبة ببعض جنيهات يجد عبد الناصر فى نفسه القدرة على أن يحكم على هؤلاء الناس بالاشغال الشاقة ومصادرة الأموال المضبوطة معهم ، « لصالح الشعب ؟؟؟ » .

وكثيراً ما يلجأ جمال عبد الناصر لعمليات إذلال مفاجئة لبعض زملائه من أعضاء مجلس القيادة ثم يعود فيرفع الاجراءات المذلة بل ويعيد الضابط إلى مجلس القيادة ، فقد حدد إقامة صلاح سالم لبضعة ايام وقطع عنه الاتصال التليفونى عندما اختلف معه ثم عاد وأطلق سراحه وأعاده لمجلس القيادة مرة أخرى ، فلما اختلف معه للمرة الثانية قام بنفس الأجراء وفصل صلاح سالم من الوزارة ومجلس القيادة ، ولكن بعد بضعة أشهر من فصله قضاها صلاح سالم فى منزله دون عمل ، أرسل إليه عبد الناصر يقترح عليه

إنشاء صحيفة يومية يتولى رئاسة تحريرها وأبدى استعداده لتمويلها . وفرح صلاح سالم بالإقتراح وشكره على شعوره الطيب ، وأعد صلاح سالم العدة لإصدار الجريدة وقبل صدورها فوجيء بأن رخصة الجريدة قد صدرت من وزارة الداخلية باسم عبد الناصر ، ولكنه لم يرد الاصطدام به فقبل الأمر ، وتوالت المفاجآت بعد ذلك ، إذ أن عبد الناصر أخذ يعين كل موظفى الجريدة فلما فاتحه صلاح سالم بأنه لا يرتاح لكثيرين ممن عينهم أصر عبد الناصر على التعيينات التى كان قد اختارها ، وعاد صلاح سالم وقبل بكل هذه التعيينات وحان موعد صدور الجريدة واسمها « جريدة الشعب » .

وأعد صلاح سالم سلسلة مقالات عبارة عن مذكرات له وذهب قبل نشر المقال الأول إلى عبد الناصر وعرض عليه المذكرات وأخبر عبد الناصر أنه ينوى نشرها تباعا فى الجريدة ، فوافق عبد الناصر على الفكرة بل حبذها ، وصدرت أولى المقالات كمقدمة لهذه المذكرات ولخص صلاح سالم فيها ما ينوى نشره من مذكراته عن الحركة وما قامت به من أعمال ووعد بنشر المذكرات تباعاً وفى اليوم التالى أرسل صلاح سالم المقال الأول من مذكراته إلى الرقيب ليوافق عليه وظل ينتظر الموافقة ولكن الرقيب ظل محتفظاً بالمقال دون أن يرده بالموافقة إلى ساعة متأخرة من الليل ، وتعطل العمـل ، وأخيراً أرسل الرقيب المقال وقد أشر عليه بعدم الموافقة على النشر ، وهاج صلاح سالم وذهب إلى الرقيب وهو ضابط كان حتى القريب مرؤوساً لصلاح سالم الذى كان بحكم منصبه الوزارى المشرف على الرقابة على الصحف ورئيساً للرقباء ، وأخبر صلاح سالم الرقيب أنه سبق أن عرض المقالات على عبد الناصر ووافق عليها ، وكم كانت دهشته بل ذهوله عندما علم أن عبد الناصر هو الذى منع نشر المقال .

وأسقط فى يد صلاح سالم فحاول الاتصال تليفونياً بعبد الناصر ولكنه لم يفلح ومرت الليلة وصدرت الجريدة دون المقال الذى كان صلاح قد وعد به القراء وظل صلاح طوال لأنها تتناول الحديث عن السودان والانجليز والأمريكان إلى آخره ، وأنه أى عبد الناصر لا يجد الوقت مناسباً لمثل هذه المشاكل ، ثم أذن لصلاح بعد ذلك بنشر أجزاء لا قيمة لها من هذه المذكرات .

وفى شهر سبتمبر من سنة ١٩٥٨ استدعى عبد الناصر نائبه فى رئاسة الجمهورية وأخذ يلفت نظره إلى الثراء الفاحش الذى ظهر على شقيقه . ورد الرجل رداً جافاً على عبد الناصر إذ لفت نظره إلى ثروة أشقائه وقال له إنى على استعداد أن أقدم أخى للمحاكمة إذا أنت ضربت لنا المثل وقدمت الليثى عبد الناصر إلى المحاكمة بتهمة الإثراء غير المشروع ، وما أن خرج من عند عبد الناصر إلا وكان الأخير قد أصدر أمره باعتقال فى منزله بالأسكندرية وفعلاً تم الاعتقال حيث قطع الاتصال به وحتى التليفون قد قطعت عنه الحكومة الحرارة ولم يكن يسمح له بالخروج أو مغادرة مسكنه ، وبعد بضعة أسابيع أعاد عبد الناصر تشكيل حكومته فأعاده إلى منصبه .

الانحناء للعاصفة

ومن المبادىء التى يؤمن بها عبد الناصر مبدأ الانحناء للعاصفة حتى تهدأ ، ولقد مارس هذه القاعدة فى عدة مرات ، مارسها عندما عزل نجيب من مناصبه ثم اضطر تحت تهديد الشعب بثورة عارمة وتحت تهديد سلاح الفرسان أن يعيد نجيب إلى جميع مراكزه وأخذ بهذا المبدأ عندما تحرش بالسودان خلال سنة ١٩٥٨ إذ ادعى أن جزءاً من الأراضى التابعة للسودان هى فى الحقيقة ملك لمصر وأراد أن يحتلها بالقوة ، وعندئذ هب السودان وعلى رأسه رئيس وزرائه السيد عبد الله خليل يهدد بأنه سيحارب فى سبيل المحافظة على هذه الحدود الشمالية ، ولم يكن عبد الناصر يتوقع أن يكون رد الفعل فى السودان بهذا العنف وأن يخوض السودان معركة حربية ضد مصر . ولكن عندما رأى هياج السودانيين وتجمع القوات السودانية فى بلدة حاليب واستعدادها للتوجه للمنطقة ، وعندما رأى حكومة السودان تعتقل بعض ضباطه عندما اجتازوا حدود السودان دون إذن وتضعهم تحت التحفظ عدة أيام ، راح عبد الناصر على أثر كل هذه الأجراءات العنيفة يتراجع بسرعة حتى أنه عندما ذهب السيد محمد أحمد محجوب وزير خارجية السودان إلى القاهرة فى ذلك الحين وقابل عبد الناصر وفاجأه بقوله : « إذا كنتم تريدون حرباً فنحن على أتم الاستعداد لخوضها » ، تراجع عبد الناصر وعمل بكل ما فى وسعه لإزالة كل أسباب النزاع .

وعندما أعلن الحبيب بورقيبه رئيس جمهورية تونس بأنه قبض على أحد أفراد الجيش المصرى بتهمة الحضور إلى تونس دون تأشيرة دخـول بقصد تدبير مؤامـرة لاغتياله ، راح عبد الناصر يدعى أن بورقيبة كاذباً ، ولكن عندما أعلن بورقيبة عن اسم الشاب المصرى واعترافاته التى جاء فيها أنه جاء لتونس دون إذن عن طريق ليبيا وأنه أوفد لاغتياله وأنه يحمل مسدساً صامتاً ، تراجع عبد الناصر بسرعة عن اتهام رئيس جمهورية تونس بالكذب بل أسرع يحاول ستر موقفه فراح يقترح على بورقيبة تأليف لجنة محايدة لتتولى التحقيق فى هذه المسألة ، وأنه ليعرض هذا الاقتراح وهو واثق سلفا أن بورقيبة لن يقبل ذلك لأن سيادة تونس لا تسمح بأن تتولى هيئات اجنبية التحقيق فى جرائم ارتكبت داخل حدودها .

ويؤمن عبد الناصر أيضاً بأن الكذب يمكن أن يصبح حقيقة إذا ما تولت أجهزة الدعاية ترديده على أنه حقيقة ، فهو يعتقد أن الشعب الذى يوضع تحت دعاية واسعة النطاق ينتهى به الأمر إلى تصديق كل ما تردده أجهزة الدعاية مهما كان ترده مخالفاً للحقيقة ، وأن عبد الناصر ليؤمن إيماناً جازماً بالدعاية ويتصور أنها الوسيلة التى عن طريقها يستطيع أن يقنع الناس بكل ما يريد ، ولذلك فقد حرص منذ السنة الأولى لقيام الحركة بتنظيم وسائل الدعاية . وكان فى مقدمة ذلك إصدار صحيفة باسمه هى جريدة « الجمهورية » ثم أصدر بعد ذلك باسمه عدة صحف أخرى فضلاً عن أن باقى الصحف قد أصبحت أداة طيعة فى يده تتبارى فى إرضائه وترديد كل ما يريد ، حتى استولى عليها باسم نقل ملكيتها للشعب كما اهتم أيضاً بالأذاعة . وكان من حسن حظه أن الحكومات السابقة على قيام الحركة كانت قد تعاقدت على إقامة محطات ارسال قوية وقد جعل الأذاعة لمدة من الزمن خاضعة لوزارة الارشاد القومى ، ثم فصلها عن الوزارة وجعلها خاضعة رأساً لرئاسة الوزراء ، أى خاضعة لاشرافه هو ، وعلاقة عبد الناصر بالصحف علاقة مباشرة . وهو فى كثير من الأحوال يتصل برؤساء تحرير الصحف ليوصى إليهم بما يكتبون ، أو يقوم بإبلاغ الصحف رغباته عن طريق مدير إدارة الاستعلامات ، وهى ادارة تتولى على وجه الخصوص تغذية الصحافة بكل ما يريد عبد الناصر من الصحف أن ترده ، وكما أن إدارة الأذاعة خاضعة رأساً له ، فإن ادارة الاستعلامات أيضاً خاضعة له .

ويسخّر عبد الناصر الصحافة والأذاعة لترديد كل ما يريد أن يصدقه الشعب ، فإذا أراد مثلاً مهاجمة شخصية سياسية أو دولة من الدول تنطلق الصحف والأذاعة مركزة كل جهودها فى تنفيذ أغراض عبد الناصر فى الهجوم ، والحملات التى تشنها الصحافة والأذاعة تسير دائماً فى اتجاه واحد وفى وقت واحد مما يؤكد أنها حملات قد أوحت بها جبهة معينة ، فإذا طالعنا الصحف واستمعنا إلى ما تذيعه الأذاعـات المصريـة فى وقت من الأوقات نجدها جميعاً تستهدف أمراً واحداً محدداً ، فمثلاً عندما اختلف عبد الناصر مع الحبيب بورقيبة نجد جميع الصحف المصرية التى صدرت فى ذلك الحين تنشر فى صفحاتها الأولى أنباء ضد بورقيبة كما أن جميع المقالات الرئيسية التى تنشرها جميع الصحف مركزة ضد بورقيبة وكذلك باقى المقالات التى يكتبها رؤساء التحرير أو غيرهم من الكتاب تستهدف النيل من بورقيبة ومثلها حملات الأذاعة وأحاديث المتحدثين فإنها لا تنصب إلا على تجريح بورقيبة ، وبذلـك يعيش الشعب فى دوامة مستمـرة كلها هجـوم على بورقيبة ، وفى هذه الأثناء ينطلق الخطباء من رجال عبد الناصر يخطبون ضد بورقيبة وكذلك تنتشر فرق الهمس تشيع عنه كل الاتهامات .

ومصر تعيش منذ انفراد عبد الناصر بـالحكم فى سلسلة مستمرة لا تنقـطع .

لا يعترف بالصداقة

وعبد الناصر كان لا يعترف بالصداقة ومنذ فرض نفسه رئيساً لم يتخذ من أى إنسان صديقاً ... كان يعتبر أى إنسان مرءوساً له يخضع لأوامره ويعكس ما يدعى أحد الكتاب كان يعتبر كل صحفى مهما كان مركزه موظفاً يتلقى أوامره .

كان يكتب يوميا أوامره لكتاب الصحف والمجلات على ورقة صغيرة ويحتفظ بصورة منها فى خزانته الخاصة . وهذه الأوامر يتم إبلاغها يومياً لمن يرى إبلاغه بها ليقوم بتنفيذها دون أدنى مناقشة .

الورقة كان يتم تحريرها بنفس الصورة .

وهذا بعض ما جاء فى هذه الأوامر وفقاً للشكل الذى كانت تصدر به كل يوم ... وإليكم بعض نماذج الأوراق الصغيرة التى تحمل الأوامر

The Boss　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الرئيس

بخلاف ما يذكرُ عن العراق يكتب يوميا ... هيكل ، مصطفى أمين ، إحسان عبد القدوس ، حسين فهمى ، كامل الشناوى ... ويقومون بحملة ضد الدكتاتوريات الإرهابية فى بغداد وضد تصفية العناصر القومية إما بالاعتقال أو بالقتل ، وضد الإرهاب والشيوعين والتبعية والإلحاد .

وفى الأمر التالى كانت الورقة هكذا :

The Boss　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الرئيس

إلى

هيكل

تكون الخطوط فى الهجوم على الدكتاتورية الإرهابية فى بغداد :

لا استعمار ولا رجعية ولا شيوعية ولا تبعية .

وفى الأمر الذى بعده كانت الورقة هكذا :

The Boss　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الرئيس

هيكل ... إحسان ... حسين فهمى .. كامل الشناوى ... مصطفى أمين . كل منهم يأخذ موضوعاً من الهجوم على نظام قاسم العراق يكتب فيه ، ويذاع . وكذلك تكون تعليقات الإذاعة .

ثم فى الأمر التالى كانت هكذا :

The Boss　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الرئيس

هيكل

الحملة تكون ضد تصفية العناصر القومية بالاعتقال والقتل وضد حكم الإرهاب والشيوعية والإلحاد .

وهذه الأوامر تثبت أنه لم يكن يتخذ من أى واحد من الكتاب صديقاً ، بل كان يصدر لهم الأوامر وعلى كل واحد منهم الطاعة كما يثبت أن أحداً منهم لم يكن يكتب من وحى إيمان يؤمن به ؛ بل كان الكل يصدعون للأوامر ، ولا شك أن هذه الأوامر تكذب ادعاءات من يدعى بأنه كان فى كثير من الأحيان يوحى بالأراء لعبد العناصر .

عبد الناصر وشذوذ القسوة

القاعدة أن كل دكتاتور يتمتع بأعلى قسط من الانانية وعبادة الذات .

- ينتزع كل السلطات فى يده .
- يتطلب من كل إنسان الطاعة العمياء .
- يسعد بالنفاق حتى ولو كان فى غاية الرخص .
- لا يستعين أبدا بمن هو أذكى أو أعلم أو أفضل منه فهو وحده المفكر والفيلسوف والعالم .
- إذا تولى من هو أعلم أو أذكى أو أفضل منه بطريق الخطأ منصبا عمل على تحطيمه وعلى إشعاره بالهوان فهو يبعده عن المنصب دون أى مبرر ويتركه فى حزنه وعدم فهمه لسبب إبعاده ثم قد يعيده إلى منصبه أو يوليه منصباً لا يمت لمؤهلاته بأى صلة وذلك كى يشعره بهوان أمره .
- وهو يكره الذين اشتهروا بالوطنية ويسعى إلى تدميرهم فهو وحده الوطنى .
- وهو يكره أشد ما يكره علماء الدين فالدين رحمة وعدالة وإنسانية والدكتاتورية قتل وتعذيب وجاسوسية ومحاكمات ملفقة وتجرد كامل من الانسانية .
- وهو لا يطيق سلطة القضاء لأن القضاء هوالعدالة والدكتاتورية هى سرقة كل الحقوق واستباحه كل الجرائم فى سبيل الحفاظ على الحكم .
- والدكتاتور عدو للاخلاق فلا إخلاص إلا لذاته ولا عواطف ومشاعر إنسانية .
- والدكتاتور هو قمة الصلف والادعاء كل ما يقوله هو الحكمة وكل ما يقوم به هو النجاح وإشاراته أوامر .
- والدكتاتور يسعد بأن ينتشر الفساد فهذا سلاحه

  أولا : ليحقق اطماعه ، وثانيا : ليسيطر على الفاسدين ويسخرهم لتنفيذ اغراضه .
- والدكتاتور لا يستريح مع الاحرار أصحاب الاراء الصادقة فهم خطر على حكمه وتركهم فيه إقلال من قدره بإعتباره المتفرد بالحكمة وسمو الفكر وصواب القرار .
- والدكتاتور يسعد بأحط الناس لأنهم الاداة الطيعة لتنفيذ إرادته والدعاية لاعماله مهما كانت ظالمة أو فاشلة ويقرب إلية اشدهم كذبا وأذكاهم على قلب الحقائق وأكثر هم ابتعادا عن قواعد الدين والاخلاق .
- هذه هى بعض خصال الدكتاتور إنه (أنا) أنا الآمر وأنا الرئيس وأنا الرازق

وأنا المدبر وأنا المتصرف وأنا الذى لا مدح إلا له ... أنا ... أنا ... يموت الآف وأعيش أنا ... تخرب الديار وأظل أنا ... لا رأس يعلو على رأسى أنا ... بل لا تعلو قدم إلى قدمى أنا ... ليس لى أنا زملاء إنهم أتباع لى آمرهم أنا ... أبقيهم أنا .. أغدق عليهم المال والسلطة أنا ... أرفتهم أنا ... أسجنهم أنا ... أفقر أسرهم أنا ... آمر بالاعتداء على شرفهم أنا ...

● ● هذا هو الدكتاتور ... إنه كذلك فى كل العصور لأنه يتصور أنه لو لم يكن كذلك فإن استمرار حكمه سيتعرض لخطر الزوال ... وكيف يعرض حكمه الى الزوال وهو ... أنا !!

● ● وأبشع صفات الدكتاتور هى القسوة فالناس عنده لا قيمة لحياتهم ولا لمشاعرهم يستعملهم كوقود لاحلامه فيدفع بهم الى الموت فى حروب يفتعلها وكثيرا لا يكون لوطنه أية علاقة أو اية مصلحة فى خوضها ... ويشنق من يشاء ويعذب من يشاء ويحقر من يشاء فلا صديق له منزلة ولا كرامة لانسان .

●

اعتقال الوطنيين

فجعت فى الشهور الاولى باعتقال الاستاذ عبد الوهاب حسنى وأخذت ابحث عن سبب اعتقاله فلم اعثر على سبب لقد كان عبد الوهاب اثناء معارك الفدائيين ضد قوات الاحتلال بعد إلغاء المعاهدة يعمل ليل نهار هو والفنان الكبير مدحت عاصم وآخرون على توفير السلاح للفدائيين والقدر الكافى من المال لنفقاتهم .

كان مركز نشاط عبد الوهاب ومدحت عاصم هو جريدة المصرى حيث يجتمع الشباب ليتم تجهيزهم للسفر وكم من مرة دفع عبد الوهاب ومدحت عاصم هذا الفنان الوطنى العظيم من اموالهما الخاصة نفقات الفدائيين .

سألت عبد الناصر فأخبرنى أن أنور السادات هو السبب فى اعتقال عبد الوهاب حسنى وقد ادهشنى ان يكون السادات هو السبب فصداقته بعبد الوهاب قوية ومتينة .

وبعد ان غادر عبد الوهاب المعتقل وصف لى كيف داهمت قوة من الجيش منزله وكانت تدمر كل ما تجده فى طريقها حتى التليفون شاطه ضابط بقدمه واطاره من مكانه ثم

انهالت القوة عليه بالضرب وحتى اثناء اقتياده للمعتقل كان الضباط يواصلون ضربه ولكمه .

لماذا ... ؟

لم يحقق معه أحد ولم يعرف لماذا تم القبض عليه فى تلك الليلة السوداء ولماذا حطموا اثاث منزله ولماذا الضرب ... ولماذا الافراج ... لا يعرف !

وفوجئت مفاجأة سيئة أخرى بعد المفاجأت المحزنة فبعد أن تم الافراج عن الوطنى الصادق الوطنية الاستاذ عبد الوهاب حسنى المحامى وبعد سلسلة الاعتقالات المتوالية التى لا تستند إلى أى سند قانونى والتى اهدرت حقوق الناس فوجئت بالقبض على الوطنى الثائر ابراهيم طلعت .

ابراهيم طلعت كان من اقرب المقربين لعبد الناصر وكان من اصدقائه قبل قيام حركة الجيش وعندما قامت الحركة كان فى مقدمة من بحث عنهم جمال عبد الناصر ليستشيرهم ليلة الحركة كان ابراهيم طلعت .

وكما كان الاتفاق بين عبد الناصر وبينى قبل الحركة يؤكد انها إذ قامت فسيكون فى مقدمة اهدافها إعادة الحياة الدستورية وإقامة حكم ديموقراطى سليم كان الاتفاق بين إبراهيم طلعت وعبد الناصر .

وكانت الايام تتوالى وتتوالى معها التصرفات التى تسفر على أن حركة الجيش تتجه الى الدكتاتورية وكان إبراهيم طلعت يأتينى فى مكتبى فى المصرى فنحن نرتبط بأخوة صادقة ومتينة بدأت فى كلية الحقوق حيث كنا معا سنة بسنة وكان يتلو علينا بعض اشعاره الثائرة ضد الاستعمار وضد عبث الملك بالحياة الدستورية ثم بعد التخرج إزدادت صداقتنا خصوصا بعد أن تم انتخابنا اعضاء فى مجلس النواب سنة ١٩٤٩ فقد انتخب ابراهيم نائبا عن دائرة كرموز بالاسكندرية وأنا عن دائرة الشرابية فى القاهرة وطوال مدة المجلس النيابى كان تعاوننا كاملا ولو أن ابراهيم كان دمه أكثر فورانا منى ويثور ثورة عارمة على كل ما يرى فيه اى اعتداء على الحريات .

فوجئت بنبأ اعتقال ابراهيم طلعت وتحريت الاسباب فعلمت انه قد انفجر غاضبا عندما صدر قانون حل الاحزاب وإعلان فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات ووقف فى اجتماع وخطب فى الموجودين وشرح كيف كان الاتفاق بينه وعبد الناصر على أن الحركة ستقوم لإعادة الحريات وإغلاق المعتقلات وإقامت حياة ديموقراطية سليمة وكيف أن الميعاد الذى

كان محددا للقيام بالحركة كان هو السبت الثالث من شهر نوفمبر وهو اليوم الذى كان الدستور ينص على انه من حق المجلس النيابى أن يجتمع من تلقاء نفسه فيه إذا لم يدعوه الملك للاجتماع قبل هذا التاريخ .

ثارت أعصاب ابراهيم طلعت ووقف يشرح علاقاته وعلاقات آخرين بعبد الناصر وانها لم تكن علاقة صداقة عاطفية ولكن علاقة مبادىء واهداف ثم تدرج الى شرح الوعود التى وعده بها عبد الناصر ليلة قيام الحركة وفى الأيام اللاحقة عن إصراره على تحقيق كل الحريات الديموقراطية .

وانطلق فى ثورة عنيفة يشرح كيف تخلى عبد الناصر عن كل هذه الوعود وانقلب ينفذ عكسها تماما فالمعتقلات كانت تستقبل السياسين وغير السياسيين دون تحقيق أو تقديم لمحاكم والرقابة تم فرضها على الصحف وتم إلغاء الدستور الذى طالما دافع عنه اثناء كان طالبا فى المدارس الثانوية والجامعة ودخل السجن بسببه وتعرض للفصل ايضا بسبب ثوراته لحماية الدستور .

دستور سنة ١٩٢٣ الذى كانت تعتز به مصر ألغاه عبد الناصر ثم وقف الحياة السياسية ثم إلغاء الأحزاب وحكم مطلق لمدة ثلاث سنوات .

كان كل هذا فوق احتمال إبراهيم طلعت الذى أدرك أنه تم خداعه وأن مصر والمصريين مقبلون على حكم دكتاتورى فوقف يخطب الحاضرين .

ولم يمر الليل إلا وكان البوليس الحربى فى مدينة الأسكندرية قد انتزع إبراهيم طلعت أحد أقرب أصدقاء جمال عبد الناصر من فراشه ونقله إلى القاهرة حيث أودع أحد المعتقلات .

كانت الاعتقالات وانتحار الطالب السودانى ثم اعتقال ابراهيم طلعت قد تسببت فى سيطرة الحزن واليأس على نفسى فالذى يعتقل ابراهيم طلعت لن يتورع عن ارتكاب أى عمل ضد أى مصرى .

اعتقال ابراهيم طلعت اثبت لى أن عبد الناصر لا يعرف العواطف ولا يقدر للمواطنين أى موقف وتذكرت دفاع ابراهيم أثناء حكومة الوفد عن تشريعات الصحافة التى أراد الملك فاروق أن يصدر بها قانوناً ليحمى به أفراد الأسرة الملكية .

بل تذكرت يوم تقرر فى البرلمان المصرى أن يتبرع النواب والشيوخ بجزء يسير من المكافأة البرلمانية ليشترى بها هدية تقدم للملك فاروق بمناسبة عقد قرانة عـلى ناريمان ووافقنا جميعا على هذا القرار إلا النائب ابراهيم طلعت فقد ثار ورفض أن يساهم فى شراء الهدية ولم يكتفى بإبلاغ سكرتارية المجلس برفضه بل ارسل خطابا مسجلا لرئيس مجلس النواب يبلغه قراره برفض المساهمة بأى قرش فى هدية فاروق وأنه يحمله مسئولية تنفيذ قراره .

ووصل الخبر الى الملك فاروق فلما اقام حفلا لاستقبال اعضاء مجلس النواب والشيوخ لم يدعو النائب إبراهيم طلعت إلى الحفل الذى أقامه فى قصر عابدين .

لم يترك ابراهيم طلعت هذه الفرصة تمر دون الاستفادة منها فى شن هجوم على الملك .

أقام سرادقاً كبيراً يتسع لالآف من الناس وأعلن فى الأسكندرة عن طرق كل مريديه والكثيرين من رجال دائرته أنه سيلقى خطاباً سياسياً هاماً فى السرادق المقام فى دائرة كرموز .

احتشد السرادق بالالآف واعتلى إبراهيم المنصة وروى قصة قراره بالامتناع عن المشاركة فى هدية البرلمان للملك وقال إن رد الفعل لهذا القرار كان امتناع الملك عن دعوتَه إلى الحفل الذى استقبل فيه كل النواب والشيوخ .

ثم قال الاسباب التى دفعته الى عدم المساهمة وشن هجوما عنيفا على الملك فهو ضد الدستور وهو دائما يريد أن يتدخل فى شئون الحكم مع ان الدستور لا يخوله هذا الحق فهو يملك ولا يحكم ويعمل ضد إرادة الشعب .

استمر يهاجم فاروق أكثر من ساعة تم قال ان ابراهيم طلعت كعضو فى مجلس النواب لا يمثل شخصه بل هو يمثل دائرة انتخابية بكاملها وهى دائرة كرموز فعندما يتجاهل الملك دعوة نائب كرموز فإنه لم يتجاهل دعوة شخص إبراهيم طلعت بل تجاهل ممثل عشرات الآلاف من سكان دائرة كرموز الانتخابية الذين يمثلهم إبراهيم طلعت وتدرج من ذلك القول بأن عدم الدعوة هو استبعاد من الملك لدائرة كرموز وهذا أمر بالغ الخطورة ولا يؤدى إلا إلى نتيجة لا يمكن الصمت حيالها وهى أن هذه الدائرة بكل رجالها ونسائها وأطفالها وشيوخها قد أخرجها فاروق من ولايته .

وبصوت عال وعنيف قال : إنى أعلن انفصال دائرة كرموز عن ملك فاروق فقد كان هو البادي بالعداء ومن حقنا ان نرد على عدائه باننا لا نعترف به ملكا على دائرة كرموز .

وتعالت الهتافات العدائية ضد فاروق واشتعل الحماس بين الحاضرين الذين صفقوا بإعجاب وتأييد حار للخطاب الذى ألقاه إبراهيم طلعت .

وتوقعنا فى ذلك الحين ان يثور فاروق وأن يهدد حكومة الوفد بالإقالة اذا لم تتخذ اجراءات بالغة العنف ضد ابراهيم طلعت فهو يمتنع عن المساهمة فى الهدية ثم بعد ذلك يجمع الالاف ويهاجم الملك هجوما عنيفا ثم يعلن خروج دائرة كرموز من ولايته .

لم يحدث شيء ومر ما قام به ابراهيم طلعت بسلام .

تذكرت هذا الذى تم فى عهد فاروق والذى لم تكن تربط ابراهيم بالملك إلا أشد العلاقات معارضة لتصرفات الملك وقارنتها باعتقال عبد الناصر له وهما الصديقان وعز علىّ ان أطلب من جمال أن يفرج عنه .

ومرت الأيام وأنا حزين .. لاعتقال ابراهيم وحزين لأنى أرفض أن أطلب العفو لأحد أكثر الرجال وطنية فالعفو لا يطلب إلا لمن ارتكب ذنباً وإبراهيم لم يرتكب أى ذنب إذ فضح تخلى عبد الناصر عن تنفيذ ما تعهد به من إقامة حياة ديموقراطية .

وذات ليلة وأنا فى مكتبى بجريدة المصرى أخبرنى الساعى بأن حرم الأستاذ إبراهيم طلعت تريد مقابلتى فخرجت مسرعاً واصطحبتها إلى حجرة المكتب .

أخرجت السيدة التى كنت أكن لها أكبر إحترام فهى ثائرة مثل زوجها وأن اكتشاف ابراهيم لثوريتها كان هو السبب فى زواجهما .. اخرجت ورقة من حقيبة اليد وقالت أرجوك أن تنشر لى هذا الاعلان .

قرأت ما أسمته الاعلان وتذكرت قصة زواجها وهى قصة لعب القدر فيها دورا كبيراً .

كان ابراهيم يعمل بالمحاماة ومع أنه لم يكن قد مضى على تخرجه من كلية الحقوق إلا بضع سنين إلا أنه قد كسب شهرة فى الأسكندرية كمحام يتطوع فى كل قضية ذات طابع سياسى وكثيرا ما يترافع فى قضايا غير سياسية بالمجان لاقتناعه بأن المتهم برىء أو لأن الظروف قد أجبرته على ارتكاب ما يحاكم عنه ويرفض أن يتناول أجرا لأن المتهم فقير

وقد لمست ذلك بنفسى عندما كنت وكيل نيابة كرموز إذ كان يحضر أحيانـا فى قضايـا لا تتمشى مع ما اكتسبت من سمعة إذ يقول لى أن المقبوض عليه غلبان فلا تجعل كفالة الافراج كبيرة فأدرك انه تطوع للحضور مع المتهم .

وفى يوم من أيام شهر اغسطس سنة ١٩٤٦ حضرت شابة إلى مكتب الاستاذ ابراهيم طلعت المحامى وطلبت منه أن يتولى الدفاع عن شقيقها المتهم فى قضية القاء قنابل على النادي البريطانى فى الاسكندرية .

وكانت جريدة المصرى قد نشرت فى عدد ١٨ من يولية أخباراً مفصلة عن هذا الحادث الخطير وكان العنوان هو :

« إنفجـار أربع قنـابل وإصـابة أكـثر من ٥٠ إنجليـزيـاً فى النـادى البـريـطانى بالاسكندرية » .

وبدأ الخبر كالآتى :

« وقع فى منتصف الساعة العاشرة من مساء أمس حادث مروع أصيب فيه اكثر من ٥٠ جندياً بريطانيا إذ انفجرت فى دار النادالبـريـطانىبشارع كورنيتا بقسم العطارين ٤ قنابل فى وقت واحد فأصيب هذا العدد الكبير من المجندين والمجندات البريطانيين » .

كان شقيق الشابة متهما بتدبير الحادث .

الحادث وقع أثناء غليان الشعور الوطنى ضد الاستعمار البريطانى إذ كان شباب الوفد قد أصدروا بيانا تم نشره فى جريدة المصرى يوم ١٠ من يوليه هذه بعض فقراته :

« أيها المصريون : فى مثل هذا اليوم منذ أربعة وستون عاماً وطئت أقدام المحتل أرضنا المقدسة فدنستها بعار الاحتلال فاذكروا فى هذا اليوم المشئوم شهداءكم واخشعوا حداداً ما بقى الاحتلال كلما طلعت الشمس وكلما آذنت بزوال .

« أيها المصريون إننا ندعوكم لاستئناف الجهاد وأرواح الشهداء تهيب بكم إلى تلبية ندائها وإنا لنقسم يمين الولاء على قبور شهدائنا أن نحرر مصر من الاغلال فارفعوا صوتكم مدوياً مستنكرين كل مساومة على حقوق مصر وقد أعلنتها مصر صوتاً واحدا وهو تحرير وادى النيل » .

« فإلى الصانع فى عمله والتاجر فى متجره وإلى عمال وموظفى الحكومة والشركات ..

وإلى كل غيور نوجه هذا النداء ليظهر إجماع الشعب رائعا فى حداده اليوم » .

ونشر المصرى بعد ذلك نداء من لجنة الطلبة التنفيذية العامة موجها إلى الشباب لإعلان الحداد اليوم أى ١١ من يولية الجارى .

وقد نشرنا هذان البيانان وغيرهما فى جريدة المصرى وهي تطالب بالاضراب وإعلان الحداد العام مخالفين تعليمات الرقابة التى كان يتم تبليغها للجرائد بناء على تطبيق قانون الأحكام العرفية .

قامت القوات بمصادرة أعداد المصرى صباح ذلك اليوم تنفيذاً للقرارات التى أصدرها إسماعيل صدقى باشا رئيس الحكومة ولكن كانت عشرات الآلاف من نسخ الجريدة قد تم بيعها فى كافة أرجاء مصر وفى القاهرة .

وانتشر الاضراب فى جهات مختلفة وقام البوليس بالقبض على عدد كبير من شباب الوفد وأعضاء اتحاد شباب الأحزاب وزج بهم فى السجون .

وفى نفس اليوم القى مجهول فى الساعة الحادية عشر مساء قنبلة على سيارة كانت تمر على كوبرى قصر النيل أدت إلى اصابه ٧ جنود بريطانيين باصابات بعضها خطيرة .

وتوالت حوادث الاعتداء على الجنود والضباط الانجليز حتى حادث النادى البريطانى فى الاسكندرية الذى تم بعده إلقاء القبض على عدد من الشبان من بينهم شقيق الشابة التى حضرت إلى مكتب إبراهيم طلعت .

أثناء تردد ابراهيم على السجن لمقابلة موكله كان كثيراً ما يجتمع بضباط السجن الذين أخبروه بأنهم فى أشد الحيرة من أمر موكله فبالرغم من وضعه فى زنزانة منفردة وعدم السماح له بالخروج منها إلا وقت خلو ساحة السجن من كل المساجين ورغم عدم التصريح له بدخول الجرائد أو الكتب أو الخطابات فإنه باستمرار على علم بما يدور من أمور سياسية خارج السجن .

أخيراً اكتشف ضابط كيف تصل المعلومات لموكله رغم كل الاحتياطات .

كانت شقيقة المتهم تحضر إلى السجن ومعها الاكل الذى تسلمه للضابط وهو يسلمه بدوره لشقيقها بعد تفتيشه تفتيشاً دقيقاً ولفت نظر الضابط أن الطعام يحتوى كل يوم على واحدة من البطاطس المسلوقة فأمسك فى ذلك اليوم بقطعة البطاطس يقلبها فى يده فوجدها

أخف مما يجب أن تكون عليه فقطعها بسكين فوجىء بأنها مجوفة وبداخلها فى انبوبة صغيرة ورقة مسجل فيها الأخبار السياسية .

لم يبلغ الضابط عن اكتشافه وفى اليوم التالى أبلغ اخت المتهم باكتشافه وطلب منها أن تكف عن هذه العملية وإلا فإنه سيضطر إلى تبليغ الجهات المختصة وبذلك سيحققون معها ويمنعون الأكل الذى يأتى من الخارج .

وروى الضباط لإبراهيم هذه القصة فأعجبته وكانت مشاركة الشابة فى ثورية شقيقها هى مولد الرغبة فى أن تصبح شريكة حياته وتم هذا الزواج .

كتبت هذا لنتعرف على جانب من شخصية السيدة المناضلة زوجة إبراهيم طلعت والتى كانت تجلس فى مقابلتى وتقدم لى ورقة قالت إنها إعلان تريد نشره فى العدد الذى سيصدر .

قرأت الورقة فإذا بها إعلان عن بيع فى المزاد العلنى لكل محتويات منزل الاستاذ ابراهيم طلعت المحامى وأن الغرض من المزاد هو توفير المال اللازم للانفاق على الاسرة أثناء اعتقال زوجها وإنها لتدعو الصحفيين مصريين وأجانب لحضور هذا المزاد .

قرأت الورقة واصابنى الغضب فقلت لها إن ابراهيم أخ لى والمصرى والحمد لله لن يضيره أبداً أن يقوم بنفقاته وهو الذى كتب عشرات المقالات ونشرناها ولم يتقاضى قرشاً واحداً عليها ... وهكذا ... وهكذا ...

رفضت رفضاً باتاً وأخيراً عندما وعدتها أنى سأقرضها من مالى الخاص وأنى سأتقاضى المبلغ من ابراهيم بعد الافراج عنه فقالت : إن العلاقات التى تربطك بابراهيم متوقفة على قبول نشر هذا الاعلان ثم انصرفت دون حتى أن تصافحنى .

ذهبت فوراً إلى جمال عبد الناصر وطلبت منه الافراج فوراً عن ابراهيم طلعت وكان لسبب لم يخبرنى به منشرحاً فقبل طلبى فعدت أطلب أن يكون الافراج حالاً ... فاتصل تليفونياً أمامى وأصدر أمراً بأن يتم الافراج فى الصباح الباكر وفعلاً تم الافراج وبهذا بررت للأخت العزيزة عدم نشر الإعلان .

والمستشار سليمان بك ثابت هذا الرجل العظيم وكنت قد عملت تحت رئاسته أثناء كنت وكيل نيابة كرموز وكان سيادته رئيس نيابة الأسكندرية وكان رئيساً عظيماً يساعد مرؤوسيه ويحمى تصرفاتهم الجريئة عندما تتقدم ضدهم شكاوى لدى النائب العام .

سليمان بك ثابت كما سبق أن قلت هو الذى رأس محكمة الجنايات التى أصدرت الحكم بالبراءة لجميع المتهمين فى قضية الاسلحة الفاسدة وكان هذا الحكم قد أغضب ضباط القيادة عضباً شديداً دفعهم إلى إحالته إلى المعاش .

كان الضباط يبررون عدم نجاحهم فى الحرب ضد الاسرائيليين سنة ١٩٤٨ بحجة أن الاسلحة كانت فاسدة وكانت الصحافة قد نفخت فى قصة الاسلحة الفاسدة إغاظة فى الملك لأن معظم المتهمين كانوا من حاشيته فجاء حكم البراءة ليسقط إدعاءات الضباط الذين اشتركوا فى هذه الحرب ومن بينهم جمال عبد الناصر .

مر على الحكم أكثر من عشر سنوات وكان الأستاذ حسن الهضيبى قد تم الإفراج عنه ويقيم فى منزله إقامة جبرية فأراد سليمان بك ثابت أن يزور زميله فى القضاء المستشار حسن الهضيبى وكان الأستاذ الهضيبى قد عمل بالقضاء قبل توليه منصب المرشد العام .

طلب سليمان بك ثابت الإذن بالزيارة كى يتم السماح له بالدخول إلى مسكن المرشد العام الذى كانت تحرسه قوة لتطبق عليه قواعد الاقامة الجبرية فوافقت الجهة المختصة على الطلب .

ذهب سليمان بك إلى منزل زميله المستشار الهضيبى وطبيعى أن تكون الزيارة عاطفية ومؤثرة فالاستاذ الهضيبى كان الاعتقال والتعذيب النفسى قد اضناه وطالت المقابلة وأخيراً انصرف سليمان بك ثابت .

إنصرف من مسكن المرشد العام ولكنه لم يعد .

لم يعد إلى منزله طوال اليوم وكذلك طوال الليل وسألت الاسرة سائق السيادة الخاص بسليمان بك وهو الذى أوصله ليقوم بالزيارة عن سبب عدم انتظاره فقال إنه قد حضر إليه وهو واقف إلى جوار السيارة أمام الباب رجلاً وأخبره أن سليمان بك يبلغه بأن يعود إلى البيت وهو سيعود مع صديق له موجود معه فى منزل الاستاذ الهضيبى فانصرف .

بعد ثلاثة أيام نشرت الصحف عن رجل توفى أثناء ركوبه الاتوبيس ولم يعثر معه على شىء يثبت شخصيته وتم دفنه فى مقابر الفقراء بالمحمدى .

طبعاً ثبت أن هذا المجهول الذى قيل أنه توفى فى الاتوبيس هو سليمان بك ثابت وثبت أنه لم يرسل لسائقه أحد ليصرفه وأنه لم يكن فى وقت زيارته للاستاذ الهضيبى إلا هو .

لقد حملوا أو حمل عبد الناصر الحقد لسليمان بك ثابت طوال هذه السنين وفجر الحقد أن يطلب زيارة الاستاذ الهضيبى علماً بأنه لم يكن يزره لأنه المرشد العام بل لأنهما تزاملا فى مناصب القضاء .

فى يوم من الايام أثناء وجودى فى جنيف حضر إلى المقهى الذى كنا نتردد عليه الأخ العزيز محمد راتب ومعه رجل تجاوز الخمسين من العمر وكان يتكىء على عصا لإصابة فى ساقه وعرفنى عليه بانه الاستاذ محمد بك سليمان القنصل العام لمصر فى مرسيليا سابقا

تضايقت أن يحضر محمد راتب صديقه إلى هذا المقهى إذ أن جاسوساً لمخابرات عبد الناصر كان يداوم مراقبتنا بها وكان يبلغ عمن نقابل فيتم القبض عليهم بمجرد عودتهم

اخذت محمد بك سليمان وخرجت ووقفت معه بضع دقائق أخبرنى خلالها بأنه ترك العمل بسبب اصابته وأنه أراد أن يحيطنى علماً بأن الإعتقالات فى مصر زادت زيادة رهيبة وعندئذ أخبرته بأنه ما كان يجب أن يحضر إلى المقهى وكان الافضل أن يحدثنى محمد تليفونياً فى المنزل ونتقابل فى مكان بعيد عن عين الجاسوس وتركته يعود إلى المقهى بمفرده ولم أره بعد ذلك .

علمت بعد بضعة أيام محمد بك سليمان قد تم اعتقاله عند نزوله من الطائرة .

ثم علمت بعد مدة أنه قد قتله حمزة البسيونى الذى كان يشرف على المعتقل وذلك لأن كل المحققين الذين حققوا مع محمد بك سليمان لم يستطيعوا أن يحصلوا منه عن معلومات عن المقابلة أكثر من أنه كان فى جنيف ودخل المقهى فقابلنى فسلم على فاصطحبته إلى الخارج لأبلغه أن هناك جاسوساً يرصد حركاتنا .

ضاق حمزة البسيونى بالتحقيقات التى لم تسفر إلى نتيجة فاصطحب محمد بك إلى خارج المعتقل ومعه بعض الجنود .

أمر الجنود أن يحفروا حفرة فى رمال الصحراء وأوقف محمد بك على حافتها ووضع فوهة المسدس بحيث تلامس جهته وقال :

لماذا ذهبت إلى جنيف وقابلت أحمد ابو الفتح وعلى أى شىء اتفقت معه ؟ .

أجاب بأنه رآنى بالصدفة وأنه لم يتفق معى على شىء .

أطلق الرصاص وسقط الرجل قتيلاً .

أمر حمزة البسيونى الجنود بإلقاء الجثة فى الحفرة ويهيلوا عليها الرمل .

وعاد حمزة البسيونى يروى بفخر قصة قتله الرجل ودفنه فى الصحراء وهو يردد : علشان يتأدبوا ويعترفوا بكل حاجة .

●

وكانت دهشتى وذهولى تتوالى وتزداد يوماً بعد يوم فهو أى عبد الناصر يرأس محكمة الثورة التى تحاكم الدمنهورى وتصدر الحكم بالاعدام ... إعدام فى جلسة لا يحضرها محامى ماذا فعل زميل السلاح وأحد الضباط الأحرار ... ثم يحاكم رشاد مهنا ويحكم بالأشغال الشاقة ... ثم يصفى زملاءه ... يوسف صديق هذا الرجل الملىء بالشهامة والـذى أنقذ الحركة بتحريكه رجاله قبل الميعاد ... وينفيه إلى خارج الوطن وهو الشاعر فيعيش فى جنيف يبكى بُعده عن مصر ثم يقول للبغدادى اثناء أزمة مارس عام ١٩٥٤ : لم تعد لنا شعبية لا عند الشعب ولا بين الضباط وكان عدد الضباط الاحرار ٩٠ ضابطاً فأصبحوا الآن ٥٠ ضابطاً ... أين ذهب الأربعون ولم يكن قد مر على الحركة شهران .. هل زج بهم فى السجون .

ثم عندما أذكر حسين الشافعى ببعض كلمات طيبة يسارع إلى توجيه النقد المر .. ثم لماذا أبعد البغدادى ... وكمال الدين حسين وهو الرجل الذى يخش الله ولم يعرف عنه أى تطاول أو طمع أو إثراء ... لماذا أبعده ولماذا حدد اقامته ولماذا سمح له عبد الناصر أن يذهب إلى بنها ليحضر تشييع جنازة شريكة حياته والحراس يحيطون به .. إنه لم يكن ليفر ولا ليقوم بانقلاب .. ألم يكن فى وفاة الزوجة ما يحرك فى قلب عبد الناصر بعض المشاعر نحو شريكه فى الكفاح فيلغى الاقامة الجبرية وتنتهى الحراسة المفروضة عليه .. قام كمال الدين حسين بتلقى العزاء والحراس يقفون خلفه ثم أعادوه بعد ذلك ليخضع لأوامر عبد الناصر ويلتزم بالإقامة الجبرية ..!!

وخالد .. وزكريا .. وكل من عرضوا أنفسهم للخطر إذ شاركوه فى الحركة .. صفاهم جميعاً .. أبعدهم جميعاً ... أنزل بكثير منهم العقاب وطالهم جميعهم نار الحقد ... هل كان عبد الناصر يستطيع القيام بالحركة دون مشاركتهم ؟! .

لقد احتفظ هتلر برجاله هملر وجوبلز وجورنج ورنبتروب حتى أخر لحظة .. أما عبد الناصر فقد صفى زملائه .. زملائه الذين ليلة ٢٣ من يولية كانوا جميها يرتدون ملابسهم العسكرية ويحركون قواتهم لتنفيذ قيام الحركة إلا عبد الناصر فقد كان يسير فى الطرقات بالقميص والبنطلون كى يتجنب الاتهام إذا فشلت الحركة .

حتى ثروت عكاشة كان أول من تم إبعاده عن مصر وهو الذى تم فى منزله وضع خطة الحركة وهو الذى رفض منصب عضوية مجلس القيادة ليظل فى سلاح الفرسان ويحافظ بذلك على ولاء السلاح لحركة الجيش ... ولماذا أبعده عن رياسة مجلة التحرير سلط عليه صلاح سالم وجعل منه رقيبا على رياسة ثروت لمواد المجلة .. ألم يكن ثروت هو الذى قاد الدبابات يوم ٢٦ من يولية إلى الإسكندرية لإجبار فاروق على التنازل ... ثم كان ثروت ناجحاً كل النجاح فى وزارة الثقافة فإذا عبد الناصر يبعده عنها ليعينه رئيسا للبنك الأهلى وهو الذى يعشق الفن بكل ألوانه ولا يدرى شيئا فى إدارة البنوك ..

ثم عبد الحكيم عامر .. لقد كان عبد الناصر يقول لى إنى أستطيع أن أموت مستريحا لأن مصر ستكون فى يد عبد الحكيم ... وكان عبد الحكيم يقول فى الأسابيع الأولى لحركة الجيش ونحن فى منزل المرحوم الفيلسوف الساخر حفنى محمود باشا : والله أنا أريد أن أستقيل وأعود إلى بلدى أزرع وأفلح الأرض .. لولا حجال (ويشير اليه) هو الذى يصر على أن أبقى معه .

هل مات عبد الحكيم مسموماً أم مقتولا .. أم ماذا .. على كل حال مات بعد أن قام عبد الناصر بأكبر عملية تصفية نفذها ضد أى زميل له ..

ثم الجيش ... ألم يساند الجيش دكتاتورية عبد الناصر لمدة ١٨ سنة .. مـاذا افعل بالجيش ... أرسل بعضه ليحارب فى الكنغو .. لماذا ؟.. ثم ليحارب فى اليمن ليدافع عن عبد الله السلال وعبد الرحمن البيضانى .. أين هما الآن هل هما فى اليمن ؟ .. لماذا أرسل عشرات الآلاف للقتل ... لماذا أنفق ذهب مصر على تلك الحرب المجنونة ؟ ... ألم يكن يدرك أن وراء كل ضابط أو جندى يتم قتله أو تشويهه فى اليمن أم تبكى وأب يتحطم وزوجة تترمل وأطفال يتامى ... هل يمكن لإنسان أن يقتل ضميره قتلاً كاملاً فلا يتأثر بقتل عشرات الآلاف ونكبة مئات الآلاف بسبب حرب لا يمكن أن تعود على مصر بأية فائدة ... ألم يرض أبداً أحد أبنائه ويتألم ليشعر بآلام الآخرين الذين تسبب فى قتل

أبنائهم وأزواجهن فى اليمن ثم فى سيناء ...

ومصر التى أصبح رئيسها ... ألم يشعر بأنه ارتكب فى حقها أبشع وأفظع الجرائم إذ سلم أرضها للعدو يحتلها ويقتل جنودها وضباطها ويغنم أسلحتها وبترولها ويسد قناتها التى كان عمله الأكبر هو تأميمها ..

مصر التى تسلمها دائنة والجنيه يساوى ثلاثة دولارات ويزيد عن الجنيه الاسترالينى بقرشين ونصف ولها أرصدة من الذهب تحمى الجنيه من هبوط قيمته ولها أرصدة فى البنوك الدولية وبها قصور وثروات ..ماذا فعل بكل هذا ولماذا تركها مدينة بدين زاد على ١,٧٠٠ مليون دولارا .. كم يساوى هذا المبلغ الآن ؟.. لماذا لجأ للحلول المؤقتة ليرضى الناس بعد أن ركز الرزق فى يده ... ألم يعلم أن تخفيض ايجار المساكن سيؤدى إلى وقف البناء ... ألم يعلم أن إباحة التعليم الجامعى بالمجان سيؤدى إلى حرمان مصر من الصناع المهرة الذين كانوا ينافسون بانتاجهم فى الجلود والاثاث الانتاج الاوربى ألم يكن يعلم أن المغالاة فى تخفيض الملكية الزراعية سيؤدى إلى تدهور فى الزراعة وفى الألبان واللحوم والطيور .. أليس الملاك هم الذين يستعينون بالآلات الحديثة للزراعة وبتربية المواشى وهم الذين كانوا يصلحون الأرض البور بما يملكون من مال وجهد ...

والمصريون ... لماذا هذا الظلم وتلك القسوة ألم يكن عبد الناصر مصريا ... لماذا القتل والشنق والنفخ والجلد والكى بالنار وضغط الاطواق على الرأس والحرق ... ألم تلسع النار يد عبد الناصر مرة ليدرك أن العذاب قاسى ... ألم يمرض مرة ليقول يارب فيتذكر أنه سيلاقى ربه فى يوم محتوم فيترفق بالمصريين ... ثم الاعتداء على الشريفات ... ثم تجويع أسر المعتقلين وأطفالهم ...

● ● لماذا هذا الحقد .. لماذا هذا الشذوذ فى الحقد .. إنه شذوذ لا يمكن أن أجد له تفسيرا .

● ● إن أبرز صفات عبد الناصر هى القدرة على التآمر .. ولكن لماذا تآمر على مصر ...؟!!

الفصل الثانى

عبد الناصر بين الغرب والشرق

كنت أريد أن أخصص هذا الفصل للبحث فى ميول عبد الناصر اليسارية أو على وجه الخصوص فى الرد على السؤال الذى ظل يتردد على السنة الكثيرين من الناس منذ بضع سنين وهو « هل جمال عبد الناصر شيوعى ؟ ... » ولكن عبد الناصر قد سبقنى فى الرد على هذا السؤال إذ بدأ حملة ضد الشيوعيين فى كل من مصر وسوريا . تلك المعركة التى بدأت تبدد من أذهان الكثيرين الحيرة والشك فيما إذا كان شيوعياً أم غير شيوعى ومع ذلك فقد بقى أن نبحث فى الأسباب والدوافع التى دفعت عبد الناصر إلى الارتماء فى أحضان الشيوعية والتى جعلت الناس تتساءل عما إذا كان هو شيوعياً أم لا ؟ ...

وإذا عدنا إلى تاريخ عبد الناصر فيما قبل الحركة نجد أنه سبق أن تقلب فى فترات متعاقبة على كل الاحزاب سواء منها السياسى أو الدينى ذى الأهداف السياسية ؛ فقد كان عبد الناصر وفدياً وعضوا بجماعة الاخوان المسلمين . وكان عضواً فى إحدى المنظمات الشيوعية ثم انتهى به الامر إلى الاندماج فى جماعة الضباط الاحرار . وكان تعاونه وقتئذ يمتد إلى جميع الشبان ذوى المستقبل السياسى فى مختلف الاحزاب السياسية كما كان يتعاون فى نفس الوقت مع إحدى المنظمات الشيوعية تعاوناً وثيقاً فى كتابة وطبع وتوزيع النشرات التى تصدرها هيئة الضباط الاحرار .

وبعد أن قامت هيئة الضباط الاحرار بالانقلاب كان الملاحظ أنها تنقسم إلى ثلاث جماعات أو على الاصح أنها تمثل ثلاثة اتجاهات سياسية ؛ ففريق من مجلس القيادة يمثل الاتجاه السياسى الغربى أى الاتجاه بسياسة مصر نحو صداقة الغرب وكان هذا الجناح من مجلس القيادة يتمثل معظمه فى ممثلى سلاح الطيران فى المجلس وهم قائد الجناح جمال سالم وقائد الجناح عبد اللطيف البغدادى وكذلك قائد الجناح حسن ابراهيم يضاف اليهم القائم مقام عبد المنعم أمين ؛ أما الجناح الثانى فهو الجناح اليسارى ، وهو الجناح الذى عرف بميوله الشيوعية أو على الاقل اليسارية فكان يتكون من البكباشى يوسف صديق والصاغ خالد محى الدين ، أما الجناح الوسط : كان مفهوماً أنه أميل إلى السياسة

المستقلة التى يمثلها الوفد والاخوان المسلمون فيتكون من البكباشى حسين الشافعى والصاغ كمال الدين حسين والقائم مقام رشاد مهنا ... وإن كان المعروف أن هؤلاء الثلاثة كانوا أكثر ميلا إلى الاخوان المسلمين بل كان المعتقد لدى الناس أن بعضهم أعضاء فى هذه الهيئة .

أما جمال عبد الناصر وصديقه عبد الحكيم عامر فقد كان من الصعب أن تحدد صفتيهما ، وإذا كنت سأقصر كلامى على الأول دون الثانى فما ذلك إلا لأن عبد الحكيم عامر كان ولا يزال حتى الآن (عند صدور الكتاب سنة ١٩٦١) رغم كل الخلافات التى مرت بينه وبين عبد الناصر صورة لآراء عبد الناصر وجزءاً لا ينفصل عنه .

أقول كان من الصعب أن نحدد مركز عبد الناصر بين هذه الاتجاهات الثلاثة الموجودة داخل مجلس القيادة ، فتارة كان يؤيد فريقاً ثم يتجه بعد ذلك إلى تأييد فريق آخر ؛ وكان تأييده لا يتكون عن اقتناع بأن المبادىء التى يعتنقها فريق ما هى إلا المبادىء الصالحة وإنما كان التأييد دائماً مبعثه مدى ما يستطيع هذا الفريق بماله من أنصار من تقديم مساعدات لتأييده شخصياً .

أما عن رئيس مجلس القيادة اللواء محمد نجيب فإنه هو الآخر لم يحدد موقفه السياسى تحديداً كاملاً وإن كنت لسابق معرفتى به أستطيع أن أقطع بأن ميوله السياسية الداخلية كانت أقرب إلى المبادىء التى نادى بها فى السنوات الأخيرة الجناح الشاب فى الوفد وهو الجناح الذى كان يؤيد النحاس من حيث أنه زعيم وطنى ولكنه كان يأخذ عليه باعتباره زعيماً لأكبر حزب فى البلاد أنه لم يضع لمصر برنامجاً سياسياً محدداً وأنه يستمد الكثير من التأييد من العناصر الرأسمالية المسرفة فى الملكية الزراعية ، كان هذا الفريق من الشبان الوفديين ، وقد كان فريقاً صغيراً ، ولكنه كان عظيم النشاط يعارض الكثير من سياسة الوزارة الوفدية الأخيرة ويحاول أن يدفع الوفد إلى تحديد برنامج محدد الأهداف قوامه الحرية السياسية والمبادىء التى تخفف من حدة الإقطاع فى مصر والدفاع عن حقوق العمال وخصوصاً العمال الزراعيين الذين يكونون فى مصر السواد الأعظم .

لقد كان اللواء محمد نجيب يدين بهذه الاتجاهات بالاضافة إلى إقامة جيش قوى

منظم ، أما فى سياسته الخارجية فكان يأمل فى إخراج الانجليز من مصر والسودان أولا ، ثم إقامة نوع من الارتباط السياسى والاقليمى بين مصر والسودان ثانياً ، ثم بعد ذلك اختيار الطريق الذى تسلكه الجمهورية المتحدة لمصر والسودان وإن كان المفهوم أنه كان يميل إلى أن يتخذ طريق التعاون مع الغرب وهذا على عكس الاتجاه الذى كان يتجه نحوه شباب الوفد وهو الاتجاه فى السياسة الخارجية إلى الحياد بين الشرق والغرب .

خطاب لأيزنهاور

نعود إلى عبد الناصر فنقول أن اتجاهاته السياسية لم تكن محددة وقد ظلت هكذا بضعة أشهر حتى جاءنى فى أوائل سنة ١٩٥٣ مع بعض زملائه وكنت وقتئذ فى مكتبى بجريدة المصرى وطلب الانفراد بى وتركنا زملاءه مع شقيقى محمود وحسين أبو الفتح وعندما جلسنا فى إحدى حجرات الجريدة أخرج من جيبه خطابا وقال لى : إن هذا الخطاب قد ورد لنجيب من أيزنهاور .

وقد دهشت لما قال ، فلم يكن عبد الناصر قد أخبرنى من قبل بأنه أو نجيب قد أرسل خطابا للرئيس ايزنهاور .

وقال عبد الناصر : « لقد كنا قد أرسلنا خطابا لايزنهاور نطلب منه مساعدات مالية وعسكرية وقد وصلنا هذا الخطاب : « والخطاب موجه بطبيعة الحال للرئيس محمد نجيب وقد جاء فى الخطاب الذى كتبه الرئيس ايزنهاور مايلى : « إننا نراقب بسرور كبير الخطوات الطيبة التى تتخذها حكومتكم فى النهوض بمستوى البلاد وقد أولينا طلبكم الخاص بمساعدات مالية وعسكرية عناية كبرى وأننا سنخول سفيرنا المستر جفرسون كافرى التباحث معكم فى أمر هذه المساعدات بمجرد انتهاء حكومتكم من التفاهم مع بريطانيا العظمى على المسائل المعلقة بين البلدين وخصوصا قاعدة قنال السويس ...... » .

لقد قرأ جمال عبد الناصر الرسالة ثم سألنى عن رأيى فيما حوت فقلت له أن المعنى واضح وهو أن أيزنهاور قد أبدى استعداده لتقديم المساعدات المالية والعسكرية لمصر ولكنه علق ذلك على تسوية الخلاف مع بريطانيا .

وعاد عبد الناصر يقرأ كلمات الخطاب كلمة بعد أخرى ثم يشترك معى فى ترجمتها .

ولقد كانت هذه كما سبق أن قلت هى أول مرة أعلم فيها بأن عبد الناصر قد اتجه اتجاها فعالا نحو الغرب ، وإنى لأذكر أنه كان متضايقا من رد أيزنهاور . وكان يتمنى لو أن الأخير لم يعلق تقديم المساعدات على تسوية المسائل المعلقة بين مصر وبريطانيا . إن عبد الناصر كان يعلم أن تسوية هذه الأمور تقتضى وقتاً غير قصير وقد كان يحتاج للمساعدات المالية لتدعيم المركز المالى والمساعدات العسكرية لتدعيم المركز العسكرى وإرضاء ضباط الجيش .

ومرت الاسابيع ثم الشهور ولم تدر بينا مباحثات حول اتجاهات مصر السياسية فى الميدان الدولى . ولكن حدث بعد ذلك بعدة شهور أن كتبت مقالا طلبت فيه أن يتحدد موقف مصر فى الميدان الدولى بالحياد التام بين الكتلتين ، وناديت فى المقال بوجوب تجنيب مصر مخاطر الاندفاع فى أى تيار غربى أو شرقى ، وأن تلتزم مصر موقف الحياد الدقيق بين الكتلتين . وقلت أن الصراع القائم بين الغرب والشرق صراع خطير وليس من مصلحة الشعب المصرى أن يأخذ جانباً دون الآخر فى هذا الصراع ، وكان الدافع لكتابة هذا المقال أملى أن نجعل مصر دولة مستقلة محايدة فى الشرق الأوسط وأن نحقق لها نفس المركز الذى تتمتع به سويسرا فى أوروبا .

وفى اليوم التالى لكتابة هذا المقال قابلنى عبد الناصر وقال لى : لقد طلبت منك أن تهاجم الانجليز فى مقالك لأنهم يتعنتون معنا فى المفاوضات ، ولكنى لم أطلب منك أن تنادى بموقف الحياد » . فقلت لعبد الناصر « حقيقة أنك طلبت منى أمس آن أهاجم الانجليز وصحيح أنك لم تطلب منى أن أدافع عن الحياد ولكنى وجدت الفرصة سانحة لأن أعبر عن الرأى الذى أدين به . » .

ولايضاح هذه النقطة أرى من المناسب ان يعرف القارىء أنه فى خلال هذه الشهور كانت قد دبت بينى وبين عبد الناصر الكثير من عوامل الخلاف حول اتجاه الحركة فى سياستها الداخلية وانحرافها إلى الحكم العسكرى . ولذلك كانت مقالاتى تُراقب وتُراجع بواسطة الرقابة العسكرية المفروضة على الصحافة مراقبة دقيقة وصارمة ، فلما

طلب منى عبد الناصر كتابة مقال أهاجم فيه الانجليز لتعنتهم فى المفاوضات علمت أنه سيُصدر أوامره للرقيب العسكرى بألا يتعنت بالنسبة لما أكتب ولذلك رأيت الفرصة سانحة لابداء رأيى فيما يجب أن تتخذ مصر من مواقف فى السياسة الدولية وذلك خشية أن يتورط عبد الناصر فى معاهدته مع الانجليز على ربطِ مصر بالمعسكر الغربى .

عبد الناصر يقول : حياد إيه ...؟

وعاد عبد الناصر يناقشنى مقالى ، فقال : » وهل تؤمن حقيقة بالحياد ؟ .. وكان رداً قاطعاً بأنى أومن به وأنى أرى أنه السبيل الافضل لمصر . وعندئذ التفت إلى وقال : « حياد إيه ؟ .. إن الحياد ليس إلا خيالا فإنه من المستحيل على دولة من الدول أن تقف موقف الحياد . ذلك لأنها ستكون فى عزلة عن العالم . »

فلما أشرت إلى موقف الهند ، ابتسم وقال : « الهند ؟ ... هل تعرف ماذا قال لى نهر و فى زيارته الأخيرة عندما كنا نتحدث عن الموقف الدولى ؟ .. وسكت لحظة ثم قال : لقد قال لى أن الحياد ممكن وقت السلم فقط ... أما وقت الحرب فإنه يجب الانضمام إلى الغرب) ومكث عبد الناصر وسكت أنا أيضا فعاد يواصل كلامه : « هذا ما قاله نهر و ... الحياد ممكن وقت السلم ولكن إذا قامت الحرب سننضم للغرب .

وظلت صامتاً فعاد يقول : « الحياد غير ممكن .. هل تريد أن تعزل مصر عن دول العالم .. إما غرب وإما شرق .. لابد أن يكون لك حليف قوى يساندك ويعاونك » . فقلت : « إنى أخالفك باجمال فيما تقول فإنك إذ استطعت أن تقيم حيادا دقيقا فان الدول وخصوصاً الغرب يتضايق فى أول الأمر ولكن الشيء المؤكد أنك لو لم تتحول فى مبادئك عن مبدأ الحياد الدقيق فإن الأمر سينتهى بهذه الدول وخصوصاً الغرب إلى الاعتراف بوضع مصر وستسعى إلى مصادقتك .. إن الأمر يحتاج إلى بعض تضحيات فى أوله ولكنه سينتهى بالخير وإلى تحقيق مصالح الشعب المصرى .. على شرط أن تتمسك بـالحياد الدقيق بين الكتلتين » .

وانتهى الحديث دون أن يبدى عبد الناصر اقتناعاً أو عدم اقتناع . ومنذ ذلك اليوم

أدركت أن عبد الناصر يميل ميلا شديداً إلى الانضمام أو على الاقل إلى التفاهم الوثيق مع الغرب لذلك طلب المساعدات المالية والعسكرية من أمريكا وقد كان معروفاً فى ذلك الوقت أن المساعدات الامريكية لا تمنح إلا مشروطة بشروط تربط الدولة التى تتلقى المساعدات بالغرب وكذلك اعتراضه على مقالى الخاص بالحياد قد قطع بأنه يتجه إلى الغرب .

ووقع بعد ذلك الخلاف بينى وبين عبد الناصر واضطررت إلى مغادرة مصر نهائياً فى منتصف شهر مارس سنة ١٩٥٤ إلى لبنان وفى يوليه من هذا العام وقعت مصر الاتفاقية مع بريطانيا العظمى وجاء فى هذا الاتفاق أن مصر تسمح للقوات البريطانية بالعودة إلى أرضها إذا ما حدث هجوم على تركيا ، وكانت مسألة عودة القوات البريطانية إلى مصر بعد تمام الجلاء عنها من الأمور المرفوضة رفضاً قاطعاً من مختلف هيئات وأحزاب الشعب المصرى ولقد كان هذا الشرط بالذات سبب فشل المفاوضات المصرية البريطانية فى عدة مرات مع مختلف الحكومات ومع ذلك فقد قبله جمال عبد الناصر وكان النحاس باشا يرفض هذا الشرط يؤيده فى ذلك تأييدا كاملا كل أعضاء الوفد خصوصا الدكتور محمد صلاح الدين باشا الذى كان يتولى منصب وزير الخارجية فى آخر حكومة وفدية .

وكان من المؤكد أن الشعب المصرى لم يوافق على هذه الاتفاقية بل كان ضدها رغم كل مظاهر التهليل التى حشدها عبد الناصر وأعوانه للترويج لها وكان السودان قد انفصل عن مصر وجاءت هذه المعاهدة لتربط مصر بحق عودة القوات البريطانية إلى احتلالها إذا حدث هجوم على تركيا أى يربط مصر بالدفاع المشترك مع الغرب .

عوامل التغيير

وفى هذه الأثناء ظهرت عدة عوامل أثارت حقد عبد الناصر وجعلته يبدأ فى تغيير اتجاهاته . أما العامل الأول : فهو أن أمريكا كانت قد عرضت على الدكتور فاضل الجمالى رئيس حكومة العراق فى ذلك الوقت مساعدات عسكرية ومالية . وقد ضايق عبد الناصر أن يرفض ايزنهاور تقديم المساعدات لمصر وقت أن طلبتها وأن يعلق البت فيها على التفاهم مع الانجليز ثم يبادر بعد ذلك ببضعة أشهر إلى عرض المساعدات على العراق .

إن الذى يعرف عبد الناصر معرفة صادقة ويتفهم نفسيته يدرك مدى تأثير هذا التصرف من أيزنهاور بالنسبة له ، ذلك لأن عبد الناصر من الناس الذين يعبدون أنفسهم والذين لا يستطيعون أن يتصوروا ويقبلوا رفض مطالبهم . فكيف يكون حاله إذا ما رأى مطلبه الذى سعى إليه يرفض فى الوقت الذى تعرض أمريكا من تلقاء نفسها على فاضل الجمالى بك أو على العراق المساعدات المالية والعسكرية .

قد يستطيع البعض أن يلتمس الأعذار لايزنهاور بالنسبة لهذا الأمر ولكن عبد الناصر لا يستطيع أبدا بل إنه يعتبر هذا التصرف من جانب أيزنهاور طعنة خطيرة لم ينسها عندما بدأ يحارب الغرب .

وحدث فى هذه الأثناء أن تكّون حلف بغداد ذلك الحلف الذى اتخذ له عاصمة العراق مركزاً . لقد أثار هذا الحلف الذى لم تتزعمه مصر والذى لم تكن القاهرة مركزاً له ثائرة عبد الناصر وغضبه وحقده الشديد ضد الغرب .

لقد ادعى عبد الناصر عندما هاجم هذا الحلف أنه حلف استعمارى أو يناصر الاستعمار الغربى ونسى أن تصرفاته الماضية كانت ترمى إلى التعامل مع الغرب والتفاهم معه ، والحقيقة أن عبد الناصر اتخذ مهاجمته للحلف سلما ليصل إلى زعامة الشعوب العربية الناقمة على الدول الغربية لتصرفاتها الاستعمارية .

إن مطالبة أمريكا بالمساعدات المالية والعسكرية فى أوائل سنة ١٩٥٣ كانت تقطع بأنه لا يؤمن بالحياد ولا يؤمن بأنه من الممكن لمصر أن تقف موقف الحياد ، ثم المعاهدة

التى وقعها مع الانجليز والتى كانت تسمح للقوات البريطانية بالعودة إلى أرض مصر فى حالة الاعتداء على تركيا تؤكد أن عبد الناصر لم يكن من أنصار فكرة الحياد ، هذا فضلا عن اعتراضه على مقالى الذى ناديت فيه بالحياد والذى ناقشنى فيه مناقشة طويلة حاول فيها إقناعى بأنه لا سبيل إلى الحياد واستعان فى ذلك المضمار برأى الرئيس جواهر لال نهرو بأن الحياد غير ممكن إلا فى وقت السلم .

. إن جمال عبد الناصر كان يطمع فى مركز ممتاز يتبوأه فى الشرق الأوسط وفى أن يكون هو محور التعامل بين الدول الكبرى والـدول العربيـة . فإذا مـا تخلت الدول الكبرى عن هذا المبدأ وراحت تتعامل مع غيره ثارت مراجل غضبه .

وقبل أن نستطرد فى سرد تطور هذا الغضب الذى بدأ يلعب دوراً فى تحويل عبد الناصر من الغرب إلى الشرق أرى من الجدير أن نلقى ضوءاً على الظروف التى جعلت عبد الناصر يتجه نحو الدول العربية يفرض نفسه زعيما عليها .

عندما قام الانقلاب العسكرى فى مصر وبعد خروج فاروق لم تكن الأهداف التى يرمى إليها عبد الناصر تزيد عن مجرد الأمل فى حكم مصر ؛ ولذلك انصرفت كل جهوده إلى القضاء على جميع العوامل التى كان من الممكن أن تحول دون تحقيق هذه الأهداف فحطم جميع الحواجز على الصورة التى أوضحتها فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

فلما بدأت مفاوضاته تتعثر مع السلطات البريطانية كتبت مقالا فى المصرى تحت عنوان : « نحو مؤتمر للشعوب العربية » وناديت فيه بوجوب عقد مؤتمر للشعوب العربية فى القاهرة وذلك لحشد قوى الدول العـربية لمنـاصرة مصر فى طلب جلاء القـوات البريطانية عن قاعدة السويس .

وتصادف فى هذه الأثناء أن كان فى القاهرة الصحفى اللبنانى محمد شقير ، فأرسل لى مقالاً يحبذ الفكرة ويطالب بعقد هذا المؤتمر ، ذلك لأن فريقاً من اللبنانيين وخصوصاً المسلمين منهم يؤمن بالوحدة بين الدول العربية ويعاونهم فى ذلك زعماء سوريا وبعض زعماء الأردن والعراق فى ذلك الحين وكان العون المادى والأدبى لحركة الوحدة التى ينادى بها بعض زعماء لبنان يأتى من العراق .

وبعد أن نشرت مقال الأستاذ محمد شقير علمت أنه استطاع مقابلة عبد الناصر وصلاح سالم وأنه تباحث معهما مطولا فى أهمية عقد مؤتمر للشعوب الاسلامية ، وبعد أيام قلائل طلب منى عبد الناصر أن أحضر إلى مقر مركز قيادة الحركة بقصر النيل لأنه قرر عقد اجتماع يضمه ويضم صلاح سالم وأحمد الباقورى وزير الأوقاف فى ذلك الحين ومحمد شقير وأنا للبحث فى أمر دعوة مؤتمر للشعوب العربية .

لقد كان عبد الناصر يريد بأى شكل أن ينتهى من مفاوضاته مع السلطات البريطانية إلى تقرير جلاء القوات البريطانية عن قاعدة القنال ولذلك فقد اهتم بالأمر .

وحضرت الاجتماع وتناقشنا فى الأمر طويلا وكان عبد الناصر معظم الوقت مستمعاً خصوصاً لمحمد شقير الذى أفاض فى الحديث عن عقد هذا المؤتمر وضرورته ووسائل نجاحه وفى ختام الحديث طلب عبد الناصر أن أكون سكرتير عام هذا المؤتمر الشعبى العربى وأن أبدأ اتصالات واسعة لاقامته ، ولكنى اعتذرت عن قبول هذا المنصب لانشغالى فى عملى بالجريدة وأخبرته أننى على استعداد للمساهمة بقدر طاقتى للدعاية وحشد القوى عن طريق الكتابة فى المصرى ولكن ليس باستطاعتى أن أتولى سكرتارية المؤتمر .

وانفض الاجتماع على أن يواصل محمد شقير اتصالاته بزعماء العرب للتمهيد لعقد هذا الاجتماع .

لابد أن أحكم كل البلاد العربية

ولم ينعقد المؤتمر العربى الشعبى فى ذلك الحين لأن تطور الآمور لم يسمح به . وبعد ذلك بأسابيع كنت أناقش جمال عبد الناصر فى اتجاهاته الديكتاتورية فى حكم مصر فالتفت إلىّ وقال : « وهل تظن يا أحمد أن أقنع بحكم مصر وحدها ... إنى لابد أن أحكم كل الدول العربية » .

وقد أذهلنى هذا التصريح فقد كنت لا أتوقعه وما كنت لأتوقعه وما كنت أتصور أن عبد الناصر تذهب به الأمال إلى هذا المدى الواسع ، ولاحظ ذهولى فعاد يقول مؤكداً : « نعم إنه لا يكفينى حكم مصر ... بل يجب أن أحكم جميع الدول العربية » .

فقلت متسائلاً : ولكن كيف ستصل إلى ذلك يا جمال ... إن فى الدول العربية حكومات وأغلبها لن يقبل أن ينضم تحت حكمك طائعاً مختاراً ...

فقال باسماً : « طائعاً ... أو غير طائع ... لابد من توحيد البلاد العربية . فعدت أسأله : « هل ستحارب هذه الدول وتغزوها ... أم ماذا ؟... فابتسم وقال : « لقد كنت فى الماضى لا أؤمن بالعرب ولا العروبة . وكنت كلما حدثتنى أو حدثنى غيرك عن العرب أهزأ مما تقولون وكنت لا أستطيع أن أتصور أن الشعوب العربية تستطيع أن تفعل شيئاً ... وكانت حرب فلسطين هى السبب الأكبر فى اقناعى بعجز العرب ... ولكن يا أحمد هذه الامكانيات التى لدى الدول العربية ... هذه الموارد الضخمة ... هذا البترول الذى يأتى بايراد ضخم ... هذا الموقع الاستراتيجى الذى تحتله الدول العربية ؛ كل هذه الأسباب جعلتنى أغير فكرى ... تصور أن كل هذه البلاد توحد فى دولة واحدة وأن كل هذه الموارد وهذه العوامل توضع فى يد واحدة ... تصور تحقيق ذلك تصور ماذا يمكن أن يكون مركز الشخص الذى بيده مقاليد كل الأمور ...» .

لاستطعنا أن نفعل العجب !! ... ثم قال إن مقالك عن مؤتمر للشعوب العربية هو الذى نبهنى إلى ضرورة توحيد العرب تحت قيادتى

فقلت : « إنى يا جمال آؤمن بالديمقراطية ... ولا أستطيع أن أعتنق غيرها كمبدأ

لحكم الشعب المصرى أو أى شعب آخر » ... ولم يتركنى أكمل حديثى بل ضاق وقال : « ديمقراطية ... ديمقراطية ... إن هذه أوهام ...» .

وبطبيعة الحال لم ينته الجدل بنا إلى نتيجة ولكنى عرفت فى ذلك اليوم وهو فى الربع الأخير من سنة ١٩٥٣ أن عبد الناصر قد راوده حلم جديد ألا وهو حلم حكم الشعوب العربية .

فإذا عدنا إلى موضوعنا الأول وجدنا أن منح ايزنهاور المساعدات المالية والعسكرية لحكومة العراق التى كان يرأسها وقتئذ الدكتور فاضل الجمالى فضلا عن كونها قد أصابت كبرياء عبد الناصر فى الصميم فإنها قد ضايقته لأنه كان يحلم فى ذلك الوقت فى السيطرة على الدول العربية جمعاء وتقديم هذه المساعدات للعراق كان يمثل لديه خطراً يهدد تحقيق هذا الحلم .

وكذلك كان حلف بغداد الذى لم يشترك فيه ولم يتزعمه كان يمثل فى رأيه خطراً يهدد تحقيق سيطرته على الدول العربية جمعاء ؛ وكان يخشى فضلا عن اشتراك بغداد فى هذا الحلف أن يجذب الحلف إلى حظيرته دولا أخرى عربية .

وفى هذه الأثناء كان جمال عبد الناصر قد حاكم الأستاذين محمود وحسين أبو الفتح وحكم عليهما بأحكام منها السجن ومنها وضع جميع أملاكهما تحت الحراسة وسحب الترخيص لجريدة المصرى ومنعها من الصدور وكان شقيقى محمود قد قام بجولته فى سوريا ولبنان حيث أقامت له نقابات الصحافة حفلات ضخمة كانت كلها نقمة على عبد الناصر عدو الصحافة ومكمم الأفواه وقاتل الحريات . كما اشتركت وساهمت الكثير من الهيئات فى تكريم أخى بصور مختلفة كانت كلها مظاهرات صاخبة ضد حكم عبد الناصر ، حتى حكومة سوريا التى كان يرأسها فى ذلك الحين صبرى العسلى أقامت حفلاً كبيراً لاستقبال محمود أبو الفتح وكان الداعى للحفل رئيس الوزراء وقد خطب الكثيرون منددين بالاجراء الظالم ضد إخوتى وضد جريدة المصرى .

وقد حضر هذا الحفل كل شخصيات سوريا السياسية وكانت الصحافة السورية واللبنانية بل والصحافة العربية فى الأقطار الأخرى تسهب فى وصف هذه الحفلات ونشر الخطب التى كانت كلها هجوماً مراً على عبد الناصر وحكمه الديكتاتورى .

وفى هذه الأثناء أيضا حدثت (محاولة الاعتداء) على عبد الناصر أثناء إلقائه خطابا فى مدينة الاسكندرية وتبع هذه (المحاولة) إجراءات بلغت أقصى حدود العنف ضد الاخوان المسلمين تناولت القبض وتعذيب الآلاف منهم وأقيمت لهم محاكمات لم يتوفر فيها أى مظهر من مظاهر العدالة . وقد أثارت المحاكمات شعورا من الاشمئزاز والغضب وموجة صاخبة من السخط على حكم عبد الناصر وقامت المظاهرات العدائية ضده فى دول عربية كثيرة وزاد من موجة السخط وهياج الشعوب أن عبد الناصر لم ينصت للأصوات العالية التى أرسلت تطالبه بعدم تنفيذ أحكام الاعدام وإبدالها بأحكام أخرى . فقد أرسل جميع رؤساء الدول العربية وجميع رؤساء الوزارات وجميع الهيئات والطوائف العربية الأخرى برقيات وطلبات كما تلقى عبد الناصر مثل هذه البرقيات والطلبات من دول اسلامية غير عربية كالباكستان وايران وأندونيسيا وغيرها ولكنه رغم كل ذلك أسرع ونفذ أحكام الاعدام فى ستة من زعماء الاخوان المسلمين مستثنيا منهم رئيس الجماعة . وقد تحدثت صحف العالم وخصوصاً الصحافة العربية عن البسالة التى تلقى بها هؤلاء الستة تنفيذ أحكام الاعدام .

وهكذا وجد جمال عبد الناصر نفسه وقد أصبح محل نقمة جميع الشعوب بل والحكومات العربية ، ولم يكن موقفه فى مصر بأحسن حالا .

وفى نهاية عام ١٩٥٤ كان عبد الناصر يقف بمعزل كامل عن الشعب المصرى وبمعزل كامل عن الشعوب العربية . لقد كان عبد الناصر يريد زعامة الشعب المصرى بل وزعامة الشعوب العربية فإذا به يجد نفسه فجأة بمعزل عن هذه الشعوب جمعاء يكرهه المصريون وتحقد عليه الشعوب العربية وانتهى الأمر بالسودان إلى قطع علاقته الودية بمصر .

وسط هذه الدوامة العارمة من الحقد والكراهية راح عبد الناصر يتلمس الأسباب والوسائل التى يستطيع عن طريقها تدعيم حكمه فى الداخل وكسب ود الشعوب العربية ؛ فكان يرسل صلاح سالم فى زيارات لمختلف الدول العربية ولكن هذه الزيارات قد فشلت فى تنقية الجو وتصفية الخلافات .

وبدأت الأزمة المالية تظهر بوادرها فى مصر وخافت رؤوس الأموال وبدأ كل انسان يخشى حتى مجرد إيداع الأموال فى البنوك فسحب الكثيرون الودائع .

تجمعت كل العوامل ضد عبد الناصر وبات حائرا لا يدرى ماذا يفعل حيال كل هذه الأزمات فأخذ يهاجم العراق ويشن ضده حملات قاسية إتهم العراق أو حكومة العراق بالخيانة لأنها قبلت المساعدات المالية والعسكرية من أمريكا وأخذ يدلل على اتهاماته بأن هذه المساعدات مشروطة بشروط تحد من استقلال الدولة التى تقبلها ، وراح يهاجم حلف بغداد ويتهمه بأنه حلف استعمارى قصد به تحقيق مصالح الغرب وأنه حلف يضر بمصالح الشعب العراقى وحرياته واستقلاله ومستقبله ، وقد وجدت دعايته بعض النجاح لولا أن صلاح سالم راح يندفع فى سب وشتم زعماء العراق ولولا أن الاذاعة المصرية امتدت حملاتها من نطاق رجال السياسة فى العراق إلى الملك فيصل وكان فى ذلك شابا صغير السن يتمتع بحب العراقيين .

ولما أحس عبد الناصر بأن هجومه على العراق وعلى المساعدات العسكرية قد لاقى بعض النجاح أخذ يزيد من حملة دعايته وقويت أجهزة الدعاية فى السير فى هذا المضمار ، وأصبح لاهم لصوت العرب إلا حلف بغداد ومهاجمة الحكام فى العراق ، واشتركت الصحف فى هذه الحملات بنصيب وافر .

وعلى مر الزمن وجد عبد الناصر طريقه للتدخل فى شؤون العرب فتطرف فى هجومه على العراق ، وفرح بذلك الملك سعود للخلاف القديم الذى كان قائما حتى ذلك الحين بين الأسرة السعودية والأسرة الهاشمية التى تحكم العراق ، وبدأت فى سوريا حركات تحبذ هجوم عبد الناصر على العراق وخصوصاً فى صفوف الحزب الشيوعى وحزب البعث الاشتراكى .

فكلما أحس عبد الناصر أنه كسب أنصارا زاد من حملاته ونوّعها ضد العراق وضد حلف بغداد وضد فرنسا بسبب الجزائر وأخذ يوجه نوعا جديدا من الدعايات نحو المحميات فى الجزيرة العربية تطالب أهلها بالثورة على الانجليز ، وهكذا تدرج شيئا فشيئا من عنيف إلى أعنف وزاد الاعجاب بعبد الناصر فى الدول العربية لأسباب مختلفة .

وفى هذه الأثناء نادى نهرو وبعض زعماء آسيا بعقد مؤتمر للشعوب الأسيوية الأفريقية فى باندونغ باندونيسيا وتحمس عبد الناصر للفكرة حماسا شديدا وتلقف نهرو وشوين لاى عبد الناصر فى المؤتمر ونفخوا فيه نفخا شديدا وقدموه باعتباره زعيم العرب ورائد الحريات فى هذه المنطقة .

نهرو وأبعاد مصر عن باكستان

ومما لا شك فيه أن مصلحة نهرو كانت كبيرة فى كسب عبد الناصر إلى جواره ، فإنه يبغض حلف بغداد لوجود الباكستان فيه ، ولأنه فى نزاع دائم مع الباكستان حول مستقبل كشمير والباكستان دولة اسلامية وكشمير الغالبية العظمى من سكانها مسلمون ، فكانت مبادرة نهرو بتلقف عبد الناصر تمثل فى نظره مصلحة حيوية إذ تصرف مصر ومن يسير خلف زعامة عبد الناصر عن مساندة الباكستان ضده فى كشمير ، فضلا عن أن سياسة الحياد التى كان ينادى بها لم يكن لها فى ذلك الحين أنصار كثيرون ، وضم مصر إلى هذا المعسكر الثالث يعتبر كسبا له .

ومما لا شك فيه أن شوين لاى كانت له هو الآخر مصلحة كبرى فى صداقة عبد الناصر والاهتمام بأمره لأن كسبه سيحوله عن المعسكر الغربى وبذلك تستطيع الشيوعية الدولية أن تجد لها من يعمل على تحطيم النفوذ الغربى فى الشرق الأوسط ... وهذا مغنم كبير لها .

وانعقد المؤتمر فى أبريل سنة ١٩٥٥ وأتاح نهرو وشوين لاى لجمال عبد الناصر كل فرص الظهور وغذيا فى نفسه كل الرغبات فى حب العظمة ومظاهر القوة ...... وعاد عبد الناصر من باندونغ زعيما من زعماء الحياد . وكان من المضحك أن يكون زعيما للحياد وهو فى نفس الوقت مرتبط بمعاهدة مع بريطانيا تمنحها حق العودة إلى الأراضى المصرية إذا ما هوجمت تركيا .

عاد عبد الناصر إلى القاهرة وقد أخذ الاعجاب به يزداد خارج مصر ، أما داخل مصر فإن الأزمة المالية كانت قد أخذت تتفاقم والشعور العدائى ضد حكمة يزداد وضحاياه فى السجون يلاقون أسوأ ألوان المعاملة .

وكان قبل سفره إلى باندونغ قد ظهرت فى الجيش بوادر تذمر كثيرة نتيجة تطور الحكم إلى الديكتاتورية السافرة ونتيجة تمتع فريق من الضباط بمزايا مالية وأدبية عن طريق ترك صفوف الجيش العامل إلى مناصب أخرى ذات جاه وسلطان مما اضطر عبد الناصر إلى أن يسافر إلى مدينة غزة حيث كان التذمر قد أخذ صورا واضحة ، وبقى عبد الناصر هناك أربعة أيام يجتمع بالضباط ويحاول بكل الوسائل إقناعهم بأنه سيعمل ما يحقق لهم الراحة والمساواة ، وقد لقى من بعض الضباط هناك معارضة شديدة وانتقادات قاسية وجهوها إلى الحكم وإلى تمييز فئة محظوظة من الضباط عليهم ، ولم يغادر عبد الناصر غزة إلا بعد أن أخذ وعدا من الضباط بألا يقوموا بأى عمل حتى يعود من رحلته إلى باندونغ .

أحمد فؤاد والمهمة السرية

عاد عبد الناصر من باندونغ ليواجه الأزمة فى مصر وحاول أن يشترى سلاحا من الغرب ليرضى به الضباط ويتغلب على موجة التذمر ، ولكن الدول الغربية لم تستجب إلى طلباته بالنسبة للأسلحة إستجابة مرضية ، ولذلك قرر إرسال بعثات عسكرية إلى كافة دول العالم وشكل بضع وفود ، وفد يسافر إلى أمريكا وآخر إلى الشرق الأقصى وآخر إلى أوروبا ورابع إلى الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية الأخرى .

وكان بين أعضاء الوفد الذى سافر إلى الاتحاد السوفيتى الأستاذ أحمد فؤاد وهو الصديق القديم لجمال عبد الناصر الذى كان يطبع المنشورات ويوزعها قبل قيام الحركة ، وكان معروفا أنه من أبرز أعضاء المنظمة الشيوعية المعروفة باسم « حدتو » .

لقد كان أحمد فؤاد هذا سكرتير الوفد الذى سافر إلى الاتحاد السوفيتى ، وقد لوحظ أن أحمد فؤاد أثناء وجود الوفد فى موسكو غادر العاصمة الروسية وسافر فجأة إلى القاهرة حيث اجتمع بعبد الناصر اجتماعا طويلا ثم عاد إلى موسكو بسرعة فائقة بعد يوم واحد من وصوله إلى القاهرة .

وبعد ذلك ببضعة أسابيع أى خلال شهر سبتمبر سنة ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر عن عقد أول صفقة لشراء الأسلحة من الاتحاد السوفيتى ... وجاء نبأ اتمام هذه الصفقة

كقنبلة أمريكا الذرية التى ألقتها على هيروشيما إذ أنها أحدثت فى العالم أجمع ضجة هائلة .

وفجأة برز اسم عبد الناصر وأصبح معروفاً فى العالم أجمع وأخذت الصحف فى العالم تتحدث عن عبد الناصر وعن صفقة الأسلحة .

وكان رد الفعل فى الدول العربية مذهلا إذ أن هذه الدول قد نسيت كل ما قام به عبد الناصر من أعمال إرهابية وقتل ووأد حرية الصحافة ومذبحة الاخوان المسلمين وعزل نجيب ، نسيت الشعوب العربية كل هذه الأهوال وفجأة وفى لمح البصر أصبح عبد الناصر زعيما شعبيا فى جميع الدول العربية .

وقد يعجب بعض الناس لهذا التطور المفاجىء فى مشاعر الدول العربية ولكن المتفهم لعقلية الشعوب العربية والذى عاش فى هذه الدول واختلط بأهلها يجد ألا مجال للعجب ، ذلك لأن المرارة بل الحقد الذى كان يملأ نفوس الشعوب العربية ضد الغرب كان كفيلا بأن يرتفع بأى شخص ذى مركز رسمى يعلن التمرد على الغرب إلى منزلة الزعامة الكبرى بل إلى مركز أقرب من الأنبياء منه إلى سائر البشر . فالاستعمار الغربى الذى طال قيامه فى جميع أرجاء الدول العربية وكفاح هذه الشعوب للتخلص من هذا الاستعمار والمعارك الدموية التى صاحبت مراحل هذا الكفاح قد تركت الشعوب العربية والنقمة تملأ القلوب على الغرب والاستعمار الغربى .

ثم جاء خلق اسرائيل والدور الذى لعبته كل من أمريكا وانجلترا فى خلقها وتدعيم مركزها والمليون عربى الذين طردوا من ديارهم ليتشردوا دون مال أو مأوى أو عمل ، والمساعدات الأمريكية المتلاحقة لتمكين قيام دولة اسرائيل ، وإصرار الغرب على عدم تسليح الدول العربية تسليحا كافيا للوقوف فى وجه اسرائيل ، كانت كل هذه العناصر وغيرها من العوامل الرئيسية التى جعلت الشعوب العربية تتمنى اليوم الذى يستطيع فيه أحد زعماء العرب أن يقول للغرب : « إننى فى غنى عنك » فإذا ما جاء أحد حكام العرب ولم يكتف بأن يقول للغرب : « أنا فى غنى عنك » فقط ، بل مد يده إلى الشرق عدو الغرب وعقد معه صفقة ضخمة ، لا صفقة تجارية بل صفقة شراء أسلحة وأية أسلحة ، طائرات نفاثة ودبابات ستالين ومدافع ميدان ثقيلة ، بل وأكثر من ذلك أسطول بحرى ،

بل أكثر من كل ذلك غواصات ... نعم غواصات ... إذا قام حاكم عربى وحقق كل ذلك فإنه ولا شك واصل إلى تبوء أكبر مكانة لدى الشعوب العربية .

إن صفقة الأسلحة فى الحقيقة كانت بمثابة العصا السحرية التى مست قلوب الشعوب العربية فحولتها بسرعة فائقة إلى حب وتقدير بل تقديس لشخص جمال عبد الناصر .

إن الشعوب العربية التى عاشت عشرات السنين تشعر بمذلة الاحتلال وبمذلة الاستعمار وبمذلة هزيمتها فى حرب فلسطين وبمذلة تشريد اللاجئين ، والتى ظلت تشعر بمذلة استخفاف الغرب بمطالبهم وحقوقهم بل حتى بوحدتهم ، قد جاء عمل عبد الناصر ــ إذ عقد صفقة الأسلحة ــ بمثابة العصا السحرية التى غيرت كل المشاعر وقلبت الأوضاع رأساً على عقب ، لقد رأوا فجرا جديدا يبشر بأن آن الأوان للعرب أن يثبتوا وجودهم وأن يحتلوا مكانهم بين دول العالم .

ولقد كان انقلابا جبارا فى مشاعر الشعوب العربية ، إنقلابا لم يكن يتوقعه أحد حتى جمال عبد الناصر نفسه لم يكن يتصور أن عقد صفقة الأسلحة مع روسيا ستحقق له كل هذه المكانة .

وهكذا بدأ عبد الناصر يكتشف الطريق الذى يحقق له أحلامه فى السيطرة على الدول العربية ، بدأ يعرف كيف يسير ليصل وليمكّن زعامته على الشعوب العربية ، وقد كانت الطريق بالنسبة له سهلاً ؛ فقد مهد له الغرب تدريجا إذ لم يستطع فهم نفسية الشعوب العربية والعقد التى تكونت على مر الدهر نتيجة أخطاء السياسية الغربية . فقد أخذت الصحافة الغربية تدريجاً تهاجم عبد الناصر وتهاجم صفقة الأسلحة الروسية التى اشتراها وكانت لا تعرف أن كل هجوم توجهه لعبد الناصر فى هذا الميدان إنما هو بمثابة تعليق وسام جديد على صدره ، وبدأ عبد الناصر ينشط وبدأت دعايته تنشط فى الرد على هذه الهجمات وكلما نشطت دعايته وجدت آذاناً مفتوحة لدى العرب وإقبالاً عليه .

وهكذا بدأ عبد الناصر يكتشف الطريق الذى يحقق له أحلامه فى السيطرة على الدول العربية ، بدأ يعرف كيف يسير ليصل وليمكّن زعامته على الشعوب العربية ،

وقد كانت الطريق بالنسبة له سهلا ؛ فقد مهد له الغرب تدريجيا إذ لم يستطع فهم نفسية الشعوب العربية والعقد التى تكونت على مر الدهر نتيجة أخطاء السياسية الغربية . فقد أخذت الصحافة الغربية تدريجيا تهاجم عبد الناصر وتهاجم صفقة الأسلحة الروسية التى اشتراها وكانت لا تعرف أن كل هجوم توجهه لعبد الناصر فى هذا الميدان إنما هو بمثابة تعليق وسام جديد على صدره ، وبدأ عبد الناصر ينشط وبدأت دعايته تنشط فى الرد على هذه الهجمات وكلما نشطت دعايته وجدت آذانا مفتوحة لدى العرب وإقبالا عليه .

لقد كانت الأسلحة الروسية نقطة تحول حاسمة فى سياسة عبد الناصر فقد أوضحت له معنى لم يكن يعرفه من قبل ، ورسمت له الطريق نحو زعامة لم يصل إليها أى زعيم عربى من قبل ، لقد أوضحت له معنى : وهو أن مشاعر العرب يمكن إثارتها وكسبها عن طريق مناهضة الغرب والوقوف فى وجهه والعمل المستمر الدائب على إظهار هذه الاتجاهات إظهاراً واضحاً جلياً للشعوب العربية ، ورسمت له الطريق الذى يسلكه : ألا وهو زيادة العمل على تقوية الجيش المصرى بزيادة شراء الأسلحة ومهاجمة الغرب من كل مكان والتآمر ضده فى كل مناسبة يستطيع بها إحاكة المؤامرات .

وأفقدت صفقة الأسلحة صواب أمريكا التى كانت قد سبقت وتعهدت بالاشتراك مع انجلترا فى تقديم قرض مالى كبير لتمويل السد العالى ، فأرسلت وكيل وزارة الخارجية الأمريكية إلى مصر لمقابلة عبد الناصر ، وكان ذلك العمل وحده كفيلا بإقامة دعاية جديدة لعبد الناصر . إذ أن الدول الكبرى لم تكن فى الماضى لتهتم فى أية مناسبة من المناسبات وتكلف نفسها مشقة إرسال رسول خاص يحتل مركزاً كبيراً إلى دولة من الدول العربية ، فإذا بالشعوب العربية ترى أمريكا تفزع وترسل لعبد الناصر وكيل وزارة الخارجية ، ولم يكتف عبد الناصر بهذا النصر بل رأى فى إرسال أمريكا وكيل خارجيتها إليه فرصة جديدة ليثبت للعرب مدى قوته ومدى عدم مبالاته بأى كبير حتى ولو كان يمثل الولايات المتحدة نفسها . أهمل عبد الناصر إستقبال مبعوث أمريكا فى المطار وأظهر كل أنواع الاستخفاف بوجوده حتى إذا ما حضر إلى مكتب عبد الناصر ليقابله تركه فى غرفة الانتظار مدة طويلة .

ولم يخف عبد الناصر على الناس كل هذه الاهانات التى ألحقها بمبعوث أكبر دولة فى المعسكر الغربى بل ترك الصحف تنشرها وانتهز أقرب فرصة ليعلن على العالم العربى أنه هدد سفير أمريكا بأنه سيطرد وكيل الخارجية إذا حاول أن يعترض أو يحتج على عقده صفقة الأسلحة .

وقد أثارت هذه الكلمات مشاعر الشعوب العربية وجعلتها تزداد تعلقاً واعتزازاً وإكباراً لعبد الناصر .

تأميم القناة والاعتداء الثلاثي

وفجأة فى ١٨ من يوليه سنة ١٩٥٦ يعلن المستر دالس انه قد سحب عرض القرض الأمريكى لبناء السد العالى .

وفجأة فى ٢٦ من يوليه سنة ١٩٥٦ يعلن عبد الناصر فى خطاب طويل وهو يضحك ويقهقه من تصرف المستر دالس أنه أمم شركة قناة السويس .

وتقوم الدنيا ويصبح العالم مرة أخرى ولا حديث له إلا عن عبد الناصر وتأميم القناة ومرة أخرى يطيش صواب الغرب فيعقد الاجتماعات ويطير دلاس إلى أوروبا وتتكون جمعيات بأسماء مختلفة آخرها جمعية المنتفعين بالقناة ، كل ذلك يدور فى عواصم أوروبا وعبد الناصر يشحن الشعور العربى بشحنات متوالية من الحماسة والاستعداد للفداء والتضحية .

ويرتكب الغرب حماقة جديدة فسحب الملاحين من شركة القناة فيقوم عبد الناصر بسرعة كبيرة بسد العجز وجلب ملاحين يحلون محل من سحبتهم دول الغرب .

وتحرجت الأمور وتعقدت بين مصر والمعسكر الغربى وباتت الأحوال تنبىء عن أحداث خطيرة .

وفجأة عرف العالم يوم ٢٩ من أكتوبر أن القوات الاسرائيلية قد بدأت زحفها على سيناء ثم تبع ذلك فى يوم ٣٠ من أكتوبر الانذار الانجليزى الفرنسى ثم اعتداء الدولتين على مصر ولا أعتقد أنه كان بإمكان الغرب الاقدام على عمل أكثر اجراما من هذا

العمل ، فلقد كان الهجوم الثلاثى على مصر أبشع عمل بل أكبر خطأ ارتكبته كل من انجلترا وفرنسا ، وزاد من بشاعته اقترانه أو بتعبير أدق تحالفه مع اسرائيل . لقد كان هذا الخطأ الفاحش كفيلا وحده بأن يرفع من قدر عبد الناصر لدى الشعوب العربية إلى مرتبة لم يكن يتصورها أحد .

وكان من حسن حظ عبد الناصر أن تدخلت الظروف الدولية فأوقفت الاعتداء على مصر وانتهز هو هذه الفرصة وحشد كل دعايته ليرسخ فى أذهان العرب أن الاعتداءات قد توقفت لا نتيجة لتدخل أمريكا والاتحاد السوفياتى وإنما توقفت نتيجة انتصار قواته على القوات الفرنسية والبريطانية ، وقد استغل فى ذلك فورة الشعب بالاشمئزاز من هذه الاعتداءات .

ولم يكن لكل من انجلترا أو فرنسا أية حجة لتبرير هذه الاعتداءات لدى الشعوب العربية بل إن وسائل دعايتها خصوصاً الانجليزية كانت مهلهلة ممزقة . فالاذاعة البريطانية كانت تعرض رأى المعارضة الانجليزية إلى جوار رأى الحكومة مما يضعف موقف الحكومة لدى المستمع العربى إن كان هناك فى ذلك الحين مستمع لها .

وقد استطاع عبد الناصر أن يستغل مقاومة أهل بورسعيد استغلالاً هائلاً وكان يحرص على أن يصور أن هذه المقاومة قد اشترك فيها الجيش مع أن الثابت أن هذه المقاومة قد قامت على أكتاف أهل بورسعيد أنفسهم وأنها كانت فعلاً مقاومة باسلة .

وعلى كل حال فقد كان الاعتداء الثلاثى على مصر من نقط التحول فى تاريخ حياة عبد الناصر إذ أن هذا الاعتداء بالصورة التى وقع بها ــ أى بتحالف انجلترا وفرنسا مع إسرائيل ــ قد أفقد الغرب البقية الباقية له من أمل فى هذه المنطقة ، ولكى يستطيع القارىء أن يدرك مدى تأثير هذا الهجوم على مشاعر الناس نقول أن جميع الهيئات والأفراد الذين كانوا على خلاف شديد مع عبد الناصر قد نسوا فى غمرة هذا الهجوم كل هذه الخلافات وتمنى الكثيرون ممن كانوا فى الخارج لو استطاعوا العودة للمساهمة فى الدفاع عن الوطن ، كما أن النتيجة التى انتهت بها هذه الاعتداءات وتوقفت قد مكنت لعبد الناصر من فرض دعايته فرضاً مطلقاً على كل العرب بل غير العرب من دول أفريقيا وآسيا .

أحب أن يدرك القارىء أنى ما قصدت فى هذا الفصل أن أؤرخ تأريخا أو أن أسلسل ما حدث فى منطقة الشرق الأوسط العربى فى فترة من الزمن بل قصدت من ذلك أن أوضح اتجاهات عبد الناصر السياسية وأوضح حقيقتها وكيف أنها تطورت من إيمان بأن الحياد غير ممكن وأن مصلحة مصر مرتبطة بالاتفاق مع الغرب إلى شعور متدفق بالعداوة إلى الغرب . وقد قصدت أن أوضح أن جمال عبد الناصر إذ كان يؤمن بادىء ذى بدء بالاتفاق مع الغرب إنما كان يرمى من وراء ذلك إلى تمكين حكمه وتقوية مركزه فلما شعر بأن الغرب لا يمكنه تمكينا قويا من ذلك وأنه لم يعترف به وحده كزعيم للدول العربية بدأ يتحول عنه إلى الحياد ومنه إلى مصادقة الكتلة الشرقية .

السعى إلى الزعامة

جمال عبد الناصر ليس له مبادىء سياسية فى الميدان الدولى وإنما هو يتخذ الطريق الذى يؤكد زعامته ويقوى مركزه فى البلاد العربية ، فلو أن الغرب فهم هذه الحقيقة منذ تفرد عبد الناصر بالسلطات فى مصر وعامله على أنه زعيم الدول العربية لاستطاع أن يكسبه إلى صفه وأن يجعل منه صديقا بدل أن يكون عدوا ، ولكن الغرب لم يفهم ذلك فكانت النتيجة تطور عبد الناصر على النحو الذى رأيناه .

وإذا كان الغرب لم يدرك ولم يفهم نفسية عبد الناصر تمام الفهم فإن الاتحاد السوفياتى قد فهم عقلية ونفسية عبد الناصر تمام الفهم ، والتقطه فى الوقت المناسب وبذلك فتحت روسيا لنفسها آفاقا واسعة فى الشرق الأوسط وخصوصا العربى منه .

ماذا دفعت روسيا ثمنا لذلك ؟؟ ...

إنه لسؤال ضخم ولكن الاجابة عليه سهلة ، دفعت ثمنا تافها بل بتعبير أصح لم تدفع أى ثمن ، فالأسلحة التى باعتها لمصر ثم باعت مثلها بعد ذلك لسوريا ليست بالأمر الهام بالنسبة للانتاج السوفياتى بل على العكس ، فإن بيعها قد خلصها من أسلحة ليست هى فى حاجة إليها وقبضت مقابل ذلك ماديا امتيازات ضخمة على محصول القطن فى كل من مصر وسوريا ، وفوائد أخرى لا حصر لها ، ودفعت روسيا أيضا لهذه الفوائد بعض

التصريحات التى أصدرتها فى بضع مناسبات لم تكلفها شيئا ولكنها فتحت أمامها الطريق فى الدول العربية وفتحت لها ميدانا كان حتى ذلك الوقت مغلقا أمامها ، بل أكثر من ذلك فتحت لها جبهة الحرب الباردة ضد الغرب .

إن الحديث عن المكاسب والأرباح التى حققتها روسيا من وراء صفقة الأسلحة مع مصر لا يمكن حصرها وهى مكاسب وأرباح ما كانت روسيا تطمع فى تحقيقها مقابل هذا الثمن البخس .

إن عبد الناصر ليس شيوعيا ولكن صفقة الأسلحة قد فتحت أمامه آفاقا واسعة وصداقة مع الاتحاد السوفياتى قد جعلت منه الزعيم الشعبى فى جميع الدول العربية ، وجعلت منه شخصية دولية تقترن بأكبر زعماء العالم بل إن مجلة « تايم » الأمريكية قد اختارته كشخصية العام سنة ١٩٥٦ . كما أن خروتشوف قد استقبله فى الكرملين ونادى به زعيما للدول العربية بل اشترط فى إحدى المناسبات حضور عبد الناصر لأحد اجتماعات الأقطاب التى اقترحها ، كل هذه وغير هذه من المكاسب الشخصية التى حققها عبد الناصر عن طريق الكتلة الشرقية قد جعلته يتغاضى عن فتح الباب أمام الاتحاد السوفياتى فى الشرق العربى .

إن عبد الناصر شخص يريد تعزيز مطامعه الشخصية ومن يفتح أمامه الطريق إلى ذلك يجاريه وييسر له السبل ، وقد فهم قادة روسيا هذه الحقيقة تمام الفهم واستغلوها على أوسع نطاق .

وفى اعتقادى أن جمال عبد الناصر لو كان فعلا شيوعيا لما استطاع أن يحقق للاتحاد السوفياتى وللشيوعية الأرباح والمكاسب التى حققها ، ذلك لأنه لو كان شيوعيا وعرف عنه ذلك لما صدق الناس دعايته ضد الغرب بالصورة التى تمت إذ أن الشعوب العربية كانت ستأخذ كلامه بحرص شديد على اعتبار أنه عميل لروسيا .

إن الاتحاد السوفياتى ، وقد كانت منطقة الشرق العربى مغلقة تماما فى وجهه ، كان يحتاج ليتسرب إلى هذه المنطقة إلى زعيم ليس معروفا عنه انه شيوعى وقد وجدت هذا فى شخص عبد الناصر ، وكان من حسن حظها أن تجده فى شخص من يحكم مصر بالذات ،

ذلك لأن مصر منذ أجيال تتمتع بمركز ممتاز بالنسبة للدول العربية ، فمصر بصحافتها وجامعاتها وتعداد سكانها ومدنها الضخمة وفنانيها وإنتاجها السينمائى وإذاعاتها تحتل مركز الصدارة فى الدول العربية ، ومن هنا كان كسب الشيوعية عظيما إذ اتخذت من عبد الناصر وسيلتها فى التسرب إلى العرب .

لقد وجدت روسيا فى جمال عبد الناصر الرجل الذى يشن حربا لا هوادة فيها ضد كل مصالح الغرب ، لا فى مصر فحسب ، ولا فى الدول العربية فقط ، بل فى جميع دول الشرق الأوسط وفى دول أفريقيا ، لقد كرس جمال عبد الناصر كل وقته فى شن الحملات الواحدة تلو الأخرى ضد الانجليز ، فى عدن وفى الخليج الفارسى وفى المستعمرات البريطانية الأفريقية ، وكذلك شن الحملات ضد فرنسا فى الجزائر واحتضن عبد الناصر قوات المقاومة الشعبية الجزائرية وشجع هذه القوات على تكوين حكومة لها فى القاهرة ، كما أخذ يحرض تونس ومراكش على التخلى عن الصداقة بينها وبين فرنسا ، وامتدت الاذاعات إلى كل مكان فى افريقيا وتنوعت هذه الاذاعات فأصبحت محطات إذاعة القاهرة تذيع بأكثر من عشرين لهجة أفريقية اذاعات منظمة ومستمرة وقوية وفعالة .

أما الحملات ضد حلف بغداد فقد نشطت نشاطا غير عادى وأصبحت البرامج اليومية فى إذاعة صوت العرب لا تخلو يوما من مهاجمة هذا الحلف واتهام نورى السعيد بالخيانة حتى انتهى الحال بانقلاب العراق .

ولم يقف نشاط عبد الناصر عند ذلك بل كاد يسقط الملك حسين عن عرشه ولولا صلابة هذا الملك الشاب وجرأته لما استطاع مقاومة تيار دعاية عبد الناصر الجارف .

كل هذه الأعمال ولا شك تخدم روسيا أجلّ الخدمات وحقيقة أنها تتمشى مع أهداف عبد الناصر ولكن هذا لا يمنع من أنها كلها منافع لروسيا الشيوعية أيضا .

ودخل فى روع عبد الناصر أنه فعلا هزم الانجليز والفرنسيين واقتنع بأمر هام وهو أنه مهما غالى فى الهجوم على الغرب وفى تدبير المؤامرات ضده فإن أية دولة من دوله لن تستطيع أن تعاود الهجوم العسكرى ضده لأمر هام وهو أن الرأى العام العالمى لن يقبل مرة أخرى مثل هذا التدخل العسكرى . إن عبد الناصر يدرك هذه الحقيقة الآن تمام

الادراك خصوصا بعد أن نزلت القوات الأمريكية فى لبنان والانجليزية فى الأردن فى صيف ١٩٥٨ ولم تجرؤ على مهاجمة سوريا مع أن الجميع فى الدول العربية كانوا يعتقدون أن القوات الأمريكية لم تنزل لبنان إلا بقصد دخول سوريا .

إن عبد الناصر كان يؤمن أيضا أنه فى حالة ما إذا ساءت العلاقات مع الغرب إلى درجة تهدد بالتدخل المسلح فإن الاتحاد السوفياتى سيهب إلى نصرته ، الأمر الذى يجعل هذا التدخل مستحيلا .

لقد أيقن عبد الناصر أن الهجوم الثلاثى على مصر هو آخر تدخل عسكرى يمكن أن يحدث فى الوقت الحاضر . ولذلك فإنه مسايرة منه لأطماعه فى السيطرة على الدول العربية راح يعمل على كسب ود زعماء هذه الدول وحكامها وشعوبها أيضا . وهو يسلك فى ذلك عشرات السبل ، فمنها دعوة الزعماء وممثلى مختلف الهيئات لزيارة مصر ، ثم الاهتمام بأمرهم أثناء وجودهم وإقامة الحفلات لهم ، وكذلك دعوة الصحفيين العرب وإغراء كل واحد منهم بالأسلوب الناجح معه ، ولقد بذل عبد الناصر بالنسبة للصحافة العربية جهودا كبرى وأنفق أموالا طائلة .

ولم يترك عبد الناصر فرصة إلا واغتنمها ، فالمدرسون الذين يعيرهم إلى كافة الدول العربية يكونون رسل دعاية له ولزعامته ، والملحقون العسكريون فى هذه الدول يتمتعون بسلطات واسعة وتحت أيديهم مخصصات مالية ضخمة ، واهتم بتنظيم شبكة جاسوسية واسعة النطاق فى كثير من الدول وخاصة الدول العربية ، وأرسل مئات الألوف من صوره إلى مختلف أرجاء الدول العربية حيث توزع مجانا .

وليس عمل المدرسين المصريين وكذلك الموظفين المعارين إلى الدول العربية يقتصر على مجرد الدعاية لعبد الناصر بل إن من أهم أعمالهم الاتصال بكافة الهيئات لتنظيم حلقات من الذين يؤمنون بزعامته ويقومون دائما بتغذية هذه الحلقات بالبيانات والكتب وتزيد مهمة الملحقين العسكريين على ذلك فى تدبير المؤامرات ضد الأشخاص أو الهيئات أو حتى الحكومات التى لا توافق على زعامة عبد الناصر ... وسلطات الملحقين العسكريين فى ذلك لا حد لها ، ولعل القارىء يذكر أن الكثير من الدول العربية قد طرد

الملحقين العسكريين المصريين من بلادهم نتيجة الأعمال غير المشروعة التى ضبطوا يقومون بها .

وعبد الناصر ممن يؤمنون بأن الغاية تبرر الواسطة ، وغايته هو امتلاك الدول العربية جميعها واخضاعها لحكمه ، ولذلك فمن لم تفلح كل هذه الوسائل معه فإن هناك وسائل أخرى سرية تتبع ، وليس ما أعلنه الرئيس بورقيبة رئيس جمهورية تونس عن المؤامرة التى حيكت لاغتياله والتى ضبط فيها شاب كان بالجيش المصرى إلا مثلا من أمثلة هذه الوسائل .

واستفادت روسيا

وبطبيعة الحال كل هذه الأعمال وكل هذه الدعاية الواسعة القوية الجبارة كانت تستفيد منها روسيا لأن مصالحها فى هذه المنطقة قد اتفقت مع ما يظنه عبد الناصر مصلحته ، وأن روسيا لم تكن لتستطيع أن تقوم بهذه الأعمال وحدها وكذلك ما كانت لتستطيع أن تقوم بهذا حتى لو قام فى أية دولة عربية بما فيها مصر نظام شيوعى ، ذلك لأن العرب سيكونون ــ كما سبق أن قلنا ــ حذرين فى تقبل الدعاية واتهامها بأنها مغرضة لأنها صادرة من حكومة شيوعية .

ولم يكن ذلك كل ما استفادته روسيا ؛ ففى مصر انفتح الباب على مصراعيه أمام كل من يرغب فى زيارة الاتحاد السوفياتى أو الصين الشعبية أو أية دولة من دول الستار الحديدى ، بعد أن كان المصرى الذى يسافر إلى استكهولم مثلا لحضور مؤتمر السلام أو إلى رومانيا لحضور مؤتمر الشبابيعود إلى مصر مرتجفاً ويظل مدة طويلة من الزمن تحت مراقبة البوليس ومحل اشتباه دائم .

لقد افتتح الباب فأصبحت موسكو أقرب إلى القاهرة من لبنان وسارت الوفود والهيئات المصرية على اختلاف ألوانها تسافر كل يوم إلى موسكو وإلى بكين وإلى براغ وصوفيا وغيرها من عواصم الدول الشيوعية . وفى كل دولة من هذه الدول يلقى المصريون ترحيباً حاراً وبرامج قصد منها كسب الشعور والود .

وأصبحت الدعوات من الدول الشيوعية تترى على المصريين بمناسبة وغير

مناسبة ، وبطبيعة الحال فتح هذا المجال أمام الدول الشيوعية لترسل الوفود - الوفد تلو الوفد - إلى مصر وزاد عدد الوافدين على مصر زيادة غريبة ، وأصبح من الطبيعى أن نشاهد كل صباح فى الجرائد المصرية أنباء زيارة الوفود الشيوعية ، حتى رئيس وزراء ألمانيا الشرقية عندما أراد أن يغادر بلاده فى سلسلة من الزيارات وجد مصر أول من يرحب به .

وكان من الطبيعى أن تحذو بعض الدول العربية حذو عبد الناصر فأرسلت الوفود إلى الدول الشيوعية واستقبلت منها وفود .

وكسبت الكتلة الشيوعية إعتراف مصر وبعض الدولالعربية بالصين الشيوعية وتم التبادل السياسى بينها على أعلى درجاته ؛ وأصبحت روسيا عضوا فى المؤتمر الاقتصادى الآسيوى الأفريقى الذى عقد فى القاهرة مع أنها لم تدع من قبل إلى مؤتمر باندونغ .

يضاف إلى كل ذلك أن الدعاية فى مصر ضد الغرب قد أتاحت للكثيرين من الشيوعيين الفرصة للتسلل إلى الصحافة المصرية يكتبون فيها بحرية تامة عن المبادىء الشيوعية ؛ كما نشطت السفارات الشيوعية فى مصر وسوريا وغيرها من الدول العربية فى إصدار نشرات وعمل دعايات واسعة النطاق فى الوقت الذى تجمد نشاط الدول الغربية تماما فى هذه الدول ... ففرنسا وانجلترا غير ممثلتين فى الغالبية الكبيرى من الدول العربية ، وليس هذا فقط بل أن عبد الناصر قد استصدر سلسلة القوانين تحظر على المصريين الاتصال بالهيئات الديبلوماسية إلا باذن سابق من وزارة الداخلية ؛ وبطبيعة الحال استهدفت هذه القوانين السفارات الغربية وفى مقدمتها سفارة الولايات المتحدة ، فضلا عن أن المصريين قد أصبحوا يخشون الاتصال بأية سفارة غربية خشية أن يهتموا بالتآمر ضد نظام الحكم .

وانتهزت الدول الشيوعية هذه الفرص الذهبية فنظمت وسائل دعايتها على أسلوب مقبول من الشعوب وفى نفس الوقت ليس فاقع الاحمرار ، فأخذت تقيم المعارض الضخمة ، المعرض تلو الآخر فما من دولة شيوعية إلا وأقامت معرضا جبارا لها فى القاهرة واشتركت فى معرض دمشق الدولى ، وتفتتح هذه المعارض دائما بضجة كبرى

إذ تطلق الالعاب النارية على النيل وتنشر للدول صاحبة المعرض صفحات كاملة من الاعلانات فى الصحف المصرية بل وفى الصحف العربية الاخرى داعية الشعوب لزيارة معرضها ، ثم يفتتح عبد الناصر هذه المعارض ، وتقام حفلات كثيرة بمناسبة المعرض حتى إذا انتهت مدته أعلنت الدولة أنها قررت التبرع بكل ما يحويه المعرض للحكومة المصرية .

وإلى جوار المعارض وفدت فرق الرقص والموسيقى والسرك إلى مصر وبلغ من تفنن بعض هذ الدول فى الدعاية أن تجعل المغنين بالفرقة يحفظون أدواراً عربية حماسية ثم ينشدونها على المسرح ، ما من فرقة كبيرة روسية أو صينية إلا وزارت مصر ولما كانت هذه الفرق مشهود لها فى العالم أجمع بالبراعة فقد استحوذت على إعجاب المصريين .

وأصبح من الطبيعى أن نجد الافلام الروسية تعرض فى دور السينما المصرية .

ولعل أعظم دعاية قامت بها لدول الشيوعية فى مصر وبعض الدول العربية هى إرسال فرق الرياضة إليها وعلى الخصوص فرق كرة القدم ذلك لأن الشعوب العربية تهوى الرياضة وخصوصاً كرة القدم هواية عظمى .

وكثر تبادل المعاهدات بين مصر والدول الشيوعية . فمن معاهدات تجارية إلى معاهدات ثقافية إلى تبادل فى الفنون .

وامتد النطاق إلى أوسع من ذلك فمدت كثير من الدول الشيوعية مصر بقروض ومساعدات اقتصادية إنتهت بمشروع الخمس سنوات الذى تعهدت روسيا بمساعدته ، وإلى تعهد روسيا بالقيام بتنفيذ المرحلة الاولى من مشروع السد العالى .

ولقد كان المصريون يعيشون فى اعتقاد دائم أن الشيوعية ضد الاسلام . فإذا بجمال عبد الناصر يرسل الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الاوقاف فى ذلك الحين إلى الصين فيعود الشيخ الباقورى وهو أستاذ تخرج من الأزهر ، أى تخصص فى العلوم الاسلامية ، وكان حتى القريب عضواً فى جماعة الاخوان المسلمين ، يعود الشيخ الباقورى ليعلن عن طريق الصحف وعن طريق الاذاعة أنه زار المناطق الاسلامية فى الصين فوجد الاسلام هنالك بخير وأن المسلمين يؤدون جميع مشاعر الدين فى حرية تامة .

ويتلقف الشيوعيون المحليون هذا التصريح ويروجون له فى كافة الاقطار العربية وتوزع المنشورات الشيوعية بل تكتب المقالات العلنية فى الصحف العربية تهاجم أمريكا والغرب على اعتبار أنها هى التى روجت فكرة أن الشيوعية ضد الاسلام .

وتهتم روسيا بهذه الناحية اهتماماً بالغاً فتحرص على إرسال الكثيرين من مسلمى روسيا إلى مصر وسوريا .

ويضغط جمال عبد الناصر على الملك سعود ليقبل إنشاء تمثيل دبلوماسى مع الاتحاد السوفياتى ولم يفلح . ولكنه أفلح فى إقناع اليمن باقامة هذا التمثيل ويسافر الامام البدر إلى روسيا وبعد ذلك ينفتح الباب على مصراعيه فى اليمن أمام الاتحاد السوفياتى ، بعد أن ظلت اليمن دولة مغلقة على كل إنسان حتى على العرب أنفسهم ، وأصبحنا نسمع بأن الخبراء الروس يجوبون اليمن بحثاً عن المعادن وغير المعادن ويقيمون هناك منشئات غامضة كما ينشئون ميناء ضخماً فى الحديدة .

ولعل الأهم من كل ذلك إرسال مئات من ضباط الجيش المصرى فى صورة بعثات إلى روسيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها من الدول الشيوعية ، إن مجرد تمرينهم على أيدى ضباط الجيش الاحمر ومشاهدتهم الاسلحة الضخمة الجبارة التى تنتجها روسيا واستمرار إقامتهم فى موسكو أو غير موسكو من الدول الشيوعية سنوات كان محل رضاء من قادة الشيوعية أملا فى التأثير على شباب الجيش المصرى واقناعهم باعتناق الشيوعية .

وإذا ما وضعنا نصب أعيننا أن هؤلاء الضباط هم الذين سيكونون عماد الجيش المصرى فى خلال بضع سنوات وتذكرنا إن مصر تُحكم بواسطة الجيش إستطعنا أن نتصور فرحة الدول الشيوعية بهذه البعثات .

وإذا أضفنا إلى كل ذلك ما سبق الاشارة إليه من وسائل مختلفة للدعاية للدول الشيوعية وكذلك انفراد يد روسيا فى إقامة مصانع مشروع الخمس سنوات وبناء ميناء الاسكندرية وتنفيذ مشروع السد العالى بأسوان ، وما يستلزم ذلك من خبراء وفنيين واختلاطهم بجميع افراد الشعب خصوصا طبقة العمال لاستطعنا أن نتصور مدى المكاسب التى حققتها روسيا عن طريق صفقة الاسلحة وعن طريق اجتذاب عبد الناصر إلى حظيرتها .

البطش بالشيوعيين المصريين

وإذا عدنا إلى عبد الناصر مرة أخرى لنراقب تصرفاته السياسية كى نستطيع دراسة ميوله نجده عاد فى الجزء الأخير من عام ١٩٥٨ وأوائل عام ١٩٥٩ وبدأ يدير وجهه عن الشيوعيين ، بدأ بعمليات قبض واسعة فى مصر ثم خطب فى بورسعيد فندد لأول مرة بالشيوعيين فى الدول العربية واتهمهم بأنهم اعوان اسرائيل ، بل أكثر من ذلك اتهم الشيوعيين بأنهم يتعاونون مع الانجليز فى العراق أو العكس إتهم الانجليز بالتعاون مع الشيوعيين فى العراق لابعادها عن الحظيرة العربية .

إن هذه الخطبة التى ألقاها فى بور سعيد لتعتبر ولا شك نقطة جديدة فى التحول الناصرى ، ذلك لأن عبد الناصر منذ عقد صفقة الاسلحة لم يدل بأى تصريح فيه هجوم على الشيوعيين سواء فى مصر أو خارج مصر . حقيقة أن حكومته من آن لآخر ، كانت تعتقل بعض الافراد بتهمة الشيوعية وتحاكمهم فى هدوء دون جلبة أو ضجة ، ولكن عبد الناصر فى هذه المرة لم يكتف بمجرد الإعتقال بل خطب واتهم الشيوعيين بأنهم أعوان اسرائيل ويتآمرون مع دولة غربية وأنهم يدبرون انقلابات ، وفجأة بدأت الصحافة المصرية تندد بالشيوعية والشيوعيين فى الدول العربية وتحمل عليهم حملات عنيفة كما كانت تحمل من قبل على من أسمتهم أعوان الاستعمار الغربى . فما سر هذا التطور الخطير ؟

فى اعتقادى أن السر فى هذا التحول الناصرى يرجع إلى أكثر من عام أى إلى ما قبل توقيع الوحدة بين مصر وسوريا تلك الوحدة التى انتهت بخلق الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر ، ذلك لأن الفترة التى سبقت هذه الوحدة قد اتسمت باضطراب بالغ فى الادارة الحكومية فى سوريا . فمن ناحية عاد الجيش السورى للسيطرة على شؤن البلاد عن طريق رئيس مكتب المخابرات الضابط عبد الحميد السراج وأصبح رئيس الحكومة آلة فى يد الجيش ، وفى نفس الوقت قوى نفوذ حزب البعث الاشتراكى الذى يرأسه السيد أكرم الحورانى وهو شاب نشط وذكى ويلقى تأييداً كاملاً من عبد الحميد السراج ، ولكن كان بالوزارة المليونير خالد العظم الذى طالما تمنى الوصول إلى رئاسة الجمهورية والذى بذل فى سبيل السعى لتحقيق هذه الأمنية أموالا

طائلة ولكنه رغم ذلك لم يصل إليها ، وعلى الرغم من ثرائه الفاحش فقد رأى أن يتجه اتجاهاً شيوعياً فسافر فى نهاية عام ١٩٥٨ فى رحلة غامضة إلى أوروبا إنتهت بظهوره فجأة فى موسكو ، حيث أقيمت له استقبالات ضخمة وانتهت زيارته باتفاقية تقضى بأن تمد روسيا الجمهورية السورية بمبالغ ضخمة من المال فى صورة قرض طويل المدى بفائدة ضئيلة يخصص لتصنيع سوريا .

وعاد خالد العظم الوزير السورى عقب هذه الاتفاقية إلى دمشق منتصراً مظفراً ، وفى هذه الاثناء بدت بوادر غامضة إنتهت بتعيين الضابط عفيف البزرى قائداً عاماً للجيش السورى ، وكان معروفاً أن البزرى له ميول شيوعية .

واضطربت الامور فى سوريا وقتئذ إضطراباً خطيراً وأصبح ما يدور داخلها مرتبكا فوضويا . فقيل أنها ستتحول فى القريب العاجل إلى دولة شيوعية . وتحدثت الصحافة العالمية عن عدد الخبراء الروس الذين وصلوا إلى سوريا سواء لتدريب الضباط السوريين على الاسلحة التشيكية والروسية أو لدراسة أحوال البلاد تمهيداً لتصنيعها ، وتحدثت أيضا فى إبهام عن الشحنات التى تصل سراً إلى ميناء اللاذقية السورى من الدول الشيوعية .

تمزقت سوريا فى ذلك الحين ، وكان أكرم الحورانى قد وصل إلى رئاسة مجلس النواب وظهر خالد بكداش زعيم شيوعيى سوريا وعضو مجلس النواب على المسرح السياسى قوياً جباراً ، ونشط مكتب المخابرات الذى يرأسه عبد الحميد السراج وتمزق الحزب الوطنى الذى يرأسه السيد صبرى العسلى وانشق عليه كثيرون من قادة الحزب واتهموه وهو رئيس الوزارة بأنه أصبح ألعوبة فى يد السراج من ناحية وفى يد عفيف البزرى قائد الجيش من ناحية أخرى ، وفى هذه الاثناء أخذ خالد العظم وزير الدولة ووزير الدفاع يقوى مركزه عن طريق أنصاره الشيوعيين ، وبين كل هذه الفوضى كان رئيس الجمهورية السيد/ شكرى القوتلى حائراً لا يعرف ماذا يفعل ، ليس فى يده سلطات ولا يملك قوة يستطيع بها التخلص من كل هذه الاضطرابات التى تعصف بسوريا عصفاً شديداً ، وتمزق كيانها تمزيقاً عنيفاً .

فى هذه الاثناء ضاعت معايير الامور وأصبح كل صاحب نفوذ يحاول أن يفرض من سلطانه ما شاء وأصبحت قرارات الحكومة لا تنفذ ، حتى القرارات التى يوقعها رئيس الجمهورية لا قيمة لها ، ووسط هذ الدوامة العنيفة من الاضطرابات والانقسامات وضياع السلطات والتنازع المرير على القوى والنفوذ ، والفتن والمكائد ، رأى شكرى القوتلى رئيس الجمهورية ، وكذلك الحورانى والسراج ، ألا مخرج لسوريا من كل هذه الاضطرابات إلا بإقامة نوع من الاتحاد مع مصر .

وبدأت زيارات كبار رجال سوريا تتوالى على القاهرة ، وأصبحت المزايدات بين السوريين ترتفع فى تقديم سوريا إلى جمال عبد الناصر وانتهت المباحثات إلى اتفاق سريع يقضى بضم سوريا ضماً كاملا إلى مصر واندمجت الدولتان فى دولة واحدة أطلق عليها اسم الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد لقيت الوحدة بين مصر وسوريا أكبر النجاح فى سوريا ذلك لأن الشعب السورى هو أكثر الشعوب العربية إيماناً وتحمساً لها ، ولأنه كان قد سئم الاضطرابات الداخلية والانقسامات وعودة نفوذ الجيش فى السيطرة على الادارة الحكومية . لقد كانت هذه السنوات من حياة الشعب السورى بما اتسمت به من فوضى ومؤامرات واغتيالات ومحاكمات وتنازع مرير على الحكم ، سنوات دفع الشعب السورى خلالها ثمنا باهظاً من أعصابه وماله ، ولذلك فإن إعلان الوحدة جاء بمثابة الأمل ، أكبر الأمل ، فى التخلص من هذه الفوضى ، فضلا عن أن الوحدة بين الدول العربية هى من أهم أهداف الشعب السورى فما بالك والوحدة تتم مع مصر التى يرأسها جمال عبد الناصر الذى يمثل فى نظر السوريين فى ذلك الوقت بطل القومية العربية ومحرر العرب ومبعوث العناية الالهية لبعث العزة والقوة العربية .

أحس الشيوعيون بالطعنة التى أصابتهم بها الوحدة وأدركوا أن هذه الوحدة لم تقم إلا على حسابهم وللقضاء على أملهم فى السيطرة على الحكم فى سوريا .

ولم تكد تمضى بضعة أسابيع على قيام هذه الوحدة حتى بدأ عبد الناصر ضرباته فكان أن انتهز أول فرصة فعزل عفيف البزرى عن قيادة الجيش السورى ، وتتلخص قصة عزله فى أن عفيف البزرى قد صدرت إليه أوامر بتنفيذ قرارات معينة فرأى أن

صدور الأوامر على هذا النحو يمثل اعتداءاً على سلطاته فلما حاول أن يتفاهم مع صبرى العسلى وبعض المسؤولين فى سوريا أخبروه أن الاوامر قد أصدرها الرئيس جمال عبد الناصر ، فسافر إلى القاهرة وطلب مقابلة عبد الناصر ، واستقبله الاخير ، فلما بدأ عفيف البزرى يشكو من الاوامر التى صدرت إليه ، قاطعه عبد الناصر وسأله « كيف حضرت الى القاهرة ؟ ... هل استأذنت فى مغادرة مقر قيادتك دمشق ؟ . هل طلبت من القائد العام للجيش المصرى والسورى عبد الحكيم عامر السماح لك بمغادرة مقر قيادتك والحضور الى مصر ؟ ...

وأسقط فى يد عفيف البزرى واضطرب .. إذ لم يكن يدر فى خلده أن يستأذن عبد الحكيم عامر فى القدوم إلى القاهرة ولم يدر فى خلده أيضاً أن عدم الاستئذان سيكون مجال مناقشة بينه وبين عبد الناصر .

وانتهز عبد الناصر الفرصة وشن حملة عنيفة على تصرف قائد الجيش السورى فى القدوم إلى القاهرة وترك مركز قيادته فى دمشق دون إذن من رئيسه القائد العام للجيش الموحد . وألقى عبد الناصر على البزرى درساً عنيفاً فى واجبات الجندى وما تفرضه هذه الواجبات من التزام قواعد النظام .

وشعر البزرى بالحرج فلوح بالاستقالة من منصبه ، وانتهى الإجتماع دون بت فى أمر هذه الاستقالة ، وخرج عفيف البزرى من مكتب عبد الناصر يجر أذيال الخيبة وعاد إلى فندقه وبعد ساعات وصل إلى الفندق بعض ضباط الجيش المصرى وطلبوا من عفيف البزرى إرتداء الملابس المدنية وخلع الحلة العسكرية وملازمة الفندق ، وفى صباح اليوم التالى ظهر فى الصحافة المصرية نبأ مفاده أن عفيف البزرى قائد الجيش السورى قدم استقالته للرئيس جمال عبد الناصر وأن هذا قبلها .

وظل عفيف البزرى حبيس الفندق بضعة أيام تم فى أثنائها فصل الكثيرين من الضباط من أعوانه فى الجيش السورى ؛ وبعد ذلك صدرت الاوامر بالسماح للبزرى . بالعودة إلى دمشق وصدر نبأ بعد ذلك يقول بتعيينه فى مركز ثانوى.

ولقد كانت هذه أول صدمة يتلقاها الشيوعيون فى سوريا على يد عبد الناصر وتلتها

عمليات أخرى أريد بها الحد من نفوذ الحزب الشيوعى هناك ، حتى جاء اليوم الذى طالب فيه عبد الناصر الاحزاب السورية بحل نفسها ، ذلك لأنه كان قد اشترط عند الاتفاق على الوحدة أن تقوم الاحزاب بحل نفسها ، وصدعت جميع الاحزاب السورية وحلت نفسها إلا الحزب الشيوعى فإن زعيمه خالد بكداش قد غادر سوريا دون أن ينفذ هذا القرار .

واختفى خالد بكداش فترة حتى إذا انعقد المؤتمر الشيوعى العام فى صوفيا عاصمة بلغاريا ظهر بين الحاضرين فى الاجتماع الذى كان يضم رؤساء وفود الاحزاب الشيوعية فى مختلف الدول ، وكان خرتشوف يمثل روسيا فى هذا المؤتمر .

وخطب خالد بكداش فى المؤتمر بحضور خروتشوف وندد بالاجراءات التى تتخذ فى سوريا وخصوصاً بطلب حل الاحزاب وطالب بالحريات العامة وبحياة نيابية وديمقراطية للشعب السورى ، وأذاع راديو صوفيا نص خطاب بكداش .

ومنذ ذلك اليوم عرف بأن الحزب الشيوعى فى سوريا غير راضٍ عن الأوضاع القائمة بعد الاتحاد مع مصر وأنه يعارض هذا الاتحاد .

وأرى أن نستعرض الاوضاع فى الدول العربية فى هذه الحقبة ثم نعود الى موقف عبد الناصر من الشيوعيين .

لم يحقق عبد الناصر للشعب السورى الآمال التى عقدها على الوحدة بل زاد التنازع على النفوذ بين الطوائف المختلفة وأصبح الملق لعبد الناصر هو الأسلوب المؤدى لزيادة النفوذ ، وصاحَب الوحدة عوامل كثيرة أدت إلى الكساد المالى وبدرت بوادر أزمة مالية ، وفرضت قيود صارمة على الصحافة وألغت السلطات الكثير من هذه الصحف بإلزام أصحابها بالتوقيع على إقرار بأنهم موافقون على تعطيلها ، وزاد نفوذ الضابط عبد الحميد السراج زيادة خطيرة كما سيطر حزب البعث على جميع أجهزة الادارة الحكومية وراح يعين المحاسيب والانصار فى كل مركز حكومى بحيث أصبحت جميع المناصب وقفاً على أنصار ومحاسيب حزب البعث واضطربت الاداة الحكومية نتيجة توزيع الاختصاصات بين الحكم فى سوريا والحكم فى مصر ، واضطر عبد الناصر إلى

إرسال ضباط مصريين ليسيطروا على كافة أجهزة وأسلحة الجيش السورى وحدثت احتكاكات بين الضباط المصريين والضباط السوريين نتيجة عجرفة المصريين وادعائهم بأنهم أكثر علما وذكاءاً ، كما أرسل عبد الناصر ضباطاً من المخابرات ليقيموا شبكة واسعة من الجاسوسية فى كافة أرجاء الاقليم السورى وضباطاً من البوليس المصرى ليسيطروا على الأمن هناك . ونتج عن كل ذلك تنافر بين المصريين والسوريين وخيبة أمل لدى الآخرين ، ثم شاعت الشائعات عن العزم على التدخل فى شؤون الاقتصاد مما أشاع الذعر لدى الماليين ، ونتج عن الوحدة أن أقفلت العراق التى كان يحكمها فى ذلك الوقت نورى السعيد باشا حدودها فى وجه التجارة السورية وكذلك أقفلت تركيا الحدود فى وجهها . وقد جاء إقفال العراق الباب فى وجه التجارة السورية ضربة عنيفة لها إذ أن العراق هو أكبر سوق تجارى للمنتجات السورية . وأدت كل هذه الاجراءات مع الشائعات بأن العملة ستوحد بين البلدين وقد كانت العملة المصرية منهارة والسورية لها مركزها فى الاسواق الدولية ، أدت كل هذه الامور إلى خيبة أمل عنيفة لدى السوريين .

وقد حاول عبد الناصر فى هذه الاثناء إرغام الملك حسين على الانضمام إلى جمهوريته التى كان اليمن قد انضم إليها فى صورة اتحاد فدرالى فلم يقبل الملك حسين ذلك ... فحاول أن يسقطه عن عرشه وأن يقيم ثورة فى الاردن عن طريق عملائه وعن طريق الدعاية وعن طريق اتهامه بأنه عميل للغرب ومهادن لاسرائيل . ولكن كل جهود عبد الناصر قد باءت بالفشل فى الاردن وظل الملك حسين متربعاً على عرشه .

رفض زعامة عبد الناصر

وحاول عبد الناصر ضم المملكة العربية السعودية إلى جمهوريته إما باتحاد شامل أو باتحاد فدرالى ، ولكن الملك سعود رفض وقامت الحملات وتبادل الاثنان الاتهامات بتدبير مؤامرات إغتيال وشن عبد الناصر حملة شعواء على الملك سعود بغية القضاء على ملكه ولكنه لم يستطع أن يصل إلى تحقيق ما يريد ، واكتفى بأن عاد الامير فيصل إلى تولى مهام منصبه وهو رئاسة الحكومة السعودية ووزارة الخارجية ، واعتبر تنحى الملك انتصاراً له وان كان الامير فيصل لم يتخذ أية خطوة لتحقيق أطماع عبد الناصر ، بل نادى أكثر من مرة بأنه لن يُدخل المملكة السعودية فى أى اتحاد .

وفشل عبد الناصر أيضا فشلا ذريعا فى السودان وقد وجد فى السيد عبد الله خليل رئيس الوزارة الاسبق خصما عنيدا وعنيفا ، وتطور الامر فى السودان إلى قيام حكم عسكرى فيها يقف موقف الند والتحرر بالنسبة لعبد الناصر .

حتى ليبيا لم يستطع عبد الناصر إقناعها بالانضمام إلى جمهوريته .

وسط هذه الموجة المتلاحقة من الانهزامات التى أصابت عبد الناصر فى تحقيق حلمه فى ضم دول أخرى تحت حكمه شن عبد الناصر حملة دعاية عنيفة ضد الرئيس كميل شمعون وكان ضمن الاتهامات الغريبة التى وجهها لرئيس الجمهورية اللبنانية أنه ديكتاتور يخنق الحريات . وكان هذا اتهاما مضحكا إذ من المعروف أن لبنان هو الدولة العربية الوحيدة التى يتمتع شعبها بحريات تكاد تصل إلى حد الفوضى ، مع ذلك فقد أدت الحملة العنيفة إلى انفجار عنيف فى لبنان . إنفجرت القنابل وسقط القتلى فى الشوارع وتحطمت المتاجر ، وقد كان المعتقد أن ثورة لبنان ستنتهى فى أيام على إجبار كميل شمعون على الاستقالة وانتصار عبد الناصر فى الاستيلاء على الحكم ثم انضمام لبنان إلى الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن شمعون لم يستقل بل قاوم وقاومت إلى جواره هيئات وطوائف رغم وقوف الجيش على الحياد تقريبا .

وشكا لبنان أمره إلى هيئة الامم ثم إلى مجلس الامن . شكا تدخل عبد الناصر والجيش السورى فى إمداد الثوار فى لبنان بالاسلحة والمعدات والمال وجاء فى الاتهامات

أن ضباطاً من الجيش السورى يشتركون فى القتال إلى جوار الثوار اللبنانيين ، وتحرجت الأحوال الدولية تحرجا شديداً وزادت حملة عبد الناصر على الحكومة اللبنانية وناقش مجلس الامن تطور الموقف فى لبنان ، وعلى الرغم من استمرار الثورة فى اندلاعها ومن سيطرة الثوار على كثير من المناطق داخل بيروت وفى بعض المدن الاسلامية إلا أن ذلك لم يؤد إلى نجاح الثورة .

وتطورت الأمور فى الأردن التى كان يهاجمها عبد الناصر أيضا ؛ وانتهت باكتشاف مؤامرة حيكت ضد الملك وقبض على المتآمرين وبينهم أحد رجال حرسه الخاص وكان الملك حسين قد علم بأن رئيس الاركان قد حرض بعض فرق الجيش الاردنى بمهاجمة العاصمة عمان والسيطرة عليها واسقاط الحكم فذهب الملك بنفسه إلى منـزل رئيس الاركان واصطحبه إلى حيث احتشدت الفرق ووقف أمام الجنود والضباط وصاح لقد جئت اليكم فمن يريد أن يقتلنى فها أنا أمامكم وبيد قـوية جـذب قميصه وعـرى صدره ... اقتلوا إذا أردتم وإنى أفضل أن تقتلونى عن أن تهـاجموا عـاصمة وطنكم وتقتلون الابرياء وتصطدم بكم باقى فرق الجيش ويقتل الجنود والضباط زملاء لهم من الجنود والضباط .

وكرر قوله بأنه أمامهم فمن يريد أن يقتله فليفعل وعاد وجذب قميصه ليتعرى صدره .

وبكى بعض الضباط وأقبل الجنود يقبلون يد الملك وانبرى ضباط إلى حيث كان يقبع رئيس الاركان داخل السيارة وأراد أن يصفعه فمنعه الملك .

وبعد ذلك لم يحاكم الملك حسين رئيس الاركان ولم يحبسه ولم يحدد إقامته بل أرسل له تذاكر سفر له ولعائلته ومبلغا من المال وقال له مع الرسول أن يسافر إلى مصر ويقيم بها مادام هو معجب بعبد الناصر .

وفعلا سافر الرجل وأسرته إلى القاهرة ومنحه عبد الناصر مسكنا وسيارة وراتب شهرى .

وبعد بضع سنين وصلنى خبر بأن هذا الضابط فى غاية الضيق وأنه يقول أن التراب

الذى سير عليه الملك حسين أفضل من عيشة المهانة التى يعيشها يأكل وينام ولا يقوم بأى عمل وأنه يتمنى أن يعود إلى وطنه .

أرسلت للملك حسين برسالة أبلغته فيها برغبة الرجل فما كان من الملك [وكانت الأحوال بينه وبين عبد الناصر قد هدأت] إلا أن أرسل تذاكر سفر للضابط وأسرته ليعود إلى عمان .. وبعد عودته عيّنه الملك حسين سفيراً فى إحدى الدول العربية .

وإن كان عبد الناصر لم يستطع أيضاً تحقيق انتصارات فى لبنان أو فى الاردن فإن انقلابا عسكريا انفجر فى العراق ؛ وفى ثورة دموية قتل الملك فيصل وولى العهد الأمير عبد الاله والسيد نورى السعيد ، كما أبيحت دماء مئات من الزعماء والسياسيين والاجانب الذين كانوا موجودين فى بغداد ، وبين عشية وضحاها امتلأت شوارع بغداد بصور عبد الناصر وسارت المظاهرات تجوب الشوارع تهتف لعبد الناصر . وكانت الثورة وحشية اذ كانت تسحل الناس كما قتلت أم الملك التى خرجت تحمل المصحف على رأسها .

فرح عبد الناصر بانقلاب العراق

وتنفس عبد الناصر الصعداء إذ ظن فى نهاية الأمر أنه أحرز نصراً ، وأى نصر ، نصراً فى عاصمة العراق مركز ومحور حلف بغداد ، واعتقد أنه عما قريب سيتربع على حكم العراق ويتحكم فى بترولها ويحطم حلف بغداد الذى طالما حلم بتحطيمه ، وتوافدت الوفود على القاهرة من العراق الى عبد الناصر تهنئه بنجاح الثورة فى العراق ؛ ودارت أحاديث حول الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة .

ومرت أيام وأسابيع ولم تقم الوحدة ولم تأخذ أى شكل من أشكالها ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تطور إلى ظهور تيارين متعارضين فى العراق أحدهما يدعو إلى الوحدة والآخر يعارضه ، وكان من أنصار التيار الأول كما هو معروف الضابط عبد السلام عارف أحد زعيمى الانقلاب يناصره حزب البعث الإشتراكى ، أمّا التيار المعارض للوحدة فيمثله الزعيم الركن عبد الكريم قاسم زعيم الانقلاب أيضا . وحدث فى هذه الاثناء أن

سافر أحد زعماء الأحزاب العراقية السيد كامل الجادرجي إلى القاهرة وبقى فيها بضعة أيام اجتمع خلالها بجمال عبد الناصر وتحدث إليه فى أمر الوحدة وفوجىء الزعيم العراقى بأن عبد الناصر يشترط اشتراطات ثلاثة :

الشرط الأول : إندماج العراق فى الجمهورية العربية المتحدة اندماجا كاملا تحت رياسته .

الشرط الثانى : توحيد قيادة الجيش تحت رياسة عبد الحكيم عامر .

أما الشرط الثالث : فهو حل جميع الأحزاب .

وحاول الزعيم العراقى أن يناقش عبد الناصر فى أن هذه الشروط لا يمكن قبولها مجتمع إن الاندماج الكامل يضع قاسم والجيش تحت رياسة عبد الناصر ، ثم إن اشتراط حل الأحزاب أمر لا يمكن قبوله ولا تنفيذه فى الوقت الحاضر فى العراق لأن الأحزاب فى العراق كانت حرياتها مكبوتة سنين طوالاً وقد كافحت كفاحا مريرا حتى بلغت حرياتها وليس من المعقول أن يطلب منها عندما بدأت تسترد وجودها وحرياتها أن تحل نفسها .

ولم يقتنع عبد الناصر وأصر على رأيه ، وعاد الزعيم العراقى إلى بغداد وقد تغيرت آراءه فى الوحدة تغيرا كاملا .

وفى هذه الإثناء تناقلت الشائعات أن الزعيم عبد الكريم قاسم قد وضع يده على مؤامرات قصد بها الأطاحة بحكمه ؛ وأن هذه المؤامرات تمول وتدبر من الخارج وأن الغرض النهائى لها هو تحقيق الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ، وأراد قاسم أن يواجه هذه الأمور ، فعين زميله فى الانقلاب عبد السلام عارف سفيراً لدى الجمهورية الالمانية الفدرالية المانيا الغربية ، وسافر عبد السلام عارف وودعه قاسم بالمطار ، ولكنه قطع رحلته فى فينا واتجه إلى بروكسل ثم بعد حوالى اسبوعين عاد إلى بغداد وتضاربت الانباء حول عودته ، ثم أعلن فى بغداد أنه قد حوكم بتهمة التآمر على الحكم وصدر ضده الحكم بالإعدام .

فى أثناء الفترة التى سبقت عودة عارف إلى بغداد أعلن الشيوعيون العراقيون أنهم

ضد وحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة ؛ وأخذوا يحاربون علنا كل دعاية تقوم لعبد الناصر فى بغداد ، وتطرفوا فى مطالبهم فنادوا بوجوب سلخ سوريا عن مصر وضمها إلى العراق بحجة أن هذا هو الوضع الطبيعى للوحدة نظرا للحدود المشتركة بين البلدين ولاتفاق المصالح .

وما قصدنا من هذا الاستعراض الطويل للأحداث التى مرت على الدول العربية فى هذه الفترة إلا أن نعطى للقارىء صورة عن الظروف والأسباب التى جعلت عبد الناصر ينقلب فجأة ضد الشيوعيين فى كل من مصر وسوريا والعراق .

خورتشوف : يجب الاستفادة من عبد الناصر

ولكى تكون الصورة أكثر وضوحاً نذكر أن الشيوعيين السوريين قد ظلوا إلى ما قبل قيام الانقلاب فى العراق ملتزمين الصمت . وفى اعتقادى أنه كان هناك رأيان فى المعسكر الشيوعى الدولى ، الرأى الأول : هو رأى خالد بكداش ويرمى إلى أن يسفر الحزب الشيوعى فى سوريا وكذلك الأحزاب الشيوعية الأخرى فى الدول العربية عن موقفها العدائى ضد حكم عبد الناصر ، ورأى آخر : يؤمن به قادة موسكو وعلى رأسهم خورتشوف يرى أنه لا ضرورة لمعاداة عبد الناصر ويجب الاستفادة منه .

ذلك لأن بكداش بعد أن ألقى خطابه العدائى فى المؤتمر الشيوعى العام فى صوفيا لزم الصمت مدة طويلة وحدث بعد ذلك أن أعلنت الصحف أن جمال عبد الناصر قد اعتزم زيارة ايطاليا وأظهرت موسكو ضيقها بأن يزور دولة غربية قبل أن يزور الاتحاد السوفياتى ، وألغى عبد الناصر زيارة ايطاليا وسافر إلى موسكو وقوبل هناك من قادة الكرملين استقبالا حافلا وأعلن خروتشوف وقتئذ أنه يرى فى عبد الناصر بطلا من أبطال السلام ونادى به زعيما على الدول العربية .

وعاد عبد الناصر من موسكو فرحاً مسروراً .

وأخذت روسيا تغدق القروض على مصر فأعلنت عن منحها مصر قرضا جديداً .

ولم يتحدث بكداش طوال هذه المدة إلا عندما زار عبد الناصر الماريشال تيتو فى

صيف سنة ١٩٥٨ . فقد انتقد فى تصريح له هذه الزيارة بقوله : « إن مثل هذه الزيارات لتيتو تحرف جهاد الشعوب العربية عن تيارها الحقيقى» ذلك لأن المارشال تيتو كان قد أعلن منذ زمن استقلال يوغوسلافيا عن زعامة روسيا . وتصادف فى نهاية هذه الزيارة أن نزلت القوات الأمريكية فى لبنان ، والانجليزية فى الأردن ، وحدث انقلاب العراق وخشى عبد الناصر من دخول القوات الغربية إلى سوريا باعتبارها المتهمة من لبنان والأردن بتدبير الثورات . فقطع عبد الناصر رحلته وعاد من يوغوسلافيا وتوجه منها إلى موسكو حيث بقى يوماً واحداً اجتمع أثناءه بخروشوف ثم عاد إلى دمشق .

وهدأت الأحوال فى لبنان والأردن نوعا ، فأرسل الرئيس أيزنهاور أحد وكلاء وزارة الخارجية الأمريكية فى رحلة استطلاعية إلى دول الشرق الأوسط ، ونشرت الصحافة الغربية عقب هذه الزيارة أن عبد الناصر قد شكا إلى وكيل الخارجية الأمريكية من تطور الأحوال فى العراق وأنه بات يخشى عليها من الشيوعية . ونشر الصحفى الأمريكى جوزيف ألسوب سلسلة مقالات من القاهرة بعد زيارة له اجتمع فيها بعبد الناصر أكد هذا المعنى .

وصدرت بعد ذلك منشورات فى سوريا تطالب بانضمام سوريا إلى العراق ، وأحس عبد الناصر بأن الشيوعيين فى سوريا قد بدأوا يسفرون علناً عن عدائهم له ، واتخذ هذا العداء طابعاً عنيفاً من جانب الشيوعيين فى العراق . وأدرك عبد الناصر أنه أمام تعاون وثيق من جانب الأحزاب الشيوعية ، لا للوقوف فقط فى وجه الاتحاد بين العراق وجمهوريته العربية ، بل لسلخ سوريا عن مصر وتحطيم الجمهورية المتحدة ، كما ظهر أن الاتحاد السوفياتى الذى نادى فيه خروتشوف منذ عهد قريب به زعيما للعرب يتصل هو والدول الشيوعية رأسا بالعراق ويتعاملون معها على أوسع نطاق .

أدرك عبد الناصر أن آماله فى السيطرة ومد النفوذ والسلطات قد بدأت تنهار وأن ما حققه من اتحاد بين مصر وسوريا يواجه خطراً عنيفاً من الشيوعيين أصدقائه حتى الأمس القريب .

ومدت روسيا يد الصداقة والمعونة للعراق وبات كل انسان يتوقع أن يصل الشيوعيون إلى السيطرة على الحكم فى العراق فى أية لحظة وبينما الصراع يشتد يوما بعد

يوم بين الشيوعيين وبين القوميين العرب الذين يدعون إلى الاتحاد مع العربية المتحدة ، أرسل عبد الناصر قائد الجيش عبد الحكيم عامر إلى موسكو خلال شهر أكتوبر من سنة ١٩٥٨ وعلى الرغم من أن الأمل قد بدأ يلوح لسادة الاتحاد السوفياتى بقرب السيطرة الشيوعية على الحكم فى العراق وبايجاد قاعدة له فى الشرق العربى فإن الخوف من تطور الأمور وعدم نجاح قيام حكم شيوعى فى العراق دفع خرتشوف إلى بذل كل أنواع الحفاوة لعبد الحكيم عامر وفى حفلة أقامها لتكريمه أعلن « أن الاتحاد السوفياتى قد قرر نظراً للصداقة التى تربطه بالجمهورية العربية المتحدة وحرصاً منه على تقوية اقتصادياتها وتدعيم استقلالها المساهمة فى تمويل وبناء المرحلة الأولى من السد العالى » .

وزادت العلاقات بين عبد الناصر وقاسم سوءا إذ ألقى القبض على زميله فى الانقلاب الضابط عبد السلام عارف بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم وكان عارف أشد الضباط تحمسا لاتحاد العراق مع الجمهورية العربية المتحدة تحت حكم عبد الناصر .

* * *

محاكمات المهداوى

ودارت محاكمات السياسيين القدامى الذين قبض عليهم قاسم بعد الانقلاب وكان يرأس المحكمة فى العراق الكولونيل فاضل المهداوى وهو من أشد المتطرفين ضد عبد الناصر وكانت تتخلل المحاكمات تعليقات من المهداوى كلها هجوم عنيف على عبد الناصر وحكمه ..

وكان عبد الناصر قد سبق أن طلب من قاسم أن يجتمع به ولو على الحدود السورية العراقية ولكن هذا لم يرد على طلب عبد الناصر لا بالرفض ولا بالقبول .

وكل يوم يمر يزداد فيه تطرف الشيوعيين فى العراق ضد عبد الناصر حتى أصبحت الجرائد تهاجمه هجوما عنيفاً وزاد الضابط المهداوى إمعانا فى تحقيره داخل جلسات المحكمة تلك الجلسات التى كانت إذاعات بغداد تذيعها وكان عبد الناصر يستمع إليها ؛

وكل يوم يمر كانت يد روسيا تزداد امتدادا نحو قاسم ونحو مساندة الوضع الجديد فى العراق .

وصار من ينادون بالوحدة مع عبد الناصر من العراق محل انتقام مروع من الشيوعيين وكثرت حوادث القتل بينهم والاعتداء عليهم .

ووسط هذه الدوامة العارمة من العداء السافر من جانب شيوعيى العراق بدأ

شيوعيو سوريا يزداد نشاطهم وزعوا المنشورات داخل سوريا يتهمون عبد الناصر بالدكتاتورية وبقتل الحريات بل وباستعمار سوريا ويطالبون بالانفصال عن مصر وبالتحرر من حكم « فرعون مصر الجديد » وزاد الأمر تعقيداً ان اختفى عفيف البزرى القائد العام للجيش السورى السابق وظهر بعد ذلك فجأة فى بغداد .

وأدرك عبد الناصر أن مؤامرة كبرى تحاك ضده مؤامرة تعمل على تحطيمه ، أطرافها فى سوريا وفى العراق ومركزها فى موسكو ، فزاد حركة اعتقالاته للشيوعيين فى سوريا وفى مصر وكان قد ألقى خطاباً يندد بالشيوعيين المحليين فى كل من مصر وسوريا ، ألقى الخطاب فى نهاية عام ١٩٥٨ فى بورسعيد .

وبينما عبد الناصر يوالى حركة اعتقال الشيوعيين إذا بالأحزاب الشيوعية تعقد اجتماعاً فى موسكو فى شهر يناير وفى أحد الاجتماعات التى حضرتها وفود تمثل الأحزاب الشيوعية فى كل دولة وقف خروتشوف وهاجم سياسة عبد الناصر فى اعتقال الشيوعيين هجوما مرا وكان عبد الناصر قد اتهم شيوعيّ العراق بالتآمر مع الانجليز على فصل العراق عن الدول العربية فكذب خروتشوف هذا الادعاء وقال « إن الشيوعيين فى كل العالم يحبون السلام وأنهم ألد أعداء الاستعمار وأن الشيوعيين فى العراق يعملون لصالح القومية العربية .

محيى الدينوف : الدولار وعقل عبد الناصر

وزاد من سوء الأمر وقف الرفيق محيى الدينوف عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى وقال « يبدو أن الدولار قد لعب برؤوس بعض الحكام العرب » والاتهام بطبيعة الحال موجه ضد عبد الناصر ، (وكانت أمريكا قد قدمت بضعة قروض لعبد الناصر وكانت المفاوضات قد بدأت مع الانجليز لاعادة العلاقات مع بريطانيا .

وفى اليوم التالى استدعى عبد الناصر السفير الروسى افجينى كيسلف Evgeny Kiselev وسلمه رسالة إلى خروتشوف ؛ وفى هذه الرسالة أوضح عبد الناصر موقفه واعتبر أن اعتقاله للشيوعيين أمر محلى وأن هذه الاعتقالات ليس لها أى تأثير على موقفه من الحياد الذى يلتزمه وأنه لن ينسى صداقته الوطيدة والخدمات التى أداها له الاتحاد السوفياتى وأن عداءه مع الشيوعيين فى مصر وسوريا لا يمكن أن يجعل منه معادياً للنظام القائم فى الاتحاد السوفياتى .

وكان الخطاب فى الواقع عبارة عن تبرير من جانب عبد الناصر للاجراءات التى كان يتخذها ضد الشيوعيين وتأكيد منه بأنه سيظل على ولائه للاتحاد السوفياتى وطلب من خرتشوف ألا يسىء فهم موقفه فيفسره بأنه تحول نحو الغرب .

وإذا تصورنا نفسية عبد الناصر فى ذلك الحين لتبينا مدى الألم الذى حز فى نفسه نتيجة خطاب « محيى الدينوف » ذلك الخطاب الذى اتهمه فيه بأن الاسترلينى والدولار قد أثرا على اتجاهاته السياسية ، إن عبد الناصر قد بنى كل مجده على أساس التحرر من سيطرة الغرب وراحت أجهزة دعايته الضخمة تصوره بأنه محرر الشعوب من الاستعمار ، الزعيم الذى سيقضى على الاستعمار الغربى فى كل مكان ، فإذا تجرد عبد الناصر من هذه الصفة ماذا بقى له ؟ إنه فى ذلك الوقت أى أوائل عام ١٩٥٩ لم يثأر بعد من اسرائيل ولم يلق بسكانها فى البحر ولم يعد اللاجئين إلى ديارهم وقوة الطوارىء الدولية تعسكر داخل أرضه وخليج العقبة قد انفتح أمام التجارة والسفن الاسرائيلية بعد أن تخلى عن جزيرة تيرانا التى كانت مدافع الجيش المصرى المنصوبة فيها تقف سدا قوياً فى وجه السفن الخارجة أو الداخلة إلى الميناء الاسرائيلى « إيلات » وعبد الناصر يعلم فى ذلك الحين أنه غير قادر على القيام بأى عمل جدى ضد اسرائيل ، فإذا ما تجرد فى

ذلك الوقت من صفة السعي لتحرير الشعوب من الاستعمار ماذا بقي له ؟!

ونستطيع أن نتصور مدى هلعه من خطاب « محيى الدينوف » إذا أدخلنا فى حسابنا أن عبد الناصر كان حتى أسابيع قد تحقق له ما لم يكن يحلم بتحقيقه من جاه وزعامة ومركز عالمى ؛ فالشعوب العربية قد انطوت تحت زعامته فى سرعة فائقة ومجلة « تايم » الأمريكية قد انتخبته رجل العالم لسنة ١٩٥٦ وخروتشوف قد نادى به منذ بضعة شهور زعيماً للعالم العربى ونهرو وتيتو يعتبران أنه ثالث ثلاثتهم فى زعامة الحياد فى العالم ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك حب عبد الناصر لذاته ورغبته الجامحة فى الوصول إلى أكبر المراكز الدولية ، إذا ما أضفنا إلى كل ذلك استطعنا أن ندرك — وهو يحنى رأسه لخروتشوف ويرسل خطاباً يوضح فيه موقفه ـ مدى الأزمة النفسية التى كان يجتازها .

ويبدو أن خروتشوف قد أحس بكل ذلك وأراد أن يزيد ضغطه على أعصاب عبد الناصر فتركه مدة طويلة دون أن يرسل له ردا ، تركه يعانى أزمة الأعصاب ثلاثة أسابيع ثم أرسل له ردا سلمته له السفارة الروسية فى منتصف ليلة ٢٠ فبراير ، وكان عبد الناصر يستعد للاحتفال بالذكرى الأولى لقيام الجمهورية العربية المتحدة أى باندماج سوريا مع مصر تحت حكمه .

وفرح عبد الناصر بالخطاب أشد الفرح حتى أنه فى غمرة فرحه برد خروتشوف نسى أن ضيف الشرف فى الاحتفال كان الماريشال تيتو وهو معروف بخلافه مع خروتشوف وقادة روسيا ، فقد وقف بين الحشود ليعلن وقد علت وجهه ابتسامة عريضة نبأ وصول رد خروتشوف ويعلن أن الرد قد وصله فى منتصف الليل وخروتشوف قد أكد فى خطابه بأن الاتحاد السوفياتى حريص على الصداقة مع الجمهورية العربية .

ولقد شاهد تيتو آيات الفرح المرتسمة على وجه عبد الناصر ، ولكن عبد الناصر لم يكن فى ذلك الوقت لينشغل بتيتو بل كان كل همه أن يوضح للعرب أنه ليس عميلا للغرب وأن الغرب لم يشتره لا بالدولار ولا بالاسترلينى ، كان يريد أن يؤكد للعرب أن حياده لا يزال سليما وإلا لما قبل خروتشوف أن يكتب له مؤكدا للصداقة بينهما .

وفى اعتقادى أن خروتشوف إذ رد على عبد الناصر بهذا الرد الذى يعتبر تراجعا عما سبق أن أعلنه فى اجتماع الأحزاب الشيوعية كان مصدره أنه حتى هذا التاريخ رغم اقباله الشديد على مساعدة قاسم وشيوعيين العراق لم يكن مطمئنا إلى الأوضاع فى

العراق أو إلى أنها ستسير وفق ما يشتهى خصوصا أن السفارة البريطانية كانت تسعى فى ذلك الحين إلى إقناع قاسم بأن مسايرته للشيوعية تمثل خطرا على حكمه ولذلك فإن خروتشوف أراد ألا يضيع على الشيوعية صداقة عبد الناصر قبل أن تتحقق مطامعه نهائيا فى العراق .

ومع أن خطاب خروتشوف قد أكد صداقة روسيا لعبد الناصر فإن الشيوعية فى العراق ظلت ترهق عبد الناصر إرهاقا مريرا وزاد نشاطها زيادة هائلة وتصاعد النشاط داخل سوريا ، وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من الشيوعيين السوريين كانوا فى المعتقلات والسجون فإن الشيوعية ظللت نشيطة بل زاد نشاطها فى دمشق وحمص والمدن الكبرى حتى الحزب الشيوعى اللبنانى كان قد أحكم نشاطه لمحاربة عبد الناصر « الفرعون الصغير » كما كانوا يسمونه .

وفى الموصل بالعراق تحدى الشيوعيون بعض الضباط العراقيين المعروفين بولائهم لعبد الناصر وكانت قد سرت شائعات بأن عبد الناصر قد أرسل أسلحة إلى حامية الموصل لتقوم بثورة ضد عبد الكريم قاسم ، فلما حدث الاحتكاك بين الشيوعيين والضباط ، أعلن فريق من حامية الموصل تحت زعامة ضابط منهم يدعى الشواف الثورة على قاسم فما كان منه إلا أن أرسل الطائرات تدك حامية الموصل وقتل عدد كبير من الجنود والضباط ، وكانت معركة رهيبة أثارت موجة عارمة من الاستياء على كل من عبد الناصر لأن الكثيرين اعتبروه المسؤول عن التغرير بالضباط واتهموا عبد الناصر بأنه سلح الثورة فى الموصل بأسلحة تبلغ قيمتها ١٢ مليون جنيه وبلغت النشوة بالشيوعيين فى العراق أن نزلوا بعد ذلك فى الشوارع يستبيحون دم كل رجل أو شاب أو حتى طفل يعتقدون بأنه من أنصار عبد الناصر وارتكبت فى ذلك الحين جرائم بشعة ضد الأبرياء ، واختل الأمن فى العراق اختلالا عنيفا إذ أصبح القتل هو وسيلة الشيوعيين فى التخلص من كل من لا يدين بمبادئهم .

وسيطر الرعب فى العراق على الناس وفى هذه الأثناء حكمت المحكمة العسكرية ببغداد بإدانة ثلاثة عشر ضابطا من الجيش العراقى بالاشتراك فى مؤامرة الموصل وصدرت ضدهم الأحكام بالاعدام .

وفى ذلك الوقت اتهم قاسم عبد الناصر بتدبير ثورة الموصل ،وطرد الكثيرين من أعضاء سفارة الجمهورية العربية المتحدة،وترك الاذاعة والصحافة تصور عبد الناصر كل يوم أنه هو الذى دبر ومهد وسلح الثورة فى الموصل وكان ضمن الاتهامات أنه أمد الثوار بمحطة إذاعة وبجهاز لاسلكى يتصل مباشرة بسوريا .

وشدد عبد الناصر من جهة أخرى حملته على قاسم وزادت موجات الاعتقال داخل سوريا ، ووسط هذه الحرب الباردة الساخنة بين عبد الناصر وقاسم أو على الأصح بين عبد الناصر والشيوعية فى البلاد العربية كان خروتشوف يستقبل فى الكرملين وفدا عراقيا ويوقع اتفاقية تمنح العراق مساعدات مالية واقتصادية ضخمه ولم يكتف خروتشوف بذلك بل قال « إن الجمهورية العربية المتحدة تسعى بالقوة لاجبار العراق على الانضمام لها وأن الاتحاد السوفياتى لا يقبل هذا وإذا ما تهدد استقلال العراق فإن الاتحاد السوفياتى سيسارع إلى نجدتها » .

واحتدم الخلاف مرة أخرى بين عبد الناصر والشيوعية الدولية وعلى رأسها خرتشوف وكان رأى خالد بكداش أن الوقت قد حان لأن تعمل الشيوعية بكل قواها للتخلص من عبد الناصر ، وكان قد شوح وجهة نظره هذه أمام خرتشوف مؤكدا له أن مساعدة الاتحاد السوفياتى له معناها القضاء على كل تنظيم للأحزاب الشيوعية فى الشرق العربى وخصوصاً سوريا ومصر ، عندما علم خالد بكداش بأن خروتشوف قد هاجم عبد الناصر وكان فى ذلك الوقت فى صوفيا خطب متهما عبد الناصر بالدكتاتور الفاشى .

عبد الناصر يهاجم موسكو

وسط هذه الهجمات الشيوعية المتلاحقة وقف عبد الناصر ليخطب فى سوريا ويقول لأول مرة أن الاتحاد السوفياتى لم يكن له أى فضل فى وقف الاعتداء الثلاثى على مصر ذلك لأن الاعتداء قد بدأ فى يوم ٢٩ أكتوبر ولم يصدر الاتحاد السوفياتى إنذاره إلا فى السادس من نوفمبر وكان الاعتداء قد توقف قبل صدور الانذار . ولم يكتف بذلك بل اتهم خرتشوف بأنه يتدخل فى شؤون الجمهورية العربية الداخلية واتهم الشيوعيين بأنهم يتعاونون مع الانجليز لتحقيق مشروع الهلال الخصيب عن طريق العراق .

ولم تمر بضعة أيام إلا وكانت الأحزاب الشيوعية قد وزعت منشورات داخل سوريا تكذب عبد الناصر وتقول أن الانذار السوفياتى قد صدر فى الخامس من نوفمبر لا فى السادس كما ادعى عبد الناصر وتقول أن الاعتداء لم يتوقف إلا فى السابع من نوفمبر لا فى السادس كما ذكر فى خطابه وتحدت عبد الناصر أن يكذب مرة أخرى ما جاء فى المنشور وكانت وهى تتحدى عبد الناصر تعلم بمتانة مركزها إذ أن البيانات التى ذكرها عبد الناصر لم تكن صحيحة ، ثم جاء فى المنشورات معلومات مطولة عن المساعدات التى قدمتها روسيا لعبد الناصر وبيانات عن الأسلحة الضخمة والعتاد الحربى الهائل الذى تركه عبد الناصر لجيش اسرائيل عندما أمر الجيش المصرى فى سيناء بالانسحاب وعدم الاشتباك مع الجيش الاسرائيلى فى المعركة .

ومع أن خرتشوف أرسل لعبد الناصر بعد ذلك رسالة يؤكد له فيها مرة أخرى الصداقة بين الدولتين فإن العلاقات تدهورت بسرعة بينهما وزاد الشيوعيون فى البلاد العربية حملتهم على عبد الناصر لأنه فى ذلك الحين كان قد بدأ يتلقى بشكل واضح المساعدات المالية والاقتصادية والقروض والقمح من أمريكا .

وكانت سنة ١٩٥٩ من أشق السنين التى مرت على عبد الناصر وبينما الارهاق يبلغ بأعصابه أشد الدرجات إذا به يسمع بأن محاولة قد وقعت لاغتيال قاسم فى بغداد بينما كان فى سيارته وأن الرصاص قد أصابه فى عدة مواضع ، ولكن جاءت الأنباء بعد ذلك أن قاسماً لم يقتل وأنه نقل إلى المستشفى وأنه قد وجه رسالة لشعب العراق من فراشه .

وبدأ عبد الناصر ينزل السلم الذى ارتفع عليه خلال عامى ١٩٥٥ و١٩٥٦ إلى زعامة الشعوب العربية : فخلال عام ١٩٥٩ كان ينزل هذا السلم فى سرعة عجيبة وما كاد هذا العام يوشك أن ينتهى حتى وجد نفسه فى شبه عزلة فلا الغرب يثق به رغم المساعدات الأمريكية ولا الشرق يصادقه والحالة فى مصر قد بلغت حدا من السوء لم تبلغه من قبل والدول العربية تتنكر حكوماتها له الواحدة تلو الأخرى ، والحالة فى سوريا تنهار انهيارا سريعاً وحزب البعث الذى كان عماده فى حكم سوريا قد بدأ ينقلب عليه والسلاح الروسى الذى اشتراه مقابل رهن القطن المصرى لعدة سنين قد بدأ تنقصه قطع الغيار ، والشعوب العربية تقول أين عروبة فلسطين ؟!

ووسط هذه الموجات العارمة من الفشل تلو الفشل رأى عبد الناصر أن يسرع بإصلاح ما بينه وبين خروتشوف فأرسل إليه فى نوفمبر ١٩٥٩ مدير إحدى جرائده الصاغ صلاح سالم وقد تعمد إرسال صلاح سالم فى هذه المهمة حتى لا يتصور العرب أنه يسعى إلى صلح ولكن ليفسروا سفر صلاح سالم باعتباره لمهمة صحفية .

وتسوية المسائل بين عبد الناصر وبين خورتشوف لم تكن تسوية لكل متاعب عبد الناصر ذلك لأن اسرائيل أعلنت عن بدء العمل فى تحويل مجرى نهر الأردن واهتزت أعصاب العرب اهتزازا عنيفا إذ أن مياه نهر الأردن موزعة بين الأردن وسوريا وعملية تحويل مجرى النهر تلحق أضراراً بالغة للأردن وسوريا وقد قامت خلال السنوات السابقة محاولات اشتركت فيها أمريكا لتحسين مجرى النهر وتوزيع حصص المياه ولكن الدول العربية قد رفضت كل المشروعات السابقة بما فيها المشروع الذى وضعه خبير أمريكى يدعى جونسون والذى عرف المشروع باسمه ، وكان رفض الدول العربية قائماً على أساس أن المشروع ولو أنه يعود بالنفع على العرب إلا أن اسرائيل ستستفيد منه ، فلما أعلنت اسرائيل إنها ستعمل منفردة على تحويل مجرى المياه غضبت الشعوب العربية غضباً شديدا واتجهت بانظارها نحو أملها الوحيد فى كسر شوكة اسرائيل ، اتجهت الشعوب نحو عبد الناصر تنتظر منه أن يعلن خطته فى وقف مشروعات اسرائيل ، ولكن عبد الناصر لم يعلن عن أى خطة بل كل ما فعله أن ألقى خطابات حماسية ولكن غير موضوعية وأطلق صحافته وأجهزة الدعاية تسب وتهدد

اسرائيل ، وفى هذه الأثناء طلب وزير سورى عقد اجتماع وزارى يحضره عبد الناصر لمناقشة مشروع اسرائيل وخطة الجمهورية حياله .

وانعقد الاجتماع وحضره عبد الناصر وظلت المناقشات وقتاً طويلا وتبين للوزير السورى أنه ليس لدى عبد الناصر أيـة خطة لايقـاف تنفيذ المشـروع فقال : « إن الواجب يحتم علينا أن نوقف مشروع اسرائيل ولو أدى ذلك إلى الدخول فى حرب ضدها » .

ولم يتكلم عبد الناصر ولم يعلق على كلام الوزير السورى فاستطرد الأخير قائلا « إن الجمهورية العربية بتعدادها الذى يبلغ خمسة عشر ضعفا لاسرائيل وبجيشها الذى أنفقنا عليه مئات الملايين تستطيع ان توقف مشروع اسرائيل » .

ولم يتكلم عبد الناصر أيضا ولكن بدأت علامات الضيق تبدو عليه فقال الوزير السورى « ما رأى سيادة الرئيس فى التدخل العسكرى ؟!»

ولم يكن هناك بد من أن يقول عبد الناصر شيئا فقال « الأمر يحتاج إلى دراسة ولا يمكن تقريره بهذه السرعة » .

فرد الوزير السورى « إن كل أمر يحتاج إلى دراسة ولكن السرعة واجبة وإذا لم نتخذ موقفاً حازماً سارت اسرائيل فى مشروعها » .

ورد أحد الحاضرين الاجتماع « إنها مغامرة خطيرة » .

وسارع الوزير السورى قبل أن يتبين ممن صدرت هذه العبارة وقال « مغـامرة خطيرة !! » قالها فى استنكار ثم قال « الكلمة للرئيس » .

واضطر عبد الناصر مرة أخرى أن يقول شيئا فقال « نعم مغامرة »

وهنا انفلتت أعصاب الوزير السورى مرة أخرى وقال فى حدة « مغامرة ؟! ... لقد كانت سوريا بمفردها تقف وحدها فى وجه اسرائيل وتعطل مشاريعها واليوم وقد اتحدت مع أكبر دولة عربية لا تستطيع أن تفعل شيئاً !! »

وتكهرب الجو واحتدم الجدل وانتهى الاجتماع دون نتيجة وفى أقل من شهر كان

الوزير السورى قد استقال من جميع مناصبه وتبعه كل من يقول برأيه من المناصب الوزارية المسندة إليهم .

العرب وخيبة الأمل

وإذا كان عام ١٩٥٩ كان عام متاعب وإرهاق وهبوط لعبد الناصر فإن عام ١٩٦٠ بدأ بمزيد من الارهاق له ، فقد بدأت الشعوب العربية تحس خيبة الأمل أما الحكومات العربية فإنها لم يكن بينها حكومة واحدة تقف موقف الصداقة الحقة مع عبد الناصر ، فالأردن حكومتها على عداء شديد وكذلك العراق وتونس ، أما حكومة السعودية والسودان ومراكش ولبنان فقد كانت متفرجة ، حتى اليمن التى كانت قد ارتبطت باتحاد فدرالى مع الجمهورية العربية المتحدة قد أخذ ملكها ، الامام أحمد يمزق هذا الاتحاد خطوة وراء خطوة وأراد عبد الناصر أن يتخذ من جامعة الدول العربية أداة لتأييد سياسته العربية ورغم كل مجهودات الأمين العام للجامعة العربية عبد الخالق حسونة باشا ــ وهو مصرى ــ لتحقيق هذه الغاية فإن الجامعة العربية لم تدعم سياسة عبد الناصر ، وقد أراد فى عدة محاولات أن يتخذ قرارا ضد حكومة العراق ولكن حكومات الدول العربية الممثلة فى مجلس جامعة الدول العربية لم تعطه هذا القرار ، بل أكثر من ذلك فإن بعض الدول قد درجت على عدم حضور الاجتماع وكثر الحديث عن سيطرة حكومة مصر على جهاز الجامعة العربية وطالبت دول بعقد اجتماعات الجامعة خارج مصر ورغم أن مركزها الرسمى هو القاهرة فقد اضطر عبد الناصر إلى الموافقة على عقد اجتماع فى الدار البيضاء واجتماعات فى لبنان .

ومرت الشهور الأولى من سنة ١٩٦٠ بطيئة ترهق أعصاب عبد الناصر الذى لم يجد ميداناً يتخذ منه مجالا لمغامراته وحدث فى صيف هذه السنة أن سأل أحد الصحفيين شاه إيران عن موقف دولته من إسرائيل فقال إنه قد سبق منذ عشر سنين الاعتراف باسرائيل اعترافا واقعياً وأن الحكومة الايرانية سنة ١٩٥١ سحبت ممثلها من اسرائيل وأن الموقف لا يزال على ما هو عليه .

وظن عبد الناصر أن الفرصة قد واتته فشن حملة شديدة على إيران وعلى تصريح

الشاه ومن اليوم التالى كانت الحكومة الايرانية قد قررت قطع العلاقات مع الجمهورية العربية وأمرت البعثة الدبلوماسية بمغادرة طهران فورا .

وزاد عبد الناصر من حملته وظن أن هذه قد تشغل العرب عن الشك فى موقفه من اسرائيل ولكن الشعوب العربية كانت تتطلب أفعالا لا أقوالا فلم تعر حملة عبد الناصر اهتماماً كبيراً .

وطلب عبد الناصر عقد اجتماع للجامعة العربية لبحث الموقف بالنسبة لايران ولم تتحمس الدول للاقتراح وأخيراً تم عقده فى مدينة شتورة بلبنان وناقشت الحكومات العربية اقتراح الجمهورية العربية وأوضحت لممثلها أنه ليس هناك أية مصلحة من معاداة ايران ذلك لأنها دولة اسلامية وأن تصريح الشاه لم يأت بجديد وأن خسارة صداقة ايران قد يدفع حكومتها إلى زيادة علاقاتها باسرائيل ومن جهة أخرى فإن تركيا معترفة باسرائيل اعترافاً كاملا فلماذا تقوم علاقات دبلوماسية بين الدول العربية وتركيا بينما تقطع الأولى علاقاتها مع ايران .

وكان عبد الناصر يأمل أن تقوم فى لبنان مظاهرات شعبية تؤيد موقفه من ايران أثناء انعقاد اجتماع مجلس الجامعة العربية ولكن لم تقم المظاهرات .

وكانت حكومة ايران قد أوضحت للدول العربية موقفها من اسرائيل وأدى هذا التوضيح إلى تنقية علاقاتها المتدهورة مع العراق ، وكان العراق قد خفت فيه سيطرت الشيوعيين وقويت العناصر المعتدلة وبدأ قاسم فى تعديل سياسته والتخلص تدريجيا من العناصر الشيوعية فى الجيش وجهاز الحكومة .

وفشلت قصة ايران ولم يحقق عبد الناصر أى كسب ، وزاد من تعقيد موقفه ان روسيا كانت قد أبدت من جانبها تباطؤاً شديداً فى تنفيذ المشروعات التى تعهدت بتنفيذها فى مصر خصوصا مشروع السد العالى ، وعرف المصريون بهذا التباطؤ ، واضطر عبد الناصر إلى ارسال الوفود إلى موسكو تحث حكومتها على الاسراع فى العمل .

التحول نحو أفريقيا

ووسط هذه المشاكل المتعددة كان عبد الناصر تائها لا يعرف له ميدانا وفجأة ظهرت مشكلة الكونجو فاندفع بكل قواه يساند لومومبا وبدأ يتحول عن الميدان العربي إلى الميدان الافريقي وأخذ يوثق علاقته بنكروما وسيكوتوري وكلما تطورت الأمور في الكونجو زاد من اندفاعه وحشد أجهزة الدعاية لتصب كل يوم كافة أنواع الدعاية لما يقوم به عبد الناصر لمساعدة لومومبا في الكونجو ، ودهش العرب لهذا التحول وعلقوا على ارسال فرقة من الجيش المصري كجزء من قوة الطوارىء الدولية في الكونجو بقولهم « قوات الطوارىء الدولية تعسكر على أرض مصر على حدود اسرائيل وعبد الناصر يرسل قوات مصرية لتشترك في قوات الطوارىء بالكونجو !! » .

وتجاهلت الصحافة والاذاعة وخطب عبد الناصر قضية فلسطين وركزت كل جهودها في التبشير بسياسة عبد الناصر الافريقية ، وإذا كان هذا الاندفاع لم يرق للعرب فانه قد أرضى سادة موسكو خصوصا وان عبد الناصر كان قد شن منذ بضعة شهور حملة واسعة النطاق ضد الملك حسين الذي يعتبر أشد أعداء الشيوعية في المنطقة ، وحدث أن انفجرت قنبلة في مبنى الحكومة الأردنية نسفت المبنى وقتلت رئيس الوزراء هزاع المجالي ، يضاف إلى ذلك أيضا أن جمال عبد الناصر أخذ يطبق في مصر على نطاق واسع وفي سوريا على نطاق أقل النظم الاقتصادية التي يطبقها الماريشال تيتو في يوغوسلافيا ونظام تيتو كما هو معروف نظام شيوعي .

كان الذي يضايق موسكو هو اندفاع أمريكا في هذه السنة إلى مساعدة عبد الناصر فقد كثرت المساعدات المالية والمعونات الاقتصادية خصوصاً القمح ، ولولا شحنات القمح الأميركي لواجه عبد الناصر مجاعة في الجمهورية العربية وخصوصاً في سوريا ، كما أن أميركا أخذت تدعو الدول الغربية إلى مد كل أنواع المعونة له ، لقد كان عبد الناصر يواجه أزمة مالية واقتصادية طاحنة فسارعت أمريكا إلى إنقاذه ولكن عبد الناصر لم يكن في قدرته أن يغضب الكتلة الشيوعية ذلك لأن ستين في المائة من محصول القطن المصري كان مربوطاً توزيعه بالكتلة الشرقية فضلاً عن الارتباطات الضخمة في التصنيع وبناء السد العالي .

وواجه عبد الناصر المحافل الدولية لأول مرة فى حياته فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ عند اجتماع الجمعية العامة لهيئة الأمم .

وقد كان مسلكه هناك معتدلا فقد أراد أن يلعب لعبة الحياد على أتم وجه فحاول كل جهده أن يلتزم موقفاً وسطا بين المعسكرين خصوصاً بعد أن دعاه ايزنهاور إلى الاجتماع به وكان عبد الناصر منذ سنين يتطلع إلى مثل هذه الدعوة .

وفى خطابه دعا المعسكرين إلى تصفية المشاكل بينها وكان الخطاب متزنا أرضى الطرفين ، وكان عبد الناصر يحرص على أن يظهر فى نيويورك بمظهر الزعيم الأوحد للدول العربية ، ولكنه فوجىء بقدوم الملك حسين ليمثل بلاده وقد ضايق ذلك عبد الناصر مضايقة كبيرة وزاد من ضيقه أن أعلن وزير خارجية العراق أنه قد تقرر استئناف العلاقات بين الأردن والعراق تلك العلاقات التى ظلت مقطوعة منذ قيام الثورة فى العراق أى منذ ١٤ يوليه سنة ١٩٥٨ ، وجاء الخطاب الذى ألقاه الملك حسين صدمة جديدة لعبد الناصر إذ أنه حمله مسئولية ما حدث فى الأردن وانتهى بقتل رئيس الوزارة السابق .

وكان عبد الناصر يأمل أن يطيل اقامته فى الولايات المتحدة ولكن هذه الصدمات قد جعلته يعدل خطته فقدم مع تيتو ونهرو اقتراحاً يدعو فيه إلى عقد اجتماع بين أقطاب المعسكرين تبحث فيه كافة المشاكل الدولية ويتم أثناءه تسويتها بالطرق السليمة ، وعاد عبد الناصر فوراً بعد تقديم الاقتراح إلى مصر حيث أطلقت دعايته عليه لقباً جديداً وهو « بطل السلام العالمى » .

وما أن عاد عبد الناصر إلى القاهرة إلا وزاد اندفاعه فى تأييد لومومبا وكانت الخلافات فى الكونجو قد وصلت الذروة وزاد من اتصاله بغانا وغينيا أملاً فى وضع خطة موحدة ، وبدأ نهرو يتبرم سراً باندفعات عبد الناصر حتى إذا ما قرر أن يسحب القوة المصرية أعلن نهرو عدم موافقته على ذلك . وفى أواخر عام ١٩٦٠ اجتمعت الأحزاب الشيوعية فى موسكو ومن هذا الاجتماع تبلور الخلاف بين الصين الشيوعية وبين الاتحاد السوفياتى على المبادىء الواجب التزامها فى السياسة الدولية وكان من نقط الخلاف التى أثارتها الصين بقوة ، هى مساعدة خورتشوف لعبد الناصر وقالت أن هذه المساعدة

لا تتمشى مع المبادىء الشيوعية ، وانتهز خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعى السورى الفرصة وتحدث فى تطويل فقال إن موقف روسيا من عبد الناصر يضع الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية فى موقف خطير إذ أن هذه الأحزاب فى خصومة طاحنة مع عبد الناصر فى الوقت الذى تسانده روسيا وأن هذا قد جعل الأحزاب الشيوعية تتخبط فى سياستها مع عبد الناصر فهى لا تعرف أتؤيده أم تهاجمه ؟ وأدى ذلك إلى هذا التناقض ؛ فبعض الشيوعيين المصريين كانوا يرسلون لعبد الناصر من داخل السجون رسائل تأييد فى الوقت الذى تقف طوائف أخرى فيه موقف الخصومة ، كما قال إن إطلاق يد عبد الناصر فى اعتقال الشيوعيين قد أثر على نشاط هذه الأحزاب داخل سوريا ومصر وأضاف إلى ذلك الشعب المصرى وكذلك السورى الذى لا يفهم الشيوعية فهماً صحيحاً قد فسر القوانين والأنظمة المطبقة فى الجمهورية العربية على أنها أنظمة شيوعية وأضاف قائلاً إن الحالة الاقتصادية فى مصر وسوريا سيئة للغاية ، وأن المصريين والسوريين قد عزوا الفشل الذريع فى اقتصاديات مصر وسوريا إلى هذه النظم التى يعتقدون أنها شيوعية ، مما سمم أفكار الشعبين بالنسبة للمبادىء والنظم الشيوعية .

وقد علمت أن خورتشوف قد أعلن فى المؤتمر أنه لا يثق فى عبد الناصر ويعتبره مغامراً دولياً نهازاً للفرص ، ولكنه أى خرتشوف يرى رغم ذلك أن المزايا التى حققتها الشيوعية الدولية من مساندتها لعبد الناصر هى مزايا كبرى ، وذكر خورتشوف للمجتمعين الفوائد والخدمات التى أداها عبد الناصر للشيوعية الدولية وعلى الرغم من الشرح الذى أفضى به خورتشوف فإن الصين وخالد بكداش وكذلك وفد حكومة ألبانيا قد أصروا على سابق رأيهم وطالبوا خورتشوف باتخاذ موقف واضح من جمال عبد الناصر .

وبعد ذلك بأسابيع قليلة سافر عبد الحكيم عامر إلى موسكو حيث اجتمع بخورتشوف ، ولم يكن استقبال الروس لعامر فى هذه المرة حافلا كما كان فى المرة السابقة .

وقد عرف أن خورتشوف كان قاسيا فى نقده لسياسة عبد الناصر وأنه قد طلب من عامر أن يبلغ عبد الناصر بأنه قد حان الوقت ليطور النظم الاقتصادية فى الجمهورية

العربية المتحدة بحيث تسير نحو الاشتراكية بخطى واسعة وسريعة وبأنه أى خرتشوف يرى أن يزيد عبد الناصر من تعاونه فى سبيل عمل حازم فى الكونجو وغيره من الدول الأفريقية .

وبعد عودة عبد الحكيم عامر من موسكو اندفع عبد الناصر اندفاعا عنيفا فى تأييد حكومة « ستانلى فيل » فى الكونجو وهى الحكومة التى كانت روسيا تدعمها وتساندها أملا فى أن تستطيع عن طريق هذه المساعدات السيطرة على الكونجو بأكمله .

وكانت القاهرة فى ذلك الحين هى المحطة التى تصل إليها شحنات الأسلحة الروسية ثم تنقل منها إلى جيزنجة رئيس حكومة « ستانلى فيل » بالكونجو وعلى الرغم من معارضة الفريق عبود رئيس السودان فإن عبد الناصر استمر فى إرسال الأسلحة عن طريق السودان براً وبحراً .

ولما وقعت الجريمة الوحشية التى انتهت بمقتل الزعيم لومومبا استنكر العالم هذه الجريمة البشعة ولكن عبد الناصر قد استغل هذه الجريمة على أوسع نطاق ، وأخذ يدفع جيزنجة دفعا إلى اعلان نفسه الحاكم الشرعى للكونجو فلما قام جيزنجة بذلك كان هو أول من اعترف بحكومته .

ووسع عبد الناصر دائرة اتصاله بدول أفريقيا ووثق علاقاته بنيكروما رئيس جمهورية غانا وسيكوتورى حاكم غينيا وبغيرهما من الزعماء الأفريقيين ، ولكن هذا التوسع جاء على حساب القضية الأصيلة للعرب وهى قضية فلسطين ، ذلك لأن العرب عندما بايعوا عبد الناصر بالزعامة لم يبايعوه إلا عندما اشترى السلاح من روسيا وأن هذه المبايعة قد تمت نتيجة الأمل الذى ملأ قلوب العرب بأن هذا السلاح سيستعمل لاستعادة فلسطين دولة عربية وللثأر من اسرائيل ، ومن هنا كانت خيبة الأمل كبيرة بالنسبة لاتجاه عبد الناصر نحو سياسة أفريقية .

خيبة أمل سوريا

وقد تجلت خيبة الأمل على نطاقها الواسع فى سوريا إذ أن السوريين عندما أقبلوا على الوحدة مع مصر كان أملهم الأكبر هو تقوية القوة العسكرية العربية أملا فى تحطيم اسرائيل ، فإذا بعبد الناصر يصرف جهوده عن هذه القضية الحيوية إلى بناء زعامة له فى أفريقيا .

وزاد من خيبة أمل السوريين أن وجدوا عبد الناصر يحول سوريا إلى مستعمرة لمصر وأن وجدوه يطبق فى سوريا أبشع ألوان الكبت والارهاب ، وأن وجدوه يطلق يد عبد الحميد السراج ومكتبه الثانى يتصرف فى الشعب السورى كيفما أراد ، كما وزاد فى خيبة أمل السوريين الاضطراب الكامل فى الجهاز الادارى فتغيير الوزراء وأجهزة الحكم يتم دون دراسة أو مراعاة للصالح العام السورى .

وفى سنة ١٩٦١ وضح اضطراب سياسة عبد الناصر فى سوريا وضوحا خطيرا وتأكد السوريون أن الوحدة لم تحقق للقضية العامة أى قضية فلسطين أية خدمات وأن كل جهود عبد الناصر فى سوريا تنصرف إلى تدعيم سيطرته على الشعب السورى عن طريق البطش والارهاب ، وأن عبد الناصر لا يريد من سوريا إلا أن تكون قاعدة أمامية يستطيع منها إثارة المتاعب فى باقى الدول العربية المحيطة بها أملا فى اخضاع هذه الدول لسيطرته .

وكانت خيبة أمل الشعب السورى فادحة ، فإن سوريا كانت هى قلب العروبة النابض ، وأن الشعب السورى ظل منذ عشرات السنين يدعو للوحدة العربية ويسعى إليها بكل السبل ، حتى إذا ما قام عبد الناصر يبشر بالوحدة العربية سارع السوريون إلى التنازل عن شخصية كيان دولتهم فى سبيل تحقيق حلم العرب الأكبر ، حلم الوحدة العربية ومن هنا كانت خيبة أمل الشعب السورى فادحة عندما اتضح لهم أن الوحدة التى أرادوها مخالفة تمام الاختلاف عن تلك التى أرادها عبد الناصر ، لقد أرادت سوريا وحدة تقوى الصف العربى وتشد من ساعد العرب ضد اسرائيل ولكن عبد الناصر أراد بالوحدة تقوية نفوذه وبسط سلطانه على الدول العربية غير عابىء بالأهداف العربية الصحيحة .

وكلما مر يوم من أيام سنة ١٩٦١ قوى الاعتقاد ا..م بأن سوريا على وشك الانفجار وكان كل إنسان يتوقع هذا الانفجار إلا عبد الناصر ، ذلك لأنه فى السنة الأخيرة كان قد إمتلأ غرورا واعتدادا بشخصيته لدرجة أعمته عن الحقائق الواضحة وكان كلما حدثه أحد أعوانه أو أحد المخلصين بسوء الأحوال فى سوريا استخف بحديثه بل فى كثير من الأحيان كان يسفه محدثه فى عنف بالغ ، وبدلا من أن يولى الأمر دراسة ويعكف على معرفة واقع الأحوال فى سوريا أخذ يزيد من بطشه وعنفه فيها .

وفى هذه الأثناء كان الاقتصاد السورى قد تدهور حتى وصل إلى الحضيض وانخفضت قيمة النقد السورى فى الأسواق الدولية إنخفاضا مروعا ، وبدل أن يعمل عبد الناصر على دراسة الأسباب التى حطمت الاقتصاد السورى أصدر فى ٢١ من يولية سلسلة من التشريعات تزيد من سيطرة الدولة على جميع فروع الاقتصاد وكان من أثر هذه التشريعات أن سارعت رؤوس الأموال إلى الهرب من سوريا إلى لبنان وغيره من الدول مما زاد فى انخفاض قيمة الليرة السورية .

ولم يكتف عبد الناصر بهذه الاجراءات الاقتصادية العنيفة بل جاء فى شهر أغسطس ليصدر سلسلة جديدة من الاجراءات السياسية التى من شأنها إلغاء شخصية سوريا الغاءاً كاملا فجعل القاهرة وحدها عاصمة الجمهورية العربية والمقر الدائم للحكومة الموحدة للجمهورية وزادت هذه الاجراءات الاقتصادية والسياسية من حنق السوريين فأعلن عبد الناصر أن الحكومة ستنتقل إلى دمشق أربعة أشهر كل عام ، ولكن الشعب السورى لم يعد بعد ذلك يستطيع قبول المصير الذى سار عليه عبد الناصر بالوحدة ؛ وأخذت أيام شهر سبتمبر تمر حافلة بالاضطراب فعبد الناصر يرسل عبد الحكيم عامر إلى سوريا وينقل السراج إلى القاهرة، وتترى أنباء الخلاف بين عبد الناصر والسراج وفجأة يستقيل السراج ويبدأ عبد الحكيم سلسلة من اجراءات من شأنها إبدال أنصار السراج بأنصار جدد له .

انفصال سوريا

وفى الساعات الأولى من يوم ٢٨ من سبتمبر خرج ستة من ضباط الجيش السورى على رأس قوة لا تزيد عن ثلاثمائة جندى وسرعان ما تمكنت هذه القوة الصغيرة من الاستيلاء على العاصمة السورية وعلى وضع اليد على عبد الحكيم عامر وعزل القوة المصرية المعسكرة فى دمشق ومن الصباح الباكر كان راديو دمشق يعلن أول بلاغ للثورة السورية .

وبدل أن يسارع عبد الناصر إلى السفر إلى دمشق لمجابهة الموقف هناك فى شجاعة وحزم سارع إلى دار الاذاعة فى القاهرة ليوجه منها نداءاً إلى الشعب والجيش فى سوريا وبدل أن يتخذ عبد الناصر موقف الشجاعة والبأس كان صوته هزيلا متقطعا وكلماته مضطربة حزينة .

طلب عبد الناصر من الجيش الأول السورى أن يقمع الثورة وطلب من الشعب السورى أن يثور على الثوار ، ولكن الجيش الأول أخذت وحداته الواحدة تلو الأخرى تعلن فى فرح عن تأييد لحركة ثواره ، حتى القوات المصرية الموجودة فى أرجاء سوريا رفضت تنفيذ أوامر عبد الناصر لأنها أبت أن تتسبب فى نشوب قتال بين أخوة عرب ، أما الشعب السورى فقد بادر بتأييد الثوار بكل صور الفرح والانشراح والبهجة .

وفشلت محاولة الثوار بإقناع عبد الناصر بتعديل سياسته نحو سوريا عندما رفض المقترحات التى عرضها الثوار على عبد الحكيم عامر ، وسارت الثورة من نجاح إلى نجاح حتى إذا ما انتصف الليل كانت حلب واللاذقية وجميع ألوية سورية قد التفت حول الثورة ومع ذلك فان تمسك عبد الناصر باستعادة سوريا قد دفعه إلى حشد القوات البرية فوق قطع الاسطول كما حشد فرق المظلات على متن الطائرات الحربية ، وخرجت الاساطيل البحرية إلى عرض البحر فى طريقها إلى اللاذقية وطارت الطائرات الحربية صوب سورية وإذا بعبد الناصر تصله الانباء بأن فرقة المدرعات المسافرة على ظهر الاسطول غير راضية عن التدخل العسكرى وكما وصلته الانباء بأن اللاذقية قد أعلنت الانضمام الكامل للثورة فيسارع عبد الناصر بإصدار أمره الى الاسطول بالعودة وإلى الطائرات بتغيير خططها والاتجاه إلى مصر .

وهبط بعض المظليين ولكنهم رفضوا قتال زملائهم وإخوانهم فى العروبة واضطربت خطوات عبد الناصر إضطرابا بشعا فإذا به تارة يعلن أنه لن يتنازل عن سوريا وأنه سيقطع علاقته بكل دولة تعترف بالجمهورية السورية ثم يعود بعد أيام ليلغى تهديده هذا ليسلم بالأمر الواقع .

وسرعان ما قامت الجمهورية العربية السورية بأعبائها وسرعان ما سلم الجيش مقاليد الأمور لحكومة مدنية يرأسها الدكتور مأمون الكزبرى وسرعان ما اعترف الملك حسين بالجمهورية الجديدة وتبع ذلك فى خلال عشرة أيام اعتراف باقى دول العالم ، كما عادت سوريا لاحتلال مقعدها فى هيئة الأمم المتحدة كما عادت إلى مكانها فى جامعة الدول العربية .

* * *

وإذ كان انفصال سوريا قد حطم حلم عبد الناصر فى تحقيق امبراطورية يتربع على عرشها فإنه أيضا قد أصاب مكانته فى العالم فى الصميم فقد أصبحت الدول التى كانت تعتبره الزعيم الذى لا ينازع فى منطقة الشرق الأوسط تنظر اليه باستخفاف بل أكثر من ذلك تعتبر أنه فى طريقه إلى النهاية ؛ وسرعان ما تبدلت أساليب معاملة الدول الكبرى لعبد الناصر فبدل أن كانت تسعى إلى كسب وده أخذت تنصرف عنه وتستعد لقرب زوال حكمه فقد بادرت روسيا والكتلة الشيوعية إلى الاعتراف بسوريا .

الفصل الثالث

هل كسب عبد الناصر ؟!

عبد الناصر ووعود الديمقراطية

القول بأن الحياة النيابية قد فشلت فى مصر قول لا يستند إلى واقع . ذلك لأن الشعب نادرا ما استطاع أن يمارس حقوقه الانتخابية وحرياته ممارسة صادقة متحررة من القيود ، وفى المرات القليلة التى كان يتمتع فيها بهذه الممارسة كان الملك لا يستطيع الصبر على بقاء الحكومات التى ينتخبها الشعب فينتهز أول فرصة ليحل المجلس النيابى ويقيل الحكومة .

إن الشعب الذى ثار فى سنة ١٩١٩ ضد القوات البريطانية دفاعاً عن حقوقه السياسية والذى خرج إلى الشوارع عشرات المرات يدافع عن دستوره وحرياته وحقوقه ، لا يمكن اتهامه بأنه غير صالح لممارسة حقوقه الدستورية ، وإذا كانت يد القصر قد عبثت بحريات الشعب ودستوره وبالحياة النيابية ، فإن هذا لا يعنى أن الشعب غير مستحق للحكم الدستورى ، أو أن الديموقراطية لم تحقق للشعب مصالحه ... إنها حجة واهية يرددها أعداء الديمقراطية مساندة للحكم الدكتاتورى .

ولعل أكبر دليل على يقين عبد الناصر بأن الديمقراطية هى مطلب الشعب الأول إصراره على أن تشتمل بيانات الانقلاب الأولى على أن الجيش قام بحركته لإقامة حياة نيابية سليمة .

وإذا تفحصنا الموقف عقب قيام الانقلاب نجد أن عبد الناصر كان يخشى أن يفهم الناس أنه يطمع فى إقامة حكم ديكتاتورى بل كان يحرص فى الشهور الأولى عقب الانقلاب على أن يفهم الناس بأنه حريص على إقامة حكم ديموقراطى ، وحتى عندما طالب الأحزاب بتطهير صفوفها ، إدعى أنه يطلب ذلك لاقامة حكم ديموقراطى سليم وكانت كلمة « سليم » هذه دائمة التردد على لسان عبد الناصر ، فقد اتخذ الكثير من التصرفات المقيدة للحرية بحجة أن ما يقوم به ليس معناه الاتجاه نحو الديكتاتورية بل إنه يقصد بها تمهيد الأحوال للحكم الديمقراطى السليم .

وحتى عندما أعلن فى شهر ديسمبر من سنة ١٩٥٣ عن سقوط دستور سنة ١٩٢٣ لم يجروء على القول بأنه يلغى الدستور لعدم إيمانه بالحياة النيابية الديموقراطية ، بل برر إعلان سقوطه بأنه أصبح لا يحقق للبلاد حياة ديموقراطية سليمة .

وفى شهر يناير من سنة ١٩٥٤ أعلن عبد الناصر قرارات حل الأحزاب ومصادرة أموالها وأملاكها وتحديد فترة انتقال للحكم مدتها ثلاث سنوات وجاء فى تبرير إقامة فترة الانتقال القول بأنها تقررت تمهيداً لاقامة حكم برلمانى سليم .

وفى شهر فبراير أعلن عبد الناصر عن دستور مؤقت يتولى بمقتضاه مجلس القيادة « أعمال السيادة العليا » ويلاحظ أن هذا الدستور قد وصف فى قرار صدوره بأنه مؤقت ومعنى كونه مؤقتاً أنه ينتهى بانتهاء فترة الانتقال التى تعهد عبد الناصر بإقامة حكم برلمانى سليم بمجرد مرور سنوات عليها .

بل أكثر من ذلك فإن عبد الناصر حرصاً منه على إقناع المصريين بأن فترة الانتقال هذه قد قصد منها التمهيد لاقامة حكم برلمانى سليم أنه يوم أن أصدر الدستور المؤقت أصدر قرارا آخر بتكوين لجنة برئاسة على ماهر لوضع دستور جديد يحل محل دستور عام ١٩٢٣ ليطبق بمجرد انتهاء فترة الانتقال .

لعل جميع هذه الأدلة تقطع على أن عبد الناصر كان يعرف تمام المعرفة أن الشعب المصرى حريص كل الحرص على أقامة حكم دستورى وإلا لما أصر فى كل مناسبة من المناسبات على إعلان العزم على إقامة حكم ديموقراطى ، فإذا جاء عبد الناصر بعد ذلك وقال ان الشعب لا يؤمن بالحكم الديمقراطى أو أنه راضٍ عن الحكم القائم الذى سلبه كافة حقوقه السياسية وحرياته فإنه يجافى الحقيقة مجافاة صارخة .

وفى ٢٥ من فبراير سنة ١٩٥٤ عندما عزل عبد الناصر اللواء محمد نجيب وثار الشعب وتمرد سلاح الفرسان واضطر عبد الناصر إلى إعـادة اللواء محمد نجيب إلى رياسة الجمهورية أعلن عن اتخاذ عدة قرارات تهدف كلها إلى إعادة الحريات وإلى إقامة حكم برلمانى ديموقراطى ، فلقد أمر برفع الرقابة عن الصحافة ثم أصدر قراراً بتحديد موعد لاقامة جمعية تأسيسية منتخبة ووعد بإلغاء الأحكام العرفية قبل انتخابات هذه

الجمعية التأسيسية التى تكون مهمتها وضع دستور للبلاد يتم على أساسه انتخاب برلمان وينتهى وجود مجلس القيادة .

إن جمال عبد الناصر فى هذه الفترة كان يريد إسكات ثورة الشعب فلو لم يكن على علم أن هذه الأمور تتماشى مع رغبات الشعب لما بادر إلى إعلانها . بل أن هذه الفترة قد شاهدت كافة مظاهر تعبير الشعب على مختلف طوائفه وهيئاته عن إرادته فى استعادة حقوقه والحصول على الحريات بأقصى سرعة ، حتى أن الهيئات قد هبت تعترض إعتراضاً شديداً على تأجيل إلغاء الأحكام العرفية حتى شهر يوليو وهو الشهر الذى تقرر فيه انتخاب الجمعية التأسيسية لوضع الدستور وطالبت بالغائها فى الحال كما أن الشعب لم يرقه انتخاب جمعية تأسيسية وطالب بإجراء انتخابات لبرلمان دائم .

إن من المغالطة والمكابرة القول بأن الشعب المصرى لا يحب الحريات أو يرضى بالحكم الديكتاتورى الذى فرضه عبد الناصر عليه ، فالشعب المصرى كغيره من شعوب العالم يحب الحرية ويحب أن يحكم نفسه بنفسه .

وعلى الرغم من أن عبد الناصر قد استطاع أن يفرض نفسه حاكما مطلقاً ومسيطراً على زمام الشعب بقوة السلاح فإنه فى سنة ١٩٥٧ وجد أن جميع التقارير التى تقدم إليه تجمع على تذمر الشعب تذمراً مريراً من هذا الحكم الديكتاتورى ، ثم جاءت التقارير تشير إلى أن التذمر قد امتدت أثاره من الشعب إلى بعض الضباط فى مختلف الوحدات فاضطر إلى أن يعلن على الشعب المصرى أنه بصدد إجراء انتخابات وإقامة برلمان مكون من مجلس واحد أسماه مجلس الأمة .

وكان مجلس الأمة هذا والاجراءات التى اتخذت لإقامته محل دعاية واسعة قام بها عبد الناصر وأعوان عبد الناصر وكانت الدعاية مركزة على أن عبد الناصر ليس ديكتاتوراً بل إنه يخلص لمبدأ حكم الشعب أكبر إخلاص ، وكم من مرة صدرت الصحف تهلل وتكبر لعبد الناصر باعتباره يرد للشعب حقوقه .

ومعنى هذا ولا شك واضح ولا يحتاج إلى جدل أو مناقشة .

وفى شهر مايو من سنة ١٩٥٧ بدأ عبد الناصر يعلن عن الوسائل التى سيتم بها

انتخاب أعضاء مجلس الأمة ، ورغبة منه فى إيهام الشعب بالديموقراطية أعلن عن منح النساء حق الانتخاب بل وحق الترشيح وكانت النساء فى الدساتير القديمة لم تحصل على حق الانتخاب وبالتالى حق التمثيل النيابى .

وانتظر الناس قواعد الانتخاب وقواعد الترشيح فاذا بعبد الناصر يعلن بأنه سيحرم من حق الترشيح أنصار الرجعية والاستعمار والانتهازيين والاقطاعيين ؛ ولم يفهم الناس معنى هذه الألفاظ وحاول أحد أساتذة القانون الدستورى وهو الدكتور وحيد رأفت أن يستوضح عبد الناصر معنى هذه العبارات فى مقال ولكن بطبيعة الحال لم يحظ بأى رد على استيضاحاته ، لقد أراد الدكتور وحيد رأفت أن يصدر عبد الناصر تحديدات مفهومة للرجعيين ولمن يسميهم أنصار الاستعمار والانتهازيين والرجعيين وقال فى مقاله أنها عبارات مطاطة يمكن مطها لتشمل أية عبارة منها أى انسان لا ترضى الحكومة عن ترشيحه وقال أن الدساتير أو القوانين إذ تحرم إنسانا أو فئة من الناس حق الانتخاب أو حق الترشيح تحدد تحديداً واضحاً لا يلابسه أى شك من يراد حرمانهم ، أما النصوص غير الواضحة وغير المحددة فإنها سلاح مطلق فى الحكومة تستعمله وفق هواها لمنع كل من لا ترضى عنه من ممارسة حقه الطبيعى فى الترشيح لعضوية المجلس النيابى .

وليت الأمر وقف عند حد منع الرجعيين والانتهازيين وأنصار الاستعمار والاقطاعيين من التقدم بالترشيح ، بل إن عبد الناصر قد اشترط ألا تخوض الأحزاب الانتخابات ، لا الأحزاب القديمة ولا أحزاب جديدة تشكل . لقد اشترط عبد الناصر أن يكون التقدم للانتخابات على غير أساس قيام أحزاب وبرامج حزبية ، مع أن هذا هو الشرط الأساسى الذى يجب توفره فى أية انتخابات يراد فيها معرفة إرادة الشعب الحقيقية فيمن يمثله . لقد أصر عبد الناصر أن يكون الانتخاب بعيداً بعداً كاملا عن الحزبية التى هى الأساس الطبيعى والضرورى لإقامة ديموقراطية صحيحة .

ولم يقف عبد الناصر عند هذه الشروط التى اشترطها على الشعب مقابل منحه الحق فى انتخابات ما أسماه مجلس الأمة بل زاد على ذلك أنه قرر أن تجرى الانتخابات فى ظل الأحكام العرفية ؛ وما هى قيمة الانتخابات والأحكام العرفية مفروضة ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يوضح رأيه فى حرية وهو يعلم أن الحكومة بيدها كل السلطات الاستثنائية ؟.

الاقبال على الترشيح

ورغم كل ذلك فقد تقدم عدد كبير من الافراد للانتخاب وكانت أعجب ظاهرة فى الترشيح هى إقبال الناس على ترشيح أنفسهم فى الدوائر التى تقدم إليهاوزراء عبدالناصر حتى الوزراء العسكريون باستثناء وزير الداخلية . إذ من ذا الذى يجرؤعلى النساء حق الانتخاب بل وحق الترشيح وكانت النساء فى الدساتير القديمة لم تحصل على حق الانتخاب وبالتالى حق التمثيل النيابى .

وانتهى موعد التقدم للترشيح وبدأ المرشحون كل منهم يبذل كل ما فى وسعه للدعاية لنفسه وأخذ الوزراء وغير الوزراء من المرشحين يطوفون دوائرهم الانتخابية وإذا بعبد الناصر يعلن بأن اللجنة المؤلفة لفحص طلبات المتقدمين للترشيح ستبدأ عملها ؛ وتجتمع اللجنة مع أعضاء مجلسه وتنفض لتعلن استبعاد أسماء كل من تقدموا للترشيح فى جميع الدوائر التى ترشح فيها وزراء عبد الناصر ، وقيل فى استبعاد من تقدموا ضد الوزراء أنهم غير صالحين لشرف النيابة عن الشعب ... هل من المعقول أنه ليس بين كل من تقدموا للترشيح ضد الوزراء ولو فرد واحد يصلح لأن ينوب عن الشعب ؟.... هل هذا معقول ؟... والغريب أن قرارات استبعاد المرشحين المنافسين لوزراء عبد الناصر لم تصدر مسببة كما لم يمنح من حرموا من الترشيح أو بلغة أصح من استبعدت لجنة عبد الناصر أسماءهم حق الطعن فى هذا القرار .

وكان المفهوم أنه بعد استبعاد من استبعدتهم اللجنة يعاد فتح باب للترشيح مرة أخرى لعل أشخاص آخرين يتقدمون لترشيح أنفسهم ولكن حتى هذا لم يحدث وأصبح كل وزير هو المرشح الوحيد فى دائرته وبذلك تحول فى لحظة من مجرد مرشح عادى إلى نائب . فهم نائب عن الشعب فى مجلس الأمة !!!

ولم يكتف عبد الناصر باستبعاد كل من جرؤ على ترشيح نفسه أمام وزرائه بل استبعد مئات الأسماء فى دوائر أخرى ليفوز بالنيابة وأنصاره خصوصاً من المحظوظين من الضباط .

وبذلك قبل إجراء الانتخابات كان عبد الناصر قد أدخل مجلس الأمة كل أنصاره وأعوانه ومحاسيبه . ولقد كان المفروض أن عبد الناصر الذى ادعى أن الشعب قد انتخبه

لرئاسة الجمهورية قبل ذلك ببضعة أسابيع بأغلبية ٩٩,٨ ٪ كان المفروض فى زعيم حظى بهذه النسبة الكاسحة من الأصوات أن يطلق جميع الحريات وأن يكوّن حزبا يخوض به الانتخاب أمام كل الأحزاب التى تريد منافسته ، أى زعيم هذا الذى ينتخبه الشعب بأغلبية هى ٩٩,٨ ٪ أو فى تقدير آخر ٩٩,٩ ٪ الذى يخشى انتخابات حرة مطلقة يتقدم فيها عشرات الأحزاب المنافسة ، لقد كان هذا هو الطبيعى والمفروض ولكن كل هذا لم يحدث بل حدث العكس على خط مستقيم . فالانتخابات فى ظل الأحكام العرفية ودون قيام أى حزب سوى حزبه هيئة التحرير نفذ فيها عبد الناصر كل هذه الوسائل التى أشرنا إليها ..

وقيل فى هذه المناسبة أن عبد الناصر قد ضاق ذرعاً بالنكات التى شاعت وانتشرت على ألسنة جميع المصريين فكلف جميع رجال مخابراته وأمر وزير الداخلية بضرورة القبض على الشخص الذى يؤلف هذه النكات ضد حكمه وأن يأتوا به حياً أو ميتاً ... ونشط وزير الداخلية ورجال المخابرات حتى استطاعوا أن يضعوا يدهم على هذا الشخص فأحضروه لعبد الناصر .

وأخذ عبد الناصر يسأله : ـ أأنت الذى ألفت نكتة خلع الضرس من الأنف ؟

وأجاب الرجل بالايجاب

وأنت الذى ألفت نكتة الكلب الذى جرى حتى ليبيا ؟...

فأجاب الرجل بالايجاب

وهكذا ظل عبد الناصر يسأله عن النكات الواحدة تلو الأخرى فيوافق الرجل على أنه هو الذى ألفها ، فيضيق عبد الناصر به وينفعل ويصيح فى الرجل :

وكيف تجسر على تأليف هذه النكات ضدى ... ضدى أنا ... أنا الذى انتخبنى الشعب بنسبة ٩٩,٩ ٪ ؟..

فبادر الرجل مسرعاً إلى قوله ...

أما هذه النكتة فالحقيقة أنى لم أؤلفها !

* * *

إسقاط صديق عبد الناصر

ومع ذلك فإن الشعب قد تكاتف فيما بقى من انتخابات فأسقط أحمد فؤاد مثلا صديق عبد الناصر الصدوق ، لقد كان الشعب يعلم أن أحمد فؤاد يتمتع بمكانة ممتازة عند عبد الناصر ، وأن الأخير قد عينه فى مجلس إدارة بنك مصر أكبر مؤسسة اقتصادية فى مصر مع أنه ليس له أية خبرة بشئون المال بل كان إلى ما قبل تعيينه فى هذا المنصب بقليل قاضياً أى أن كل خبرته تتصل بالقوانين وليس لها أى اتصال بالمال أو بشئون البنوك ، وعرف الشعب جزءا من الصلة التى تربط أحمد فؤاد بعبد الناصر وأنه كان عضواً بارزا بالحزب الشيوعى وأنه الذى كان يطبع ويوزع المنشورات لعبد الناصر ، كل هذه الأسباب قد جعلت الشعب يتكاتف ضده رغم المبالغ الباهظة التى أنفقها على دعايته ، وقد نجح الشعب فى إسقاطه . وكذلك نجح الشعب فى إسقاط الكثيرين من سكرتيرى هيئات التحرير حزب عبد الناصر .

وأسقط الشعب أقارب جميع الوزراء وخصوصاً الضباط منهم ، لقد تقدم الكثيرون من أقارب الوزراء الضباط للترشيح فتكاتف الشعب وأسقطهم جميعاً ، ولولا وسائل الضغط التى اتبعت مع المرشحين ضد أخوى عبد الناصر لسقطا أيضاً .

لقد كان الشعب عنيفاً فى قسوته على عبد الناصر فى هذه الانتخابات ، فلقد كانت فرصة ، ولو أنها فرصة مقيدة بكل قيد إلا الشعب كان يريد أن يعلن حكمه سافرا فى أنه يقف بكتلته ضد عبد الناصر ، فعمل الأعاجيب فى هذه الانتخابات وكان مجرد علاقة مرشح بعبد الناصر أو بأى ضابط من ضباطه المحظوظين كانت كفيلة بأن تحشد الشعور الشعبى ضده وتنتهى به إلى الفشل .

وفى دائرة من دوائر القاهرة تجرأ مرشح كان خصمه ينفق عشرات الآلاف من الجنيهات على الخطابة فى حفل انتخابى ليقول : « إنه لا يفهم أن يكون الحياد الايجابى معناه صداقة روسيا ومعاداة أمريكا ...» واستطرد فى خطابه هذا يندد بهذا التحيز فيما تسميه الحكومة حياداً ايجابياً ، وظن الحكام أن هذا المرشح لن يحوز حتى عشر الأصوات فإذا به يفوز على منافسه .

والحقيقة أن الشعب فى هذه الانتخابات كان عجيباً . لقد امتدت نقمته على عبد

الناصر فشملت كل من عرف عنه بأنه شيوعى أو له ميول يساريه ، فكما أسقط الشعب أحمد فؤاد أسقط كل إنسان عرف بهذه الميول ، وأن ما قام به الشعب من إسقاط الشيوعيين وأشباه الشيوعيين ليس محبة منه فى الغرب ولكنه قام بذلك نقمة منه على الاتحاد السوفياتى الذى أخذ يساعد عبد الناصر ويدعم حكمه .

وجدير بنا هنا أن نلاحظ أن سواد الشعب كان ناقماً على الغرب فى السنوات الأولى للحركة خصوصاً عندما ثار الشعب وأعاد اللواء محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية واضطر عبد الناصر إلى إعلان قرب الحياة النيابية ، ذلك لأن الشعب أو على الأقل طبقة المتعلمين منه كانت تعرف أن أمريكا تعارض قيام حياة ديموقراطية فى مصر ، فقد كانت تخشى أن يصب الشعب غضبه عليها وذلك بالمناداة بالحياد أو بأكثر من ذلك بالمناداة بالتفاهم مع الكتلة الشرقية .

* * *

حزب الوفد وحياد مصر

وكان النحاس باشا قد رفض اشتراك مصر فى حرب كوريا وهو الاشتراك الذى الحت عليه أمريكا والذى كان لا يطالب إلا باشتراك قوة رمزية .. رفض النحاس بينما اشتركت الهند وكان صلاح الدين باشا وزير خارجية الوفد قد طالب بالتزام مصر بالحياد .

وكانت مساندة أمريكا للدكتاتورية معروفة للشعب أو على الأقل لطبقة المتعلمين . فلما ثار الشعب لإعادة نجيب والمطالبة بالحياة النيابية كان المصريون يعلمون أن أمريكا لا تحبذ عودة الديموقراطية والحياة البرلمانية فى مصر ، وقيل وقتها أن السفارة الأمريكية كانت على اتصال دائم عن طريق ليكلاند المستشار الثانى بالسفارة والصديق الحميم لمحمد حسنين هيكل بعبد الناصر لتحرضه ضد الديمقراطية . وقد قيل أن أمريكا تحبذ الحكم الديكتاتورى فى مصر لعدة أسباب أهمها اقتناعها بأن التفهم مع شخص واحد أى مع حاكم ديكتاتورى أسهل وأيسر بكثير من التفاهم مع حكومة مسئولة أمام برلمان وفى وجود احزاب للمعارضة .

فلما استطاع عبد الناصر أن يضرب ضربته ويدبر حملته التى استطاع عن طريقها استعادة سلطاته وإلغاء كل الوعود التى كان قد قطعها الشعب بإعادة الحياة النيابية وانتهاء حكم الجيش ، كان الشعب يتهم أمريكا بأنها من العناصر التى لعبت دورا رئيسيا فى نسف آمال الشعب فى الحكم الديمقراطى .

ولكن فى سنة ١٩٥٧ عندما قامت الانتخابات كانت صداقة عبد الناصر بالكتلة الشيوعية قد توثقت وأصبحت روسيا والشيوعيون هم أصدقاء عبد الناصر الجدد والمعاونين له فى الاستمرار فى الحكم ، فأراد الشعب أن يقيم البرهان على كرهه لحكم عبدالناصر ونقمته على معاونيه الجدد .

وتم انتخاب مجلس الأمة وافتتح يوم ٢٤ من يوليه سنة ١٩٥٧ وقد اختير هذا اليوم لأنه ذكرى مرور خمس سنوات على قيام الانقلاب .

* * *

عبد الناصر .. الرئيس

وكان يوم ٢٣ من يوليه أى يوم افتتاح البرلمان يوم تطور جديد فى علاقة عبدالناصر بزملائه المقربين الذين اشتركوا معه فى القيام بالانقلاب فانتهز فرصة افتتاح البرلمان ليفرض نفسه رئيساً عليهم . لقد كانت علاقته حتى ذلك الوقت بزملائه علاقة صداقة ومودة ومساواة فكانوا ينادونه باسمه مجرداً من أى لقب ويعتبرونه زميلا وصديقاً أكثر منه رئيساً . ولذلك فقد أراد عبد الناصر أن يضع فاصلا بينه وبين زملائه ، وأن يجعلهم يفهمون ويتصرفون باعتباره رئيساً للدولة ولهم ، وأصدر أمره صبيحة يوم افتتاح برلمانه بأن يدخل وحده من الباب الرئيسى ، أى من الباب الذى كان لا يفتح إلا مرة كل عام عندما كان الملك فى العهود السابقة يتوجه إلى دار البرلمان لافتتاح دورته السنوية ولما كان هذا القرار لم يعلن إلا صبيحة يوم الافتتاح فقد تم إبلاغه لبعض الوزراء تليفونياً أما البعض الآخر فتعذر الاتصال بهم لتعريفهم بالبروتوكول الجديد .

ولكن عبد الحكيم عامر قائد الجيش ووزير الحربية كان قد بلغه القرار ، ومع ذلك فقد اتجه بسيارته إلى الباب الرئيسى وأمر السائق بألا يعير اعتراض حرس البرلمان أى اهتمام وأن يجتاز البوابة مهما كان الأمر . واقبلت السيارة حتى إذا ما قربت من الباب زاد السائق من سرعتها ولم يعبأ بمحاولة حرس البرلمان إعتراض سبيله . وبذلك استطاع عبد الحكيم عامر أن يدخل مبنى البرلمان من نفس الباب الذى دخل منه جمال عبدالناصر وكان هو الوزير الوحيد الذى تمرد على هذا القرار فى ذلك اليوم .

وعلى كل حال فسواء تمرد عبد الحكيم عامر أو لم يتمرد على البروتوكول الذى فرضه عبد الناصر فى ذلك اليوم ، فإن عبد الناصر منذ ذلك اليوم قد استطاع ان يخلق لنفسه مركزا جديداً وهو مركز الرئاسة وأصبح منذ ذلك اليوم يلقب فى كل مكان بالرئيس جمال عبد الناصر . إذ أن الصحافة والوزراء ومنهم الضباط أصبحوا لا ينادونه أو يخاطبونه أو يتحدثون معه إلا وقد اقترن اسمه بلقب الرئيس .

وعلى الرغم من أن عبد الناصر وضع كل الضمانات التى من شأنها أن تجعل من مجلس الأمة هذا أداة طيعة لرغباته ، فإنه زيادة فى الحرص على أن يمتثل أعضاء المجلس لكل ما يريد قرر رفع المكافأة البرلمانية لكل عضو من أربعين جنيهاً فى البرلمانات السابقة إلى خمسة وسبعين جنيهاً . ومع ذلك فإن عبد الناصر لم يحتمل قيام هذا المجلس أكثر من بضعة أشهر ، إذ سرعان ما انتهز فرصة إعلان الاتحاد بين مصر وسوريا ليعلن عن تأجيل انعقاد المجلس إلى أجل غير مسمى ثم أعلن حله بعد ذلك .

لم يستطع عبد الناصر أن يحتمل قيام عضو من أعضاء المجلس ، وهو ضابط من قدامى الضباط الأحرار ، بتقديم سؤال موجه إلى وزير الداخلية يسأله فيه عن عدد المتعلقين دون محاكمة . لقد كان تقديم هذا السؤال بمثابة أول مظهر من مظاهر المعارضة العلنية لحكم عبد الناصر منذ مارس سنة ١٩٥٤ . ولذلك أحدث تقديمه ونشره فى الصحف اهتماماً كبيراً لدى الشعب ، وانتظر التطورات التى ستعقب هذا السؤال والرد عليه . وأخذ الناس يتحدثون عن مقدم السؤال وعن شجاعته وإقدامه وجاء رد وزير الداخلية باهتاً فاتراً إذ أعلن عن عدم وجود أى معتقل وتلقف النائب السائل هذا النص وأعلن عن وجود معتقلات فى الصحارى أنشأتها الدولة دون أن تهيء لها أسباب العناية

الصحية وقال النائب إن المعتقلين يموتون دون أن يعرف أهلهم عنهم شيئاً . وكانت فضيحة مدوية هزت مشاعر المصريين كلهم ولم يستطع الوزير إنكار ذلك واكتفى بقوله إنه لا يعلم بوجود معتقلين .

وطلب نائب آخر مناقشة مشروع مديرية التحرير وما أنفقته الدولة على هذا المشروع من أموال وما حققته من نجاح ، وانتظر المصريون بصبر نافذ مناقشة هذا الأمر فقد كان المسئول عن المشروع الصاغ مجدى حسنين صديق شخصى لعبدالناصر ؛ وكانت مصر كلها تعلم أن عشرات الملايين من الجنيهات قد انفقت على هذه المديرية .

وفى هذه الأثناء تقدم نائب آخر يطلب مناقشة سياسة التعليم التى أدت إلى انهيار التعليم فى مصر .

وأسقط فى يد عبد الناصر واتجه المجلس نحو مناقشة هذه المواضيع وحان موعد الجلسة فبدل أن يقبل ممثلو الحكومة مناقشة هذه المسائل الخطيرة إذا بهم يرفضون المناقشة وهنا تأتى المفاجأة الثانية إذ يعلن عبد اللطيف البغدادى إعتزامه على الاستقالة من رياسة المجلس إذا لم يتح للنواب مناقشة المسائل الواردة فى جدول الأعمال .

ويسود الهرج والمرج جو المجلس فيغادر عبد اللطيف البغدادى قاعة المجلس ويسرع أنور السادات لاحتلال مقعد الرئاسة ويقرر عقد المجلس فى جلسة سرية .

إعدام مجلس الامة

ومنذ ذلك اليوم حكم عبد الناصر على المجلس بالاعدام إذ تعطلت جلساته ثم تقرر حله بعد إتحاد سوريا ومصر بحجة أن الوضع الجديد يستلزم قيام برلمان موحد .

وفى سنة ١٩٥٩ على الرغم من مرور أكثر من عام على الوحدة لم يكن للجمهورية العربية أى مجلس نيابى وفى سنة ١٩٦٠ كون عبدالناصر مجلس أمة جديد وأحكم اختيار أعضائه .

ولما كان الحكم الدكتاتورى يقوم دائماً عن طريق حكم الفرد وتنعدم فيه كل أوجه النقد أو المعارضة ، فالشعب يرى أخطاء الحاكم ولا يستطيع أن يعارضها بالطرق الطبيعية ، والحاكم يلمس تذمر فئات الشعب فبدل أن يلجأ إلى اصلاح الأخطاء ومنح الشعب بعض الحريات يلجأ دائماً إلى العنف ليجبر الشعب على السكوت عن هذه الأخطاء وهكذا بمرور الأيام تزداد الأخطاء ويزداد عدد الفئات المتذمرة ويزداد الحاكم فى بطشه وعنفه وإحكام قبضته على رقاب الشعب ، والحلقة مفرغة والنتيجة الحتمية لهذا أن يصبح الشعب فى اتجاه مضاد تماما لاتجاه الحاكم .

وهكذا كما حدث فى كل البلاد ذات النظام الديكتاتورى حدث فى مصر ، وكما أن كل ديكتاتور يدعى بأنه يتحدث باسم الشعب فإن عبد الناصر يدعى أنه أيضاً يتحدث باسم الشعب المصرى ، وكما أن كل ديكتاتور يستطيع أن يحشد الناس جبراً للتصفيق له والهتاف بحياته فإن لدى عبد الناصر نفس الوسائل التى يتبعها من آن لآخر لحشد الناس للتصفيق له والهتاف باسمه وبحياته .

وكما أن حكم الفرد يقوم دائما إستناداً على قوة الجيش فإن حكم عبد الناصر يعتمد أيضاً على مساندة الجيش له ، ولما كانت القوى التى تساند الديكتاتور تشعر بأنها صاحبة الفضل فى بقاء واستمرار هذا النظام فإن القائمين عليها يرون أن من حقهم أن يشاركوا كل بقدر مساندته وقوته للديكتاتور فى المجد والجاه الذى يتمتع به ، وهذا ما حدث وما يحدث فى مصر ، فبعد أن ألغى الجيش الأرستوقراطية القديمة فى مصر أرستوقراطية الأسرة المالكة السابقة والباشوات ظهرت أرستوقراطية جديدة وهى أرستوقراطية ضباط الجيش ؛ فلقد انتقل فريق كبير من الضباط من مراكزهم العادية بالجيش

وأصبحوا يحتلون جميع المناصب الكبرى فى الدولة ... فمعظم الوزراء من الضباط وجزء كبير من السفراء والوزراء المفوضون من ضباط الجيش ، ورئاسات النقابات أصبحت لضباط الجيش ، المشروعات الكبرى يتولى رئاستها والاشراف عليها ضباط ، الشركات الكبرى كشركة قناة السويس يرأسها ويدير سياستها ضباط ، حتى دور الصحف فقد انتشر بها الضباط ، والنوادى الرياضية والاجتماعية يقوم على رئاسة الكثير منها ضباط ، بل أن فروعاً كثيرة من التجارة أصبحت فى أيدى الضباط .

وكل هؤلاء ينعمون بمراكز ضخمة ومرتبات كبيرة ، هذا فضلا عن ضباط المخابرات الذين ينعمون بمرتبات هائلة وتوضع تحت تصرفهم مبالغ كبيرة ينفقونها دون التزام بتقديم حساب

وقد أدى ذلك كله إلى قيام ارستوقراطية جديدة فى مصر وهى أرستوقراطية ضباط الجيش ، فانتقل الضباط من مساكنهم الأولى إلى أرقى المساكن وأصبحت السيارات الكبيرة الأميركية والألمانية تقريباً وقفاً على طبقة الضباط ، واكتظت الأندية الليلية ودور اللهو بهم ، وأصبحت القوة الشرائية تتمثل فيهم .

والشعب يرى كل ذلك وغير ذلك من الامتيازات الضخمة التى ينعم بها الضباط كالسفر إلى الخارج فى صور مختلفة على حساب خزينة الدولة وكتيسير شراء مواد الترف لهم دون جمارك كالسيارات والثلاجات الكهربائية ورفع المرتبات لضباط الجيش وزيادة العلاوات لهم ، يرى الشعب كل ذلك ، ويرى بالاضافة إلى هذا أخطاء فاحشة وتصرفات نابية ويرى الكثير من الأفعال غير المشروعة التى يقوم بها الكثير من الضباط فتزداد الهوة بين الحاكم وبين الشعب .

وكلما زادت الهوة بين عبد الناصر والشعب اتساعاً أدى ذلك إلى ابتكار الأول جديداً من أنواع البطش والارهاب كى يضمن استمرار الشعب فى الرضوخ لحكمه وكلما قام بذلك ظهرت فرقة جديدة من الضباط الذين ينفذون وسائل البطش والارهاب لحساب عبد الناصر وطالبت بجديد من المزايا ، والشعب يرى كل ذلك ويزداد حقده على عبد الناصر وضباطه لأنه يعرف أن الضباط إذ ينعمون بما ينعمون ، إنما يكون ذلك على حسابه وحساب حرياته وأمنه واستقراره .

وجمال عبد الناصر كأى ديكتاتور يميل إلى القيام بأعمال تبهر أنظار الشعب وتجعله ينسى حرمانه من حرياته وحقوقه السياسية ، ولذلك فعندما قام الانقلاب راح عبد الناصر يبحث عن الأعمال الضخمة التى يقوم بها ليبهر أنظار الشعب المصرى فلجأ إلى إلغاء الألقاب ، ثم قام بتحديد الملكية الزراعية فى مصر ، والمشروع الأخير قد صاحبته دعاية واسعة ، والأمر الذى لا شك فيه أن الملكية الزراعية فى مصر كانت تحتاج لاعادة توزيع ولتنظيم واسع ذلك لأن مصر بلد زراعى يعتمد الشعب فى دخله العام على الانتاج الزراعى ، فتركيز الأرض فى أيدى فئة قليلة من الناس يحرم سواد الشعب من مصدر الدخل الرئيسى ، ولكن للأسف أن المشروع إذ وضعت خطوطه وبدأ التنفيذ فيه لم تتوفر للقائمين عليه لا الخبرة ولا الدراسة الكافية حتى يمكن أن يؤدى فوائده من حيث الانتفاع الشعبى حيث ان نقل الأرض من أيدى كبار الملاك الأغنياء الذين ملكوا المال والآلات والوسائل الكفيلة بالانتاج القوى إلى أيدى المعدمين من الفلاحين دون مدهم بالوسائل اللازمة والضرورية لزرع الأرض زراعة على مستوى لا يقل عن زراعتها فى أيدى ملاكها الأوائل قد أفضى إلى نتائج وخيمة على الاقتصاد القومى .

لقد وجد الفلاح البسيط الذى كان حتى الأمس يعمل بالأجر نفسه مالكا لخمسة أفدنة ، ففرح بذلك ولكن عندما واجه الحقائق وتبين له أن هذه الأرض تحتاج إلى الآلات وتقاوى وسماد ومواشى لزراعتها وجد نفسه عاجزاً عن القيام بهده الأعباء .

وأدى عدم إمداد الحكومة للملاك الجدد بالآلات الزراعية الحديثة والمواشى اللازمة إلى ايجاد اضطراب كبير فى زراعة الأراضى التى نزعت من كبار الملاك ووزعت على المعدمين .

ومن ذلك يتضح لنا أن القانون قد قصد به كسب تصفيق الجماهير أكثر من أى أمر آخر .

ولقد كان للارتجال والتسرع فى إصدار هذا القانون أثره على مستقبل المحاصيل الزراعية فى مصر فلقد كانت مصر فى النصف الأول من هذا القرن تعتمد على نفسها بالنسبة للمواد الغذائية بل إن قوات الحلفاء فى مصر أثناء الحرب العالمية الأخيرة كان جزءاً كبيراً من تموينها الغذائى تشتريه من الانتاج المصرى .

وما استوردت مصر القمح إلا من عام ١٩٥١ عندما وجدت لأسباب اقتصادية ضرورة التوسع في إنتاج القطن على حساب محصول القمح نظراً لأن أسعار القطن ارتفعت فى الأسواق العالمية نتيجة لحرب كوريا ثم عادت مصر سنة ١٩٥٢ تعتمد على نفسها بالنسبة لحاجتها من القمح حتى عام ١٩٥٤ إذ أعلن كمال رمزى استينو وزير التموين أن مصر استوردت فى هذا العام ألف طن من القمح ، ولكن سرعان ما زاد المستورد من القمح عاماً بعد آخر حتى بلغت فى عام ١٩٥٩ مليون ومائتى ألف طن وبذلك أصبحت مصر تعتمد على الاستيراد فى سد نصف الكمية التى يحتاجها شعبها من القمح .

وكان هذا التدهور الخطير فى الانتاج الزراعى السبب المباشر الذى جعل عبدالناصر يسعى سراً إلى تحسين علاقاته بأمريكا ضارباً بقضية فلسطين عرض الحائط وأصبحت أمريكا تمنح مصر سنوياً قمحاً بل ومواد تموينية أخرى من فضلات الغذاء الأميركى تبلغ قيمتها عدة مئات الملايين من الدولارات .

ومن المشروعات البراقة التى رأى الجيش القيام بها بعد الانقلاب مشروع إنشاء غابة خارج مدينة القاهرة . وقد حشدت لهذا المشروع كل وسائل الدعاية وقيل عنه إنه سيوفر لمصر الأخشاب اللازمة والتى تستوردها من الخارج بملايين الجنيهات ، وبدأ المشروع كما تحدثنا عنه فى فصل سابق بأن انتقل اللواء محمد نجيب إلى منطقة كوم أوشيم وزرع شجرة هناك وكان هذا العمل بمثابة بدء افتتاح أسبوع الشجرة . وقد كان من الطبيعى أن يسارع كل ذى مركز يخشى عليه أو صاحب تجارة أو شركة أو مصنع إلى زراعة شجرة فى كوم أوشيم ، والمشروع كما نرى أقرب إلى الهزل منه إلى الجد فإن النفقات والوقت الذى ضاع فى الانتقال بالسيارة أو القطار لزراعة الشجرة ثم العودة تزيد بكثير عن الفوائد المرجوة منها ومع ذلك فقد كان الناس من ذوى المصالح يبادرون إلى ترك أعمالهم ليتوجهوا إلى كوم أوشيم ليزرعوا شجرة ويحرص بطبيعة الحال كل واحد منهم على أن يصطحب معه مصوراً يلتقط له بعض الصور أثناء عملية الغرس ثم ينشرها بالأجر فى الصحف مصحوبة بالعبارات التفخيمية تيمنا بالعمل العظيم الذى قام به اللواء محمد نجيب قائد حركة الجيش المباركة ، انتقل التاجر ...

ولم يعد غرس الشجرة بفوائد إلا على إدارات الاعلان بالصحف ذلك لأن غابة كوم أوشيم لم تجد بعد ذلك العناية اللازمة وأصبحت قاعاً بلقعا بعد أن جف الشجر وسقط ، ولاتزال مصر تستورد الأخشاب بملايين الجنيهات والعملات الصعبة .

ومن المشروعات التى نادت بها حركة الجيش أيضاً مشروع التدريب العسكرى لجميع طبقات الشعب ، وكما هو الحال فى كل مشروع قام به الجيش حشدت كافة وسائل الدعاية له وقيل إن التدريب العسكرى العام مقصود به تدريب كافة طبقات الشعب على حمل السلاح استعداداً لخوض المعركة ضد الاحتلال البريطانى ، وكان من الطبيعى أن يستهوى هذا المشروع نفوس المصرين خصوصاً الشبان منهم لتطوعهم لمكافحة الاحتلال البريطانى ، ولكن للأسف لعب النفاق دوره فقلب هذا العمل العسكرى إلى مسرحية هزلية ، ذلك لأن أول من بادر إلى تلقى فنون التدريب العسكرى كانوا الوزراء ، وكانوا فى ذلك الوقت من المدنيين إذ أن الضباط لم يكونوا فى ذلك الحين قد تقلدوا مناصب الوزارة ، سارع الوزراء المدنيون إلى ساحة التدريب ونشرت الصحف صورهم بملابس التدريب العسكرى وبانت الكروش المتضخمة والسيقان الهزلية ، وكان منظر الدكتور محمود فوزى فى البنطلون القصير يدعو حقيقة إلى الضحك ، وزاد من المهزلة أن الكثير من ضباط الجيش فى ذلك الحين كانوا قد تسربوا إلى المناصب المدنية فى الوزارات ودور الحكومة والنوادى وقال أحد المصريين : « لقد ترك الوزراء مكاتبهم وأصبحوا عساكر وترك الضباط صفوفهم وأصبحوا مدنيين !! » وضحك الشعب وانطلقت النكات ...

وكان من أكبر مشروعات عبد الناصر التى أعلنها على الشعب مشروع إقامة حزب هيئة التحرير ومع أن هذا المشروع كان عملا سياسيا إلا أن عبد الناصر قد استغله ليروج بأن هيئة التحرير ليست مجرد حزب سياسى كسابق الأحزاب بل إن فروع هيئة التحرير ستقوم على أساس توفير الأندية الرياضية والثقافية والعلاج الصحى لمختلف طبقات الشعب .

وقد كانت المناداة بإنشاء هيئات التحرير مجالاً لمشروعات خرافية أو خيالية ضخمة فقد أصبح كل طامع فى منصب أو جاه وكل من فشل فى تحقيق النجاح بالوسائل

العادية يبادر إلى اختراع مشروع والمناداة به فى الصحف كفكرة رائعة جبارة لقلب حياة الشعب المصرى من الفقر إلى الرخاء وإذا قام إنسان بأحصاء عدد المشاريع الخيالية التى نادى بها المنادون فى ذلك الحين لوجد أنها تحتاج لآلاف الملايين من الجنيهات وقد تصادف أن حضر لزيارتى أحد أصحاب هذه المشاريع فلما ناقشته من أين يتوفر المال للتنفيذ ابتسم ونظر إلىّ باستخفاف وقال إن الأمر أبسط من أن أشغل به بالى فإنه قد أعد لكل شيء عدته ، واستطرد يقول إنه سيوفر المال عن طريق مطالبة نساء القطر المصرى بالتبرع بالحلى التى يملكنها وأن ما يتجمع من حلى سيكفى ثمنه لتنفيذ هذه المشروعات ومشروعات أخرى .. وبطبيعة الحال كان هذا الرد كافيا لعدم الاسترسال من جانبى فى المناقشة !!..

وانطلقت فى مصر موجة من المشروعات وساهم الضباط بنصيب الأسد فى تنفيذ الاقتراحات ذلك لأن كل ضابط كان يستطيع إقناع عبد الناصر بوجاهة مشروعه كان يمنح المال اللازم لتنفيذ مشروعه وفى ذلك العديد من المنافع والمزايا التى تعود على الضابط وتعفيهم من واجبات الجندية وقامت عشرات الشركات باسم التحرير ...

ولعل النموذج الصارخ لهذه المشروعات الفاشلة التى أراد عبد الناصر أن يبهر بها أنظار المصريين هو مشروع تعمير وزراعة الصحارى وهو المشروع الذى تمخض عما سمى فى مصر بمشروع مديرية التحرير ، وصاحب الفكرة ضابط فى الجيش هو الصاغ مجدى حسنين وهو من الضباط الأحرار .

وكم من مشروعات خيالية قامت فى مصر وكم من دعايات ضخمة بذلت فى سبيل إقناع الرأى العام بها ولعل مصنع الطائرات الذى بشر به عبد الناصر والذى قال عنه أنه سيكفى حاجة مصر الحربية والمدنية بل إن مصر ستستطيع فى القريب العاجل تصدير طائرات للدول المختلفة هو مثل لهذه الخيالات التى كلفت مصر الكثير .

وها نحن نسمع عشرات القصص عن مصنع الحديد والصلب وكلها عن الآمال العظيمة التى سيحققها هذا المصنع مما سيجعلنا فى عداد الدول ذات الصناعات الثقيلة .

كل هذه المشاريع الخيالية قد أضاعت على مصر مئات الملايين من الجنيهات يضاف إلى ذلك انحطاط مستوى الانتاج الزراعى ويضاف إلى ذلك أيضاً أن أصحاب الأراضى

التى انتزعتها الحكومة لم يقبضوا ثمنها ليستغلوه فى مشاريع صناعية أو عمرانية بل على العكس من ذلك منحت الحكومة بعضهم سندات على الخزينة والبعض الآخر لا يزال حتى الآن يطالب بنصيبه من السندات وفى نفس الوقت زادت ميزانية الجيش زيادة ضخمة وأدى منح الضباط والجنود امتيازات ضخمة إلى ارتفاع حصة المرتبات ونفقات الجيش ارتفاعاً كبيراً ثم رصدت مبالغ كبيرة جداً لتسليح الجيش ، وزادت نفقات البوليس والمخابرات أو ما يسمى بالأمن الداخلى عشرات الأضعاف وبلغت أكثر من ٤٢ مليوناً من الجنيهات سنة ١٩٥٧ واضطرت الحكومة إلى تخصيص ملايين الجنيهات لوسائل الدعاية كالاذاعة ومصلحة الاستعلامات وما يتبعها من دعاية علنية ودعايات سرية للتأثير على كل الدول العربية والأفريقية ، وصاحب تعيين الضباط فى مناصب السفراء والوزراء المفوضين رفع المرتبات وزيادة الامتيازات زيادة أتاحت لهم الاعفاء من الرسوم الجمركية على كل ما يحضرون معهم من أمتعة ومشتروات من الخارج ، كما أن إنشاء مناصب الملحقين العسكريين وإسناد أمور الجاسوسية على المصريين وعلى الدول لهؤلاء الملحقين قد اقتضى وضع أموال طائلة تحت تصرفهم بالاضافة إلى كل ما يتمتعون به من مرتبات ضخمة وامتيازات تقارب امتيازات السفراء يضاف إلى كل ذلك المغامرات التى يخوضها نظام عبد الناصر فى مختلف الدول العربية مما يقتضى إنفاق عشرات الملايين من الجنيهات .

وعبد الناصر يخشى دائماً طبقة الأغنياء إذ يعتبرهم دائماً خطراً يهدد نظامه وقد أعلن عداءه هذا فى عدد من الخطب إذ كان كثيراً ما يتحدث عن سيطرة رأس المال وخطر هذه السيطرة على نظامه .

وقد بدأ هذا الخوف يتجلى واضحا ابتداءاً من سنة ١٩٥٩ فأخذ يستصدر القرار تلو القرار بتأميم فروع من الصناعة والتجارة وشركات المال واستمر يتدرج نحو سيطرة الدولة على جميع فروع الدخل القومى شهراً بعد آخر فأمم دور الصحافة والبنوك وشركات التأمين وتجارة الاستيراد والتصدير ثم تجارة الأدوية ثم شركات تصدير القطن وهكذا كلما أعوزه المال صور له مستشاروه بأن الشركات تكسب مكاسب كبيرة وأن خير السبيل لتحقيق موارد للدولة هو تأميم هذه الشركات .

وأطلق عبد الناصر فى هذه الفترة على نظام حكمه اسماً جديداً أو بلغة أصح شعاراً جديداً وما أكثر شعارات عبد الناصر ، أطلق على حكمة شعار « الديمقراطية التعاونية الاشتراكية » وقد سماها المصريون « سمك لبن تمر هندى » فلا هى ديمقراطية ولا اشتراكية ولا تعاونية .

وانطلق عبد الناصر تحت شعار هذه الديمقراطية الاشتراكية ... الخ يحقق السيطرة الكاملة للدولة على جميع نواحى الاقتصاد المصرى وكانت كل التجارب تثبت أن الشركات التى فى يد الأفراد أكثر نجاحاً من الشركات التى تضع الحكومة اليد عليها وقد ضاق عبد الناصر ذرعا بذلك النقد فكان أن أصدر فى ٢١ من يوليه عام ١٩٦١ سلسلة من التشريعات حققت السيطرة الكاملة للحكومة على كل موارد الثروة والدخل القومى .

وكانت هذه التشريعات بمثابة الضربة القاضية لسمعة الاقتصاد المصرى وسرعان ما انهارت الثقة فى هذا الاقتصاد وهبطت أسعار النقد المصرى فى الأسواق العالمية هبوطاً مروعا .

وقد ظن عبد الناصر أن تشريعاته هذه ستعيد له ثقة وحب وتأييد الشعب المصرى ولكن التقارير التى جمعتها شبكة الجاسوسية عن مشاعر المصريين بعد هذه القرارات قد جاءت صدمة عنيفة له ذلك لأن الشعب المصرى وقد عاصر حكم عبد الناصر طوال هذه السنين قد بات لا يؤمن على ضوء التجارب بسيطرة الدولة على مناحى الانتاج بل إنه وقد رأى الفساد وسوء الادارة يسيطران على كل مؤسسة أممتها الدولة قد أصبح مؤمناً بأن كل مؤسسة فى يد الحكومة إنما تعمل لصالح المحظوظين من الضباط وأقارب ومحاسيب الضباط لا لصالح الشعب ، فضلا عن أن العمال لم تخدعهم التشريعات التى تنص على إعطاءهم خمسة وعشرون فى المائة من ربح الشركات ذلك لأن ما سينالونه فعلا من هذه الأرباح هو عشرة فى المائة فقط والباقى يخصص بحسب القانون لخدمات لجتماعية وتأمينية ، فضلاً عن أن هذه التشريعات قد حرمتهم من العمل الإضافى وقد كان حتى ذلك الحين مورد رزق كبير لهم إذ أن الساعة الإضافية تحسب فى كثير من الأحيان بأجر مضاعف لساعة العمل الأصلية .

جاءت التقارير مخيبة لظن عبد الناصر حتى أنه عندما ألقى خطابه فى يوم ٢٦ من يولية بمدينة الأسكندرية هاج واضطربت عباراته .

وعندما انفصلت سوريا عقب ثورة يوم ٢٨ من سبتمبر أيقن عبد الناصر ألا سبيل له لاستعادة سلطانه عليها وخرج على الناس بحديث عن طريق الاذاعة صب جام غضبه فيه على الأغنياء وعلى السياسيين القدامى وقرر مصادرة أموال البعض ووضع الحراسة على أموال البعض الآخر .

ومما لا شك فيه أن كل هذه الاجراءات بالاضافة إلى انحطاط مستوى الانتاج الزراعى عادت بأوخم العواقب على الاقتصاد المصرى الأمر الذى كان يهدد بقرب وقوع مجاعة خطيرة فى مصر إذا ما تخلت أمريكا عن تغذية الشعب المصرى عن طريق مده بالقمح وفضلات الغذاء الأمريكى .

وإذا كان الاضطراب فى النواحى المالية والاقتصادية قد لازم حكم عبد الناصر لمصر فإن الاضطراب فى أداة الحكم لم يكن أقل ملازمة له ، فمنذ تحقق الانقلاب فى مصر وأداة الحكم ليست مركزة فى جهاتها الطبيعية بل إنها موزعة توزيعا مضطرباً . فبعد الانقلاب قام مجلس قيادة الحركة بإدارة شئون الحكم ولم يتم ذلك بالطريق الطبيعى وذلك بتولى ضباط هذا المجلس مناصب الوزراء بل على العكس من ذلك أسندت الوزارات لمدنيين يتولى رئاستهم أول الأمر على ماهر وهو مدنى ثم عسكرى هو اللواء محمد نجيب وبذلك أصبح فى مصر نظامان للحكم ، الأول مجلس الوزراء والثانى مجلس القيادة ، ولما كان الأول هو من المدنيين والثانى من العسكريين فقد طغت سلطات الثانى على سلطات الأول طغياناً كاملا ، حتى صار الوزراء دون أى سلطات إلا تنفيذ ما يقرره مجلس القيادة من قرارات . وقد زاد من الاضطراب أن عين جمال عبد الناصر ضباطا فى كافة الوزارات تحت اسم مندوبى القيادة وتحولت السلطة الضيقة التى كان يتمتع بها الوزراء المدنيون إلى دمى فى أيدى مندوبى القيادة الذين يأتمرون بأوامر مجلس القيادة .

أصدر عبد الناصر دستوراً مؤقتاً نص فيه على أن السيادة هى لمجلس القيادة ، فلما ترأس هو الوزارة وأشرك الكثير من أعضاء مجلس القيادة ، فى حكومته أعاد تنظيم السيادة فجعلها فى يد مجلس مشترك يضم مجلس الوزراء ومجلس القيادة ، ثم عاد بعد

ذلك وألغى حق مجلس القيادة فى السيادة عندما وصل إلى مركز رياسة الجمهورية وركز السلطة والسيادة فى يده باعتباره رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وعزز من سلطة الضباط الذين عينهم فى وظائف كبرى بالوزارات المختلفة .

ولم يقتصر على تعيين ضباط فى الوزارات التى يتولى أمورها وزراء مدنيون بل امتد التعيين إلى الوزارات التى يتولاها وزراء عسكريون . ففى وزارة الداخلية مثلا كان يفرض ضباطا فى المناصب الرئيسية تكون ولا يتهم له رأسا لا لوزير الداخلية ، ثم انتهى به الأمر بعد مرور عدة أشهر على انضمام سوريا إلى مصر إلى تكوين ثلاث حكومات ، حكومة أطلق عليها اسم الحكومة المركزية مهمتها الاشراف على شئون الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة ثم الحكومتين الباقيتين إحداهما لادارة دفّة الحكم فى مصر والأخرى فى سوريا .

وكان من نتيجة ذلك أن زاد عدد الوزراء عن خمسين وزيرا مما زاد الأعباء المالية على خزانة الدولة ، ثم إن تضارب الاختصاصات بين وزراء الحكومة المركزية ووزراء الحكومتين التنفيذيتين أخذ يتفاقم يوما بعد يوم .

وقد أدى كل ذلك إلى اضطراب واسع فى الادارة الحكومية وإلى مؤامرات خصوصا داخل الوزارات التى يتولى أمرها وزراء من العسكريين ، أما الوزارات التى يتولاها وزراء مدنيون فإن السلطة تركزت فعلا فى يد الضباط الذين عينهم عبد النـاصر فى المناصب الكبرى وقد تجلى ذلك فى وزارة الخارجية التى يتولى أمزها الدكتور محمـود فوزى . فإن جميع سلطات الوزارة كانت فى يد الضابط الطيار حسين صبرى فهو الذى يدير أمور الوزارة ويجرى حركة التعيين والنقل والترقيات فى الوزارة وهو الذى يصدر الأوامر للبعثات الديبلوماسية المصرية فى الخارج وهو الذى يرسم سياسة الوزارة وقد اكتفى الدكتور محمود فوزى بمنصب الوزير ومرتبه وتنفيذ ما يطلب منه تنفيذه كمقابلة السفراء أو السفر إلى نيويورك لحضور جلسات هيئة الأمم واستقبال بعض الشخصيات السياسية ؛ والدكتور محمود فوزى لا يتدخل فى شئون وزارته ولا يشرف على أى أمر سياسى إلا إذا كلفه بذلك جمال عبد الناصر أو على صبرى أو حسين صبرى ، ولذلك فإنه لا يتردد على مكتبه فى الوزارة إلا بضع ساعات كل أسبوع .

وبعد أن تم انتخاب عبد الناصر رئيساً للجمهورية أخذ يعين له مستشارين فى كافة الأمور ويحدث فى كثير من الأحيان أن يروق لعبد الناصر أن يصدر قانوناً معينا فبدل أن يسلك الطريق الطبيعى وهو تكليف الوزير المختص بوضع نصوص هذا القانون نراه يعهد بذلك إلى أحد مستشاريه فيضعه الأخير دون حتى اطلاع الوزير المختص وبعد أن يتم اعداده يرسله عبد الناصر للوزير لا لمناقشته بل لتوقيعه ولما كان الوزراء لا يستطيعون الاعتراض على أوامر عبد الناصر أو تعديلها فإنهم يوقعون هذه القوانين ولو كانوا مقتنعين بأنها تضر بالصالح العام .

والوزراء فى وزارة عبد الناصر ليس لهم حق الاستقالة ؛ فهم باقون بالوزارة طالما هو راض عن بقائهم ويطردون من الوزارة عندما يغضب عليهم . ويحدث أن يشكو وزير من الوزراء لزميل له تدخل الضباط فى اختصاصه فلما يسأله الصديق لماذا لا يستقيل يبادر الوزير بقوله بأنه لا يملك أن يفعل ذلك .

تفاقم الفساد

وقد زاد من تفاقم الاضطراب أن الكثيرين من الذين عينهم عبد الناصر فى المناصب الكبرى راحوا يستغلون النفوذ ويحققون الثراء السريع على حساب المنفعة العامة وانطلق الكثيرون من الملتفين بعبد الناصر والمقربين إليه يسعون إلى تحقيق الثروات بكل السبل ، فانتشرت الرشوة وتفشت بصورة مروعة فى دواوين وأجهزة الحكم وأصبح التلاعب بمصالح الناس واضحاً ظاهراً حتى انطبع فى أذهان المصريين أنه لابد من تقديم الأموال لقضاء حاجاتهم وتحقيق مصالحهم . إن الفساد الحكومى الذى يسيطر على الأداة الحكومية فى مصر يلعب دورا خطيرا فى تدمير معنويات واقتصاد الشعب المصرى وقد كان لهذا الفساد أكبر الأثر فى تنفير البقية الباقية من الشعب من حكم عبد الناصر ، ذلك لأنه كان بمصر فئة من الناس تقول بأنه لا بأس أن يحكم عبد الناصر البلاد لفترة من الفترات حكما ديكتاتوريا وذلك لتنفرد يده بوضع أسس صالحة لادارة الحكم وليقضى على الفساد الذى كان الشعب يشكو من بعض مظاهره أثناء حكم فاروق ، فلما فشل عبد الناصر فى وضع أسس صالحة لادارة الحكم فى مصر ولما دب الفساد بصورة مروعة بين الموظفين كفرت هذه الفئة بحكم عبد الناصر .

ولقد كان من أهم العناصر التى قامت عليها دعاية حركة الجيش يوم الانقلاب هو القضاء على الفساد والرشوة ، وقد رحب المصريون بهذه الدعوة أكبر ترحيب وبادر عبد الناصر إستغلالا منه لمشاعر المصريين إلى سن قانون يرفع عقوبة الرشوة إلى الأشغال الشاقة ؛ وقد رحب الشعب بذلك وتم بعد ذلك القبض على جندى بوليس وقد قبض خمسة قروش كرشوة من أحد المصريين وقدم إلى المحاكمة فقضت المحكمة بسجنه عشر سنوات مع الأشغال الشاقة ؛ ولكن سرعان ما ظهر عجز عبد الناصر عن تطبيق هذا القانون إذا كان المتهمون من المقربين إليه فقد حدث منذ بضعة أعوام أن ضج الشعب المصرى من تصرفات بعض الذين يشغلون مناصب كبرى وأخذ الناس فى كل مكان يتحدثون عن فضائح استغلال النفوذ والرشوة التى يرتكبها هؤلاء .

وقد شارك فى هذا الفساد الكثيرون من أقارب الضباط فأصبح صاحب الحاجة إذا أراد أن يقضى حاجاته لدى الحكومة فإنه يلجأ إلى أحد الضباط ذوى النفوذ فإذا لم يتمكن من ذلك لجأ إلى ضابط صديق للضابط صاحب النفوذ فإذا لم يتيسر له ذلك أيضاً لجأ إلى أحد أقارب الضباط . ويقول المصريون إن الرشوة فى الماضى كانت تتم فى الخفاء أما فى هذا العهد فإن قضاء المصالح أصبح مسعرا كأية سلعة فى السوق .

ومما قوض نزاهة الحكم فى مصر الثراء المفاجىء على الكثيرين من المقربين لعبد الناصر وامتدت الروايات فتناولت الكثيرين من أقارب باقى الوزراء العسكريين ولما كانت هذه الروايات يتم تناقلها باضطراد ولا يحاول عبد الناصر او الوزراء العسكريون تكذيبها فقد بات المصريون يؤمنون بصحتها .

وزاد من إيمانهم بصحتها تغير مظاهر حياة هؤلاء الأقارب فبعد أن كانوا يعيشون فى الماضى حياة تتمشى مع مرتباتهم ودخلهم العام أصبحوا الآن يسكنون أجمل المساكن وأغلاها ويركبون أفخر السيارات ، ولما كانت الحريات فى مصر مكبوتة بل مقتولة فإنه ليس باستطاعة إنسان أن يجاهر باتهام الحكام أو المنتفعين من الضباط وأقاربهم مما ساعد على ازدياد الفساد من جهة إذ أن المنتفع والمرتشى والمستغل النفوذ يجد فى حرمان الشعب من حرياته نوعا من الحماية فى انطلاق يده ترتكب ما يحلو لها من جرائم دون رقابة ، كما أنه فى نفس الوقت ساعد على اقتناع الناس وتصديقهم لكل رواية تذكر عن سرقة أو رشوة أو إثراء غير مشروع .

ومن العجيب أن نلاحظ أن مئات الضباط قد اعتقلهم عبد الناصر وقدمهم للمحاكمات الاستثنائية بتهم العمل على قلب نظام الحكم فى الوقت الذى لم نسمع أن عبد الناصر قد قدم ولو ضابطا واحداً للمحاكمة بتهمة استغلال النفوذ .

وقد فتح الاعتداء الذى وقع على مصر فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ الباب على مصراعيه لتحقيق الثراء الفاحش وذلك عن طريق محاولة كل طامع وضع يده على شركة من الشركات الفرنسية أو الانجليزية أو اليهودية التى صادرتها الحكومة ، وأن القصص التى تروى داخل مصر عن وسائل النهب التى اتبعها فريق من المحظوظين بالنسبة للأموال المصادرة لتفوق فى غرابتها قصص ألف ليلة وليلة أو على بابا والأربعين حرامى .

ومن الطريف أن نذكر أن عبد الناصر قد أطلق فى ذلك الحين على فريق الضباط الذى يسعى إلى الاستيلاء على الشركات والشقق المصادرة اسم فريق كبار المنتفعين بالحركة ، وعلى الرغم من علمه واقتناعه بما يرتكب هذا الفريق من أعمال فاضحة فإنه لم يحاول أن يقدم واحدا منهم إلى المحاكمة .

وقد يظن البعض أن عبد الناصر لا يعرف من أمر هذه الجرائم شيئا نظرا لضخامة مسئولياته وكثرة المشاغل . ولكن هذا الظن مخالف للواقع تماما ذلك لأنه حرص منذ توليه السلطات على وضع جميع أعوانه تحت رقابة جاسوسية كاملة ترفع له التقارير عن كل ما يقوم به هؤلاء الأعوان من أفعال خصوصا المنافية للقانون ولكن المعروف أنه يجمع هذه التقارير ليستغلها ضد كل من تسول له نفسه التمرد على إرادته .

إن عبد الناصر يعرف أن تقديم أى ضابط أو موظف كبير لمحكمة الجنايات بتهمة الرشوة أو استغلال النفوذ سيكون بمثابة فتح الباب أمام المتهم للتحدث عن الفضائح الخطيرة التى يرتكبها حكام مصر ولذلك فإنه يحرص تمام الحرص على أن يتلافى ذلك .

وهكذا يحكم عبد الناصر مصر ... وهكذا يعيش الشعب المصرى ... ومع كل ذلك نجد فى الدول العربية من ينادى حتى الان بزعامة جمال عبد الناصر وبين هؤلاء أناس يدعون فى بلادهم الزعامة والمكانة وهم عملاء مأجورون ... عملاء يقبضون الذهب ويفرحون به ... عملاء يصفقون لعبد الناصر ويرقصون له ويهتفون ... إنهم يرقصون رقصة الموت ... إنهم يرقصون على جثث وأشلاء الآلاف ممن قتلهم حكم عبد الناصر فى

السجون والمعتقلات ... يرقصون على بكاء الأمهات ونحيب الزوجات وتيتيم الأطفال ... يرقصون لأنهم يقبضون غير مبالين بأحزان شعب وآلام شعب كان حق القريب العاجل لهم نعم المساند ونعم المؤزر والنصير ...

وبين من يصفقون لعبد الناصر فريق آخر خدعته دعاية عبد الناصر وخلبت لبه شعارات فأنسته ما يتكبده الشعب المصرى وأنسته أن عبد الناصر بعد أن انفصلت سوريا عن مصر صب جام غضبه على المصريين فاعتقل سياسيين لا ذنب لهم إلا أنهم تولوا الحكم فى عهد سبق عهده ، سياسيين لم يعرف عنهم إلا كل أمانة وشرف واخلاص ، إعتقلهم وأعادهم للسجون ليقطعوا الأحجار إلى جوار القتلة وقطاع الطرق ... ونسى هذا الفريق أن يد عبد الناصر قد امتدت إلى أسر كاملة فأودعت كل رجالها فى السجون وبينما السيدات والأطفال يبكون رجالهم إذا بجنود عبد الناصر وضباطه يداهمون منازل هذه الأسر بعد منتصف الليل لا ليواسوا النساء والأطفال بل ليسلبوهم الحلى وأثاث المنزل ...

لقد نسى الفريق الذى أعمته شعارات عبد الناصر هذه الحقائق البشعة وهذه الجرائم التى يشمئز منها ضمير الانسانية وتتنافى مع كل قواعد العدالة السماوية وأسس الأديان .

لقد نسى هذا الفريق كل المحن التى تنصب على رؤوس المصريين وسار على جثث الشهداء الأبرياء يصفق للقاتل ويهتف له ويحرق بين يديه البخور ، لا لشىء إلا لمجرد المناداة بشعارات كاذبة !!

هل حقق عبد الناصر عروبة فلسطين !!

هل أزال عبد الناصر دولة اسرائيل !!

هل انتقم عبد الناصر لعرب فلسطين !!

ماذا فعل عبد الناصر يا من تسيرون على جثث الأحرار من أبناء شعب مصر ؟!

ألم يفتح خليج العقبة أمام سفن اسرائيل !!

ألم يسمح لقوات الطوارىء أن تحميه من اسرائيل !!

ماذا فعل عبد الناصر يا من ترقصون على أشلاء الثكالى من النساء ؟!

لقد آن الأوان لتراجعوا ضمائركم وتحاسبوا أنفسكم فإن الله سبحانه وتعالى يعلم أى جرم ترتكبونه بانسياقكم إنسياقا أعمى وراء شعارات زائفة ودعايات مضللة .

وإن ساعة خلاص الشعب المصرى من ربقة ونير الدكتاتورية قد قربت وعندها سيعرف المصريون من الذى وقف إلى جوارهم فى محنتهم فيقدرون له هذا الجميل وسيعرفون من حاربهم وقت تكبيلهم بكل القيود فينتقمون لأنفسهم منه ولا أشد ولا أقسى من انتقام المغلوب على أمره يوم ينصره الله ... وإن ساعة النصر لقادمة بإذن الله ... وإنها بأمره تعالى لأقرب مما تتصورون .

كلمة أخيرة... وبعد

وبعد ...؟!

بعد هذه الرحلة الطويلة فى صفحات هذا الكتاب التى أرجو الله أن أكـون قد صاحبنى التوفيق فى تسجيلها يحضرنى سؤال أعتقد أنك قد تسأله وتطلب الاجابة عليه والسؤال هو :

ما هى أهم صفات جمال عبد الناصر ؟

فى تقديرى أن أهم وأخطر صفاته هو : قدرته على التآمر .

يكفى أن نذكر يوم عزل الرئيس محمد نجيب وخرجت المظاهرات فى كل مكان تهتف لنجيب ويتحرك سلاح الفرسان ويحاصر عبد الناصر وكل أعضاء مجلس الحركة فى مبنى قيادة الجيش ويعود نجيب منتصراً أعظم الانتصار ولا يكاد تمر خمسة أسابيع حتى يستطيع عبد الناصر أن يعزل نجيب مرة أخرى دون أدنى مقاومة لا شعبيـة ولا من وحدات الجيش .

لاشك أن نجاحه فى عزل نجيب الذى كانت تؤيده كل الأحزاب القديمـة وكل النقابات والذى كان يتمتع بشعبية جارفة والذى كان بين وحدات الجيش قوات تؤيده يقطع بقدرة فائقة على التآمر .

وعبد الناصر كان يملك مقومات المتآمر فهو كتوم بصورة نادرة ؛ ففى الوقت الذى كان يصادقنى وأنا رئيس تحرير المصرى التى تدافع عن سياسة الـوفد كـان يصادق ابراهيم طلعت الثائر الوفدى واستطاع أن يخفى علينا نحن الاثنين علاقته بـالآخر فلا كنت أعرف بعلاقته بابراهيم ولا هو يعرف بعلاقة عبد الناصر بى رغم أننا كشقيقان نتقابل باستمرار ونتعاون فى خط سياسى واحد .

وفى الوقت الذى يشعرنى بأنى أقرب صديق له كان يشعر حسن العشماوى وهو من الاخوان المسلمين بأنه أقرب صديق له .

فمن صفات المتآمر عدم كشف علاقاته وهو يوحى إلى الكثيرين بأن كل واحد منهم هو الصديق المفضل ويسخر صداقاته لما يفيد أهدافه .

ومن أهم صفات المتآمر أن تتنوع اتصالاته لأنه مثلا لو اقتصر فى علاقاته على الوفديين فإن المعلومات التى ستصله ستكون وحيدة المصدر والأهم من ذلك أنها تعبير عن وجهة نظر من جهة واحدة ، أما إذا عرف وفديين وإخوان وشيوعيين واشتراكيين فإنه بذلك سيتلقى المعلومات من جهات مختلفة ويتمكن من معرفة وجهات النظر المختلفة . وإذا نظرنا إلى ضباط القيادة نجدهم شعبا مختلفة اليسارى والشيوعى وفى نفس الوقت الاخوان المسلمون وكذلك من على صلات بالسراى ومن على صلات بالأمريكان .

كان المفروض أن يؤدى وجود هذه المجموعات المتنافرة الآراء والاتجاهات فى مجلس واحد إلى تناحر ومشاحنات .

والمفروض أن الانسان إذ يريد أن يقوم بعمل سياسى ضخم أن يجمع حوله أشخاصا تربطهم وحدة الفكر والمبادىء السياسية .

عبد الناصر لم يفعل ذلك بل أقدم على ما هو عكس ذلك تماما وذلك ليستفيد من علاقات كل فئة ويسخرها لخدمة أغراضه ثم بعد ذلك يستطيع أن يوقع من يريد التخلص منه فيمن يختلف معه اختلافا بينا فى العقيدة والاتجاه السياسى .

ومن صفات المتآمر أن يجيد الاستماع ، وأن يكون قليل الكلام وهكذا كان عبد الناصر ، فهو يستمع خصوصاً فى الفترة التى سبقت حركة الجيش والفترة التالية لها مباشرة وكان قليل الكلام لا يناقش من يستمع إليه إلا ليستوضحه ما يرى أنه يحتاج إلى مزيد من الايضاح وهو بهذا يتلقى معلومات دون أن يفصح عن نواياه .

وبهذه الصفات مجتمعة إستطاع أن يجمع الضباط الأحرار تحت رئاسته وأن يتخلص بعد الحركة من كل من كان يمثل خطرا على أطماعه فى الوصول إلى السلطة .

بدأ بالأحزاب فضرب الوفد بالاخوان المسلمين ثم استدار ضد الاخوان محاولاً أن

يحدث إنقساما بين صفوفه فلم ينجح إلا فى اجتذاب الشيخ الباقورى الذى لم يكن يتمتع بقوة تسانده داخل الجماعة .

ثم أطاح برشاد مهنا ثم بنجيب وهكذا ظل يتخلص من كل زملائه الواحد تلو الآخر حتى لم يبق فى النهاية إلا حسين الشافعى وهو رجل لم يكن له أطماع سياسية تؤثر على عبد الناصر أما الشخص الثانى فقد كان أنور السادات الذى كان مصراً على البقاء بالقرب من عبد الناصر خصوصاً بعد تصفية كل من كانوا حوله مثل البغدادى وصلاح وجمال سالم وزكريا محيى الدين وعبد الحكيم عامر .

أنور السادات كما نقول بالعامية (رقعته) السياسة وهو يعرف أن الميدان أصبح خاليا وأن عبد الناصر لابد سينتصر على كل من كانوا معه فإذا بقى هو فستنفتح أمامه أبوابا لم تكن لتنفتح لو ظل مثلا عبد الحكيم عامر أو البغدادى أو زكريا إلى جوار عبد الناصر .

ووصل أنور السادات إلى أن أصبح النائب الأول لرئيس الجمهورية وكادت تفلت منه الفرصة عندما سافر عبد الناصر إلى روسيا فى السنة الأخيرة من حكمه للعلاج وتولى السادات رئاسة الجمهورية بالنيابة إذ حدث الخلاف بينه وبين الضابط الموجى الذى كان قد اشترى فيلا وأراد السادات أن يشتريها منه فرفض . وتقول الروايات أنه لما ضاق لرفض الموجى بيع الفيلا له استغل سلطات رئاسة الجمهورية ضده وتستمر الرواية لتقول إن محامى الموجى سافر إلى بيروت ومن هناك أمطر عبد الناصر بسيل من البرقيات يشكو فيها تصرف السادات ضد موكله الضابط الموجى .

عاد عبد الناصر إلى القاهرة وهو غاضب على السادات وأمره أن يذهب إلى قريته فى ميت أبو الكوم ولا يغادرها ونفذ السادات الأمر ومرت الأسابيع وهو ملازم بيته فى ميت أبو الكوم وتروى الرواية أنه بعد ذلك أرسل رسولا إلى جمال عبد الناصر ليخبره بأنه أى السادات مريض وحالته بالغة الخطورة وأنه يتمنى أن يراه قبل أن يوافيه الأجل .

ورغم أن من أبرز صفات عبد الناصر إنعدام العواطف فليس لديه صديق عزيز

ترتفع صداقته فوق أطماع السياسة إلا أنه صدّق كما تقول الرواية أن السادات يعانى خطراً بالغاً ولا يطمع إلا فى أن يراه قبل أن يفارق الدنيا فقرر أن يلبى رغبة السادات .

علم السادات بأن عبد الناصر فى طريقه إلى ميت أبو الكوم فانتظره لابسا الجلباب الأبيض حتى إذا وصل كان السادات فى استقباله عند الباب وذهل عبد الناصر إذ وجده معافيا ويستقبله بالاحضان فقال : إيه ده يا أنور دول قالوا لى إنك بتموت .

فضحك السادات وقال : هو حد يشوفك ياريس ولا يخفّش .

وضحك عبد الناصر وبعد انتهاء الزيارة اصطحبه معه إلى القاهرة حيث عاد ليتولى منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية وبعد بضعة أشهر توفى عبد الناصر وتولى السادات منصب الرئاسة .

هذه هى الرواية التى سمعتها وقد تكون صحيحة أو تكون بها بعض المبالغة ولكن المتفهم لتفكير السادات لا يستبعد بل يؤكد صحتها .

●

عندما غابت شخصية المتآمر :

أعتقد أن شخصية المتآمر طمستها أمور مختلفة فى ثلاث مناسبات وكان لاختفاء صفة التآمر خطرها البالغ على عبد الناصر .

المرة الأولى : عندما وصل عبد الناصر إلى قمة زعامته بعد اتخاذه قرار تأميم شركة قناة السويس .

وكى تتضح الأمور نرجع إلى صبيحة يوم ٢٧ من يوليه سنة ١٩٥٢ أى اليوم التالى لتنازل الملك فاروق عن العرش لابنه أحمد فؤاد ومغادرته مصر فقد نشر إثنان من الكتاب كان معروفا عنهما النفاق للملك مقالين يلعنان فيهما فاروق وكما سبق أن ذكرت أخبرنى عبد الناصر أنه علق أحد المقالين فوق فراشه وكتب عليه كلمة (النفاق) .

دارت الأيام وانتصر عبد الناصر على نجيب وألقى فى المعتقلات كل من نادى بالحرية من سياسيين وكتاب وأصحاب صحف ودانت الصحافة بأسرها له تسير وفق هواه تمجده تشيد ببطولاته .

وعبد الناصر بشر وهو فعلاً قد انتصر فلم يكن يأخذ المدح الذى يكال له على أنه نفاق وككل البشر سعد عبد الناصر بالمدح كما يسعد به أى إنسان .

يواصل عبد الناصر انتصاراته ويصل إلى إقناع واشنطون بالمساهمة فى تمويل جانب من نفقات إقامة مشروع السد العالى ، ثم بعد موافقة أمريكا يعقد صفقة لشراء أسلحة من تشيكوسلوفاكيا وهى دولة شيوعية وكانت هذه أول صفقة يتحرر بها حاكم عربى من التقيد بشراء السلاح من الدول الغربية ويفاجىء عبد الناصر أمريكا ومن ورائها اسرائيل بهذا التمرد الخطير وتحطيم احتكار توريد الغرب للسلاح .

يجن جنون أمريكا ويعلن وزير خارجيتها دلاس الغاء مساهمة أمريكا فى تمويل السد العالى فيواصل عبد الناصر ضرباته ويعلن تأميم شركة قناة السويس ويصبح هو فى هذا الوقت محل حديث العالم ومحل إعجاب كل الدول التى ذاقت ذل الاستعمار الغربى وفى مقدمة هذه الدول إعجاب وتأييد حكومات غالبية الدول العربية وإعجاب وتأييد كل شعوبها كان عبد الناصر يعيش أعظم أيامه .

فى هذه الأثناء كانت اسرائيل تدبر التآمر ضد عبد الناصر تفاوض فرنسا وانجلترا على شن العدوان الاجرامى الثلاثى .

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يوفق ثروت عكاشة الذى كان يشغل منصب الملحق العسكرى فى باريس فى الحصول على كل تفاصيل الخطة للتآمر الثلاثى ضد مصر .

توفيق ونجاح يفوق الخيال وأنا لا أقول هذا للصلة التى تربطنى بثروت عكاشة ولكن لا يمكن لأى إنسان إلا أن يعترف بأن حصوله على التفاصيل الكاملة لخطة العدوان الثلاثى قبل حدوثه بأيام يعتبر قمة من قمم النجاح خصوصا وأنه يمثل مصر والعدوان يتم بين ثلاث دول من أعتى الدول فى الخداع والتآمر .

وفكر ثروت فى الطريقه التى يمكن أن يوصل بها إلى عبد الناصر هذه الأسرار

الخطيرة وهداه تفكيره إلى أنه لا يمكن أن يكتبها فى رسالة يحملها رسول لأن احتمال مراقبة الحكومة الفرنسية للسفارة وموظفيها كان قويا .

إذن لابد أن يحفظها شخص مؤتمن وتتوفر فيه كل الصفات المطلوبة وفى مقدمتها الوطنية والذكاء ويقع اختياره على الأستاذ عبد الرحمن صادق المستشار الثقافى بالسفارة فهو الذى يثق فيه ويمكن الاعتماد على ذكائه .

يظل ثروت وعبد الرحمن يذاكران معاً تفاصيل خطة العدوان كلمة كلمة وفقرة بعد فقرة حتى أصبح عبد الرحمن يكررها وكأنها صفحات فى كتاب المحفوظات .

وبدل أن يسافر عبد الرحمن من باريس إلى القاهرة كان لابد من إخفاء سفره إلى القاهرة خشية اعتراض السلطات الفرنسية ومنعه من السفر ويدور عبد الرحمن فى رحلة شاقة من باريس إلى بروكسل إلى مدن أخرى فى أوربا حتى يصل بعد جهد جهيد إلى القاهرة وكانت رحلات الطيران فى تلك الأيام أبطأ بكثير منها الآن وأقل راحة .

ويصل عبد الرحمن صادق إلى القاهرة ومن المطار يتجه فورا إلى مكتب عبد الناصر وكان قد وصله من باريس عن طريق الشفرة طلبا من ثروت بإن يستقبل عبد الناصر عبد الرحمن بمجرد وصوله .

وينقل عبد الرحمن فى امانة ودقة كل التفاصيل لعبد الناصر .

ولكن لسوء البخت عبد الناصر فى هذه اللحظات لم يكن يعيش بفكر المتآمر بل بزهو النجاح والمديح الذى ينهال عليه من كل جانب .

نامت فى نفسه ملكة التآمر وسيطرت عليه عظمة الزعامة ويقال أنه استشار أقرب من يتصور بأنه العالم ببواطن الأمور فأخبره أن ما أرسله ثروت عكاشه لا يمكن أن يكون صحيحا فمن غير المعقول أن تقدم بريطانيا العظمى على مثل هذه الحماقة .

لم يفكر عبد الناصر فيما إذا كان هذا الكلام هو من باب العلم ببواطن الأمور أم أن وراءه دوافع خفية .

على كل حال ضرب عبد الناصر برسالة ثروت عكاشة عرض الحائط ورفض التوصيات الملحة التى حملها عبد الرحمن صادق بأن يبادر بإعلان علمه بتفاصيل خطة

العدوان بأسرع ما يمكن إما فى مؤتمر صحفى يحضره ممثلو الصحف العالمية أو فى خطاب عنيف ، وفضل على هذه التوصيات نصيحة من وصف ما أرسله ثروت بأنه (تخاريف) .

لو أن عبد الناصر لم تكن فى هذه اللحظة قد استنامت فى نفسه ملكة التآمر وفضح خطة العدوان بالصوت العالى لكان قد جنب مصر الخسائر والأهوال التى سببتها هذه الحرب الاجرامية ولما تعرضت القناة لتعطل الملاحة وعدم مرور السفن بها ولا رضخ عبد الناصر إلى فك الحصار عن اسرائيل كثمن لقبولها سحب قواتها من سيناء .

كانت عظمة الزعامة وزهو الانتصارات والتصفيق والتهليل الذى يسمعه عبد الناصر كل لحظة ونصائح من لا يعلم إلا الله مدى إخلاص نصائحه قد طمست فى نفسه صفة المتآمر الذى ساعدته فى القضاء على الكثير من خصومه الأقوياء .

ماذا كان يحدث لو أنه أعلن علمه بالعدوان حتى لو لم يكن واثقا من صحة ما وصلته من معلومات ... أقصى ما كان سيحدث لو كانت المعلومات غير صحيحة أن تكذب الدول ما أعلنه عبد الناصر وكان التكذيب لن يؤثر على النجاح الذى كان قد حققه .

هذه هى المرة الأولى التى تخلت عنه روح التآمر .

المرة الثانية : عندما تحقق له حلمه الكبير فى انضواء سوريا تحت رياسته وقبولها الوحدة .

لو أن روح التآمر هى التى كانت تسيطر على سياسته لكان قد سلك سبيلا آخر فى التعامل مع الشعب وأصحاب السلطة .

الشعب السورى شعب تجار والفينيقيون من سكان سوريا انتشروا منذ قديم الأزل فى كافة أرجاء العالم يتاجرون يسافر الصبى وهو فى سن الخامسة عشر إلى آخر بلاد الدنيا فى أمريكا الجنوبية وهو لا يملك إلا أقل القليل من المال ليعمل بالتجارة وتمر السنوات فإذا به صاحب ثروة تزداد على مر الأيام .

وأصحاب السلطة فى سوريا تمرسوا على المؤامرات فى عديد من الانقلابات السياسية .

سافر عبد الناصر إلى دمشق فكاد السوريون يرفعون السيارة التى كان يركبها على الأكتاف .

لو أنه كان يعمل بروح التآمر وفكره لتروى فى تحويل هذا الشعب من قمة الاقتصاد الحر إلى اليسار المتطرف ولكن الفرحة بالاستقبال المبهر أنامت تفكير المتآمر وجعلته يتصور أن كل ما سيأمر به سينفذه السوريون بالفرح والترحيب .

كان ينقص عبد الناصر أن يكون إلى جواره الناصح الذكى والانسان الأمين الذى يفرق بين الشعب المصرى والشعب السورى والذى يستطيع القيام بدراسات متعمقة كى يهتدى عبد الناصر إلى الأسلوب الذى يوصله إلى تحقيق أغراضه .

الاستقبال المبهر والنفخ المستمر فى زعامته قد جعله يندفع فى تصرفاته ويتعالى فى التعامل مع رجال الحكم السورى فتحولت الوحدة إلى خراب اقتصادى فى سوريا وإلى إذلال للزعماء والضباط الذين قدموا رئاسة دولتهم على طبق من ذهب .

فكان الانفصال .

وكانت هذه هى الضربة الثانية التى لحقت عبد الناصر نتيجة الانخداع بالمظاهر واختفاء خبث وفكر التآمر .

أما المرة الثالثة : فكانت فى الأيام التى سبقت وتوالت بعد يوم ٥ من يونية سنة ١٩٦٧ .

كان عبد الناصر قد فقد الوحدة وفشل فى حرب اليمن ومن الأمور الطبيعة لفكر التآمر ألا يحاول الانسان التورط فى مغامرة وهو منهزم ومنهوك القوى .

المتآمر يختلف عن المقامر ، فالمقامر قد يدفعه السعى إلى الربح أن يغامر وأن يهوش ليؤثر على أعصاب خصمه ، أما المتآمر فهو إنسان هادىء الطبع يحسب لكل احتمال حسابه ويوفر له ما يكفل مواجهة المفاجآت .

وأنا لا أستطيع أن أتصور الشائعات التى تتناول الدوافع التى دفعت عبد الناصر إلى الزج بالجيش المصرى وبمصر إلى حرب ذلك اليوم المشئوم .

لا أستطيع أن أتصور أنه زج بمصر نتيجة رغبته فى تدمير شعبية عبد الحكيم عامر داخل صفوف الجيش ، ولا أستطيع أن أتصور أنه أراد أن يمكن لاسرائيل من هذا النصر الذى لم تدفع فى مقابله أى ثمن وربحت منه أغلى ما كانت تحلم به بل أعظم مما كانت تحلم به .

ولا أستطيع أن أتصور أنه وقع فى خديعة الروس إذ أوهموه بأن اسرائيل تعد العدة للاعتداء على سوريا .

وتقول الشائعات أن مستشارا لعبد الناصر كان عميلا لجهاز المخابرات المركزية الأمريكى وهو الجهاز الذى يتعاون تعاونا كاملا مع جهاز الاستخبارات الاسـرائيلى الموساد ، قد أكد لعبد الناصر أن اسرائيل لن تحارب مصر لأنها تخشى قوة الأسلحة المصرية ، وأن عبد الناصر لعلمه بعمالة هذا المستشار للجهاز الأمريكى المتعاون مع الجهاز الاسرائيلى صدق ما أكده مستشاره على اعتبار أنها أخبار استقاها من الأجهزة التى هو عميل لها .

أنا لا أستطيع أن أتصور قبول مثل هذه الشائعات فهى جميعها تفتقر إلى أدلة .

الأمر غير المقبول أن يكون بين مستشارى عبد الناصر المقربـين عميلا لجهـاز المخابرات المركزية الأمريكية إذا صح أن هذا المستشار كان عميلا ولا يعلم عبد الناصر تمام العلم بانه عميل لهذا الجهاز .

لا شك أن عبد الناصر كان يعرف حقيقة أمر ذلك المستشار خصوصا وانه كثيرا ما كان يقدم له رجال الجهاز الأمريكيين ، فإذا كان قد ثبت له أنه فعلا عميل لجهاز أمريكى يعمل بتعاون منه مستشارا فإن الأمر ، يكون مذهلاً .

العميل إنسان لاوطن ولا شرف ولا ضمير له باع نفسه والذى يبيع نفسه من أهون الأمور عليه أن يبيع غيره ؛ فإذا كان عبد الناصر قد تأكد له أن هذا الرجل عميل للجهاز الأمريكى واعتقد أنه يستطيع الاستفادة من عمالته فإنه يكون قد أخطأ إذا وثق فى إخلاصه له وفى المعلومات التى يقدمها له .

العميل لجهاز خطير مثل جهاز المخابرات المركزية الأمريكى أمرا ليست عواقبه

هينة فهو مجبر على الطاعة الكاملة لكل رغبات وأوامر الجهاز أو التعرض للتصفية الجسدية ولهذا فإن تغافل عبد الناصر عن مثل هذا الأمر والتصور أن العميل يؤدى له خدمات هو خطأ فاحش .

اعتقدان عبد الناصر بعد انفصال سوريا وأهوال حرب اليمن أراد أن يقوم بمظاهرة يغطى بها الفشل والأهوال وينعش بها زعامته التى كانت قد انهارت إلى أضعف مستوى ولم يكن أمامه إلا أن تتجه مظاهرته صوب تهديد اسرائيل .

والقول بأنه أراد أن يهوش هو أقرب الأقوال إلى الحقيقة .

هذا هو اعتقادى .

والمتآمر لا يهوش أبدا ... المتآمر يفاجىء خصمه ... يأخذه على غرة ... يوهمه أنه لا يفكر أبدا بالاعتداء عليه ... هذا هو أسلوب المتآمر .

عبد الناصر أفقده انفصال سوريا التفكير الهادىء السليم فأراد أن يحقق نصرا يمسح به هزيمة فشل الوحدة وتمرد السوريين ضد زعامته فظن أن حرب اليمن هى حرب سريعة سيحرز فيها النصر المنشود فإذا بها حرب لا تنتهى تكاليفها باهظة وخسائرها فادحة فلم يجد بدا من أن يحاول أن يهوش اسرائيل فيطلب سحب قوات الطوارىء من سيناء ظانا أن هيئة الأمم لن تقبل تنفيذ الأمر وبذلك يظهر أمام العالم بأنه يريد أن يحارب ولكن عدم تنفيذ الهيئة الدولية لطلبه حال دون شنه الحرب ضد إسرائيل .

ويعقب ذلك إلقاء عبد الناصر بعض الخطب النارية واطلاق الأناشيد العسكرية ومظاهرات للبطل الذى يريد تدمير اسرائيل ويقف العالم فى وجهه .

لم يكن عبد الناصر هو المتآمر عندما تصور أن تهويشته تنجح وأنه لن يتعرض لهجوم اسرائيلى بل كان الذى يسيطر على فكره هو اليأس ومرارة الانفصال وقسوة حرب اليمن .

لم يكن المتآمر هو الذى يفكر ويخطط بل اليائس المنهزم الذى يبحث عن استعادة الزعامة المفقودة فلجأ إلى التهويش ليسترجعها .

وكانت هذه هى المرة الثالثة التى تخلى عنه التآمر ودفعت مصر أبشع وأحقر وأذل ثمن وضحت باستقلالها وبعشرات الآلاف من أبنائها وبأسلحة قدرت بعدة آلاف من ملايين الدولارات استولت عليها إسرائيل كما استولت على بترول مصر وأغلقت قناة السويس فى وجه الملاحة الدولية وتشردت ملايين الأسر من المدن الواقعة على طول القناة .

ومن غريب الأمور أن يتسبب عبد الناصر فى حرمان مصر من موارد قناة السويس لمدة وصلت إلى ١١ سنة وهى المدة التى كانت باقية لتستولى بعدها مصر على كل أسهم الشركة دون أن تدفع أى مقابل بل وكانت تستولى على ممتلكات الشركة فى الخارج وهى ممتلكات ضخمة كان من حق مصر أن تؤول إليها عندما تمتلك أسهم الشركة وقد فات عبد الناصر أن يطالب بملكيتها عندما دفع للأجانب ثمن أسهمهم بالدولار .

إباحة النهب :

جاء فى البيان الأول لحركة الجيش أن أحد أهداف الحركة هو القضاء على الفساد السياسى .

القضاء على الفساد السياسى من الأمور التى تكاد تكون مستحيلة ولكن هناك نظاماً يسمح بالإقلال من الفساد ونظاما لا يعيش إلا الفساد .

النظام الديموقراطى يتيح فرصاً مختلفة لكشف الفساد واستغلال النفوذ عن طريق توفير الحريات الساسية .

- هناك أحزاب المعارضة .
- والصحافة المعارضة .
- المجالس النيابية .
- الصحافة المستقلة .
- النقابات .
- القضاء .

كل هذه الأجهزة تراقب تصرفات الحكومة وتتصيد الأخطاء وتكشفها ، فأحزاب المعارضة سواء فى نشاطها داخل المجالس النيابية أو خارجها تحرص كل الحرص على كشف الفساد لأنها تسعى إلى نزع ثقة الناخبين من الحكومة وضربها كى تحظى هى بالثقة لتصل إلى الحكم وتساعدها على كشف الفساد فى صحفها .

والصحافة الحرة هى الأخرى تسعى لكشف استغلال الحكومة وحزبها للنفوذ لأنها مادة إخبارية تحظى بأكبر اهتمامات القراء .

وفى النظام الديموقراطى تتمتع الصحافة والصحفيون بحريات واسعة ولا يسمح هذا النظام (بتقليعة) الصحف القومية فسيطرة الحكم على الصحافة عمل معارض تمام المعارضة للنظام الديموقراطى .

والنقابات فى النظام الديموقراطى تتمتع بحريات واسعة ولا تخضع لسيطرة الحكم إذا أراد الحكم السيطرة عليها كان هذا من الأسباب التى تبرر المعارضة وبكل صورها بما فيها الإضراب .

وفى النظام الديموقراطى يتمتع القضاء باستقلال كامل ولا تستطيع الحكومة أن تسلبه اختصاصاته عن طريق إقامة محاكم استثنائية وأحكام القضاء لها قدسيتها بالاضافة إلى أن للقضاة وأعضاء النيابة استقلال كامل عن السلطة التنفيذية (الحكومة) والسلطة التشريعية (البرلمان) .

والقضاء إذ يتمتع كسلطة وكقضاة بهذا الاستقلال يصبح من أقوى العوامل التى تساعد على التصدى للفساد واستغلال النفوذ إذ يستطيع أن يدين أى مستغل مهما كانت سلطاته .

إذن النظام الديموقراطى وإن كان لا يقضى قضاء مبرما على الفساد فإنه يتيح كشف الفساد ومحاربته عن طريق الحريات الواسعة التى يتيحها للشعب .

النظام الدكتاتورى من أولى خصائصه قتل الحريات وسلب الشعب من كل قدرة على المعارضة .

الدكتاتور يملك كل السلطات ولا يجوز لأحد أبداً أن يعارضه .

الدكتاتور عندما يصل إلى الحكم لا يصل إليه منفرداً بل بمعاونة زملاء له وهو إذ يستولى على الرياسة يكون عليه أن يوفر لزملائه ما يجعلهم يؤيدون تولية رئاسة الدولة فهو محتاج إلى تأييدهم خلال المرحلة الأولى لذلك يسند إليهم المناصب الكبيرة ويتيح لهم أو يغمض العين عن استغلال نفوذ مناصبهم .

الدكتاتور يغتصب كل حقوق الشعب فلمادا لا يغتصب زملاؤه مما يتطلعون إليه من أطماع مادامت هذه الأطماع لا تتعارض مع توفير السلطات الكاملة للدكتاتور .

الدكتاتور لا يضايقه أن يستغل زملاؤه والمقربون حوله النفوذ فهذا يلهيهم عن معارضته أو المطالبة بالمشاركة فى سلطاته المطلقة وهو فى نفس الوقت سلاح يشهره فى وجه من استغل النفوذ عندما يريد أن يتخلص منه أو يحد من نشاطه .

والدكتاتور كى تنطلق يده لا يسمح بأى نوع من أنواع المعارضة وهى غالبا تكون سرية خشية من يقومون بها من بطش الدكتاتور ولذلك فهو محتاج لأجهزة للتجسس على الناس للكشف عن أية معارضة والقبض على الذين يعارضونه .

أعضاء هذه الأجهزة وهم يقومون بمهمات قذرة إذ يتجسسون على الناس ومنهم أقارب وأصدقاء وزملاء لا يقومون بها لمجرد إرضاء الدكتاتور بل يقومون بها للحصول على امتيازات لا يمكن أن يحصلوا عليها إلا إذا نفذوا هذه المهمات القذرة .

والدكتاتور يريد أن يتغنى الناس بوطنيته وأعماله ونجاحه فهو يريد أن يزرع فى رأس كل مواطن أنه وطنى وعظيم وناجح وكلما كان فاشلا كلما تشتد رغبته فى نفاق الناس له والمنافقون لا ينافقون حبا فى الدكتاتور ولكن طمعا فى أن يوليهم المراكز أو يحقق لهم الاطماع المادية .

صور الفساد فى النظام الدكتاتورى كثيرة ومبررات ترحيب الدكتاتور أو على الأقل إغفاله النظر عن الفساد أكثر ولما كان الدكتاتور يصر على ألا يعارض أو ينقد حكمه أحد فإنه لا يسمح لأى إنسان أن يندد بالفساد الذى يتيحه لمعاونيه والمقربين اليه .

وهذا هو الفرق بين الفساد فى النظام الديموقراطى والنظام الدكتاتورى .

النظام الديموقراطى يتيح فرصا كثيرا لأجهزة مختلفة لتكشف فساد الحكم .

النظام الدكتاتورى لا يتيح أية فرصة لمن يريدون كشف فساد الحكم .

والنتيجة الطبيعية لهذا الاختلاف هى انتشار الفساد فى النظام الدكتاتورى لأن الحاكم يحمى من يرضى عنهم من مستغلى السلطة بوسائل البطش التى يملكها .

الفساد فى النظام الدكتاتورى يحميه الدكتاتور .

لهذا عندما تولى عبد الناصر زمام السلطة انتشر استغلال النفوذ بصور رهيبة إذ تم نهب الكثير من الثر وات التى تمت مصادرتها كتحف وثروات أسرة محمد على والأجانب الذين غادروا مصر ثم ثروات وتحف الأغنياء من المصريين .

ووصل استغلال النفوذ إلى أن الكثير من الحراسات ونزع الملكية كانت تتم لتحقيق أطماع بعض المقربين كما قام مقربون آخرون بابتزاز أصحاب الثروات بفرض الآتاوات عليهم عن طريق التهديد بفرض الحراسة إذا امتنعوا عن الدفع .

وبينما حرصت الثورة الفرنسية والثورة الشيوعية فى روسيا على الحفاظ على التحف والثروات التى تمت مصادرتها وأقامت المتاحف لعرضها شذت حركة الجيش إذ اختفت أكثر التحف والثروات .

وعندما أتاح العدوان الثلاثى لإسرائيل رفع الحصار الاقتصادى إذ قبل عبد الناصر لها حرية الملاحةفى البحر الأحمر أتاح هذا العدوان لبعض المصريين أن يستفيدوا من حالة الرعب التى تملكت الأجانب الذين كانوا يقيمون فى مصر .

فهناك من هرب للأجانب مجوهراتهم بالأجر وهناك من اشترى ممتلكاتهم بأسعار لا تتناسب إطلاقا مع واحد على عشرة من قيمتها .

هناك من اشترى عزبة ملاصقة لحدود القاهرة بكل ما عليها من وسائل الترف وبكل ما تحوى من تحف بما لا يزيد عن خمسة آلاف جنيه .

صور من استغلال النفوذ لا يمكن أن تتم بهذاالفحش إلا فى أثناء سيطرة حكم ديكتاتورى يفرض الحماية لمن يناصرون الدكتاتور .

على كل حال الفساد الذى شاهدته مصر فى عهد عبد الناصر والذى استمرت مظاهره بعد وفاته ليس بالأمر الشاذ بل هو لازمة من لوازم الدكتاتورية .

كل دولة ابتليت بالدكتاتورية ابتليت بالفساد واستغلال النفوذ فالدكتاتورية نظام غير شرعى يحتاج فيه الدكتاتور إلى من يعاونه على قهر الشعب والتجسس عليه وتعذيبه ؛ وإلى من يقبلون أن يكونوا قضاة لمحاكم استثنائية ليحققوا للدكتاتور شهوات الانتقام ممن لا يتمتعون برضائه ؛ ويحتاج إلى منافقين يتغنون دائماً بأمجاده فهو ولو كان عند بدء سيطرته على السلطة لا يحب النفاق فإنه تدريجاً يتحول إلى أن يصبح النفاق هو أحد أنواع غذائه اليومى الذى لا يستطيع أن يعيش إلا عليه ؛ هذه الفصائل من البشر لا توفر للدكتاتور فى أية دولة ما هو فى حاجة إليه دون مقابل ... والمقابل هو السلطة والثراء .

وكان فى مقدمة من كشف عن الفساد للمحيطين بالدكتاتور بصورة علمية الرفيق اليوغوسلافى جلاس نائب الرئيس تيتو إذ كتب كتاباً سماه (الطبقة الجديدة) وهى الطبقة المحيطة بتيتو والتى تملكت/السلطة ونهبت الثروات وسكنت أفخر المساكن وامتلكت التحف والمال .

بطبيعة الحال يوجد بين من يتعاونون مع الدكتاتور من يرفضون استغلال النفوذ وهؤلاء قد يقبلون التعاون إما لتقديرهم له أو لأنهم يتصورون أن باستطاعتهم خدمة الشعب عن طريق هذا التعاون . والدكتاتور لا يرحب كثيرا بهذا الفريق من المتعاونين ويحرص على إشعارهم بأن وجودهم فى مراكزهم لا يستند إلى قدراتهم بل إلى رضائه عنهم ولذلك فهو كثيرا ما يقصى الواحد منهم عن منصبه الذى يحقق فيه نجاحا يلمسه الشعب ليسند إليه منصبا لا يتناسب أبداً مع مؤهلاته ليسلبه إعجاب الشعب وأحيانا بعد فترة بعيدة إلى منصبه الأول وأحياناً لا يعيده .

المهم أن يشعر أى متعاون نزيه أو كفء أنه لا يتولى المنصب لنزاهته أو كفائته إنما يتولاه بإرادة الدكتاتور وتتم تنحيته عنه مهما كان نزيهاً أو ناجحاً .

عندما تصبح النزاهة عقبة .

عندما تصبح النزاهة عقبة يحطم الدكتاتور هذه العقبة . فمن المؤكد أن فى كل دولة من الدول من يرفضون الانصياع للدكتاتور هؤلاء ممن لا يطيق الدكتاتور وجودهم فإذا كانوا يملكون الوسيلة لمضايقته أو عدم السير فى ركابه اعتقلهم وجردهم من وسائلهم وقد يصل الأمر إلى إعدامهم والأمر الذى يمكن أن يؤرق الدكتاتور هو أن يقوم جهاز من أجهزة الدولة برفض الانصياع لإرادته كما حدث فى عهد عبد الناصر إذ رفض القضاء الطبيعى تلقى أوامر منه أو تحقيق رغباته .

أصدر القضاء المصرى حكمه ببراءة كل المتهمين فى قضية الأسلحة الفاسدة ؛ وأصدرت محكمة القضاء الادارى أحكاما ضد الحكومة بالنسبة لفصل موظفين من مناصبهم ؛ كما أصدر أحكاما أخرى ضد السلطة .

تم قتل المستشار سليمان بك ثابت الذى رأس محكمة الجنايات التى أصدرت حكمها فى قضية الأسلحة الفاسدة .

عدلت السلطة قانون مجلس الدولة وتدخلت فى تغيير رئاسته لتطويعه لرغباتها .

ولكن رغم ذلك بقى القضاء المدنى والجنائى أشواكاً فى حلق الدكتاتورية فما كان من عبد الناصر إلا أن أجرى مذبحته المشهورة .

ولعل هذه المذبحة هى أقبح وأبشع وأفضح ما قام به عبد الناصر من إجراءات تناولت قتل كل ضمان للمصريين ذلك لأنه كان قد أقام من المحاكم الاستثنائية الكثير وأن هذه المحاكم الاستثنائية كانت تنفذ له كل شهواته ولا يتنافس بشاعة وقبح هذه المذبحة إلا ما نشره صحفى فى تبرير هذه المذبحة واعتبارها عملاً وطنياً رائعاً .

لقد كان القضاء المصرى هو فخر مصر إذ أثبت بعد إلغاء المحاكم المختلطة التى كانت غالبية قضاتها من الأجانب والتى كانت تختص بنظر كل قضية مدنية أو جنائية

يكون المتمتع بالامتيازات الأجنبية طرفاً فيها إنه مثلاً أعلى فى النزاهة والكفاءة وتحقيق العدالة .

ومن نعم الله على مصر أن احتفظ القضاء المصرى بهذه المزايا العظيمة فى كافة الأجيال وحتى يومنا هذا .

o

والمغامرات

الدكتاتور عادة صاحب أطماع لا تتوقف عند حد من الحدود فإذا دان له الشعب تطلع إلى اخضاع شعوب أخرى وقد رأينا أطماع هتلر وموسلينى فى التوسع الخارجى .

عبد الناصر كانت أطماعه دون حدود وقد غذى هذه الأطماع تأييد شعوب عربية له ونفاق المصريين الذين سلطهم على الصحافة خصوصاً وأنه كان ينزل جام غضبه على من يتراخى فى المديح ولذلك كان الصحفيون لعبة فى يده ينقلهم كيف شاء ويعطل منهم من يشاء ويحول من يحول إلى أعمال لا تتصل بالصحافة ليذلهم وليكونوا درساً لغيرهم ولذلك كان لا يبقى فى مركزه إلا الأشد نفاقاً وتبريراً لكل الأخطاء بل والجرائم التى إرتكابها ضد الأحرار بل ضد مصالح مصر الاقتصادية والسياسية .

ليس ألعن من أن يعيش الانسان غارقا فى عسل المديح والنفاق والتصفيق .

كان شعار أطماع عبد الناصر من المحيط إلى الخليج ، فقد أراد أن تكون هذه حدود المملكة التى يتربع على رئاستها وتحقيقاً لهذه الأطماع انطلق فى مغامرات ذات نفقات باهظة .

وفى مؤتمر باندونج أحاطه نهرو وشوين لاى بهالات من الاطراء وصوراه بأنه بطل تحرير الشعوب فامتدت آماله إلى أفريقيا فيرسل القوات المصرية لتحارب فى الكونجو والمال والمساعدات للحكام فى الدول الأفريقية .

وامتدت مؤامرات عبد الناصر تحاول إما إخضاع الرؤساء لزعامته وسلطانه أو التآمر عليهم .

وفى الوقت الذى كانت تعانى مصر أزمة مالية نتيجة سوء إدارة شئون الدولة ونتيجة

الإثراء الحرام ونتيجة تركيز الرزق فى يد عبد الناصر وحرمان مصر من النشاط الفردى ونشاط الشركات الخاصة ونتيجة تسليم السلطة والمراكز فى الشركات لمحظوظين على حساب أصحاب الخبرات وفقاً لمشورة مستشاره الذى قال بتفضيل أصحاب الثقة على أصحاب الخبرة بحجة الحفاظ على الحكم وهى النظرية التى أدت إلى خراب شركات كانت فى قمة النجاح كشركات بنك مصر وعبود وغيرها فأصبحت فى قاع التخلف ... فى هذا الوقت كانت أموال طائلة يتم إنفاقها على المتآمرين وعملائه فى البلاد العربية .

وكانت كارثة حرب اليمن التى تم فيها تبديد ذهب مصر وآلاف الشهداء من أبناء مصر وأسلحة لا حصر لها .

بعد هذه الخسائر الفادحة يقدم عبد الناصر على (تهويشته) التى انتهت بحرب ٥ يونية سنة ١٩٦٧ .

هذه الحرب الملعونة التى ضاع فيها قطاع غزة العربى والضفة الغربية والقدس الشرقية .

تدنست أعز الأماكن المقدسة بأحذية الإسرائيليين الذين يدخلون المسجد الأقصى ثانى قبلة المسلمين بأحذيتهم كما يدنسون كنيسة القيامة باحتلال بيت لحم .

وما الانتفاضة المجيدة التى يدفع الفلسطينيون أغلى الثمن لاستمرارها ويتعرضون لأفظع جرائم قتل الأطفال وتكسير العظام ونسف المساكن وإصابة أكثر من ٥٠ ألف بعاهات وإصابات خطيرة واعتقال أكثر من ٧٠ ألف وتشريد المسنين والمسنات .. إلى آخر الجرائم الوحشية التى يرتكبها جنود العدو ... ما كانت الانتفاضة ستقوم لو لم يقدم عبد الناصر على (تهويشته) الملعونة .

لقد تقلص الحق العربى والكفاح الفلسطينى إلى السعى لتحرير ما تسببت تهويشة عبد الناصر فى انتقاله من العرب إلى إسرائيل !! وكانت النتيجة أن تحدث عبد الناصر فى مؤتمر الخرطوم عن الأزمة الطاحنة التى تعتصر مصر والمصريين حيث قال : إن المصيبة ليست فى أننا لا نملك المال الذى نشترى به السلاح بل لا نملك ما نستطيع أن نوفر به الغذاء الضرورى للشعب وكان المؤتمر قد انعقد بعد هزيمة ٥ يونية وحضره الملوك والرؤساء العرب .

وتجلت الشهامة العربية إذ انبرى الملك فيصل آل سعود قائلا : إننا لا نستطيع أن نأكل فى السعودية بينما يجوع المصريون ، واقترح أن تقوم المملكة السعودية وليبيا والكويت بتقديم المساعدات المالية سنوياً لمصر .

وهكذا نرى الموقف الكريم من الملك فيصل الذى طالما هاجمه عبد الناصر بأقذع العبارات والذى قال إنه سينتف له ذقنه .

ولعل من المناسب أن أذكر تصرفاً للامام يحيى ملك اليمن ووالد الامام أحمد الذى شن عبد الناصر الحرب ضده رغم أن اليمن كانت ترتبط مع مصر بالوحدة التى قامت من قبل فى عهد الامام يحيى .

كان الامام يحيى قد سافر إلى الخارج للعلاج وأثناء عودته توقفت المركب التى كانت تقله فى بورسعيد وسافر عبد الناصر ليحييه لأن الامام إدعى عدم القدرة على مغادرة المركب والتوجه إلى القاهرة لينزل ضيفاً على عبد الناصر .

عندما دخل عبد الناصر إلى الكابينة التى كان يرقد على فراش بها الامام يحيى ظل الامام متمدداً ولم ينزل ليستقبل الرئيس المصرى .

وأثناء الاجتماع حضر إلى الكابينة شيخ الجامع الأزهر ليحيى الامام فما إن دخل الشيخ حتى نزل الإمام من الفراش ورحب بضيفه وهو يقول :
واما العلم فيجب آن نقف له .

وبطبيعة الحال لم يرق لعبد الناصر أن يعامل الامام اليمنى شيخ الجامع الأزهر باحترام لم يعامله به .

ولا شك أن هذه المعاملة قد أثارت حفيظته وكانت أحد الأسباب التى دفعته إلى الزج بمصر فى الحرب ضد الامام أحمد .

ولا شك أن المغامرات التى خاضها عبد الناصر كانت كلها لتحقيق أطماعه فى الزعامة والسيطرة ولم تكن لمصر أية مصلحة فى خوضها بل على العكس عادت على مصر بالنكبات .

وهكذا تحولت مصر من دولة لها قوتها الاقتصادية إلى دولة يبكى حاكمها أمـام الرؤساء العرب لأن مصر لم تعد تملك ما يشبع بطون شعبها .

وكانت مصر تتلقى الصدقات من أمريكا فتقرر أن تتلقاها أيضا من بعض الدول العربية بعد أن كانت هى التى تساعد بالمال والسياسة والعلم والفن والانتاج جميع الدول العربية .

وتحولت مصر من دولة دائنة للامبراطورية البريطانية إلى دولة تبحث عن القروض وقد ذكر أحد اليساريين الذين يتشيعون لعبد الناصر أن حجم القرض الذى تركه عند وفاته هو ألف وسبعمائة مليون دولار .

وقد يتصور البعض أن هذا الدين بسيط بالمقارنة لحجم الدين الحالى وهو ينسى أن قيمة النقد فى عهد عبد الناصر كانت مرتفعة جدا بالنسبة لقيمته الآن فما كان يمكن شراءه فى الستينيات بألف دولار يساوى الآن أكثر من عشرة الاف دولار .

●

النتيجة

النتيجة أخطر مما يمكن حصرها فى بعض نقاط ولذلك نكتفى بأهم الأمور التى وصلت إليها مصر أثناء حكم عبد الناصر :

١ ــ إلغاء الحريات وفى مقدمتها قتل حرية الرأى والصحافة والأحزاب .

٢ ــ إلغاء النظام الديموقراطى إلغاء كاملا .

٣ ــ قلب الأوضاع تماما فبعد أن كان المصريون هم الذين ينتخبون من يحكمونهم أصبح الحاكم هو الذى يفرض على المصريين من يحكمونهم .

٤ ــ بعد أن كانت الحكومات تتكـون من رجال سيـاسة أصبحت تتكـون من محظوظين لا يفهمون كيف يديرون دولة .

٥ ــ أصبح الاعتقال والتعذيب والقتل والمحاكم الاستثنائية والاعتداء على النفس والمال والشرف وعلى السيدات أسلوبا واضحا يمارسه عبد الناصر دون أى التزام لا بقواعد الدين ولا الأخلاق ولا الشرف .

٦ ــ أصبح الفساد والنهب والسلب مباحا لكل محظوظ وكل منافق .

٧ ــ اتسع نطاق النفاق وأصبح أكبر موصل للنفوذ والمراكز والسلب والنهب .

٨ ــ قامت أزمة الاسكان على أثر تخفيض وتجميد الايجارات وجعلت عقودها أبدية وألحق ذلك أيضا ظلما فادحا بأصحاب المبانى المؤجرة .

٩ ــ لم تتقدم الزراعة ونقصت الرقعة الزراعية وقلت إمكانية الزارعين للأرض على شراء الآلات وكل متطلبات الزراعة كما أخذ الإنتاج الحيوانى والدواجن واللبن يقل تدريجاً مما أوصلنا إلى الأزمات التى نعيشها الآن .

١٠ ــ ألحقت قوانين إجارة الأرض الزراعية ظلما فاحشا بملاكها ، والظلم مستمر حتى الآن .

١١ ــ أدى تأميم الشركات إلى كوارث فى الادارة والانتاج وأصبحت الشركات التى كانت قمة فى النجاح متخلفة وتحمل مصر خسائر فادحة ، بالإضافة إلى الظلم البين الذى لحق حملة الأسهم فى هذه الشركات .

١٢ ــ استباح الحكم اللجوء إلى كسب تأييد المصريين بوسائل أدت إلى أزمات مثل قوانين العمل التى أشاعت التسيب والاهمال بين العمال ، ومجانية التعليم الجامعى للقادر وغير القادر ، والتزام الحكومة بتعيين كل الخريجين فكانت النتيجة انصراف الشباب عن الحرف وإلى الوصول بطبقة المتعلمين إلى أن أصبحت أفقر طبقة فى مصر ... فالخفير الجاهل الذى يحرس مواد البناء يتقاضى ثلاثة أضعاف ما يتقاضاه المهندس وهكذا مما خلق فى مصر ملايين الشباب المتعطل ... والتعطل للشباب هو الدافع القوى إلى الانحراف والاجرام وإلى تعطيل أكبر قوة تملكها مصر عن ميادين العمل .

١٣ ــ أتاحت الدكتاتورية للحاكم أن يدفع مصر إلى مغامرات دفعت ثمنها من استقلالها ودماء شبابها وخراب اقتصادها وإلى تسول الاعانات والاقتراض .

١٤ ــ أفسدت الأخلاق بتشجيع الجاسوسية التى قطعت الأسر وأنزلت المصائب بآلاف من الأبرياء .

١٥ ــ العداء للدين لأن قواعده ضد الظلم وضد البطش وضد سلب أموال الناس وضد اعتقال الأحرار .

قتل الانتماء لمصر :

أكثر الرجال وطنية فالعفو لا يطلب إلا ذنبا وابراهيم لم يرتكب أى ذنب إذ فضح تخلى عبد الناصر عن تنفيذ ما عهد به من إقامة حياة ديموقراطية .

وذات ليلة وأنا فى مكتبى بجريدة المصرى أخبرنى الساعى بأن حرم الأستاذ طلعت تريد مقابلتى فخرجت مسرعا واصطحبتها إلى حجرة المكتب .

أخرجت السيدة التى كنت أكن لها أكبر احترام فهى ثائرة مثل زوجها وأن اكتشاف

إننا نجنى اليوم ثمار ما زرعته دكتاتورية عبد الناصر .

وأخطر هذه الثمار هو قتل الروح الوطنية وانتماء المصريين خصوصاً الشباب لمصر . . ويا ويل دولة يموت فيها انتماء أهلها للوطن .

لقد تحدثت فى الفصل الأول من الجزء الأول لهذا الكتاب عن إلغاء الزعيم الجليل مصطفى النحاس باشا المعاهدة المصرية البريطانية رغم وجود ٥٠ ألفا من القوات العسكرية البريطانية على أرض مصر .

وتحدثت عن أعمال البطولة الخارقة التى قام بها الفدائيون ضد قوات الاستعمار البريطانى وعن تقديم فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية السلاح علناً للفدائيين وعن مشاركة ضباط من البوليس والجيش فى الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال التى يرأسها جنرال وتملك كل أنواع الأسلحة .

وتحدثت عن عمال مصر الأبطال إذ تركوا جميعاً العمل فى المعسكرات البريطانية فى يوم واحد وساعة واحدة ضاربين عرض الحائط بإعلان القيادة مضاعفة المرتبات وكيف استطاع ابراهيم فرج باشا فى أيام قلائل توفير العمل لأكثر من ٤٠ ألفا من العمال ولم يترك عاملاً واحداً ممن ترك خدمة الاستعمار دون أن يوفر له عملا يناسب مؤهلاته .

كما تحدثت عن الجنازة الصامتة التى اشترك فيها كل زعماء الأحزاب المصرية متناسين الخلافات السياسية وسار الجميع فى خشوع تمجيدا لشهداء الفداء عن مصر الذين وهبوا حياتهم دفاعا عن أرض مصر وتطهيرها من ذل الاحتلال .

وتحدثت عن معركة الاسماعيلية التى قررت الحكومات اعتبار يوم ذكراها العيد القومى للبوليس المصرى وهى المعركة التى خاض فيها عساكر البوليس ببنادق قديمة ببسالة سجلتها صحافة بريطانيا ودول العالم مع أحد أكبر جيوش العالم قوة وتسليحاً . .

وتحدثت عن رفض النحاس باشا وإصرار الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير خارجية مصر إرسال قوات لا تتجاوز المائة جندى كقوة رمزية للاشتراك فى حرب كوريا رغم الضغوط الأمريكية المتوالية والتأكيد على حياد مصر فى الميدان الدولى .

كثيراً ما نسمع من يرددون أن شعب مصر يستسلم لأى حاكم لكل مستعمر .

هذا الاتهام الظالم الذى روجت له الدكتاتورية التى مكنت أعدى أعداء مصر أن تحتل أرضها والتى تناست أن كفاح مصر جعل الزعيم الهندى خالد الذكر غاندى يقول(أنا تلميذ سعد زغلول وثورة الهند امتداد لثورة مصر) . .

إن تاريخ الكفاح المصرى قد بذلت الدكتاتورية كل الجهود لتطمسه فشب المصريون لا يعرفون تاريخ الوطنية المصرية ولا يعرف أن زعماء مصر سعد زغلول والنحاس ومكرم عبيد وغيرهم قد اضطرت السلطات البريطانية لتوقف الثورة التى أشعلوا نارها إلى نفيهم مرتين فى جزر نائية فزاد اشتعال ثورة المصريين .

تلك الثورة المباركة التى وحدت قلوب الشعب فالقساوسة يخطبون فى المساجد وعلماء الأزهر يخطبون فى الكنائس وارتفعت الهتافات (يعيش الهلال مع الصليب) .

لقد أفلح الاستعمار فى عشرات الدول إلى تأليب الأقلية الدينية لتتعاون معه ضد الأغلبية التى تخالفها دينا إلا فى مصر ولم تكن الوطنية المصرية تفرق بين قبطى ومسلم وكان الشعب فى دوائر انتخابية يقبل أحياناً على انتخاب أقباط رغم أن غالبية الناخبين من المسلمين .

وتولى الأقباط كل المراكز رئاسة الحكومة ورئاسة مجلس النواب ووزارات الخارجية وغيرها من أكبر المناصب .

وكانت مصر إذا ما قامت فيها حكومة أقلية أو تزوير للانتخابات يثور الطلبة والعمال وكانت ثورة العمال ضد حكومة اسماعيل صدقى باشا فى غاية العنف دفاعاً عن الحريات ودمغاً لتزوير الانتخابات .

أين هذا التاريخ من تاريخ الدكتاتورية السوداء وأين طهارة زعماء مصر من الفساد الذى استشرى فى عهد الدكتاتورية وحماية كل أجهزة القمع التى سلطها الدكتاتور على رقاب الشعب .

الدكتاتورية قتلت الانتماء :

لقد وأدت الدكتاتورية انتماء المصريين لمصر وأشاعت الفساد والسلب والنهب وعملت على تحطيم كل مقومات مصر وسلطت أخس الجواسيس وأحط العملاء للتجسس بل وتلفيق التهم للأبرياء .

وقتلت الصحافة التى كانت مشاعل الدفاع عن الحريات وحولت صحف ومجلات وإذاعات مصر إلى أبواق نفاق ودعايات مقيتة تقلب الهزائم إلى انتصارات وتؤيد كل الجرائم حتى مذبحة القضاء وبعد أن كانت صحافة مصر تسيطر على الرأى العام فى كافة الدول العربية أصبحت صحافة متخلفة طباعة وتحريراً وإخراجاً عن صحف ومجلات الكثير من الدول العربية .

وسخرت الدكتاتورية الإرهاب وأفظع وسائل التعذيب لحماية المحظوظين الذين ينهبون الثروات بل ولحماية الذين يعتدون على الأعراض .

كم قتلت الدكتاتورية من أبناء مصر شنقاً أو نتيجة التعذيب الوحشى أو فى حروب ليس لمصر أية مصلحة من خضوها أو حروب لم يستعد الدكتاتور لشنها . . !!

احرار أبرياء قتلتهم الدكتاتورية وقتلت بقتلهم انتماء المصريين لمصر .

قتلت الدكتاتورية الأحرار وقتلت الانتماء . . ولا حول ولا قوة إلا بالله الذى يقول سبحانه وتعالى فى الآية رقم ٣٢ من سورة المائدة فى كتابه الكريم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(صدق الله العظيم)

محتويات الكتاب

صفحة

الجزء الثانى

ظاهرة اسمها أحمد أبو الفتح

بكل المقاييس فإن أحمد أبو الفتح ظاهرة .. ظاهرة قيل فيها وعنها الكثير ، وعلى الرغم من ذلك فإنها جزء لا يتجزأ من تاريخ مصر الأدبى أولاً ثم السياسى بعد ذلك ..

على صفحات « المصرى » والذى كان أحمد أبو الفتح أحد أعمدتها ، ثارت معارك ، باقية فى التعبير الأدبى من الشعر إلى القصة ، إلى الرواية إلى المقال السياسى القصير المثير فى أغلب الأحيان ..

على صفحات المصرى احتدمت معارك بين القديم والجديد ، خاصة فى مجال الشعر التقليدى والذى كان فى نظر الرواد الأوائل من المجددين أقرب إلى الكفر والزيغ معاً .

كانت هناك المقالة الرصاصة والتى لا تستوعب لحظة إنطلاقها الزمنى مالا يقيسه الزمن ومع ذلك فدويها يظل يمسك بالآذان ، وآثارها شاهدة عليها تدميراً أو تطهيراً ..

على صفحات المصرى والذى كان أحمد أبو الفتح واحداً من أهم أركانها تخضبت السطور بما يشبه العراك الدامى بين طه حسين وخصوم منهجه فى الفكر والأدب واللغة .

على صفحات المصرى لمعت ثم توهجت ثم غابت ولكن إلى حين أسماء عبد المنعم الصاوى وعبد الرحمن الشرقاوى وسعد مكاوى وعبد الرحمن الخميسى وبيرم التونسى وكامل الشناوى وحسن فؤاد وزكريا الحجاوى ومرسى الشافعى ويوسف إدريس ومحمود عبد المنعم مراد وسهير القلماوى ومحمد فهمى عبد اللطيف ود. وحيد رأفت

لمعوا وتوهجوا ثم غابوا ، لأنهم على السطح ، كانت تنمو من صفحاتهم أجنة الثورة وفى العمق كانت تتشكل الثورة المضادة وحين يقال إن آل أبو الفتح كانوا على صلة بالضباط الذين صنعوا انقلاب يوليو ، فإن الصحيح أن يقال أنهم شركاء اختلفوا وكان محتماً أن يختلف بهم الطريق ..

المصرى صحيفة الوفد منسوبة إليه ومحسوبة على فكره هى كالحزب الذى تمثله مع الليبرالية فكراً ومدرسة وإعلاماً أيضاً ، ولذلك فإن تحالف أصحابها مع الضباط ، أى ضباط .. ومهما كانت أسبابه سياسية فى رأيهم ، أسرية فى نظر غيرهم ، إنما كان يعنى أنهم على طريق النكوص والردة .

كانوا بالحساب خاطئين طبعاً ، مع شمولية الفكر وشمولية التوجه ، وسيادة الرأى الواحد ، ذلك أن ما يؤخذ بالقوة لا يستمر عبر قنوات الحوار .

ولأن البدايات كانت خطأ فى الحساب ، فإن المسار كله بعد ذلك قد تعثر بالعثرات ..

ولأن هناك من قالوا فى أحمد أبو الفتح الكثير مقترناً بما أسموه وثائق ووقائع ..

ولأنه قال ويقول فى هذا الكتاب ما يدفع به عن نفسه ويدافع ، إلا أنه فى لحظة الحسم الأولى كان قد اختار .

اختار منهجا غير منهجه وسلك طريق لا يناسب فكره ، وقد حاول أن يراجع ما كان إلا أن ما كان سيظل فى ذمة التاريخ .

ونحن نقدم هذا الكتاب ليكون واحداً من أهم مراجعه ..

احمد يحيى

مطابع الأهرام بكورنيش النيل